سح العقيدة الطاووسية

تاريف

توجيه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

إشراف

ملاكمي طالح البقيع
صنع
العقيدة الطاووسية

تأليف
فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

إعداد
عبد الرحمن بن طارع السديني
لسبعم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

ما بعد ختام ذكره في السنة / الحادية عشر بعد دعاءه السيد

بإذن ربي وليّنيما أعدد من البرأ من حسن دعاءه لعِينه.

للرحمان العظيم، والذي تحقيقه في المرة الأولى.

المقام في مسجد الرسول ﷺ عليه السلام في الرحمن.

في دفعة سنة 1435 - 1436 هـ.

نقطع الله بهم ورحمة ربه وبركاته وبركاته وما له تعالى.

عملية بالحقيده العلمية.

قال بذلك

عبد الرحمن بن عمر البراك
شرح العقيدة الطحاوية
الطبعة الأولى
1429هـ - 2008م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف إلا من أراد طبعه وتوزيعه مجانًا بعد أخذ إذن خطي من الناشر
شرح العقيدة الطحاوية

تأليف
فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

إعداد
عبد الرحمن بن صالح السديس
باسم الرحمن الرحمن

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وصلى الله وسلم على محمد
عبد الله ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشرًا ونذيرًا، فبلغ الرسالة،
وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وفاجد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين،
وعلى آل وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن أعظم نعمة على العبد بعد الإسلام، لزوم السنة والجماعة،
والسلامة من البذع والأهواء؛ فقد وقع في هذه الأمة ما أخبر به النبي ﷺ
من التفرق، والابتداع في الدين—كما وقع في من قبلها—، فالنخرت هذه
الفرق عن الصراط المستقيم، ولم يستقيموا على سبيل المؤمنين من
الصحاباء والتابعين وأئمة الهدى؛ بل اتبعوا أهواءهم، وقدوعوا عقولهم
القاسرة، وجعلوها حكماً على الشريعة في مسائل أصول الدين، وهم في
هذا الانحرافات متناوتو، فمنهم الغالب، ومنهم دون ذلك، ومنهم
المعاند المتتصب لبدعته، ومنهم المجتهد المخطئ، فتقصى أئمة السنة
للرد على المبتدعين، وكشف شبهاتهم، مع العدل في أحكامهم عملاً
بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ قَاعِدِيْنَ﴾ [الأنعام: 152] فكتبوه في ذلك، وفي بيان
مذهب أهل السنة كتبًا كثيرة، مطولة وقصيرة، وكان من هؤلاء الأعلام
الإمام أبو جعفر الطحاوي ﷺ، فقد كتب رسالة في عقيدة أهل السنة
والجماعة، صغيرة الحجم كثيرة المعاني، ذكر فيها جملًا من أصول
مذهب أهل السنة من غير تفصيل ولا تدليل.

وقد تصدى لشرحها جمع من العلماء منهم: العلامة أبو الحسن
علي بن علي بن محمد المشهور بابن أبي العز الحنفي المتوفى سنة
شرح المقيدة الطحاوية

٧٩٢ هـ

(١) وقد اعتمد في أكثر شرحه على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم - رحمهما الله - فجاء شرحاً عظيماً، حافلاً بالتقريرات النيفة، والبحوث المتينة، والردود الشافعة على أهل البدع.

وكان ممن تولى شرحها للطلاب في هذا العصر: فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك - حفظه الله - فشرحها في مجالس علمية متعددة، ومن ذلك شرحه لها في جامع الإمام علي بن المدني في مدينة الرياض ضمن الدورات العلمية المكثفة في الصيف في أربعة أعوام من عام ١٤٢٢ إلى عام ١٤٢٥ هـ.

فُلَبَت على الشيخ - حفظه الله - فكرة العناية بهذا الشرح، وتهيئته للطباعة؛ لما يرجى من تفع ذلك، فوافق على طلب، أجاز الله مثوبته.

فاستعنت بالله على ذلك، وسار العمل في الإخراج على ما يلي:

١ - كتابة ما في الأشرطة من الشرح، ولم أدخل الأسئلة.
٢ - صححت المكتوب، وهبته ونقشه لنسبه الطباعة.
٣ - أثبت نصوص الأحاديث والآثار والنقول على ما جاءت في مصادرها.
٤ - عزوت الآيات إلى مواضعها من كتاب الله، وخرجت الأحاديث، والآثار; وطريقتي في التخريج ما يلي:

أ) إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما اقتصرت في العزو عليه، وأكتمي بموضوع واحد.

ب) إذا كان الحديث في غير الصحيحين أخرجه من أشهر وأهم المصادر من غير استبعاب، وأنقل ما تيسر من كلام أهل العلم عليه تصحيحًا، أو تضييقًا باختصار، إذ ليس هذا موضوع استقصاء، وقد أُهل

(١) انظر ترجمته في: إنباء الغمر ٣٠٠، ووجيز الكلام ٢٩٥/٨، وشذرات الذهب ٥٥٧/٨.
للكتاب المتخصصة في التخرج لمن أراد التوسع والزيادة في المواضيع التي تحتاج لذلك.

5- وقعت النقل، وألقت في مواضيع كبيرة من الشرح إلى كتب الأئمة خصوصًا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلمذته ابن القيم زيادة في التوثيق والفائدة لمن أراد التوسع.

6- اعتمدت في متن العقيدة الطحاوية على طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام 1404 هـ، مع مراجعة المتن الذي مع شرح ابن أبي العز، وبعض المخطوفات عند الحاجة، والفرق الذي لا يترتب عليه اختلاف في المعنى لن أنه عليه حفظًا لوقت القارئ.

7- وضعت عناوين في بداية المقاطع المشروحة من المتن في إطار للتوضيح.

8- قرأت الشرح كاملاً على الشيخ - حفظه الله - فضاف، وحذر، وعدّل، وغير ما رأه مناسبًا.

9- وضعت بين يدي الكتاب ترجمة مختصرة للإمام الطحاوي، وأخرى للشيخ البراك.

10- وضعت فهرساً للأحاديث، وقائمة بالمراجع التي عزوت لها، وفهرساً تفصيليًا لمسائل الكتاب، وفهرساً إجماليًا لموضوعات الكتاب. هذا، وأسأل الله أن يجزي الشيخ عبد الرحمن البراك خير الجزاء، وأن يمد في عمره على طاعته، وأن ينفع به المسلمين، إنه تعالى جواد كريم.

مكتبه
عبد الرحمن بن صالح بن عبد الله السديس
الرياض
sds55@gawab.com
ass669@hotmail.com
ترجمة الإمام الطحاوي

اسمه ونسبه:
أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي
المصري الطحاوي، نسبة لقرية «طحا» في صعيد مصر.

كنيته:
أبو جعفر.

مولده:
يختلف في سنة ولادته فقيل: 239 هـ وقيل: 238 هـ والأكثر على الأول.

شيوخه:
يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم،
والريع بن سليمان المرادي، وخاله إسماعيل المزني، وبيكار بن قتيبة،
ويزيد بن سنان، وأحمد بن أبي عمران، ويجيب بن محمد بن عمرو،
وهو الذي أذن به وعلمه القرآن، وغيرهم.

رحلته:
رحل إلى الشام سنة 268 هـ، ولقي القاضي آباه خازم عبد الحميد بن
عبد العزيز، وتفقه عليه، وتنقل بين مدن الشام وسمع من جماعة من
المحدثين.

مذهب الفقه:
كان الطحاوي في أول أمره شافعيًا، ثم تحول إلى مذهب أبي
حنيفة، وسببه:
شرح المقيدة الطحاوية

أنه كان يقرأ على خاله المزني الفقيه الشافعي، فمرت مسألة دقيقة
فلم يفهمها أبو جعفر، فبالغ المزني في تقريرها، فلم يتفق ذلك، فغضب
المزني، فقال: والله لا جاء منك شيء، فغضب أبو جعفر من ذلك،
وانتقل إلى مجلس القاضي الحنفي ابن أبي عمران.
 وقال الخليلي: سمعت عبد الله بن محمد الحافظ يقول: سمعت
أحمد بن محمد الشروطي يقول: قلت للطحاوي: لم خالفت خالك
واخترت مذهب أبي حنيفة؟ قال: لأنني كنت أرى خالي يديم النظر في
كتب أبي حنيفة، فلذلك انتقلت إليه.
 وقال أبو سليمان بن زهير: قال لي الطحاوي: أول من كتب عنه
الحديث: المزني، وأخذت بقول الشافعي، فلما كان بعد سنين، قدم
أحمد بن أبي عمران قاضيًا على مصر، فصحبته، وأخذت بقوله.

مؤلفاته:
له مؤلفات كثيرة منها: "شرح مشكل الآثار"، و"معاني الآثار"،
و"اختلاف العلماء"، و"الشروط"، و"المختصر"، و"أحكام القرآن"،
و"الوصايا"، و"شرح الجامع الكبير"، و"شرح الجامع الصغير"،
و"الفرائض" وغيرها.

تلاميذه:
يوسف بن القاسم الميانجي، وأبو القاسم الطبراني، وأبو بكر بن
المقرئ، وأحمد بن عبد الوارث الزجاج، وعبد العزيز بن محمد
الجوهري قاضي الصعيد، ومحمد بن المظفر الحافظ، وخلق سواهم من
الرجالين في الحديث.

ثناء العلماء عليه:
قال ابن يونس: كان ثقة ثبّا فقيها عاقلًا، لم يخفف مثله.
قال مسلم بن قاسم: كان ثقة جليل القدر، فقيه البدن، عالما
باختلاف العلماء، بصرفًا بالتصنيف، وكان يذهب مذهب أبي حنيفة، وكان شديد العصبية فيه.

وقال الخليلي: للطحاوي كتب مصنفات في الحديث، وكان عالماً بالحديث.

وقال ابن عبد البر: كان من أعلم الناس بسير القوم - أي: أبي حنيفة وأصحابه - وأخبارهم؛ لأنه كان كوفي المذهب، وكان عالماً بجميع مذاهب الفقهاء.

وقال السمعاني: وكان ثقة ثبتًا فقيهًا عالماً لم يخلف مثله.

وقال الذهببي: الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، وقال: من نظر في تواليف هذا الإمام علم مله من العلم، وسعة معارفه.

وقال ابن كثير: الفقيه الحنفي صاحب المصنفات المفيدة والفوائد، وهو أحد الثقات الأئمة، والحفاظ الجماهيرة.

وفاته:

توفي ﷺ بمصر ليلة الخميس مستهل ذي القعدة سنة 321 هـ.

مصادر الترجمة:

الإرشاد في معرفة علماء الحديث 432/1، وجامع بيان العلم 478/2، والأنساب 433/4 و9/53، وتاريخ دمشق 369/5، ووفيات الأعيان 71/1، وسير أعلام البلاء 15/17، والبداية والنهاية 15/72، والجواهر المضية 1/15، وليسان الميزان 1/271.
ترجمة الشيخ عبد الرحمن البراك

اسمه ونسبه:
عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، ينحدر نسبه من بطن العريقات من قبيلة سبيع.

ميلاده ونشأته:
ولد الشيخ في بلدة البكيرية من منطقة القصيم في شهر ذي القعدة سنة 1352 هـ.
وتوفي والده وعمره سنة، فنشأ في طفولته في بيت أخواله مع أمه، فتربي خير تربية.
ولما بلغ الخامسة من عمره سافر مع أمه إلى مكة، وكان في كفالة زوج أمه محمد بن حمود البراك.
وفي مكة التحق الشيخ بالمدرسة الرحمانية، وهو في السنة الثانية الابتدائية قدر الله أن يصاب بمرض في عينيه تسبب في ذهاب بصره، وهو في العاشرة من عمره.

طلبه للعلم ومشاعره:
عاد من مكة إلى البكيرية مع أسرته، فحفظ القرآن وعمره عشر سنين تقريباً على عمه عبد الله بن منصور البراك، ثم قرأ على مقرئ البلد عبد الرحمن بن سالم الكريدس رحمهم الله.
وفي حدود عام 1364 و1365 هـ بدأ الشيخ حضور الدروس والقراءة على العلماء، فقرأ على الشيخ عبد العزيز بن عبد الله السبيل رحمه الله.
ترجمة الشيخ عبد الرحمن البراك

جملة من كتاب «التوحيد»، و«الأجرومية»، وقرأ على الشيخ محمد بن مقبل "الثلاثة الأصول".

ثم سافر إلى مكة مرة أخرى في عام 1366 هـ تقريبًا، وملك بها ثلاث سنين، فقرأ في مكة على الشيخ عبد الله بن محمد الخليفي، إمام المسجد الحرام في المكتبة، وهناك التقى بعالم فاضل من كبار تلاميذ العلامة محمد بن إبراهيم، وهو: الشيخ صالح بن حسين العلي العراقي، وكان من أصدقاء الشيخ عبد العزيز بن باز. فجالسه واستفاد منه، ولما عين الشيخ صالح بن حسين العلي العراقي مديرًا للمدرسة العزيزة في بلدة الدلم، أحب الشيخ صالح أن يراقب الشيخ عبد الرحمن حفاظًا، فصحبه لطلب العلم على الشيخ ابن باز حين كان فاضلًا في بلدة الدلم، فرحل معه في ربيع الأول من عام 1369 هـ، والتحق بالمدرسة العزيزة بالصف الرابع، وكان من أهم ما استفاده في تلك السنة الإسلام بقواعد التجويد الأساسية.

وفي نفس السنة سافر مع جمع من الطلاب مع الشيخ ابن باز إلى الحج، وبعد عودته ترك الدراسة في المدرسة العزيزة، وآخر حفظ المتنوّع مع طلاب الشيخ عبد العزيز بن باز، ولازم دروس الشيخ ابن باز المتنوعة، فقد كان يقرأ عليه في: كتاب «التوحيد»، و«الأصول الثلاثة»، و«عمدة الأحكام»، و«بلاغ المرام»، و«مسند أحمد»، و"تفسير ابن كثير"، و"الحربية"، و"الأجرومية".

ومكث في الدلم في رعاية الشيخ صالح العراقي، فقد كان مقيمًا في بيت، ودرس عليه علم العروض.

وحُفظ في بلدة الدلم كتاب "التوحيد"، و"الأصول الثلاثة"، وال"الجرومية"، و"قطر الندى"، و"نظم الرحبة"، وقدرًا من "اللغة ابن مالك«، ومن "اللغة العراقية" في علوم الحديث.

وبقي في الدلم إلى أواخر سنة 1370 هـ، وكانت إقامته في الدلم لها أثر كبير في حياة العلمية.
ولمما فتح المعهد العلمي في الرياض في عام 1370هـ انتقل إليه كثير من طلاب المشايخ، ومنهم طلاب الشيخ عبد العزيز ابن باز، فاضطر الشيخ للتسجيل فيه، وبدأت دراسة أول دفعة فيه في محرم 1371هـ، وكانت الدراسة في المعهد تتكون من مرحلتين: تمهيدي للمبتدئين الصغار، وثاني لم ينتموا للفقه، والتحقيق به كثير من طلاب العلوم في وقتها، وكانت الدراسة الثانوية أربع سنوات فتخرج عام 1374هـ، والتحقيق بكلية الشريعة، وتخرج فيها سنة 1378هـ.

وتتلمذ فيه المعهد والكلية على مشايخ كثيرين من أبرزهم:

العلامة عبد العزيز ابن باز، والعلامة محمد الأمين الشنقيطي، ودرسهم في المعهد في التفسير، وأصول الفقه، والعلامة عبد الرزاق عفيفي ودرسهم في التوحيد، والنحو، وأصول الفقه، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد، والشيخ عبد الرحمن الأفريقي، والشيخ عبد اللطيف سرحان درس عليه النحو، وأخرين رحمهم الله جميعًا.

وكان في تلك المدة يحضر بعض دروس العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ في المسجد.

وأكبر مشايخه عنده وأعظمهم أثرًا في نفسه الإمام العلامة عبد العزيز ابن باز كله، فقد أفاد منه أكثر من خمسين عامًا بدأًا من عام 1369هـ إلى وفاته في عام 1420هـ، ثم شيخ العراقي الذي استفاد منه حب الدليل، ونبد التقليد، والتدقيق في علوم اللغة، كالنحو، والصرف، والعروض.

الأعمال التي تولاها:

عين الشيخ مدرسًا في «المعهد العلمي» في مدينة الرياض عام 1379هـ ويقي فيه ثلاثة أعوام، ثم نقل إلى «كلية الشريعة» بالرياض، وتولى تدريس العلوم الشرعية، ولما افتتحت كلية أصول الدين عام
1396 هـ صُنِّف الشيخ في أعضاء هيئة التدريس في قسم "العقيدة والمذاهب المعاصرة"، ونقل إليها، وتولى التدريس في الكليتين إلى أن تقاعد في عام 1400 هـ، وأشرف خلالها على عشرات الرسائل العلمية.

وبعد التقاعد رغبت الكلية التعاون معه؛ فأجاب، كما طلب منه سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله أن يتولى العمل في الإفتاء مرارًا فتمّت، فرضي منه الشيخ ابن باز أن يبنيه على الإفتاء في دار الإفتاء في الرياض في فصل الصيف حين ينتقل المفتون إلى مدينة الطائف، فأجاب الشيخ حياءً، إذ تولى العمل مرتين ثم تركه.

وبعد وفاة الشيخ ابن باز رحمه الله طلب منه سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ أن يكون عضوًا في الإفتاء، وألح عليه في ذلك فامتنع، وأثر الانقطاع للتدريس في المساجد.

جهوده في نشر العلم:

جلس الشيخ للتعليم في مسجده الذي يتولى إمامته - مسجد الخليفي بحي الفاروق -، ومعظم دروسه فيه، وقرئ عليه عشرات الكتب في شتى الفنون؛ كالفقه وأصوله، والتفسير وأصوله، والحديث، والعقيدة، وال نحو، وغيرها، كما أن له دروساً في بيه مع بعض خاصه طلابه، وله دروس منتظمة في مساجد أخرى في مدينة الرياض، وله مشاركات متكررة في الدورات العلمية المكثفة التي تقام في الصيف، إضافة إلقاء له كثيرًا من المحاضرات والكلمات الدعوية، وإجابته على الأسئلة المعروضة عليه من عدد من أشهر المواقع الإسلامية في الشبكة العالمية.

طلابه:

تصدى الشيخ لنشر العلم قبل نصف قرن تقريبًا، وتعلم عليه أمم من طلاب العلم يتذرع على العاد حصرهم، وكثير من أساتذة جاماتنا الشرعية، والدعوة المعروفين، قد تلمذوا عليه.
وبعد أن يسر الله جملة من الوسائل الحديثة، كالشبكة العالمية، تمكن كثير من طلاب العلم في خارج البلاد من متابعة دروس الشيخ على

www.liveislam.net

الهواء مباشرة، عن طريق موقع البث الإسلامي:

احسابه:

للشيخ جهود كبيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناصحة المسؤولين والكتابة لهم، والإصلاح بين الناس، والتحذير من البدع، وسائر الانحرافات والمخالفات، وله في ذلك فتاوى كثيرة، وله مشاركة مع بعض المشايخ في عدد من النصائح والمبادرات لعموم المسلمين.

إهتمامه بأمور المسلمين:

للشيخ - حفظه الله - اهتمام بالغ بأمور المسلمين في جميع أنحاء العالم، فيتابع أخبارهم، ويحزن ويتألم لما يحدث لهم من نكبات، وفي أوقات الأزمات يبادر بالدعاء لهم، والدعاء على أعدائهم، ويبذل النصح والتوجيه لهم، وللمسلمين فيما يجب نحوهم.

إتاحة العلم:

انصرف الشيخ عن التأليف مع توفر آله، وبذل معظم وقته في تعليم العلم، والإجابة عن الأسئلة، وقد قُرِئت عليه عشرات الكتب في مختلف الفئون، وقد سجل بعضها، وما لم يسجل أكثر، وما زالت دروسه عامرة كما كانت.

وقد صدر للشيخ من المطبوعات: "شرح الرسالة التدمرية"، و"جواب في الإيمان ونواضجه"، و" موقف المسلم من الخلاف"، و" التعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري"، و"توضيح مقاصد الواسطة".

وفي حياة الشيخ جوانب كثيرة مشرقة أعلم أنه يكره ذكرها، أسأل الله أن يبارك في عمره، ويمد فيه على الطاعة، وينفع المسلمين بعلمه، إنه سميع قريب.
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه. أما بعد:

فالعقيدة المعروفة بـ«الطحاوية» نسبة إلى مؤلفها الإمام أبي جعفر الطحاوي - من المؤلفات المختصرة في عقيدة أهل السنة والجماعة، وأهل العلم درجوا على التأليف في أصناف علوم الفقهية على مناهج متنوعة؛ فمنهم من ينهج نهج البسط والتفصيل والتدليل، ومنهم من ينهج طريق الاختصار، وكل منهج خصائصه ومزاياه.

والخصوصيات تتميز بأنها ميسورة الحفظ، ويمكن الإمام بها في وقت قصير، قَبْيَمُ الطالب يُجِّلْ المسائل على سبيل الاختصار في وقت وجيز، فنسأل الله أن يمدتنا وإياكم بالتوفيق والفتح منه، وأن يعلمنا ما يفعتنا، وأن يهدينا سواء السبيل.

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:

«هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أَبِي هِنِيَّة النعمان بن ثابت الكوفي، وأَبِي يوسف بعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأَبِي عبد الله محمد بن الحسن الشباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين ويدعون به رب العالمين». هذه مقدمة مختصرة تناوب المضمون والمؤلف المختصر.

قوله: «هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة» أي: ذكر ما يعتقد أهل السنة والجماعة، وأكثر ما يعبر أهل العلم بالاعتقاد، والمراد
بالعقيدة والاعتقاد: نفس عقد القلب، أي ما يعقد عليه قلبه ويزم به ويوقن.
وتارة يطلق الاعتقاد على نفس الشيء المعتقد المعلوم.
فقول في الأول: إن فلاناً اعتقده قوي، واعتقاده صحيح، واعتقاده جامد.
ويقال في الثاني مثلًا: اعتقد أهل السنة والجماعة: هو الإمام بالله وملائكته... كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية كنّه في العقيدة الواسطة: «فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة: الإمام بالله وملائكته ورسله...» (1). فقرر الاعتقاد بالإيمان بالله وملائكته ورسله... إلخ.
وكذلك العقيدة أي: الشيء المعتقد فعيلة بمعنى مفعولة، فتقول هذا اعتقد أهل السنة والجماعة، يقول الإمام الطحاوي: «على مذهب فقهاء الامة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف بعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني» لو قال: على مذهب فقهاء الامة منهم: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن كان أولي؛ لأن هؤلاء الأئمة لا شك أنهم من فقهاء الأمة، لكن ليست الإمامة والفقه محصورة فيهم، ولكنه نظر إلى كونه يتمي إلى أبي حنيفة، وقد ذكر في ترجمته أنه كان شافعيًا، ثم تمهذب على مذهب أبي حنيفة وتفقه على فقه أبي حنيفة (2)، وهو فقيه محدث، كما يدل على ذلك كتابه: «معاني الآثار»، و«شرح مشكل الآثار»، فرحمه الله، ورحم أمته الدين، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.
يقول: «وما يعتقدون في أصول الدين، ويدينون به رب العالمين».
هذا هو المقصود: بيان ما يعتقدونه في أصول الدين، ويدينون به لرب

(1) الواسطية ص 21.
(2) انظر ترجمته في ص 9.
العالمين، وغلب على تعبير كثير من أهل العلم إطلاق أصول الدين على مسائل الاعتقاد، والواقع أن أصول الدين لا تختص بأمور الاعتقاد، بل أصول الدين منها: اعتقادية كأصول الإيمان الستة، ومنها: عملية كأصول الإسلام الخمسة.

والأيمان بالله، وملاذاته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر.

هذه من أصول الدين الاعتقادية العلمية؛ لأن مسائل الدين نوعان: مسائل علمية، ومسائل عملية، فكل من القسمين له أصول وله فروع، فإذا لم يختص اسم أصول الدين في مسائل الاعتقاد، ولا يختص اسم الفروع بالمسائل العملية، كما حذر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية(1)، وأنكر على من يجعل جميع مسائل الاعتقاد من أصول الدين، بل الدين له أصول وله فروع علمية اعتقادية، وعبادات عملية.

(1) منهج السنة 5/87 وجمع الفتاوى 6/56 و19/197.2.
قول أهل السنة في التوحيد

يقول COMMANDER: "قول في توحيد الله معتقدين بتوقيع الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يُعَجِّزه، ولا إله غيره".

يقول COMMANDER: "قول" هذا شروط في بيان ما قدص إليه "قول"
نحن أهل السنة، هو يعبر عن نفسه، وعمن ذكر من الأئمة وغيرهم من أئمة الدين "قول" بالاستناد "المتقدى" بقلوبنا، فجمع بين التصديق بالله، والاعتقاد بالجنان "قول في توحيد الله" يعني نقول في موضوع التوحيد، والأساس في معنى التوحيد: جعل الشيء واحدًا، واعتقاد واحدًا، والمراد بتوحيد الله يعني في شأن وحدانيتي تعالي واعتقاد تفرده فهو تعالى واحد، والتوحيد هو: الإيمان بأنه واحد في ربوبته وإلهيته وأسمائه وصفاته، وخصصه وإفراده بالعبادة، هذا هو توحيد الله.

فالتوحيد اعتقاد العبد وفعله.

أما الوحدانية فصفة الرب تعالى كما يدل على ذلك اسمه الواحد.

والедин فهو واحد في كل شؤونه.

والله تعالى يوجد نفسه بمعنى أنه يشرى على نفسه بذلك، ويعلّم عباده بأنه واحد، كما قال تعالى: "كُفُّوا آدَمَ أَنْ تَحْزَنَّ إِنَّوَلَمْ هُوَ فَلَمَّا حَزَنَّ جَعَلَهُ كَأَنَّهُ ثُلُّثُمْ" (آل عمران: 18) فهذه شهادة منه تعالى لنفسه بالوحدةانية تتضمن علمه بأنه واحد، وذكره لنفسه بتفرده بالله يهبة، وأمره عباده بذلك، وقد ذكر ابن أبي العز "الله" في الشرح كلامًا مستفيضًا على هذه الآية، وهو منقول من مدارج السالكين لابن القيم، فليرجع إلى (1).

(1) شرح الطحاوية ص 44، ومدارج السالكين 418/3.
يقول: "نقول في توحيد الله معتقدين" هذا فيه تنبيه على أنه لا بد من الجمع بين اعداد القلب وإقرار اللسان، فلا يكفي أحدهما دون الآخر؛ بل لا بد في التوحيد من اعداد القلب وهو العلم والتصدق الجائز بأنه تعالى واحد، وإقرار اللسان بذلك.

ثم يقول: "بتوابيع الله" هذه لها دلالات عظيمة، وهي: أن إيماناً وقولنا واعتقادنا إنما يتحقق لنا بتوابيعه وهذه، فنحن نقول ونعتقد ما نعتقد بتوابيعه سبحان، وهذا يتضمن الإيمان بالشرع والقدر جميعًا.

"إن الله واحد لا شريك له" هذا هو ما نقوله وما نعتقده في وحدانية الله تعالى: "إن الله واحد لا شريك له" واحد اسم من أسمائه تعالى جاء في القرآن مقررًا بسماه القهار (وهو أتربة الفهير) [الرعد: 16]، (أنورب من مثوبات عبد أري، الله الزلجم الفهير) [يوسف: 43]، وجاء غير مقرر به قال تعالى: (وهلكم إليه ودعدن لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) [البقرة: 35] (والوحدة تنافى الشريك، وقد أكدها بقوله: "لا شريك له" فهو متفرد عن الشركاء، فهو الررب ولا ربب غيره، فهو ررب كل شيء، فهو واحد في روبه في أفعاله، فلا خالق ولا رازق ولا مدبر لهذا الوجود سواء، وهو واحد في إلهيته فلا إله غيره، ولا شريك له، وما معبد بحق سواء، وهو واحد في أسماه وصفاته، فلا شبيه له في شيء من صفاته وأفعاله.

إذا؛ هذه الجملة "إن الله واحد لا شريك له" ضمنها المؤلف أصل الدين، وهو التوحيد، فالتوحيد بكل معانيه هو أصل دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، خصوصًا توحيد العبادة.

وقد أخبر عن الرسل إجمالًا وتفصيلًا بذلك قال تعالى: (وًبِنِيرًا) [الأنبياء: 89] وقال تعالى: (ولقد بنينا في سكيلٍ أقوم رضو أب أُبْدِعْتُوا الله وجعلتموا أنفسكم الطيور) [النحل: 73]، وأخبر عن أنبيائه: نوح وآدم وصالح
وعنهم قالوا لأقوامهم: (أُثْبِئُوا اللَّهُ مَا لاَ كَفُورًا مِّنَ الْإِيمَانِ غَيْرُهُ).

فالتوحيد هو أصل دين الرسول، وله نفي واجب على المكلفين

شهادة أن محمدًا رسول الله، كما قال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"(1)؛ لأن الشهادتين

متلازمان لا تصل إحداهما إلا بالأخرى، فلا بد منهما جميعًا، ولهذا

قال النبي ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن

محمدًا رسول الله"(2) فعند هذه الشهادة واحدًا من المباني الخمسة.

فالكافرون الأصلي أو النصراني أو اليهودي أو المشرك إنما يدخل في

الإسلام بإقراره بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا

رسول الله، مع التزامه بالشرائع الأخرى كما قال تعالى: {إِنَّكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَأَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَتَّفَقُونَ عَلَى مَا كُتِبَ لَكُمْ مِنْ نُزُولِ رَبِّكُمْ} [النبي: 5]؛ {إِنَّكَ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ أَأمَنُوا} [النبي: 11] وقال بعض أهل

الكلام(3): إن أول واجب هو النظر، ويريدون بالنظر التفكير في الأدلة

الكونية مثلًا، فقالوا: إن أول واجب هو النظر، وبعضهم تطبع وقال: بل

أول واجب القصد إلى النظر، وأصبح من هذا وذاك قول من قال منهم:

إنه أول واجب هو الشك! يعني أول واجب أن يشك الإنسان في

الحقائق، فيشكل في وجود الله وفي إلهيته، ثم بعد ذلك ينظر في الأدلة.

بئس ما قالوا أن جعلوا الكفر هو أول واجب؛ لأن الشك بالله

كفر. وهذه الأقوال ظاهرة الفساد والبطلان.

والنظر مشروع لكن لا يقال: إنه أول واجب، وقد ندب الله العباد

إلى النظر، فمن كان عنده توقف أو شك مثل حال الكفاف فعليه أن ينظر

(1) رواى البخاري (25)، ومسلم (22) من حديث ابن عمر.
(2) رواى البخاري (8)، ومسلم (16) من حديث ابن عمر.
(3) درء تعارض العقل والنقل ٣٥٢/٣، ٥٠٠/٨، ومدارج السالكين ٣٣/٣، ٤١٢/٣.
ويتأمل في الأدلة، وينظر في الآيات ويتفكّر "أَلَوْتُ هُمْ يَتَفَكَّرُونَ في مَلْكُوتِ الْمَكْرُوتِ وَالْأَلَٰلِ وَمَا غَلِبَ اللَّهُ مِن مَّمْتَعِينَ" (الإسراء: 185)، "أَلَوْتُ هُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِي جَنَّاتٍ أَلْلَهُ وَمَلْكُوَتِكُمْ" (الروم: 8).

والنظر من الأسباب التي يقوى بها إيمان المؤمن، ولهذا أثني الله على أوليائه أولي الألباب بالتفكر في المخلوقات "رَبِّنَا تَفَكَّرْنَ فِي حُقْقٍ الْمَكْرُوتِ وَالْأَلَٰلِ رَيْبًا مَا حَلَقَتْ هَذَا بَطَالًا سَبُحَتْهَا فَقَانِ عَدَابٌ أَهْلِيكَ" (آل عمران: 191) وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل يرفع بصره إلى السماء، وقرأ هذه الآيات ويتفكّر (1)، فالتفكر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات الشرعية القرآنية هما من روافد الإيمان، وما يسقي شجرة الإيمان، فالإيمان يزيد بالتفكر في آيات الله.

المقصود: أن النظر مشروع، لكن لا يقال: إنه أول واجب، بل أول واجب هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وقول المؤلف: "إن الله واحد لا شريك له" فيه تنزيه الله عن الشريك والله تعالى نزه نفسه عن الشركاء في مواضيع "سُبَّحَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرَكَ فيه" (الطور: 33)، وفي الآية الأخرى "أَلَوْتُ هُمْ يَتَفَكَّرُونَ " (الإسراء: 111)، أي لا شريك له في ملكه ولا شريك له في تدبيره، ولا شريك له في إلهيته، "فَلَوْ أَنْ تَفَكَّرُوا كَثِيرًا فِي الْمَكْرُوتِ وَلَا فِي الْأَلَٰلِ وَاِنْتَظُرُوا مِنْ شَرِّكِهِ" (سبأ: 22 - 23).

وقد قال في هذه الآية: "إنها تقطع عروض شجرة الشرك من القلب" (2)، فليس لشرك المشركين أي شبهة يمكنهم التعويل عليها، فكلها باطلة، فشركاؤهم لا يملكون مثال ذرة، وليس لهم شرك في ذرة من

---

(1) رواه البخاري (4569)، ومسلم (763) من حديث ابن عباس.

(2) كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ص.33.
قول أهل السنة في التوحيد

السموات والأرض، وليس أحد منهم معيناً لله، ولا أحد منهم يملك أن يشفع عند الله إلا بإذنه.

حتى الملائكة لا أحد منهم يشفع عند الله إلا بإذنه كما قال تعالى:

«وَمِن مَّلَائِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ لَأَقْدِرُونَ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أن يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُمْ يُنْتِهَا وَيرْضِيُهُمْ » [النجم].
أقسام التوحيد

وفي هذا المقام يحسن ذكر أقسام التوحيد، فأهل السنة والجماعة يقسمون التوحيد ثلاثة أقسام(1)، ومنهم من يجعل التوحيد قسمين وهم طريقتان متفقتان لا منافاة بينهما، فمنهم من يقول: إن التوحيد ثلاثة: توحيد الروبية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات.

فأما توحيد الروبية؟

فمعناه: توحيد الله في شؤون الروبية، كالخلق والرزق والتذيع والإحياء والإماتة، ولهذا يعبر عنه بتوحيد الرب بأفعاله، وذلك بالإقرار بأنه لا شريك له في أفعاله.

وطريقة الإلهية هو: إفراد الله بالعبادة، هو الإقرار بأنه لا معبود بحق سواء، فهو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواء، وتحقيق ذلك بالفعل وهو: تخصيصه تعالى بالعبادة.

وطريقة الأسماء والصفات هو: الإقرار بتفرده بما له من الأسماء والصفات، وأنه لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

أما من يجعل التوحيد قسمين - والعبارات تختلف لكن المؤدي واحد(2) - فيقول: توحيد في المعبرة والإيثاب، وبعبارة أخرى: توحيد.

(1) انظر: كتاب المختصر المفيد في بيان دلال أقسام التوحيد.
(2) التدمرية ص 46، ومدارج السالكين 3/417، واجتماع الجيوش الإسلامية ص 93، وبدائع الذهب 2431.
في العلم والقول، أو: التوحيد العلمي الخبري، هذه كلها عبارات عن شيء واحد، هو التوحيد الاعتقادي العلمي المعرفي، وهذا القسم يشمل: توحيد الروحية وتوحيد الأسماء والصفات، فاندرج قسمان من الثلاثة في هذا القسم: لأن توحيد الروحية وتوحيد الأسماء والصفات كل منهما توحيد يتعلق بالعلم، فهو اعتقادي علمي فقط، والنصوص الدالة عليها كلها نصوص خبرية، يعني من نوع الخبر، لأن الكلام قسمان:

خبر وإنشاء.

القسم الثاني على الطريقة الثانية: توحيد الإلهية، أو توحيد العبادة، أو توحيد الإرادة والقصد والعمل، أو التوحيد الطبي: لأن نصوصه طلبية، انظر سورة الإخلاص: ﴿كَلَّهُ الَّذِى أُحَكَّمَ ۛ أَنْفُسُكُمْ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَمْضَى أَحَدًا﴾ ﴿وَلَمْ يُكَلِّفْنَ لَهُمْ شَيْئًا﴾ ﴿فَأَصْلَحْنَاهُ وَأَنْثَبَهَا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَنْصَبْنَاهَا إِلَىٰ أَنْتِهَا﴾ ﴿فَوَقَّطَنُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ طَأَطُسٌ﴾ ﴿كَمْ يَسْتَيْضِعُكُمْ أَنْتُهَا﴾ ﴿وَأَنْتَ عَطَأً أَنْتَهَا﴾ ﴿فَمَنْ يَسْتَيْضِعُكُمْ أَنْتُهَا﴾ ﴿فَلَمْ يَتَفَكَّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿فَمَنْ يَتَفَكَّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿فَلَمْ يَتَفَكَّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿فَلَمْ يَتَفَكَّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿فَلَمْ يَتَفَكَّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿فَلَمْ يَتَفَكَّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ 

التهاب الأيتات في توحيد العبادة إنشائية: ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ ﴿وَأَعَلَّمَكُمْ ۛ أَنْ تَكُونُوا إِلَىٰ إِنَادَى﴾ 

فلا منافاة بين الطرقتين، فمن يجعل التوحيد قسمين يدرج توحيد الروحية وتوحيد الأسماء والصفات في توحيد المعرفة والإثبات الذي هو التوحيد العلمي الخبري، فلا حظ هذا ولا يشكل عليك تنوع التقسيم.

وهو التقسيم مستمد من استقراء النصوص، وأغلب أهل البعد يشيعون على أهل السنة ويقولون: إن هذا التقسيم مبتدع، وهذا تنديع باطل، نعم العبارات والتقسيمات هي اصطلاح جديد كما قسم الفقهاء مثلًا - أفعال الصلاة إلى: أركان وواجبات وسنن، أخذًا من الأدلة؛

(11) انظر: كتب المختصر الففيد في بيان دلائل أقسام التوحيد.
لأن أفعال الصلاة ليست على مرتبتة واحدة، وكذلك أفعال الحج: أركان وواجبات وسنن، أخذًا من الأدلة، فكذلك مسائل الاعتقاد تقسيمها مستمدة من النصوص.

وقد دلت النصوص علىوجب توحيد الله في روبيته، وذلك باعتقاد أنه رب كل شيء ومليكه، وأن ما شاء كان، وما لم يشا لم يكن، هذا حق.

وقد دلت النصوص علىوجب اعتقاد أنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواء كما قال تعالى في خطابه لموسى: "إِنَّا أَنَا الله لا إِلَهَ إِلَّا نَا الله وَحِيدُ الْعَزِيزُ الْجَلِيسُ" [البقرة: 223]، وقال تعالى: "وَلَبِينَ اللَّهِ إِلَّا وَاحِدٌ" [البقرة: 162].

وفي باب الأسماء والصفات قال تعالى: "فَلَهُ مَن يُشْيِدُ لِهِ تَحْمِيلَ الْكَيْبَسِ مَا كَبِّرْتُ" [الإخلاص]، وقال تعالى: "إِنَّكَ لَخَابُ الْأَيْمَانِ وَلَبِينَ السُّنُودِ الْبِلَاغِ" [الشورى: 11]، وقال تعالى: "وَلَمْ يَكُن لَّهُ مَثَلُوهُ أَحَدُ" [الإخلاص].

إذا; هذا تقسيم مستمدة من الكتاب والسنة، دال على أنه تعالى واحد في هذا كله.

وهل لهذا التقسيم ثمرة؟

نعم؛ بهذا عرفنا أن الإقرار بتوحيد الروبى وجهة لا يكفي، فإن المشركين كانوا مقربين بهذا التوحيد قال تعالى: "وَلَوْ سَأَلَهُم مَّن خَلَقَ الْإِسْتِحْيَا وَالْأَرْضَ وَلَبِينَ اللَّهِ" [العنان: 25] لكنهم جعلوا مع الله آلهة أخرى، وعبدوا مع الله آلهة سواء، إذا; الانحراف الذي عنههم هو في توحيد العبادة، ولهذا قال أهل العلم: "إن توحيد العبادة هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأمامهم" (1)، كما قال المشركون - لما قال لهم

(1) كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ص2.
الرسول ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»: {أَبْعَدْ اللّهَ عَنِّيَّةً} وَمَا إِنَّ هَذَا [ص 1].

وهو المبتدأ الطاغون على أهل السنة في هذا التقسيم يقسمون التوحيد تقسيمًا مبتدئًا مشتملاً على الباطل، كما ذكر شيخ الإسلام عن كثير من أهل الكلام أنهم يقولون: {إن التوحيد اسم ثلاثة: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، ويقولون: إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له} و{الكلام على هذا يطول، ولكن خلاصة القول: أنهم أدخلوا في التوحيد عناصراً لم يدخلها في مسمى التوحيد نفي الصفات، وهذا إلحاد، وأخرجوا عن مسمى التوحيد توحيد العبادة فلا ذكر له عندهم، وأحسن ما يذكرون هو توحيد الروبية، وهو توحيد الزم أن الأفعال، ويقولون: هو واحد في أفعاله لا شريك له، وهو أن خلق العالم واحد، وهذا حق}.

(1) رواه أحمد 1/227، وصححه الترمذي (2332)، وأبو حبان (686)، والحاكم 2/432 من حديث ابن عباس.
(2) درء تعارض العقل والنقل 1/245، والرسالة التدمرية ص 440.
(3) انظر: تقسيم الطوائف للتوحيد في: التدمرية ص 448، ومجموع الفتاوى 150/4، ومدارج السالكين 3/415.
memberOf : "ولا شيء مثله".


فقوله: "لا شيء مثله" من اعتقاد أنه واحد لا شريك له، فمضمون هذه الجملة في الحقيقة يترج في الجملة الأولى.

فيجب الإيمان بأنه تعالى موصوف بصفات الكمال، وأن إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ليست من التشبه في شيء خلافا للمعتلة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم؛ فإنهم يزعمون أن إثبات الصفات تشبيه(1)، فيفترون بهذه الشبهة، وبشبيه أخرى لكن هذه من أشهر شبههم، فيفترون عن الله ما وصف به نفسه زعيمين أن إثبات هذه الصفات

(1) منهج السنة 105/4، ومجموع الفتح 150، و5/110، و6/233.
يستلزم التشبيه، والله تعالى منزه عن التشبيه، حقًا إنه منزه عن التشبيه، ولكن ليس إثبات الصفات من التشبيه في شيء، وتسمية إثبات الصفات تشبيهًا من التلبيس والتمويه، وأصل هذه الشبهة قولهم: المخلوق يوصف بأنه عليم وأنه يسمع وأنه بصير وأنه حي وأنه يرضى ويخضب ويحب، فلو أثبتنا هذه الصفات الله كان مماثلًا للمخلوق.

وقد رد عليهم أهل السنة(1) واحتجوا عليهم بما يفهمهم، ومن ذلك أن يقال: يلزمكم أن تقولوا: إن وصفه تعالى بالوجود تشبيه، فالمخلوق موجود، وهذا ظاهر الفساد والبطلاقان، فإن الله تعالى موجود والمخلوق موجود، ولكن منهما وجود يخصه، وليس الموجود كالموجود.


وإن اتفقت الأئمة عند الإطلاق بمعنى أن كلا من الأسمين يدل

(1) الرسالة التدمرية ص 96، ومنهاج السنة 2/111.
على الحياة التي تقابل الموت، فليس الحي كالحي، وقال مثل هذا في
بقية الأسماء والصفات.
إذاً؛ إثبات الأسماء والصفات الله لا يقتضي تشبيهًا، والقدر
المشترك بين اسم الخالق واسم المخلوق أو بين صفة الخالق وصفة
المخلوق ليست من التشبيه في شيء، فإن القدر المشترك لا يمكن نفيه
عن الموجودات، فكل الموجودات تشترك في مطلق الوجود، وكل
الأحياء تشتركون في مطلق الحياة، وكل المحسوسات تشتركون في مطلق
الحس، كما بين ذلك أهل العلم وبسطوه.
نفي العجز عن الله تعالى

وقوله: «ولا شيء يعجزه».

ففي نفي العجز عن الله 만اني لكمال قدرته سبحانه، وقد صرح الله بذلك في قوله: "أولئك يشروا في الأرض فنظروا كيف كان عنيفة آله من قبلهم وتأذوا أشد منهم فؤده وكم كان الله يعجز من شيء في السموات ولا في الأرض إن الله علما قديرا" [ناطر]، وقال تعالى: "ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في سبعة أيام وَمَا مَسَّنَا يُؤْمِنُوا فِيهَا [البقرة: 255]"، يعني لا يتعبه ولا يشق عليه ولا يلحقه كلل ولا يتعبد ولا ينعيء، وذلك لكمال القدرة.

فإن الله تعالى يوصف بنيف النقائص؛ كالسنة والنوم واللغوب والعجز والظلم والغفلة والنسيان، لكن كل ما يوصف الله به من النفي فإنه متضمن لإثبات كمال، هذه قاعدة، فاله تعالى لا يوصف بنيف محض لا يدل على ثبوت؛ فإن النفي المحض ليس فيه مدد، وإنما المدد في النفي المتضمن للكمال.

فكل ما جاء في صفات الكمال من النفي فإنه متضمن لإثبات كمال الضد، قال تعالى: "الله لا إله إلا هو أليلى اليوم لا تأخذ سنة ولا نوم" [البقرة: 255] فنفي السنة والنوم متضمنة لكمال حيائه وقيوميته، وقاله

(1) التدنيرية ص 184، ومجموع الفتاوى 10/250، وجواب أهل العلم والإيمان ص 109 و142، ومنهاج السنة 2/319، ودرس تعارض العقل والنقل 6/17.
تعالى: «وما من خير في أولئك» (ق: 88) متضمن لإثبات كمال قدرته ونهاية قوته، وقوله تعالى: «لَا يَعْرَبُ عَنْهُ وَقَالَ ذَرُورٌ» (سب: 32) يتضمن كمال العلم، وقوله تعالى: «وَلَا يَظْلِمُ الَّذِينَ يَّتَخَفُّونَ» (الكهف: 49) يتضمن كمال العدل، وقوله تعالى: «وَلَا يَحْسَبُوا عَلَى الْأَلَّهِ أَلَّا يُمُوتُ» (الفرعان: 88)

يتضمن كمال الحياة، وكذلك نفي العجز يتضمن كمال القدرة.

أما المعطوة فإنهم يصفونه بالنفي المحض؛ لأنهم قد يقولون: إن الله لا يجهل، وقد يقولون: إن الله لا يعجز، فيصفونه بالنفي، لكنهم لا يثبتون الأضداد، فيصفونه بالنفي المحض.

ولهذا جاء في المناظرة التي جرت بين عبد العزيز الكتاني (1) وبين بشر المريسي أنه لما طالبه بوصف الله بالعلم قال: أقول: الله لا يجهل!! لأن عنيه أن نفي الجهل لا يستلزم إثبات علم، فيقول: الله لا يجهل.

فهذه قاعدة لا بد من ملاحظتها، وهي: أن الله موصوف بالإثبات والنفي، إثبات الكمال ونفي النفائح والعيب والآفات ومماثلة المخلوقات، فإن إثبات الكمالات يتضمن نفي أضدادها، فوصفه بالعلم يتضمن نفي الجهل عنه ونفي النسيان ونفي الغفلة، ووصفه بالسمع والبصر يتضمن نفي الصمم والعقم عن لله، قال النبي: «إنكم لا تدعون أصمًا ولا غابيًا إنما تدعون سميعًا بصيراً» (2) فالتصوص

(1) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم الكتاني المكي: سمع من سفيان بن عيينة والشافعي، وقدم بغداد في أيام المأمون، وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن، وكان من أهل الفضل والعلم، وله مصنفات عدة، وكان ممن ثقف بالشافعي واشتهر بصحبته، توفي بعد الثلاثين ومائتين. تاريخ بغداد 212/1121، وتقريب التهذيب ص 117.

(2) رواه البخاري (696) - والبخاري (2654) من حديث أبي موسى الأشعري.
اشتملت على وصف الله بالكمالات، وعلى تنزيهه عن النقائص، فله تعالى موصوف بالإثبتات والنفي، فيجب إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهه تعالى عن النقائص بنفي ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ.
كلمة التوحيد وما تتضمنه

قال المؤلف: «ولا إله غيره».


أما إذا أراد أن يذكر ربه فيقول: لا إله إلا الله، سبحانه الله، والحمد لله، فأتي بالاسم الظاهر «إنه كأنما إذا قيل له: مَّلِكَ الْأَرْضِ» [الصافات].

أما وأما الذكر باللفظ المفرد أو بالضمير فهو ذكر مبتدع كما يفعل الصوفية، يذكرون الله بالاسم المفرد (الله) ويكرونوه، أو (هو).

ويكررون، ويعتبرون هذا ذكرًا، وهذا ذكر مبتدع باطل لغة وعقلًا وشرعًا، فقول: (هو هو) أو (الله الله) ليس فيه ذكر، ولا إيمان، ولا كفر، فكلمة (الله) وحدها لا تفيد حكمًا بالنسبة للعبد، فمن سمعنه يقول (الله) لا نقول: إنه يذكر ربه، ولا نقول: إنه يسبح.

(1) العبودية ص 226، وطريق الهجريتين ص 329.
كلمة (الله) يقولها الموحد إذا جعلها في كلام مركب يقول:
(سبحان الله) أو (لا إله إلا الله) أو (الله أكبر)، ويقولها الكافر إذا
قال: الله لا وجود له، فيكون بهذا كافرًا ملحدًا.
إذا؛ يجب أن يكون الذكر بالجملة التامة: لا إله إلا الله
وبسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.
لا إله غيره» إله على وزن فعل بمعنى مفعول، مثل كتاب بمعنى
مكتوب، فإنه بمعنى مأثوره، من شيء يشبه بمعنى الصفة، فمعنى (لا إله إلا الله)
أي: لا معبد إلا الله، أو لا معبود غير الله، لكون وجه على هذا بأن في
الكون معبودات كثيرة مثل آلهة المشركين، قال تعالى: «قل كتبنا
الكتبين لا أبتعد ما تصدون» [الكافرون]، وقال تعالى: «أصل
الأمة إنها ربانا» [ص:5] فهم معبودات، إذا؛ هذا التقدير لا يقيم،
والمصواب أن يقبل: لا إله حق، أو: لا معبد بحق، أما المعبودات
ببطل؛ فهي منتشرة في الأرض، كل طائفة لهم معبد، ويقول الله تعالى
لهم يوم القيامة: «التتبع كل أمة ما كانت تعبد»(1)، فمنهم من يعبد
الشمس، ومنهم من يعبد القمر، ومنهم من يعبد البقر، ومنهم من يعبد
الأصنام المختلفة، ومنهم من يعبد الصليب، لكن لا معبد بحق
لا إله إلا الله.
إذا؛ كلمة التوحيد مركبة من النفي والإثبات، نفي الإلهية بحق عن
كل أحد إلا الله، فله تعالى هو الإله الحق، وكل معبد سواء بأطلال،
قال تعالى: «أولئك يأبون الله هو الحق وآكل ما يبسطون من دونه هو
الأبطل وآكل الله هو عبود الصغير» [المجاهد] فالنفي هو الكفر
بالطاغوت والإثبات هو الإيمان بالله قال تعالى: «لا إكرههم في الدن
أنتين أرضيت من النفي فمن كفر في الطغوت وقويت بالله فقد أسسته
بالنفي أرضيت» [البقرة:256].
(1) رواه البخاري (4581)، ومسلم (183) من حديث أبي سعيد.
قوله: "قدوم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا ينيره".

لما ذكر الإمام الطحاوي بعض ما يجب تنزيه الله تعالى عنه من: الشريك والشبيه والعجز، ذكر أن مما يجب إثباته الله القيد والدوام. أي: دوم الوجود أزلًا وأبدًا. فهو تعالى دائم أزلًا وأبدًا. فلا ابتداء ولا نهاية لوجوده.


وهذان الوصفان حقًا; فالله تعالى دائم البقاء أزلًا وأبدًا. لكن ليس هذان الاسمان من أسمائه الحسنى التي يشني عليه بها، ويدعى بها، فلا يقال: يا قديم، أو سبحانه القديم، كما لا يقال: يا موجود، أو سبحانه الموجود؛ فإن هذا لا يحصل به التخصيص والتعيين. بل يقال: سبحانه الله، سبحانه ذي الملك والملكوت، والعزة والجبروت، سبحانه الحي الذي لا يموت.
فإن القديم والذائع لم يردنا في الكتاب والسنة، وإنما الوارد:
الأول والآخر، كما قال تعالى: "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو يقسم على علم" (الحديد)، وفي السنة - في دعاء النبي ﷺ: "الله أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء"(1). فهذا الحديث يفسر الآية.

فهذا اسمان من أسمائه الحسنى التي سمى الله بها نفسه، وسماء به رسوله ﷺ أعلم الخلق به.

وغلب على أهل الكلام إطلاق لفظ (القديم) على الله تعالى فيقولون: هذا يجوز على القديم، وهذا لا يجوز على القديم؛ فجعلوه اسمًا لله تعالى، وهذا من أغلاطهم، والواجب أن يقولوا: هذا يجوز على الله؛ فالله هو اسم رب العالمين.

لكن القديم والذائع يصح الإخبار بهما عن الله، مثل أن تقول: الله موجود، والله شيء، والله له ذات، والله قديم، والله دائم، لكن لا تقل: من أسمائه (قديم) بل من أسمائه (الأول) قال تعالى: "ولله الآية المليئة فَأَدْعُوهُ يَهُوَا" (الأعراف: 180) ففي الدعاء إنما يدعى الله بما سمى به نفسه، أو سماء به رسوله ﷺ(2).

قوله: "لا يفني ولا يبيد" هذه تأكيد لقوله: "بلا انتهاء" ومن أجل تحصيل السجع مع ما بعده، والفناء والبيد معناها واحد قال تعالى: "كُلٌّ مِّنْ عِلْيَاهُ قَانُونٌ" (الرحمن)، وقال الكافر صاحب الجنة: "ما أظن أن بِئِدَّ كَذَٰلِكَ أُبَيِّنَ" (الكهف: 52)، فهو "لا يفني ولا يبيد"، وإنما الذي يفني الخلق.

(1) رواه مسلم (2716) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(2) مجموع الفتاوى 6/142.
إثبات الإرادة لله تعالى

قوله: "ولا يكون إلا ما يريد".

فإنه تعالى (قال: لَيْنَ يُرِيدُ) [البروج]، وهو يفعل ما يشاء، فهو رب كل شيء، وهو الخالق لكل شيء، فما شاء الله كونه لا بد أن يكون (إِنَّمَا قُولُتُكَ لَيْنَ أَرْدِنَّهُ أنْ نَقُولُ لَهُ كَنْ نَبَتْرُكُونَ) [الحل]، وما لم يشأ لا يكون أبدًا.

إذا: كل ما يجري في الوجود من: حركات الأفلاك، وجريان النجوم، والشمس والقمر، وتقلب الليل والنهار، وأمواج البحار بمشيئة الله، وكل ما يقع من العباد; فما تلفظ ولا تحرك شفتيك إلا بمشيئة الله، ولا تفتح عينك إلا بمشيئة الله ولو شاء الله ما فتحت عينك.

والإرادة في قوله: "ولا يكون إلا ما يريد" هي الإرادة الكونية الشاملة للوجود، وقوله: الإرادة الكونية؛ لأن الإرادة المضافة لله نواعان: إرادة كونية، إرادة شرعية (1).

فمن شواهد الإرادة الكونية: قوله تعالى: (فَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُبْنِى) [الأنعام: 125]، وقوله: (وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يُسَلَّمَ) [الأنعام: 125]، وقوله: (فَمَنْ يُرِيدُ لَيْنَ أَرْدِنَّهُ) [الحوز: 27]، وقوله: (وَأَنْ يُنَبَّأَ مِنْ يُرِيدُ) [الحج: 16]، وفي معناها المشيئة (إِنَّلله يَقْطَعُ مَا يَشَاءُ) [الحج: 18] بَيْضُ الَّذِينَ يَشَاءُونَ وَيَمْهَدُ.

(1) مجموع الفتاوى 8/188، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص 262، وشفاء العليل ص 280.
فإن الإرادة العقلية: فهى تختص بما يحبه الله.

إذاً، الإرادة الكونية عامة، وهذه خاصة.

الإرادة الكونية لا تلزم المحبة، وأما الإرادة الشرعية فإنها تلزم المحبة.

والفرق الثاني: أن الإرادة الكونية لا يتخلف مرادها أبدًا، وأما الإرادة الشرعية فإنه لا يلزم منها وقوع المراد.

وتجتمع الإرادة في إيمان المؤمن، فهو مراد الله كونًا، ومرادًا عثرًا، فهو مراد بالإرادة.

وتنفرد الإرادة الكونية في كفر الكافر ومعصية العاصي، فهو مرادًا بالإرادة الكونية لا الشرعية، إذ ليس ذلك بمحسوب بل مسخوط ومبغوض الله سبحانه.

وتنفرد الإرادة الشرعية في إيمان الكافر الذي لم يقع؛ لأننا نقول: إنه مرادًا من أبي جهل أن يؤمن بإرادة الشرعية، لكنه لم يقع.

لكن الإرادة الشرعية لا تفسر بالمشيئة، فلا نقول: إن الله شاء الإيمان من أبي جهل، لكن نقول: إن الله أراد منه الإيمان، يعني:

الإرادة الشرعية، وأمره بالإيمان الأمر الشرعي.
وبهذه المناسبة الصحيح أن المشيئة لا تنقسم، فلا يقال: إن المشيئة نوعان: شرعية وكونية.
بل المشيئة كونية فقط، وليس لمن قال: (إن المشيئة نوعان) ما يدل على قوله؛ بل هي عامة (ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن).

ورقسيم الإرادة إلى كونية وشرعية يجري مثله في معاني متعددة في القرآن، فمما يضاف إلى الله الإذن، وهو: شرعي وقدري - والقرد هو الكوني - والقضاء، والتحريم، والبعث، والإرسال، وغيرها كلها يجري فيها هذا التقسيم.

فمثلًا: الإذن منه كوني وشرعى، قال الله تعالى في شأن السحرة: (وما هم يصآرُونَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَذَّنِيُ اللَّهُ) [البقرة: 102] فالسحرة لا يضرون أحدًا بسحرهم إلا بإذنه الكوني.

وأما الإذن الشرعي فقوله تعالى: (ما قطعتم من ليثًا أو تركتموها قَلْبًا عَلَى أَصْلُهَا قَيْدًا؟) [الحجرة].

والفقهاء: قال تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَّا كَيْدًا إِلَى إِسْكَرَبْلِ في الكِتَابِ لِتَفَيْدَ) [الأحزاب: 3] هذا قضاء كوني، وقال تعالى: (وَقَضَيْنِ رَيْكَ أَلَّا تَنْصِرْكُنَّ إِلَّا إِيَّاهَا) [الإسراء: 23] هذا قضاء الشرعي.

والتحريم: قال تعالى: (وَحَرَّمَنَا عَلَيْكُمُ الْمَيْتَانِ) [القصص: 12] هذا تحريم كوني، لكن قوله تعالى: (حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَانِ) [المائدة: 2] و(حَرَّمَ عَلَيْكُمُ أَحَدَيْ كُلِّ أَشْتَى) [النساء: 23] هذا تحريم شرعي.

المقصود: أن قول الطحاوي: (ولا يكون إلا ما يريد) فيه تقرير وإبادات للإرادة الكونية، وفي هذا رأى على المعتزلة؛ فإنهم ينفون الإرادة الكونية، ومن أصولهم الباطلة ما يسمونه بالعدل، ويدرجون فيه نفي القدر، ومن نفيهم للقدر: نفيهم عموم المشيئة، فعندهم أن مشيئة الله.

(1) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص: 265، وشفاء العليل ص: 280.
ليس عامة، فكل أفعال العباد عندهم ليست بمشيئة الله، فالإنسان يقوم ويقعد، ويذهب ويتجه، ويقاتل كل ذلك ليس بمشيئة الله! تبّا لهم تبّا لهم، ما أصلهم فقد أخرجوا عن ملك الله كثيراً مما في الوجود، ونسبوا ربّ العالمين إلى العجز، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.
بل أفعال العباد لا خروج لها عن حكم سائر الموجودات، وكل الموجودات محكومة بمشيئة الله وقدره.
 قوله: «لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام». 
هذا فيه تنزيه أيضًا، وتقدم بعض ما يجب تنزيهه لله تعالى عنه لأنه 
يُتَّبَع، فيذكر بعض ما يجب تنزيهه لله تعالى عنه، وما يجب إثباته له. 
لا تبلغه الأوهام» يعني الظنون والخيالات، فلا تبلغه ظنون 
الظانين، ولا خيالات المتخيلين، فلا يمكن للعباد أن يدركوا حقيقة ذات 
الرب أو شيء من صفاته بوهم وتخيل أبدًا. 
ولا تدركه الأفهام» العباد يعرفون ربهم بما هداهم به من 
الوحي، ومن الآيات الكونية، لكنهم لا يحيطون به علمًا؛ لذلك قال: 
«لا تدركه الإدراك فيه من معنى الإحاطة، ولم يقل لا تعرفه الأفهام أو 
لا يعرف العباد! لا، العباد يعرفون ربهم على حسب مراقبتهم في معرفة 
ربهم لكنهم لا يحيطون به علمًا، قال تعالى: «لا تدركُهُ الأفهام» 
أليس كُفُّٰإٍمْهُ مُّنّعُوَا ؟» [الشورى: 11] وهذا يتضمن أن تخيل الإنسان 
وظنه إنما هو مرتبط بما يعرفه، والله تعالى ليس كمثله شيء. 
ويقول بعض المتلكمين: «كل ما خطر ببالك، فإن الله تعالى 
بخلاف ذلك». 
وهذا كلامٌ مبتدع لم يأت في نص من كتاب ولا سنة، فيجب أن 
يحكم عليه بحكم الألفاظ المبتدعة المجملة. 
كل ما خطر ببالك» إن أراد من الكيفيات فصحيح، والله بخلاف 
ذلك؛ لأن كل ما يخطر ببالك من الكيفيات فإنه راجع إلى شيء من
المخلوقات، والله تعالى بخلاف ذلك "ليس كُتِبَ شيء".

[الشوري: 111].

فكيفية ذات الرب وكيفية صفاته لا سبيل للعباد إلى معرفتها.

أما ما خطر بالملك من أنه فوق السَّمَوَات فهذا علم وحق، وليس بخاطر، ويجب الإيمان بأنه فوق السَّمَوَات، وما يخطر بالملك أنه ينزل كما أخبر الرسول (ص) فهذا حق، فكل ما يخطر بالملك من المعاني الثابتة فهو حق.

إذاً؛ هذا التعبير لا يصح على الإطلاق، فهو لفظ مبتدع مجمل، فلا بد فيه من التفصيل، فالخاطر إما أن تكون مما يعلم بطلانه، أو مما يعلم صحته، أو مما لا يعلم صحته ولا بطلانه، فيمسك عنه، ولا يقال:

إن الله بخلاف ذلك.

(1) بقوله: "ينزل ربيا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقىثلث الليل الآخر..." رواه البخاري (1145)، ومسلم (758) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه

قوله: (ولا يشبه الأنام).

أي: لا يشبه الناس، ولا يشبه شيئًا من المخلوقات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في سورة التميم: في تقرير نفي المثل عن الله: «فَيُعلَم قطعًا أنه سبحانه ليس من جنس المخلوقات، ولا الملائكة ولا السماوات ولا الكواكب، ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض، ولا الآدميين ولا أبدائهم ولا أنفسهم، ولا غير ذلك، بل يعلم أن حقائقه عن مماثلة شيء من الموجودات أبعد من سائر الحقائق، وأن مماثلة لشيء منها أبعد من مماثلة حقيقة شيء من المخلوقات: لحقيقة مخلوق آخر» (1)؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء.

(لا يشبه الأنام) في حاشية شرح ابن أبي العز (2) أن في بعض النسخ (ولا يشبه الأنام) وكان الشارح ابن أبي العز رجع هذه النسخة، وعندى أن الصواب بدون الضمير (ولا يشبه الأنام) لأنك إذا قلت: (ولا يشبه الأنام) لا يكون في العبارة معنى جديد يختلف عن قوله: (لا شيء مثله) فلا شيء مثله نفي لتمثيل المخلوق بالخالق.

والتمثيل الذي يجب نفيه عن الله نواع: تمثيل الخالق بالمخلوق، وتمثيل المخلوق بالخالق، وضابط ذلك: وصف الخالق بخصائص المخلوق هذا تشبه للمخلوق بالمخلوق،

(1) ص 1392.
(2) ص 88، وكذا رأيته في مخطوطتين، ورآيت في ثالثة "يشبه".
ووصف المخلوق بخصائص الخالق تشبه للمخلوقين بالخالق.

إذاً؛ فكل المشركين الذين اتخذوا مع الله آلهة أخرى قد شهروا المخلوق بالخالق؛ لأنهم شهروا ما يعبدونه برب السموم والأرض.

فجعلوا لذلك المخلوق ما هو من خصائص الربي وهو الإلهة.

ومن وصف الله بالفقر أو العجز والبخل - كما قالت اليهود - فقد شبه الخالق بالمخلوق؛ لأن الفقر والعجز والبخل من خصائص المخلوق.

إذاً؛ فقول المؤلف: «ولا شيء مثله» هذا نفي لتمثيل المخلوق بالخالق، وقوله: «ولا يشبه الأنان» نفي لتمثيل الخالق للمخلوق.

فانختلف مدلول الجملتين، وأفادت الجملتان نفي التشبيه أو نفي التمثيل بنوعه، وهذا هو الظاهر من مراد المؤلف.

* * *

* * *

* * *
إثبات الحياة والقيومية لله تعالى

قال مقام:

"حَيٌّ لا يَمُوتُ، قِيْومٌ لا يُنَامُ.

يقول الله تعالى في ذكر بعض أسماء الرب وصفاته وتنزيهه عن ما يضادها: "حَيٌّ" أي: نقول في توحيد الله معتقدين بتوثيق الله: إن الله حي لا يموت، قيوم لا ينام" الحي القيوم اسمان من أسمائه الحسنى التي سمى بها نفسه.

فأما "الحي" فقد ورد في مواسم كثيرة في القرآن، وأما "القيوم" فقد ورد في ثلاثة مواسم مقررة بالله: في آية الكرسي، وأول سورة آل عمران، وفي سورة طه "وَعَدَّلَ الْجَهَّازِ لِلْحَيِّ الْقِيْمِ" [111] حتى قيل: إنهما (الاسم الأعظم) (1).

ولما الحي فقد ورد غير مقرر بهذا الاسم "وَوَسَّعَ عَلَى الْحَيِّ الْقِيْمِ" [البقرة: 85] "هَوْا الْحَيِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَ يُقْسِمُ الْعَالَمَينَ" [المحزون: 34] فسن أسمائه الحسنى أنه الحي القيوم، وأسمه الحي يدل على إثبات الحياة له، فهو الحي والحياة صفته، فله الحياة الائتامة التي لا تشبه حياة المخلوق، الحياة المتضمنة لكل ما هو كمال للحياة، وهو القيوم، وقيل في معناه: إنه القائم بنفسه،

(1) عن أبي أمامة صل الله عليه، عن النبي ﷺ قال: "إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن في سورة البقرة، والальн بقرة، وظه رواه ابن ماجه (3856)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 126/1، والطبرياني في الكبير (7788)، والحاكم 5/6 و506.
فليس مفترئًا إلى غيره في وجوده، ولا في شيء من صفاته وأفعاله، وقيل: بأنه القائم بالمخلوقات (1)، فكل المخلوقات لا قيام لها، ولا وجود لها، ولا بقاء لها، ولا صلاح لها أبدًا إلا به سبحانه، فهو المبدع الخالق لها، وهو المبدع لها بما تحتاج، وهو المبقي لما شاء بقائه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت.
قال ابن القيم (2): إن هذين الاسمين يتضمنان جميع الصفات، فاسمه الحي يتضمن جميع الصفات الذاتية من: العلم، والسمع، البصر، والقدرة، والعزة، والحكمة، والرحمة.
واسمه القيوم يتضمن جميع الصفات الفعلية من: الخلق، والتدبير، والإحياء، والإماتة، والإزعاز والإذلال، والعطاء والمنع، والخفض والرفع (3). هذا معنى كلامه.
وألف الله تعالى لما ذكر هذين الاسمين أحمد مضمونهما بقوله: 
لا تأخذون سنة ولا قوم (البقرة: 255).
فنفي السنة والنوم عن الله يتضمن ويكاد كمال الحياة والقيومية؛ لأن النوم آخر الموت، والسنة التي هي مبادئ النوم نقص، وأدرك ذلك في آية أخرى: 
(وَوَسُقُّنَّ عَلَى الْحَيَاةِ الْآتِيَةِ وَاِنْتَيْحَتْ لَنفْسِهِ) [النور: 38]. فتأتي لنفسه الحياة، وتنفي عنه كل ما يضاد الحياة.
قيل المؤلف: "حتى لا يموت، قيوم لا ينام" وهذا تفريق منه حين ربط نفي الموت بإثبات الحياة، ونفي النوم بإثبات القيومية، إلا فاعل تعالى ربط نفي الموت بالاسمين جميعًا فقال: "لا تأخذون سنة ولا قوم" [البقرة: 255]؛ لأن النوم ينافي كمال الاسمين، والصواب أن نقول: إنه تعالى حتي لا يموت، ولا تأخذ سنه ولا نوم، فالموت والسنة والنوم كلها تنافي هذين الاسمين.

(1) تفسير الطبري 4/529، والكافية الشافية ص. 162.
(2) بدائع الفوائد 2/678، والكافية الشافية ص. 444 - 45.
تنزيه الله تعالى عن الحاجة والخوف والمشقة

قوله: «خلق بلا حاجة، رازق بلا مؤونة»

خلق الله للخلق بدون حاجة إليه، فله تعالى من فقر، قال تعالى:

«وما خلقت الجن والنّاس إلا ليتعجّب بهم ما أريد منهم من دين وسأ أريد أن يشعرون فين الله هو الرزاق ذو القوة المهينة» [البقرة: 31] فله تعالى، وهو الرزاق ذو القوة المهينة.

إلى الله وَالله هو النّام السّام أنتم الفقراء، إن يبدأ يذهب بكفُّوا وتأت بخيل جبَّير.

وَصَلَّى ﻋَلَيْهِ ﷺ [فاطر].

فخلق كلهم فقراء إليه في وجودهم، وفي جميع أحوالهم، وشؤونهم، والله تعالى غني الغناء النام عن كل ما سواء.

«رازق بلا مؤونة» فالله هو الخالق الرازيق، فَلَهُ الرَّزَقُ حَكْمُهُ نَّمَزُ رَزَقُكُمْ نَّمَزْ بَيْنَكُمْ نَّمَزَ في شَيْءٍ مَّن يَقُولُ مِن دَلِّكُمْ مَن فَقَعَ. [الروم: 40] رازق بلا مؤونة، أي: بلا كففة ولا مشقة برزق كل العباد، فيكون لمن دائف لا يمُّمَّل رزقه. يرات بها وَيَكْفِيُّهُمْ [المتكبَر: 60]


(1) رواه البخاري (4179)، ومسلم (993) من حديث أبي هريرة ﷺ.
قوله: «مَيْتِيْ بَلا مُخَافَةٍ، بَاعْتُ بَلا مَشْقَةٍ» الله تعالى منزلاً عن الخوف، فلا يخفى من أحد وهو فعلًا لما يريد، يميت من يشاء، فلو شاء أن يميت العالم كله؛ فإنه لا يخفى، فليس فوقه أحد؛ بل هو تعالى المالك لكل شيء.

ولعل مما يستشهد به في هذا المعنى قوله تعالى: «قَدْمَدَمَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَقْتِلُهُمْ فَسُؤُونَهَا وَلَا يُؤْفِكُ عَقَبَهَا» [الشمس].

باعث بلا مشقة سبيع الثواب في اليوم الموعد، إِذَا يَنْزِعُ أُمُّوُّنَّ أَهْلِ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْأَخِرِينَ [المطففين] فِي لَيْلِهِالْأَوَّلِينَ وَالْأَخِرِينَ إِلَى الْأَمْرِ يَمِّيِّزُ الْأَمْرَ وَيَعْلَمُ الْأَمْرَ إِلَّا يَمِّيِّزُ الْأَمْرَ وَيَعْلَمُ الْأَمْرَ [الواقعة]. يبعث الأموات من أولهم إلى آخرهم من غير أن تلحقه مشقة، وللهذا يقول تعالى: «أَلَمْ يُقَلُّ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ رَبِّهِمْ رَبِّ الْحَيَاةِ الْآَاخِرَةِ دَارَ مَهْيَتِهِمْ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ الْيَتِّى أَعْلَمُهُ وَلَا بَعْظَمُهُ وَمَا أَحْكَمَهُ إِلَّا حَكِيمُ وَبَيِّنُ» [العنكبوت [السورة: 28]: وَهُوَ الَّذِى يُبْدِئُ الْحَيَاةَ الْآَاخِرَةَ وَهُوَ أَحْكَمُ عَلَيْهِ وَبَيِّنُ] [الروم: 27].

وهو في الاحتجاج على المكذبين بالبعث بأن الذي بدأ الخلق هو على الإعادة أقدر؛ إنما أريد به أنه أقدر في معقول الناس (أن الإعادة أهون من البدء)، ولكن بالنسبة إلى الله ليس في الأشياء هين وأهون، ولا يقال: إن الله على كذا أقدر منه على كذا، بل قدرته على كل شيء واحدة، فقد قدرته تعالى على خلق السماوات والأرض، أو خلقه لذرة من المخلوقات واحدة، بمعنى أنه لا يعجزه شيء، فليس شيء أهون عليه من شيء.

أما قوله تعالى: «وَهُوَ أَحْكَمُ عَلَيْهِ» [الروم: 27] فقد قيل: إن (أهون) بمعنى هين، وهو هين عليه، فيكون من أفضل التفضيل الذي على غير بابه. كما يقول النحاة (1). أو إن هذا من خطاب العباد بما يعقلونه وما يدركونه، فالناس

(1) شرح ابن عقيل 4/406، وشرح الرضي على الكافية 3/460.
مفطرون على أن الإعادة أهون من الابتداء، فخوطبوا على حسب معقولهم، ومفهومهم (١). وللهذا احتج الله تعالى عليهم في إنكارهم للبعث بالنشأة الأولى:

وَصَبَّ‌ لَنَا مَّلَكًا وَنَّيِّبًا خَلَقْنَاهُ قَالَ مِنْ يُحِيِّ الْعَرَقَمَ وَهِيَ رَبِّيُّ وَقَلِ تَجْبِهُ أَلْيَئَ أَشْهَاءٌ أَوْلُ مَّرَّةٍ وَهُوَ يُكْلِفُ خَلْقِي عَلَيْهِ مُثْقَفٌ [بِسِّ] [٨٨٨] [١٦٨] والفائدة في هذا كثير.

(١) زاد المسير ٦/١٥٥، والجامع لأحكام القرآن ٦٩٨/١٦٨.
إثبات الكمال المطلق لله تعالى أزلاً وأبدًا

قوله: "ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان في صفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبدًا.

ما زال« و لا يزال » فكان يدلاً على الاستمرار والدوم، ما زال يدل على الدوام في الماضي، ولا يزال في المستقبل، فالتالي ما زال ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال في الأزل والقدم الذي لا نهاية له، ولا يزال كذلك موصوفًا بصفاتهم.«

قبل خلقه» قبل وجود الخلق (لم يزدد بكونهم) يعني لم يزدد بوجودهم.

الله تعالى لم يزدد بوجودهم شيئًا من كماله لم يكن قبل خلقهم ووجودهم، بل ما زال موصوفًا بصفات الكمال، ولا يوقف في شيء من صفات الكمال على وجود شيء من المخلوقات.

وكما كان في صفاته أزليًا أزلي نسبة للأزول، والأزول: يقابل الأبد، والأبد: المستقبل الدائم الذي لا نهاية له، ويقال للموصوف: هذا أزلي، أبدي.«

وكما كان في صفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا». أفاد في هذه الجملة أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال أزلاً وأبداً، لا يتجدد له شيء من الكمال لم يكن، ولا يُعده شيئًا من كماله، فهو الموصوف بصفات الكمال على الدوام أزلاً وأبدًا.

قال الله تعالى: "فلوَّ الله كان شَيْمًا بِعَيْنِكَ" ([النساء: 85])، فِلَيْكَ اللهُ كَانَ
إشراف الحكام المطلق لله تعالى أموراً وأباباً

"غيراً حكيمًا" (النساء: 65)، "إنه الله كان عليمًا حكيمًا" (النساء: 11)، في مثل هذا تفيد الاستمرار، كان ولا يزال؛ لأن حدوث الحكمة يستلزم سبق النفس، والله تعالى منزه عن النفس، فحياته لم تسبق بمومي - تعالى الله - وعلمه لم يسبق بجهل، فلا يقال: إنه تعالى علم بعد أن لم يكن عالماً، وكان سمعاً بعد أن لم يكن، أو بصيراً بعد أن لم يكن - تعالى الله - فهذا شأن المخلوق، فهو الذي كان بعد أن لم يكن، وتكلم بعد أن لم يكن متكملًا، أما الخالق فلم يزل عالماً، ولم يزل سمعاً بصيراً، عزيراً حكيمًا، غفوراً رحيماً، حياً قيماً، لم يزل فعالاً لما يريد، لم يزل على كل شيء قادرًا، لم يزل متكملًا إذا شاء بما شاء ولا يزال كذلك.

وهذه كلمة عامة من المصنف في كل الصفات "ما زال بصفاته".

لم يخص شيئاً من الصفات.
أنواع الصفات وموقف المعطلة منها

وصفات الله نوعان: صفات ذاتية، وهي: اللازم لذات الرب - التي لا تنفك عن الذات - كالعلم، والسمع، والبصر، والحياة، والقدرة، والعزة، والرحمة، والقيومية، فهي صفات ذاتية. وصفات فعلية مثل: الاستواء على العرش، والنزول، والمجيء، والغضب.

فكل ما تستطيع أن تقول فيه «ما زال كذا» فهي ذاتية.
وضابط الصفات الذاتية والفعلية «أن الذاتية لا تتعلق بها المشيئة، وأما الفعلية فتعلق بها المشيئة».

فتعتبر: إن الله تعالى ينزل إذا شاء، واستوى على العرش حين شاء، ويجيء يوم القيامة إذا شاء، فهذه فعلية.
ولكن لا يصح أن تقول: إنه يعلم إذا شاء، ويسمع إذا شاء، وهو حي إذا شاء؛ لأن هذه الصفات من لوازم ذاته.

وهناك صفات ذاتية فعلية(1) مثل: الكلام، والخلق، والزمن.
فيصح أن تقول: إنه ما زال متكلمًا إذا شاء؛ لأن الكلام من جهة القدرة عليه عندي ذاتي، فيقال للمتكلم ما صار متكلمًا، وهو يتكلم بمشيئة، خلافاً لمن قال: إن كلام الله قديم مطلقًا.

المعطلة المبتعدة أنواع(2):

(1) مجموع الفتاوى 435/12
(2) مجموع الفتاوى 51/6
أنواع الصفات وموقف المتمكن منها

الجهمية نقول كل الصفات - الذاتية والفعلية -، ولم يثبتوا إلا ذاتاً مجردة، وتعكم المتمكنة في ذلك.

وهناك طوائف لفُقّوا واضطرَبوا؛ أخذوا من هذا في جانب، ومن هذا في جانب مثل: الكلابية الذين يفرون الصفات الفعلية، وهي المتمكنة بالمشيطة، وكذلك الأشاعرة يفرون كثيرًا من الصفات - الذاتية والفعلية - فيقولون: إنه تعالى لا تقوم به الأفعال الاختيارية.

والأفعال الاختيارية: هي المتمكنة بالمشيطة، مثل: النزول (فعل اختياري) يفعله الرب بمشيئته، والاستواء (فعل اختياري) يفعله الرب بمشيئته، والغضب والرضاء والحب، فغضب إذا شاء، وبريء إذا شاء، وحب من شاء إذا شاء.

وُلَفَ النزول الاختياري بنو مذهبهن على شبهة باطلة لا أصل لها.

قالوا: إنه تعالى منزه عن حقول الحوادث، فقال لهم: هذا لفظ محدث فليس في القرآن ولا في السنة أن الله تعالى منزه عن حقول الحوادث.

وهو أيضًا: لفظ مجمل يحتوي حقاً وباطلًا؛ فمن قال: الله منزه عن حقول الحوادث، نقول له: ما معنى قوله: (منزه عن حقول الحوادث)؟

فإن قال: الله منزه أن يحل فيه شيء من المخلوقات.

نقول: نعم هذا حق، الله لا يحل في ذاته شيء من مخلوقاته.

إذا قال: إنه منزه - أيضًا - عن أن تقوم به الأفعال الحادثة التي تكون بالمشيطة.

نقول: هذا باطل، الله تعالى يفعل ما يشاء، إذا شاء، كيف شاء، فهو تعالى فعال لما يريد.

 Whaleb bend منهن من نفسي الأفعال الاختيارية مطلقاً حذرًا مما أصلوه وهو نفي حقول الحوادث.
ومنهم من يثبت الأفعال لكن يقول: إنها لا تتعلق بها المشيئة، وهم الكلاهية، يقولون: إنه يتكلم ويغضب ويرضى لا بمشيئة; بل هذه الصفات قديمة، فهو لم يزل متكلماً، وفاضباً على من هو أهل للغضب، وراضيًا عن من هو أهل للرضى، والأشاعرة ينفون، ولا يرون إلا الصفات السبع على ما في إثباتهم من تذبذب واضطراب.
والجهمية والمعتزلة يقولون: إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن وليس متكلماً بمعنى أنه يقوم به الكلام، وإنما يريدون أنه خلق كلامًا؛ لأن الكلام عندهم مخلوق، والقرآن مخلوق، وصار فاعلًا بعد أن لم يكن وليس معنى ذلك أنه يقوم به الفعل، وأنه يفعل فعلًا يقوم بذاته، ولهذا يقول ابن القيم في الفعلية الكافية عن الجهم:
"وقضى بأن الله ليس بفاعلًا ففعلًا يقوم به بلا برهان"
فقضى بأن الله ليس بفاعلًا يقوم به، بل الفعل عند جهم، والمعتزلة، والأشاعرة هو نفس المفعول.
والحق المعقول أن الأمور ثلاثة: (فعل، وفاعل، ومفعول)، فالمفعول يقضي فاعلًا، وفعلًا يقوم به، هذا هو الشيء البديهي المعقول، ولا يعنى عن هذا إلا من لبس عليه، وعَرِفَت في قلبه الشهات، وعاش على التقلب والتبعة.
وهؤلاء الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم في نفي قيام الأفعال الاختيارية به قالوا: إنه يجب أن تكون لجنس المخلوقات بداية، قبل هذه البداية يمنع دوام الحوادث، أو تسليط المخلوقات، أو دوام المخلوقات، أو حوادث لا أول لها، قالوا: هذا مستحيل، ممتع لذاته، وإذا كان دوام الحوادث ممتعًا فالرب تعالى غير قادر على أن يخلق فيه الأول! لأن الممتع لا يتعلق به القدرة.

(1) ص 26.
وکفى بهذا تنقصًا لرب العالمين.

ومن يقول: إن دوام الحوادث ممتنع، والرب لم يزل قادرًا عليها؛
فقد جمع بين النقيضين؛ لأن كونه قادرًا يقتضي أن يكون دوام الحوادث
ممكناً، فكأنه يقول: إن دوام الحوادث ممكن ممتنع، وهذا جمع بين
النقيضين.

وجمهور المتكلمين على امتناع دوام الحوادث في الماضي.
لكن ينبغي فهم معنى دوام الحوادث، أو تسلسل الحوادث - أي:
المخلوقات - أو حوادث لا أول لها فمعناها: هل يمكن أن يكون ما من
مخلوق إلا قبله مخلوق، وقبل المخلوق مخلوق، وقبل المخلوق مخلوق
إلى ما لا نهاية له، هل هذا ممتنع؟ هذا هو معنى الكلام.
وفي تسلسل المخلوقات ثلاثة مذاهب(1):
قال جهم بامتناع دوام الحوادث في الماضي والمستقبل فجنس
الحوادث عنده لها بداية، ويمتنع دوامها في المستقبل، ولهذا قال بفترة
الجنة والغمان.

وجمهور المتكلمين قالوا بامتناع دوام الحوادث في الماضي,
وجوازه في المستقبل.

إقرارهم بدوام الحوادث في المستقبل حجّة عليهم، والصواب
هو: جواز دوام الحوادث في الماضي والمستقبل؛ لأنه جائز - أي:
ممكناً لا مانع منه - فإذا كان الرحب لم يزل على كل شيء قديراً، فلم يزل
الفعل ممكناً، ومن يقول: إنه لم يخلق في الأزل فعله الدليل.

والأمر الذي نقطع ببطلانه قول من يقول: بامتناع دوام الحوادث
في الماضي.

(1) انظر: منهج السنة ١٤٦/١، ودرء تعارض العقل والنقل ١٥٧/١، ومرفق ابن
تيمية من الأشاعرة ١٠٩/٣، وقينال العالم وسلسل الحوادث.
أما إذا قيل: إنه ممكن، والله تعالى لما يريد فهذا هو الحق، وأهم شيء أن تعلم أن هذا لا يستلزم محدودًا كما ظنه الطاهون والجاهلون؛ لأنه على هذا التقدير – دوام الحوادث – معناه: أن كل مخلوق فإنه مسبق بعدم نفسه. أي محدث بعد أن لم يكن – والله تعالى متقدم على كل شيء، مما يفرض من مخلوقات متسلسلة فstrcpy تعالى سابق لها، فكل مخلوق فعليا تعالى خالقه، والمخلوق محدث وقضاء تعالى لم يزل.

و وهذه المسألة تشكل على كثير من الناس؛ لكن يجب أن تؤمن بأن الله لم يزل على كل شيء قادرًا، ولم يزل فعالًا لما يريد، وإذا أنتجت بأن الله لم تحدث له قدرة – أي: لم يصر قادرًا بعد أن لم يكن قادرًا، ولم يصر فعالًا بعد أن لم يكن فعالًا - حصل المطلوب سواء فهمت المسألة أو لم تفهمها.

و إذا استقر هذا في نفسك فهمت أنه يقتضي جواز وإمكان دوام الحوادث في الماضي، ما دام أن ربك لم يزل على كل شيء قادرًا، ولم يزل فعالًا لما يريد.

والآصل المهم هو: الإيمان بكمال ودوام قدرة وفاعلية الرب، وأنه تعالى لم يزل فعالًا لما يريد، ولم يزل على كل شيء قادرًا، هذا هو الذي يجب أن تستمسك به.

و المسلمون هذه فطرتهم، وهذه عقيدتهم، ولا يتكلمون في مسألة التسلسل، لكن ألمج إلى الكلام في ذلك أهل البدع المعطلة – الجهمية، والمعتزلة، والذين تأثروا بهم - حين تكلموا وقالوا: يمنع دوام الحوادث!

فلزم بيان الحق، وهو أن الله تعالى لم يزل على كل شيء قادرًا، ولم يزل فعالًا لما يريد، ولم يزل خالقًا، ولم يزل قادرًا، وهكذا «ما زال بصاته قديمًا قبل خلقه».

و بعد هذه الجملة العامة المجمولة، ذكر الطحاوي جملًا تفصيلية.

فيقول:
وصف الله تعالى بالخالق والبارئ قبل خلقه للخلق

ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم البارئ، له معنى الروبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق».

هو الخالق والخلق ولو لم يخلق، والخالق البارئ اسمان من أسمائه الحسن التي سمى بها نفسه (به الله الخالق البارئ المخلوق والمصور) [الحشر: 24].

و«الخلق»: يأتي بمعنى التقدير، ومعنى الإيجاد.

و«البارئ»: هو الذي يحدث الشيء من العدم إلى الوجود.

يقول: (له معنى الروبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق».

وهذه الجملة من جنس التي قبلها، فهو سبحانه موصوف بالروبية، والخالقيّة، ولو لم يكن هناك مخلوق ولا مربوب، فليس مفترضاً في أسمائه وصفاته إلى خلقه.

فقوله: (وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قادر» كما أنه استحق اسم (محيي الموتى) قبل إحياء الموتى، كذلك استحق اسم (الخلق) قبل إنشائهم.

وفي هذه العبارة: تدلل وتعليل وتفصيل لما تقدم من أن أسماءه وصفاته لا تتوقف على ما يخلقه أو ما يفعله، فهو تعالى مستحق لوصفه بإحياء الموتى، وأنه يحي ويبت قبل إحياء الموتى.
وقوله: «ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق».

يحتمل أنه يمنع تسلسل الحوادث في الماضي؛ لأنه حين يقول:
«ليس بعد خلق الخلق، «وله معنى الربوية ولا مرير»» كأنه يفهم منه
أن لجنس المخلوقات بداية.

لكن هل يقول: إن دوام الحوادث في الأزل ممتنع؟ أو يقول: إنه
ممكن لكنه غير واقع؟

في احتمال.

والمنكر هو القول بامتثناء تسلسل الحوادث في الماضي، لكن هل
هو واقع - أي: أن المخلوقات لم تزل فعلًا - أو هو ممكن لكنه لم يقع؟
الأمر في هذا واسع.
ثم قال: «ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه قادر، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيءً».

وهذا تعليق لما سبق من أنه لم يزل هو الخالق البارز، المص균، المحكي، المميز ذلك بأنه لم يزل على كل شيء قادر، وهذا وصف قد أثنا الله به على نفسه في مواضع كثيرة من القرآن كما قال تعالى: «إِنَّ لَهُ عَلَيْهِ مَا يَبْتَغُونَ» (البقرة: 20)، «إِنَّ اللَّهَ عِلِيمٌ قَبِيرٌ» (النحل: 27)، «وَغَانَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا يَبْتَغُونَ» (الكهف: 45)، «فَلَوْ هُوَ الْقَدَرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ» (الأعراف: 50) الآية.

ويذكر هذا الاسم في القرآن كثير جداً فهو القادر، وهو القدير، وهو المقدر.

والآلة على كمال قدرته بدلاً من أخرى متنوعة قال تعالى:
«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْجَنَّةَ وَالْجَحِيمَ وَمَا نَبِتَهَا فِي سَبْعَةٍ أَبَابِيلٍ وَمَا مَسْتَنَبَ مِنْ أَنْقُورٍ (72)» (الأعلى: 77) وقال سبحانه: «خَلَقْنَاهُمْ مَلَائِكَةَ وَمَا كَانَ مَسْتَنَبَ مِنْ أَنْقُورٍ» (المحزون: 27) وهو الذي بدأ الخلق ثم يُبْعَدْ وَهُوَ آتِيَ عَلَيْهِ (العلومات: 27) فأخباره تعالى بخلق السموات والأرض، وخلق كل شيء يستلزم إثبات كمال قدرته.

فلا خروج لشيء عن قدرته؛ فكل الموجودات إنما وجدت بمشيئته وقدرته، وفي هذا رد على القدرية؛ كالمعتزلة، الذين
يرجعون أفعال العباد عن قدرة الله وعن مثليته(1)، ففعال العباد إنهم لا يتعالق بها مثليته وقدرتهم وخلقه! فالعباد هم الخالقون لأفعالهم يتصرفون بدون مثليته الله، والله لا يقدر أن يجعل القائم قاعدًا، والقاعد قائمًا، ولا المؤمن كافرًا، ولا الكافر مؤمنًا، فكل ما يجري في الوجود من أفعال العباد، وأفعال الحيوان، خارج عن مثليته الله، والله تعالى لا يقدر على أن يمنع شيءًا من هذه الأمور! فالقتال الذي يجري بين الناس لمختلف الأسباب والدوافع ليس بمثليته الله بزعمهم، والله تعالى يقول: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْسَلَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَرَى" (البقرة: 253) [وَكَذَّبَهُ رَبُّهُ لِيُسْهِبَ بِهِ السُّبُلَۡ قَتَّلَ أَوْلَادَهُمْ شَرِيعَةَهُمْ إِلَيْهِمْ وَيُسْهِبَ عَلَيْهِمْ وَيُبَيِّنَهُمْ وَلَوْ شَااءَ اللَّهُ مَا فَضَّلَهُ].

هذا مضمون هذا المذهب القبيح المتكرر.

وقوله: "وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ" قال تعالى: "يَكِّنُونَ آنَاسَ رَبِّهِمْ أَنْ شَتَّى الفَقْرَةُ إِلَّآ أنَّ اللَّهَ هُوَ الْكَمِيرُ أَلَّهُ الْكَمِيرُ" (فاطر) كل شيء إليه فقير وهو الغني بذاته عن كل من سواه.

فالغنى المطلق من لوازم ذات الحب تعالى، والفقر من لوازم المخلوق، فالغر خصائص ذاتية للمخلوق، والغنى صفات ذاتية للخالق.

فالمخلوق فقير إلى الله من جميع الوجود، والله غني عن خلقه من جميع الوجود.

فكل شيء مفتقر إلى الله في وجوده، وفي بقائه، وفي مصالحه، وفي كل شؤونه.

وقوله: "وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ يسِيرٌ".

كل شيء إليه هين، وهذا يؤكد أنه على كل شيء قادر، فليس
هناك ما يصعب عليه، وبعجزه قومًا كان الله يعجزن عن شيء في السماوات ولًا في الأرض [فاطر: 44] «أولم يزلوا سكينة يبدآن الله الحق ثنا تجدهم أن دلوك على الله كبير» [العنكبوت].
وقوله: «لا يحتاج إلى شيء».

هذا يؤكد كمال غناه، فهو الغني بذاته عن كل ما سواه.
ولو قال المؤلف: (ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء عليه يسير، وكل شيء إليه فقير، لا يحتاج إلى شيء) لكان أكثر تناسبًا لأن الجملة الثالثة مناسبة للجملة الأولى، والجملة الرابعة مناسبة للجملة الثانية.
إثبات صفاته تعالى،
و(Is) مماثلة للمخلوقات

وقوله: **ليس كَمَثِيلِهِ شَيِّءٌ وَهُوَ السُّبُعُ البَصِيرُ.** هذه بعض آية من القرآن (١) تتضمن الدلالة على المذهب الحق في باب أسماء الله وصفاته، ورد الباطل؛ فهي تدل على أنه تعالى موصوف بصفات الكمال، منزهٍ عن مماثلة المخلوقات.

ومذهب أهل السنة والجماعة يقوم على إثبات ما أثته الله تعالى لنفسه، وأثبت له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

فقوله: **ليس كَمَثِيلِهِ شَيِّءٌ** ردٌ على أهل التشبيه، والتكيف.

وقوله: **وَهُوَ السُّبُعُ البَصِيرُ** ردٌ على أهل التعطيل.

فدلت على الحق ورد الباطل، وفيها ركائز المذهب الحق، وهو:

(إثبات صفات الكمال لله تعالى، ونبي مماثلة للمخلوقات، ونبي العلم بالكفاءة)؛ فإنه إذا كان تعالى لا مثل له؛ فلا يعلم كيف هو إلا هو.

ولا أهل التفسير واللغة (٢) كلام حول الكاف في قوله تعالى: **ليس كَمَثِيلِهِ شَيِّءٌ**، فقيل: إن الكاف صلة - زائدة - للتوثيد، والمعنى: ليس شيء مثله، هذا أصعب وأقرب وأسهل ما يقال في معنى هذا التركيب.

(١) الشورى: ١١.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/٧٧، والتبيان في إعراب القرآن ص ٣٣٩، والبحر المحيط ٥١٠/٧، ومغني اللبيب ص ٣٠٣.
وأعرابه {لاَّ إِنَّ كَثِيرًا، شَئُوهُمُ} فتكون هذه الآية نظير قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْعَفَاوَةُ أَحَدُهُمَا} [الإخلاص].

وهو {السمع البصير} اسمان من أسمائه الحسنى دالان على صفتين من صفاته العليا، فهو السمع وهو ذو سمع، وهو البصیر ذو البصر، فتدل الآية على إثبات الاسمين، وما تضمناه من صفتي السمع والبصر.
وكقوله: «خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم أجالًا، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم».

خلق الخلق عالمًا بهم، والخلق يستلزم العلم: "آلا يعلم من خلق وفهو الملك القيوم" [الملك] فت还需 علم أحوال الخلق وأعمالهم بعلمه القديم، والإيمان بذلك هو أحد مراتب الإيمان بالقدر.

والأدلة على إثبات العلم لله كثيرة في الكتاب والسنة، وهو من الصفات البالغة بالعقل والسمع، فت还需 اسمه العلم، وأخبر بأنه بكل شيء علم، يعلم ما كان وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون، يعلم الدقيق والجليل، والله تعالى قد فضل ذلك في كتابه "وأعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم والجنة، والدج" [البقرة: 225]، "إذن الله عليكم مراتب الصعود" [الNumberFormatException: 119]، "سندم لنا ما أتيفب به الكتاب إلا هو ولعب ما في الأقمار والمجر وتستطيع من ورشة إلا يعلمها ولا حبب في ظلنت الأرض ولا رطم ولا يبين إلا في كتب مبين" [الأنعام] "ألبكون أن الله على كل شيء قدير وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتب نور Они وآلا يعلم اللة إلا في كتبنورThey are not the end of the story; they are only a way to reach it. The real objective of all these efforts is the betterment of society and the eradication of poverty. The teaching of the Prophet (pbuh) is clear and concise: "He who gives food to the hungry, water to the thirsty, and clothes to the naked will live in the world next, and there will be no place for them in Paradise." (Sahih Al-Bukhari)
وخواطر، واللحظة التي يرسلها الإنسان خفية ما يدري عنها أحد، الله يعلمها: "بعلم كلمة عيني، وما تحتي الصدور\(^{14}\) (غافر). 

بعلماً دفاتر الأشياء: "إِنَّمَا يَنْفَعُ النَّاسَ حَيْثُ مَنْ حَلَّلَ وَمَنْ حَرَّكَ في صُحْرَاتٍ أَوْ في أَطْرَابٍ أَوْ في الأَرْضِ يَتَابُعُهَا اللَّهُ\(^{26}\) (الفطان: 112)، رَبِّ يَمِينٍ خَالِقٍ في السماوات والأرض إلا في كُفُّ النَّافِئين\(^{15}\) (النمل). 

وأَلله تعالى من أسمائه العليم، وعلام الغيوب، وعالم الغيب والشهادة.

والعلم من صفاته تعالى، ومن أهل البدع من ينكر هذا! فالجميلية ينفون عن الله أسماءه وصفاته ويقولون: هذه الأسماء إضافتها إلى الله مجاز، وإلا فهي أسماء لبعض المخلوقات، والمعزولة ينفون الصفات، ويقولون: اسمه عليم لكنه بلا علم، فلا يفهم صفة قائمة به، وقدير بلا قدرة، وسمع بصير بلا سمع ولا بصرا! كذا حكي أهل العلم عنهم\(^{11}\).

وأما الحق الذي دل عليه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ودل عليه العقل، وأجمع عليه سلف الأمة، والذين أتبعهم بإحسان فهو أنه علم بعلم، وأن العلم صفته\(^{22}\)، وجاء ذكر العلم في القرآن، قال تعالى: "أَنْزَلْنَاهُ ﷺ ﴿١٦٦﴾ ﴿وَلَا يُجْعَلَ ﷺ ﴿٢٥٥﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧١﴾ ﴿وَإِنَّمَا تَأْمُرُونَ ﷺ ﴿١٧٢﴾ ﴿لَا تُجْعَلَ ﷺ ﴿١٦٩﴾ ﴿وَلَا يُجْعَلَ ﷺ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَتَأْمُرُونَ ﷺ ﴿١٦٧﴾ ﴿وَلَا يُجْعَلَ ﷺ ﴿١٧٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧١﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧١﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧١﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧١﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧١﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧١﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٩﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٦٨﴾ ﴿وَيَقُولُونَ ﷺ ﴿١٧١﴾ 

وهذا تصريح بلطف العلم، ولو لم ترد هذه النصوص لكان ذكر الاسم كافياً في الدلالة على إثبات الصفة. 

وعلمه تعالى أزلي لا يتجدد بمعنى أنه يصير عالماً بعد أن لم يكن، أو يعلم الشيء بعد أن لم يكن عالماً به؛ فهذا نقص، والله منزه

---

1) التمهيد 145/7، والتدرير ص 92، ومجموع الفتاوى 335/1، والنبويات 57/1
2) رواه البخاري (1162) من حديث جابر ﷺ.
عنده، كما تقدم في التنبية على دوام كماله «ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه»(1).

فنقول: ما زال بكل شيء عليًا، وعلمه تعالى مطابق للواقع؛ لأن ما لم يطابق الواقع جهل.

وأما ما جاء في القرآن مما قد يفهم منه تجدده العلم، كقوله تعالى:

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كَانَتْ عُلُوًّا إِلَّا لِيُبَيِّنَ لِلنَّارِ [ البقرة: 143]،

وقوله تعالى: «أَمَّنَّ هُمْ أَن تُخْلِفُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَكُنَّ يُبَيِّنُ لَهُمْ دَارَ الْخَيْرَاءَ» [آل عمران: 142]،

وقوله تعالى: «أَحَبَّ أَن يَتَّلَبَّسَ أَن يُقْبَلَ أَمَّا أُنْفِقُنَّ وَلَمْ يُفْضِنَّ وَأَن نَّقْبَلَ أَمَّا أُنْفِقْنَّ مِنْ قَبْلِهِمْ فَيَعْلَمُنَّ اللهُ أَنْ نَّفَسَ الْمَلَأِ يُسِرِّقُونَ» [العنكبوت: 2، 3]،

فالمراد به علمه تعالى بالشيء موجوداً.

ولهذا بعضهم يعترف عنه بعلم الظهور، أو علم الوجود.

فَلَمَّا كَانَ مُخَيْرَتُهُمْ إِنَّمَا بِاللهِ نَزْلَةً [ البقرة: 282]،

فإن الله تعالى قبل أن يخلق الخلق يعلم أحوالهم، وصفاتهم، ومن يطيعه، ومن يعصبه، لكن هل يعلمون موجودين؟ بل يعلم أن ذلك الشيء سيكون، فإذا وُجدَ عليه موجوداً.

فهو تعالى يعلم من يجاهد، ومن لا يجاهد، ومن يصبر، ومن لا يصبر، وعمله تعالى في أمر القبلة، ومن لا يقبل، ومن يتعالى الرسول، ومن لا يتعالى الرسول... إنذار.

يلعب أن يكونهم غير موجودين، فإذا وجدوا علمهم موجودين، والثواب والعقاب مرتبط على ما يوجد بالفعل، هذا مقتضى عدله وحكمته.

فَلَمَّا كَانَ مُخَيْرَتُهُمْ إِنَّمَا بِاللهِ نَزْلَةً [ البقرة: 282]،

فإن الله تعالى يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون، وشاهد هذا في

(1) ص 54.
القرآن قوله تعالى: "وَرَأَوْنَّىٰ يَدَوْنَٰا لِمَا تَهْوَى عَنْهُ" (الأنعام: 28)، وقد حكم الله بأنهم لا يردون "سَقُرَّةً عَلَى قَرْبِينَ آمَنُوهَا ٱنَّهُمْ لَا يَرِجَوْنَ" (الأنبياء).

وكما ذل السمع على إثبات صفة العلم، وعِدَّل العقل عليها، وبيان ذلك: أن إيجاد المخلوقات وإحكام هذا الخلق العظيم الواسع لا بد أن يكون عن علم يقوم بارب تعالى، ولا يتصور أن يكون بلا علم - تعالى الله عموم يقول الجاهلون علوا كبيرا - ومن الطرق العقلية - أيضًا - أن العلم يوصف به المخلوق على ما يليق به، وهو صفة كمال، فلن يتصف الخالق سبحانه بالعلم لزم أن يكون المخلوق أكمل من الخالق؛ وهذا ممتع بداهة.

وقوله: "وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا" قال تعالى: "وَخَلَقَ سُلُكًا خَيْرًا فَقَدَّرَ" (التوبة: 9). [نَصْرَة] (الفرقان: 2)

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو بن الأعوان أنه النبي قال: "قدّر الله مقدار الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" (1).

مقدار تكون من جهة الزمان، والمكان، والذات، فكل إنسان قدّر الله له زمنًا "يَثْبِتُ فِي الأَرْضِ مَا نُشرَٰ إِلَى أَجْلِ ٱلسُّمَتِ" (الحج: 5)، يعني مقدار لبث الجينين في الرحم مقدّر؛ هذا سنة أشهر، وأمّا تسعephy، وذا عشرة، وذا أكثر.

وعملهم مقدّر، ورزقهم مقدّر، وجميع الأشياء مقدّرة.

وقوله: "قَدَّرَ اللَّهُ مَقَادِرَ الْخَلْقِ كَلِمَةً قَصِيرةً لَكُنَّ مَفَهُومُهَا واسعًة",

جداً، لا نحيط به ولا نتصوره لكن نفهمه إجمالاً.

وقوله: "وَضَرَّبْ لَهُمْ أَجْلَالًا" (2168)

(1) رواه أحمد 2/169 ومسلم 2/653، والترمذي (716)، وابن حبان (6138) وصححاه، وعند مسلم: "كتب".
عَظُّفُ في هذه الجملة على التي قبلها من عطف الخاص على العام، ضرب لهم آجالًا حدد للمخلوق آجالًا، والأجل: يطلق على نهاية المدة المقدرة، أو على نفس المدة المقدرة كلها، فالدنيا لها أجل، ينتهي بيوم القيامة (ْهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن طِيْرٍ ثُمَّ فَضَّلَ أَجَلًا وَأَجَلٍ مَّسِئٍّ عِندَهُ) [الأعمال: 2]. والأمم لها آجال {كُلُّ أَمْعَامٍ أَجْلٌ إِذَا جَاءَ لَهُمْ فَلاَ يَتَسْتَبِيعُونَ سَائَةً ُوَلَا يَعْثَرُونَ} [يونس: 49] كل أمة لها أجل ثم تنتهي كيف شاء الله، وفي تاريخ المسلمين، الدولة الأموية لها تاريخ وانتهت، ثم الدولة العباسية وانتهت، وهكذا غيرها.

وذلك آجال مختصرة بكل فرد مثل ما جاء في حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: {ويأمر بأربع كلمات: بكتيب رزقه واجله} [2]، قال تعالى: {وَمَا حَكَأَ لِشَيْءٍ أَن تَمَوتَ إِلاً يَذَّنُ أَنَّهُ كَبِيرًا} {المؤمنون: 145}.

إِنَّا أَوَّلَهُمَا يَمْوتُ الْإِنسَانُ؟

هو ميت بأجله، وفي الوقت المحدود {وَمَا حَكَأَ لِشَيْءٍ أَن تَمَوتَ إِلاً يَذَّنُ} [الإسراء: 145] فالمقتول ميت بأجله هذا عند أهل السنة، خلافًا للمعتزلة، فإنهم يقولون: إن المقتول قد قطع القاتل عليه أجله، فهم أنه سيبقيه مائدة سنة لكن اعتدى عليه القاتل فقتله وهو ابن عشرين سنة فضيَّ عليه القاتل ثمانين سنة(2).

نَعْذَرُ بَلَدَنَا الْجَهَالَةَ وَالضَّلَالَةَ؛ بِلِ الْمُقْتُولِ مَيتُ بِأَجْلِهِ، وَالآجَلَ جَعَلَ اللَّهُ لَانْقِضَايْهَا أَسْبَابًا؛ فَمَن النَّاسِ مِن يَمْوَتُ بِأَسْبَابِ سُمَوَّاتِ لاَ دَخَلْ لأَحْدِينَ النَّاسِ فيْهَا، وَمِنْهَا مَا لَهُ تِسْبِبُ مِن النَّاسِ؛ مِثْلَ المُقْتُولِ، وَكُلُّ فِي كِتَابِ مَيْمَانِ، مَعْلُومُ لِرِبَّ الْعَالَمِينَ، {وَمَا يُعْمَرُ يَنْفَعُ} {المؤمنون: 116}.

(1) رواه البخاري (3333)، ومسلم (3943) - واللفظ له .
(2) مجمع الفتاوى 8/516.
فالآجان والأعمار كلها مقدرة، ولدت النصوص على أن لطول العمر وقصوره أسبابًا كونية، وشرعية؛ فمن الأسباب الشرعية: صلة الرحمة، وير الوالدين، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، ويسأله له في أثره: فليس رحمه» (1) وفي الحديث الآخر قال النبي ﷺ: «ولا يزيد في العمر إلا البر» (2) والتحقيق أن هذا لا ينافي القدر، فليس معناه أن هذا سباق في علم الله وكتابه أن عمره ستون سنة، ثم يحدث أنه يير بوالديه فيزداد في عمره، لا بل هذا الذي وصل رحمة، وقد الله في عمره جزاء له، قد سبق في علم الله، وفي كتابه أنه يطول عمره بهذا السباق، وكل الأمور جارية على الأسباب والمسببات، ومندرجة في قدر الله تعالى.

ويقال مثل هذا في الدعاء، وبعض أهل البذع يقول: الدعاء لا فائدة منه؛ فإن كان الله قدَّر هذا المطلوب فلا حاجة للدعاء، فهو حاصل دعوت أو لم تدع، وإن كان غير مقدر فلا فائدة في الدعاء؛ لأنه لن يحدث!

وهذا فهم باطل مبني على عدم تأثير الأسباب في مسبّباتها، ويلزمهم أن يقولوا مثل هذا في كل الأسباب.

وما قدر الله حصوله في هذا الدعاء قد يقدر سببه، وقد لا يقدر، فما لم يقدر سببه لا يحصل بالدعاء، وما قدر سببه يحصل السبب، والمسبب.

فتارة يقدر الله السبب، ولم يقدر المسبب.

وتارة يقدر هذا الأمر بدون هذا السبب.

(1) البخاري (5986)، ومسلم (2557) من حديث أنس ﷺ.
(2) أحمد 5/277، ابن ماجه (90)، وصححه ابن حبان (872) والحاكم 493/1، ونسن العراقي فيما نقله البصيري في مصاحب الزجاجة (33) من حديث ثوبان ﷺ.
وتارة يكون المقدّم السبب، والسبيب، وهذا موضوع معاينة واسع جدًا، فالرَّزق للإنسان يحصل بسبب الطلب والكدح، وأحيانًا يحصل بدون سعي ولا جهد (1).

وهذا كله يرجع إلى الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان.

المؤلف لما قال: "خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالًا".

يريد تقرير الأصل السادس، وإن كان سيئتي ويرد الكلام في القدر.

ثم أكد المصنف قوله: "خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالًا" بقوله: "لم يَخَفَّ علَيْهِ شيء قبل أن يخلقهم« أكده بالنفي، فالأول إثبات، والثاني سلب.

ثم قال: "وعلم ما هم عمالمون" وهذا أيضًا تأكيد، لكن الجملة الأولى عامّة.

"علم ما هم عمالمون" سبق علمه بأعمالهم: المؤمن، والكافر، والمطيع، والعاصي قبل أن يخلقهم، وكتب ذلك وقائمه وقدره في أم الكتاب.

وفي التقدير الثاني: قال النبي ﷺ: "ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجهزه، وعمله" (2).

(1) مجموع الفتاوى 197/142 و143/142.

(2) تقدم تخرجه في ص 72.
وجوب الإيمان بالشرع والقدر

وقوله: «وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته». 

في هذا التنبه على وجوب الإيمان بالشرع مع الإيمان بالقدر.

الإيمان بأن الله علم ما العباد عاملون بعمله القديم، وكتب ذلك،
وأن كل شيء يجري بمشيئة الله، والإيمان بأن الله أمر عباده بطاعته،
ونهاهم عن معصيته "يا أيها الناس آمنوا بربكم" [البقرة: 21] «فأعلموا
سبحان أنتم آمنوا إلا إياه». [البقرة: 22] و"أعبدو الله ولا تشركوا بنعمة الله" [النساء: 26].

لا بد للاستقامة على الصراط المستقيم في هذا المقام من الإيمان
بالشرع والقدر جميعًا.

أما الإيمان بالقدر فهو الأصل السادس، وأما الإيمان بالشرع فهو
موجب الإيمان بكتب الله ورسله.

فأهل الهدى والفلاح يؤمنون بهذا وهذا، ويؤمنون بحكمة الرب في
شرعه وقدره.

وأما فرق الضلال فالملتئون وأتباعهم من الجبرية فإنهم يرجون
القدر، ولكنهم يتركون الشرع أو يعرضون عن الشرع، كما قال الله عن
المشركين: "ستقولون آلين أنصرنا أو شاء الله ما أمرنا" [الانعام: 148].

فقولهم: (لو شاء الله ما أشركنا) يتضمن أنهم يقررون بالقدر,
وبمشيئة الله، ولكنها كلمة حق أريد بها باطل، فهم يقولون ذلك معارضةً
لما جاءت به الرسول من الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهيهم عن
الشرك به.
الجريبة - المنتسبون للمسلمين - يقال لهم: مشركيّة؛ لأنهم
بمنهجهم ذلك شابهوا المشركين الذين قالوا: «إِنَّ مَنْ أَشْرَكَ عَلَىٰ نَيۡمَتِهِ مَا
أَشْرَكَ عَلَىٰ نَيۡمَتِهِ».
ويقابلهم المجوسية وهم: القدرية كالمعتزلة فإنهم ينفون تعلق
مشيئته الله بأفعال العباد، ويخرجون أفعال العباد عن مشيئته وقدرته
وملكه، مع أنهم يقرون بالشرع.
وأسلافهم الأولون الذين ظهروا في عهد الصحابة ينفون القدر كله
بمراتبه الأربعة: العلم، والكتابة، والمشيئه، والخلق.
وطائفة قالت: إن الشرع والقدر فيهما تناقض، وإن أثبتهما،
فطعنت في حكمة الرب سبحانه، وتسمي: الإبليسية؛ فزعيمهم في هذا
إبليس، فهو الذي اعترض على الرب، وطعن في حكمته، مع إقراره
بخلق الله وأمره، فكان هو إمام هذه الطائفة المخلوطة.
هذة فرق الضلال من الخائفيين في القدر كما يعّبر شيخ الإسلام
ابن تيمية (ت.488).

(1) الرسالة التدمرية ص488.
إثبات عموم مشيئة الله تعالى

قال رحمه الله تعالى: «وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، وتريد لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشاء لم يكن، يهدى من يشاء ويصمي ويعافي فضلا، ويضل من يشاء ويخذل ويعطي عدلاً».

يقرر المؤلف في هذه الجملة عموم مشيئة الله، وأنها شاملة لكل شيء، فكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ؛ كحركات الأفلاك، وتصرف الرياح، وحركات الناس، كلها تجري بعمله ومشيئته قد سبق بها العلم والكتاب.

لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فالعباد لهم مشيئة، وأفعالهم نوعان:
اختيارية؛ فالإنسان يذهب ويجيء، وياكل ويشرب، ويتكلم، ويدبر، هذه حركات اختيارية.
وأفعال لا اختيارية كحركة النائم، والمرعشي، فهذه يقال لها:
لا إرادة.

ومشيئه العباد مقيدة بمشيئة الله، قال تعالى: «ليَن شَهَة يَتَكُم أَن يَتَكُم (التكوير) بإثبات المشيئة للعباد (ومَا نَتَأْتِيْنَ إِلَّا أَن يَتَكُمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَلَمَاتِ (التكوير) ففي هذه الآية رد على طائفتين: الجبرية، والقدرية؛ فقوله: «ليَن شَهَة يَتَكُم أَن يَتَكُم» رد على الجبرية، وقوله: «إِلاَّ أَن يَكَأْنَ اللَّهُ رَبٌّ الْقُدْرَةِ» رد على القدرية ناقة القدر.»
لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم» وهذا الذي نعبر عنه بقولنا: ما شاء الله كان، أما مشيئة الإنسان فقد تحققت، وقد لا تتحقق، فيشاء العبد ما لا يكون، كالعاجز يريد شيئًا ولا يكون، وقد يكون ما لا يريد، كالمكره يجري عليه من الأمور ما لا يريد.

أما الرجل القدير على كل شيء فيقال: فما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون.

وقوله: «يهدي من يشاء ويصنع ويعبئ فضلاً».

أدلة هذا في القرآن كثيرة، قال الله تعالى: «فَسَأَلْتُ يَّمِينًا تَّرْيِيدًا».

[البروج: 16] هذا دليل عام.


وقوله: «يهدي من يشاء ويصنع ويعبئ فضلاً» يوفق من يشاء لسبيل الخيرات، والأعمال الصالحات، ويصنع من الوقوع في الزلات والسيئات، ويعبئ من يشاء، وكل ذلك بفضله تعالى: «وَلَكِنَّ اللَّهُ حَبَّ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَرَزَعَهُ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ كُلِّ كَبْرٍ وَخَطْأٍ وَلَفْسَوقٍ وَأَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ» [الإسراء: 44] ففضل الله وَقَدْ ضَمَّ شَأْنَهُ وَقَدْ ضَمَّ شَأْنَهُ [الإسراء: 44] [الحجرات] فضل الله، من الله (ولكن الله يفعل ما يشاء) [إبراهيم: 11].

فهو يهدي من يشاء بفضله وحكمته في وضعها فضلًا منه وحكمته، ولهذا قال سبحانه: «وَاللَّهُ عَلِيمُ كُرْمَتِهِ» [الأنعام: 134]، «ذَلِكَ الفَضْلُ مِنِ اللَّهِ» [النساء: 246].

وقوله: «فيضل من يشاء» هذا قد نص الله عليه في مواضع من كتابه (1) كما قال تعالى: «فَسَأَلْتُ يَّمِينًا تَّرْيِيدًا».

[إبراهيم: 4].

(1) الرعد: 72، والنحل: 93، وفاطر: 8.
وقوله: "ويختزل ويتملي عدلًا" الخذلان: عدم التوفيق، ويتملي:

يصيب من يشاء بالبلاء، عدلًا: أي: أعدله وحكمته.

والهدية المضافة إلى الله المتعلقة بالمكلف نوعان:

هدية عامة - للمؤمن، والكافر - وهي: هديه الدلالة والبيان والإرشاد ل سبيل الخير والشر، قال تعالى: "وَهَدِّئُ الْجَهَّالِينَ" [البلد]

وأما نُؤْمِنُ فِهَدَّيْنِهِمْ" [فصلت:17] أي: دّلّهم، وبين لهم بإرسال رسوله

"وَلَوْ قَدْ أُنْزِلْنَا إِلَى نُؤْمِنِ أَنْ أَهْمَهُ صَنَعًا أَنْ أَعْبُدَ اللَّهُ فَأَذِهَّ هُمْ فِي فَاحْلٍ بِحَقِّهَا" [النمل].

والنوع الثاني: هديه التوفيق لقبول الحق، وإهانة الرشد، وشرح الصدر، قال تعالى: "فَمَّن يُؤْمِنَ ابْلَغْنَاهُ الْحَقَّ وَيُصَدِّقُ الْإِسْلَامَ" [الأنعام:125]، "أَمْنَ مُّتَّقِينَ اللَّهُ حَسَنَ وَالْإِسْلَامَ فَهُمْ عَلَى ثَورٍ مِّنْ دِينِهِ" [الزمر:22] فهتان هديتان:

الأولى تسمى: (الهدية العامة)، والثانية: (الهدية الخاصة).

أما الهديه الخاصة فلا يملكها إلا الله تعالى.

وأما الهديه العامة فانما جعلها للرسل - أيضًا - قال تعالى:

"وَيَكُونَ الْإِنسَانُ إِلَى جَاهِرٍ مَّعَهُ" [الشوري:42]

وقال تعالى: "إِنَّهُ لَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَكِنَّ اللَّهُ يُهْدِي مِنْ يَشَاءُ" [القصص:56] نفى عنه أن يهدي من يحب، وأثبتها لنفسه، فيبين الآتيين تعارض في الظاهر، والجمع بينهما بمراعاة التقسيم.

وأنكرت المعزلة هديه التوفيق؛ لأنهم أخرجوا أفعال العباد عن مشيئة الله وقردته تعالى وتقدس، فعندهم أن الله لا يقدر أن يهدي أحدًا، وإنما أثبتوا الهديه العامة: هديه الدلالة والإرشاد.

وقالوا: (يصل) (يهدي) أي: من اهتدى حَكَم له بالهدية، ومن ضل سماه ضلالًا، أما أن يجعل هذا مهتديًا أو هذا ضالًا فلا! - تعالى الله عن قول الظلمين والمفترين علواً كبيرًا.
إثبات الحكمة لله تعالى في أفعاله

وقوله: "وكلهم يتقلبون في مشيته بين فضله وعدله".
من تتمة قوله: "يهدِي من يشاء ويعصم ويغفو فضلًا، ويضل من يشاء ويغفو ويبتلى عدلًا" قوله: "وكلهم يتقلبون في مشيته بين فضله وعدله". هذه النتيجة، والله تعالى حكيم يضع فضله حيث شاء، وعدله حيث شاء له الحكمة البالغة، فلله يهدي من يشأ بفضله وحكمته، ويضل من يشأ عذبه وحكمته.
فالحكمة معتبرة ووجازة وواقعة في الكل، له الحكمة البالغة في هدائه لمن شاء من عباده، وخذاله لمن شاء، وكان من المناسب أن ينوه المؤلف إلى هذا.

والأدلة على حكمة الله كثيرة فاسم الحق كتاب عليه يدل على الحكمة، وكذلك قوله: "ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۖ وَكَذَٰلِكَ يَقْدِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ \[النساء\]
الله أعلم حيث يحكم رسالتنا [الأنعام:124].

ولأفعال الزير معتلة(1) لكن من العلل والحكم ما نعلم به النص عليه في الكتاب أو السنة، ومنها ما يُعتدى إليه بالتدبر، ومنها ما لا يعلم؛ فالعباد لا يحيتون بحكمة الزير كما لا يحيتون بسائر صفاته.
فكل الخلق يتقلبون بين فضله وعدله، حتى في الساعة الواحدة يكون للإنسان حظ من فضل الزير بالتوافق، أو يكون في حالة ابتداء

(1) منهج السنة 141/141، شفاء العليل ص19، انظر: ص142.
وأخذلان، وقرأ ما كتبه ابن القيم الجليل في "مدارج السالكين"(1) في مشاهد الخلق في المعصية في مشهد التوفيق والخدلان.

(1) قال كَلِمَةً: فالعبد متقلبون بين توفيقه وخذالانه؛ بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا. يطيعه ويرضيه ويدكره ويشكره بتوفرقه له، ثم يعصبه ويخلفه ويسخطه ويغفل عنه بخذالانه له، فهو دائر بين توفيقه وخذالانه؛ فإن وفقه ففضله ورحمته، وإن خذله فيعدله وحكمته، وهو المحمود على هذا وهذا، له أتم حمد وأكمله، ولم يمنع العبد شيئاً هو له، وإنما منه ما هو مجرد فضله وعطائه، وهو أعلم حيث يضعه وأين يجعله... إلخ.
تنزيه الله تعالى أن يكون له ضد أو ند


فالمضاد: المقاوم المدافع، والنرد: المثل.

فلا ضد يضاد أمره وحكمه.
نفاد قضائه وحكمه تعالى

وقوله: «لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، آمناً بذلك كله، وأيقنا أن كلاً من عنده».

هذا تفصيل لما قبله، فلا ضده يرد قضائه: "وإذا آرَدَ أن يَقْوَ". [الرعد: 65].

وقوله: «ولا معقب لحكمه» أي: لا مؤخر لحكمه. فحكم الله ماض فس تعالى: "أَوْلَمْ يَرَوْا آنَّا نَآيَيْنَآ أَنْ أَلزِمْنَا مُنْ آنَّا فَتْحًا". [السجدة].

وقوله: «ولا غالب لأمره» هذه الجمل الثلاث معناها متقارب، كلها تفيد أن أمر الله وحكمه وقضاءه نافذ، وأنه غالب لا يغلب.

وقوله: "آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلاً من عنده".

هذه الإشارة ترجع إلى كل ما ذكره من قوله: "نقول في توحيد الله معتددين بتوهف الله...".

"وأيقناً اليقين: الإيمان الذي لا يخالجه شك، "آن كلاً من عنده".

أي: كل ما يجري في الوجود فهو يتدبير وتقدير، "أولى فيهم حسنة يغولها هدياً، من عند الله". [النساء: 78]. ويتضح أن المؤلف آرَد "آمنا بذلك كله" أي: ما قره من أمر الهدية والضلال، ونفاد المشيئة والتقدير، ويعتبر أنه يريد عموم ما تقدم.
وجوب اقامة أن محمدًا عبد الله ورسوله،
وذكر ما تثبت به النبوة

وقوله: «إن محمدًا عبده المصطفى، ونبيه المجتبي، ورسوله
المرتضى».

قرر المؤلف في الكلام المتقدم التوحيد بأنواعه الثلاثة، ثم ذكر
بعض الأسماء، ثم ذكر أشياء من توحيده، ثم ذكر ما يتعلق بالقدر.
فما تقدم كله يتضمن تقرير توحيده بأنواعه الثلاثة، وأنواع التوحيد الثلاثة.
كلها تندرج في شهادة أن لا إله إلا الله.

فكان مجمل قوله: نقول في توحيد الله معتقدين بتوافق الله: إن الله
رب كل شيء وملكيه، وأنه لا إله غيره، وأنه الفصول بصفات
الكمال المنزه عن كل نقص وعيب، وهذا هو مضمون شهادة أن لا إله
لا الله، وبهذا تنضج المناسبة في قوله: وإن محمدًا عبده المصطفى،
- يعني - نقول في توحيد الله معتقدين بتوافق الله: إن الله واحد لا شريك
له، ونقول في شأن محمد معتقدين بتوافق الله: إن محمدًا عبده
المصطفى بكسر همزة (إن)؛ لأنها مقول القول.

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
القرشيين من ذريه إسماعيل بن إبراهيم - عليه السلام - وعلى نبينا الصلاة
والسلام -.

ومحمد هو أشهر أسمائه، وإلا فله أسماء أخرى؛ فإنه قال:
«أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يحمي بي الكفر، وأنا الحاشر».
وجوب اقتصاد أن محمدًا ﷺ ورسوله، وذكر ما ثبت به النبوة

الذي يحشر الناس على عقبيه، وأنا العاقبَ والعاقب الذي ليس بعده نبيٌّ.

وأسماهُ أعلام وصفات، فاسمه محمد علم وصفة يدل على كثرة محامده، وكثرة حامده؛ لأنه اسم مفعول من حمد، وهو أبلغ من حمد.

وقوله: «إن محمدًا ﷺ عبده المصطفى».

مما توجب الشهادة به للنبي ﷺ أن عبد الله ﷺ وأنّمَّا قام عبد الله ﷺ يُعثِّبُونَ كَذَّابًا يَكْبُرُونَ عَلَيْهِ لَّا يَعْبُدُونَهُ [الجَّمَّانَ] (السورة: 17) «شُجَّعُونَ الْأَرْىَ أَصْرِيَّ يَعْبُدُونَ».


وقوله: «وَنُبِيّ المجتبي» هو ﷺ ﷺ عبد نبي منبٌّ بالوحي الذي أنزله الله إليه، قال تعالى: (إِنَّ أُوْحِيَ إِلَيْهِ كَمَا أُوْحِيَ إِلَى فُجُوْجٍ وَالْيَهُودِ مِن بَعْدِهِمْ) [النساء: 163].

والاجتباء: قريب من معنى الاصطفاء.

وقوله: «ورسوله المرتضى» فهو ﷺ ﷺ وبني رسول ﷺ، والمرتضى: الذي ارتضاه الله، قال ﷺ: (إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنَ الرَّسُولِ فَإِنَّمَا يُسْكُنُ مِنْ بَيْنِيَّ يَدُورُ وَمِنْ خَلْقِيَّ رَصَدًا) [الجَّمَّانَ].

(1) رواه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤) - واللفظ له - من حديث جبير بن مطعم ﷺ.
وتصدر هنا أن المصنف قد أحسن في تناوسل هذه الكلمات

حيث ربط الاصطفاء بالعبودية، فقال: "عبد المصطفى"، والاجتهاء بالنبأ "ونبيه المجتبي"، والارتداء بالرسالة "ورسله المرتضى"، فإن هذا موافق لما جاء في القرآن، فقد قال تعالى: "لَيْسَ رَبُّكَ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ هَذَا الْخَيْرُ إِلَّا أَنْ أَسْتَلَّكُ لَهُ" [النمل: 59] وفي سورة الأنعام لما ذكر الله إبراهيم، ومن هدى الله من ذريته: "وَوَهَبْناَ لِهِ ذِكْرَيْنَ" و"تَمْسَحَ هُدًىَنَا" و"نُؤْعِدُهَا مِنْ بَعْدِ مَا ذَكَرَهُ" قال بعد ذلك: "وَمِنْ آيَاتِنَا" و"مِنْ آيَاتِنَا" [الأنعام: 78]، فوصف هؤلاء الصفوة من الأنبياء بالاجتهاء.

وأما الارتداء ففي قوله تعالى: "إِلَّا مِنْ آيَاتِنَا مَنْ رَسَوْلٌ" [الجنة: 27]، فكانه استوحي هذا من الآيات.

ومحمد نبي ورسول، والله خاطبه به "بسم الله الرحمن الرحيم" في آيات (1)

وب"يسرئله الله الرسول" في آيات (2) فخطابه بالصفتين: النبوة، والرسالة.

وهكذا نبي؛ لأنه من أنزل الله عليه النبا العظيم، القرآن... وهو رسول مرسل إلى الناس كافة: "فَلِيُّ وَتَأْخِذَهَا الْكَانُوسَ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى عِيْسَةَ النَّبِيَّةِ مَيَا" [الأعراف: 158] "وَمَا أُسْلِنَّكَ إِلَّا كَانَتَكَ لَيْبَسْهَا" [النساء: 76]

واكثر ما يذكر في صفة الرسالة، لأنها هي المتعلقة بالمكلفين، والمقتضية للبلاغ.

لكن ما الفرق بين النبي والرسول؟


فنجد آيات فيها ذكر الأنبياء وآيات فيها ذكر الرسول.

(1) وعددها (13) آية، منها: الأنفال: 44 و65 و70.
(2) المائدة: 41 و72.
وجوب اعتراف أن محمدًا عبد الله ورسوله، وذكرنا ما ثبت به النبوة

والفرق المشهور بين النبي والرسول: أن النبي من أوحي إليه بشرع

ولم يأمر بتبليغه.

والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

فلفظة النبي لا تشعر بالتبليغ، وكأن هذا التعريف مستمد من لفظة

(نبي)، ولفظة (رسول) ليس إلا، وهذا تعريف غير مستقيم؛ لأن قولهم:

إذا النبي من أوحي إليه بشرع ولم يأمر بتبليغه فيه ملاحظتان:

الأولى: أنه «أوحي إليه بشرع» يدل على أنه يكون على شريعة

يستقل بها.

والثانية: أنه «لم يأمر بالتبليغ»؛ بل إنما هو مكلف بنفسه؛ فكان

الشريعة التي أوحي بها مختصبة به فتيلتين بين يخصه، هذا ما يفيده

هذا التعريف، ومعناه أنه لا يأمر، ولا يدعو، ولا ينهي! وهذا خلاف ما

وصف الله به الأنبياء؟ كأنباء بني إسرائيل، قال تعالى: "إِنَّا أَنزَلْنَا الْقُرْآنَ

فِيهَا هَدٌ وَرَبٌّ يُعْلِمُكُمُ يَا النَّابِئُونَ آتِهِنَّ أَسْلَمْنِى لَدَيْنَا كَفَّارًا" [السماع: 44]

فكان أنباء بني إسرائيل يحكمون بالثوراة، وكانوا يسوسون الناس كما

جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "كانت بني إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما

هلك بني خليفه نبي، وإنه لا نبي بعدي"(1).

والصواب: أن كل بني رسولٍ مأمور بالتبليغ، لكن الإرسال على

نوعين:

الأول: الإرسال إلى قوم مؤمنين بتعليلهم، وفتواهم، والحكم

بهم، وهذه وظيفة الأنبياء.

والثاني: الإرسال إلى قوم كفار مكذبين لدعوتهم إلى الله، وهذه

وظيفة الرسول.

ويهذا يحصل الفرق بين النبي والرسول.

(1) رواه البخاري (8505)، ومسلم (1842) من حديث أبي هريرة ﭽ.
وهو هذا هو التعريف الذي اعتمدته شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب "النبوات". 

إذاً فالإسراح الشرعي فيه هذا التفصيل قال الله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي" [الحج: 52] فتأتيت الإسراح للنبي أيضًا، فإذا ورد ذكر الأنبياء بإطلاق فإنه يشمل الرسل، وإذا ذكر الرسل بإجمال فإنه يشمل كلهم.


ولذا سمى الله تعالى أنبياء بني إسرائيل رسولًا: "ولقد ميتننا موسى الكتاب وألقينا من بعده إبراهيم وناشتنا عيسى بني مريم البشتي وآيدتنا يوح" [القرآن: 77].

فإذا أردنا أن نصف في ضوء التعريف المختار؛ فنوح، وهرود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعبة، وموسى، وعيسى؛ هؤلاء رسل قص الله علينا أخبرهم عن أمهم.

وزكريا، ويهود، وداود، وسلبان، وأيوب أنبياء.

وقالت المعتزلة: إن النبوة لا تثبت إلا بالمعجزات، مثل: عصى موسى ويهود، وغيرهما من الآيات، مثل: انشقاق القمر لمحمد.

وهذا باطل؛ فإن من الأنبياء من لم يذكر الله لهم آيات، لكن قال النبي: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر" (32). فالنبوة تثبت بغير المعجزات، بأدتة من حال المذيع للنبوة، ومن حال ما جاء به، وما يدعو إليه.

(1) رواه البخاري (4981)، ومسلم (152) من حديث أبي هريرة.

(2) 770/2
ففي الصحيحين أن خديجة لما جاءها النبي ﷺ يرجف
ويقول: "إني خشيته على نفسي" قالت له: "كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وكتَّب المعدوم، وتقرِّي الضيف، وتعين على نواب الحقّ"(1).
فاستدلت على صدقه، وحفظ الله له، ووقايتة من شر الشيطان بما هو عليه من الفضائل العظيمة.
وكذلك مما احتَج به على النبوة في القرآن أنه عاش بين أهله ولم يجزَّ معه كذب، قال تعالى: "وإذًا نُعِنِّي عِتْهُم وَمَيْثَكَ تُسَبِّبِ قَالَ الْحَوْلَ الَّذِي لَمْ يَجْرَبَنَّ مِنْهُمْ آتِيْنَا أَيْتَكَمْ عِنْدَ هَذَا أوُلَيْدُهُمْ قَالَ مَا يَكُونَ لَهُ إِنَّ أَيْتَكَمْ لَمْ يُجْرَبَ عِنْدَ الْعَالَمِينِ إِن قَاتَلَ فَلَا يَكُونَ عَذَابَ نَارِي عَذَابَ يُؤْمِنَ عَلَىٰهِمْ وَلَا أَدْرِسُكُمْ يَدُوٰ، فإنه بُيِّن على رأس أربعين سنة من عمره"(2).
وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أن هرقان استدل على نبوته كما تضمنه جواب المسائل العشر التي سأل عنها أبا سفيان بن حرب(3).
وعقلاء الناس يفرقون بين النبي الصادق، والمنتبِّي الكاذب، وإن كان المناطِي يمكن أن يأتي بخوارق وشهوداً، لكن من له عقل حسن لا يلتبس عليه المناطِي الكاذب بالنبي الصادق، بل يعرف ذلك من ملامحه(4)، ومن سيرته، ومن أقواله، ومن أفعاله، قال تعالى:
(1) رواه البخاري (4953)، ومسلم (160) من حديث عائشة.
(2) رواه البخاري (3847)، ومسلم (370) من حديث أنس.
(3) البخاري (7)، ومسلم (1783).
(4) قال عبد الله بن روانة: يمدح النبي:
「أَوَلَمْ يَكُن فِي هَذِهِ أَيَّاتٌ مُبِينَةً كَانَتْ بِدِيهُنَا نُبِيَّكَ بِالْخَبِيرِ」
الإصابة/475.
فالصواب: أن النبوة تثبت بآدلة كثيرة، ولا يتوقف إثبات النبوة على مجرد المعجزات.

وتأمل قوله: "وما كنت تذوا عن بَلَدِهِ من كتب ولا تَحْمَلُونَ إِلَّا أَرْبَابَ الْمَسْتَطِيلَةِ" (العنكبوت) فمن أدلة صدقه أنه جاء بهذا الكتاب العظيم، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، بل يكتب ويقرأ له أصحابه.

فكونه بهذه المثابة من الصدق، والأمانة، والطهر، والشرف، والفضائل، ولا يقرأ، ولا يكتب، ولا اتصل بأحد يمكن أن يتلقي عنه، ثم يأتي بهذا القرآن العظيم المحكم؛ هذا أعظم دليل على صدقه، قال تعالى: "وَقَالُوا لَوْلَا أَنَّى ۖ أَلْهَةٌ عَلَيْهِ عَابَتُ مِن رَّبِّيۡنَ". قال إنما أنا أَلْهَةٌ عَلَيْهِنَّ، وَلَمْ أَنْبَأْنِى عَلَىٰكَهُنَّ مَعْذَبًا، وَلَمْ أَرْبِدْنِى عَلَىٰهُمْ إِلَّا ذِیلَةً رَّحِحَةً وَدِينَكَ ۖ رَبُّكَ ۖ رَبُّكَ ۖ سَلَّمُ ۖ رَبُّكَ ۚ دَرْكَانَا لَمْ نُؤْمِنَ لِعَبْدَكَ عَلَىٰ إِلَّهِنَا " (العنكبوت).
من خصائصه أنه خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين

قوله: "أوإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأنبياء، وسيد المرسلين".
أي الذي ختم به الأنبياء فلا نبي بعده، وقد دل على ذلك قوله سبحانه: "ما كان محمدًا إلا آخر مين إنجيلكم ولكن رسول الله ومختار النبيين" [الأحزاب: 40]، وقال تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" [آل عمران: 144]. فجميع الرسل والأنبياء قد مضوا قبله، فلا نبي ولا رسول بعده.

وقد دلت نصوص كثيرة من السنة على أنه لا نبي بعده، فمن أسمائه العاقب وهو الذي جاء بعد الأنبياء، فلا نبي بعده (1).

وفي حديث ثوبان عن النبي ﷺ: "إنه سيكون في آمن كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي" (2).

وهذه قضية معلومة من دين الإسلام بالضرورة ليس في ذلك اختلف ولا خفاء؛ بل هو أمر ظاهر مثل الشمس، ومن شيك في أنه خاتم النبيين فهو كافر، فضلا عن من يدعى النبي، أو يصدق مدعه.

إذا؟ فلا بد في شهادة أن محمدًا رسول الله من الإيمان بأنه خاتم الأنبياء.

---

(1) تقدم في ص 84.
(2) رواه أحمد 5/278 وأبو داود (4256) والترمذي (2119) وصححه، ونحوه في البخاري (6709)، ومسلم في الفتن (157) من حديث أبي هريرة ﷺ.

فمن اعتقد أن أحدًا يسع الخروج عن شريعة محمد فهو كافر، فضلاً عن من ادعى ذلك لنفسه.

ومن اعتقد أن اليهود والنصارى لا يلزمهم اتباع محمد فهو كافر، قال النبي ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"، وقال ﷺ: "لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي".

وعيسى ينزل في آخر الزمان، ويحكم بشريعة محمد فشريعة محمد لازمة لجميع البشرية، ولا يسع أحدًا الخروج عن شريعةه.

قوله: "وفيها الأنبياء".


(1) رواه مسلم (153) من حديث أبي هريرة.
(2) رواه ابن أبي شيبة 459/3، وأحمد 3/328 من حديث جابر، وانظر: إرواء الغليل 6/34.
(3) رواه مسلم (155) من حديث أبي هريرة.
 من خصائصه أنه خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين

قوله: "وسيد المرسلين".

أي: أفضلهم، ودليل ذلك قوله: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة".

أي: هو أفضل ذريه آدم من أولهم إلى آخرهم بما فيهم من الأنبياء والمرسلين، ومن الأدلة أيضا: أنه يوم القيامة عندما يطلب الناس الشفاعة من آدم، وأولي العزم فيترأدونه حتى ينتهي الأمر إلى النبي، فيقول: "أنا لها، فأستأذن على ربي، فوئذن لي ويلهمي محامد أحمد به لا تحضرني الآن، فأحمد به تلك المحامد، وأخرج له ساجدا، فيقال: يا محمد أرفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعط، واعف شفع".

ووهذا هو المقام المحمود الذي خصّه الله به وفضله به قال تعالى:

"قَدْ رَزَقَكُمْ رَبُّكَ مَا كُنتُمْ تَتَّجَاهُونَ" ([الإسراء: 72])

وله لا شك أن الأنبياء والرسل متفاضلون بنص القرآن، فأفضلهم على الإطلاق محمد، وسلمه إبراهيم، وسلمه بقية أولو العزم، وهم في المشهور عند أهل العلم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وهم المذكورون في قوله تعالى: "وَلِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَلَا يَأْتِيهِمْ يَدٌ مِّنَ الْخَسَرَاءِ يُؤْتِيَهُمْ وَيُؤْتِيَهُمْ نِيَابً عَلِيَّةً [الأنبياء: 60]«. فأفضل الأنبياء والرسل هم أولو العزم، وأفضلهم الخليلان، فأنا عليهم قد أخبر أنه اتخذ إبراهيم خليلا، و"أتخذ الله إبراهيم خليلا" ([النساء: 125])، وأخبر النبي أن الله اتخاذ خليلا كما اتخاذ إبراهيم خليلا.

---

(1) رواه مسلم (2778) من حديث أبي هريرة.
(2) رواه البخاري (510) ومسلم (192) من حديث أنس.
(3) تفسير الطبري 15/43.
(4) سيذكر به في الفقه: 96.

فالتفيه عن التفضيل على سبيل التعصب، أو الذي يتضمن تقُص الأنياب، أما التفضيل لبيان الواقع ولاعتقد الحق، وإنزال كل منزلته فهذا لا بد منه، فالرسول نُهِي بفضله، لأنه لا يعلم إلا من جهته أو من القرآن، والله تعالى نص على التفاضل بين الأنياب: «الآخر فضلنا بَهَا عَلَى بَضَعِينَهَا مِن كَلِمَتِ الله وَقَرَّ بَصَرَهَا دَرَجَتَينَ وَأَنَبَيْتَا يَسِىَّ أَبِي مُحَمَّدَ بْنِ يَسِىَّ» [البقرة: 253].

(1) رواه البخاري (4414)، ومسلم (2273) من حديث أبي هريرة.
وقوله: «وحبيب رب العالمين».

«حبيب» بمعنى محبوب له، والله تعالى يحب الرسول والأنبياء، والصالحين، وكل مؤمن له حظ من محبة الله تعالى؛ فإن الله تعالى يحب المتقيين، والتوابين، والمتطهرين، والمسكينين، والصابرين، والمجاهدين (إِنَّ اللَّهَ يُعْبُدُ الَّذِينَ يَتَّقُونَ). في سيبيله، فما كان له بَيْنَ مَرْصُوعٍ [الصنف] إذًا؛ وصفه بأنه حبيب رب العالمين لا تظهر فيه خصوصية؛ فكل نبي، وكل مؤمن فهو حبيب لرب العالمين، فمثلًا: علي عليه الصلاة و السلام حبيب رب العالمين قال النبي ﷺ: «يحب الله ورسوله و يحجه الله ورسوله» (1)، ولقد كان اللائق بالمؤلف أن يقول: وخليل رب العالمين؛ لأن المحبة مشتركة بين جميع المؤمنين، وعباد الله الصالحين.

أما الخيلة فمن خصائصه مع إبراهيم ﷺ، والخيلة أعلى مراتب المحبة؛ فالخليل هو أحباب العبادة إلى الله، والله أخبر في كتابه أنه اختر إبراهيم خليلًا (أَوَّلَ جَمْهُرٍ أَنْ تَعْمَدْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (النساء: 125) وثبت في السنة الصحيحة أن الله اختر محمدًا خليلًا، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «ألا إني أبأر إلى كل خليل من خليله، ولو كنت متخذا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، إن صاحبكم خليل الله» (2)، وفي الحديث

(1) رواه البخاري (5009)، ومسلم (246) من حديث سهل بن سعد.
(2) رواه مسلم (2382) من حديث ابن مسعود ﷺ.
الآخر: "إن الله اتخاذني خليلًا كما اتخاذ إبراهيم خليلًا"(1) فإبراهيم محمد خليل رب العالمين، ففية إثبات صفة المحبة لله، وأنه يحب إبراهيم ومحمدًا محبة تامة، وذلك؛ لأنهما أكمل الأنبياء توحيدًا، ومباعدة من الشرك والشركاء، فكان المناسب أن يقول المؤلف:
(وخليل رب العالمين).
وكلٌّ من السوفية يعبر عن الرسول ﷺ بأنه (حبب الله) ويبردون مثل هذا، ولا يعلمون أن هذه ليس فيها خصوصية، ومزية بيئة(2).
وقد روي أن النبي ﷺ قال: "إن إبراهيم خليل الله... وأنا حبيب الله ولا فخر"(3) فجعل الخلي لإبراهيم، والمحبة له، وهو حديث ضعيف معارض للأحاديث الصحيحة، ولا يصح صناد ولا متنا.

(1) رواه مسلم (532) من حديث جندب ﷺ.
(2) العبودية ص 40، وروضة المحبين ص 47، وانظر: ص 198.
(3) رواه الدارمي (47)، والترمذي (3616) وقال: حديث غريب - من طريق: زمعة بن صالح، عن سلامة بن وهرام، وزمعة ضعيف، وسلمة ضعيف، وخصوصًا إن روى عنه زمعة. تهذيب التحذيب 1/ 635، و2/ 79.
قوله: «وكل دعوى النبوة بعدده فغٍ وفوعٍ». 

هذا نفي وإبطال لدعوٍ نبوة بعد النبي ﷺ، وهذا هو مقتضى أنه خاتم الأنبياء، فإذا علم بالضرورة أنه خاتم الأنبياء، فيعلم بالضرورة أن كل دعوى للنبوة بعدده فغٍ وفوعٍ، وهي من الغي ضد الرشد، ومن الهوى ضد الهدى.

فكل دعوى النبوة بعد مبعوثه سواء كانت في حياته أو بعد مماته فهي دعوى باطلة، ومن يدعو النبوة بعد رسالته فهو من أكذب وأظلم الخلق قال الله تعالى: «وَمَنْ أَفْلَحَ فَخَالَدَهُ فِي جَنّةٍ مَعْنَى آنَالِ اللَّهِ وَمَنْ قَالَ أَوْحَى إِلَى** 

وَلَمْ يُبَيِّنَ إِلَيْهِ صَوْرَةً وَمَنْ قَالَ سَأَلَ مِثْلَ مَا أَنْرَى للهِ [الأنعام: 3].

وقد ادعى النبوة في حياته مسيلة الكذاب، والأسود العنيسي(1)، وادعى غيهم بعدده، وأخبر عن ذلك كما في حديث ثوبان: «إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي»(2) فكل من يدعو النبوة فهو كاذب، ولا نحتاج إلى أن ننظر فيما عنده إلا لبيان كذبه لمن قد يلتقي عليه أمره.

---

(1) البخاري (662 و373 و477 و277)، ومسلم (477 و277).

(2) تقدم في ص 91.
عموم بعثته للجن والإنس

قوله: "وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى".

وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى - أي - الناس، وكلام الطحاوي فيه مراعاة للسنجع لينسجم هذا الكلام مع ما تقدم من العبارات.

فهو مرسى إلى الثقنين - الجن والإنس - وهذا تقرير لعموم رسالته، وهذا معلوم من الدين بالضرورة (1)، ولا يكون الإنسان شاهد بأن محمدًا رسول الله حتى يشهد بأنه رسول الله إلى الناس كافة قال تعالى: "قل: "يَا أَيُّ هُوَ الْقَوْلُ إِلَى الْرَّسُولِ الَّذِي إِلَيْهِ يَصِبُّ مَسِيحُ الْمُقَدَّسُ" (الإعراف:108)

و"وَمَا أُسِلِّمَتْ إِلَى سُكَانَ الْجَنَّةِ " (سب:28) إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الأدلة على إرساله للجن سورة الرحمن، والآيات من سورة الأحقاف، وخطاب الثقنين في سورة الرحمن. قال تعالى: "قل أُوحِيَ إِلَىٰ أَنْتُهُ مِنْ أَلِيِّي فَأُقَاوِي إِنَّا سَيَمِنُّا فَرَءِيَانِي " (الحرية:18) نبيته إلى الرسول. فكانته "وَكَانَ نَبِيَّاً أُخْرِجَتْ إِلَى النَّارِ " (الجبريل:6) إلى آخر السورة.

وفي سورة الأحقاف: "وَقَدْ صَرَّفتَ إِلَيْهِ نَذَرَتْ أَنْ آتِيَ الْجَنَّ يَسْتَيْعَبُونَ الشَّرَكَانِ " (الاحتفال:8) الآيات.

وفي سورة الرحمن ذكر الله خلق الثقنين، وخطابهما وذكر جزاءهما قال تعالى: "كَمَّعَسَّرْ أَلِيِّيِّ آلِ الْإِنْسِ " (الرحمن:32)، "وِيُسْلِمُ عَلَيْهِمَا شَرَاطٌ يَنَ" (الرحمن:32).

(1) انظر: إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للثقنين لشيخ الإسلام ابن تيمية.
وهي الشواهد (ويليام غايف، دينج تان) (أي نازك، ركبتهم ليوم القيامة) [الرحمن]، إلى آخر السورة.

ويظهر من آيات الأحقاف أن موسى كذلك مرسى إلى الجن.

قال تعالى: (وإذ ضغفت إليك نفق من الجين يشيعون الفرسان فلما حضرتم قالوا: أصروا فلتنا فقصوا رذولا إلى قومهم مذجرين، قالوا: بلقومنا إن سئمعنا حكمتنا أنت مبنود.) [الأحقاف: 29-30].

واختلف الناس هل من الجن رسى، أم الرسول كلهم من الإنسان؟

جمهور أهل العلم على أن الرسول من البشر، وأما الجن فمنهم دعاء ونذر، قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً نوحياً أثنى على مومنين آخرين.) [يوسف: 109] وإذا صح وعلم باللوحي أن الرسول مرسى إلى الجن، وموسى كذلك؛ علم أن إرسال الإنسان إلى الجن يحصل به قيام الحجة عليهم.

واستدل أهل القول الثاني بقول الله تعالى: (لكن حذر بيني وبين الإنسان.) [الأعراف: 130] فخوطف الجمهور: الجن والإنس بقوله تعالى: (أولما يأتيكم رسول يكتم يقتلون عليكم أين ونذرزكر ليلة يومكم هذا) [الأعراف: 130]

وقال الجمهور: إن هذه الآية محتملة ولست صريحة، والمراد من المجموع؛ لأن الخطاب للجميع.

وال أمر في هذا سهل؛ والمقصود: أن الجن والإنس كلهم مكلفون، وقد خلقهم الله لعبادته، وأقام الحجة عليهم، ومنهم جميعاً المؤمن والكافر، والصالح والطالح.

والجن عالم غيب وإن ظهروا للناس وتمثلوا بأشكال مختلفة، وهم (1) تفسير الطبري 9/561، ومجموع الفتاوى 4/234، وطريق الهجرتين ص: 416.
كثر، ويعيشون على الأرض مع الناس، ولهم صفاتهم، ويأكلون ويشربون ويتوالدون، ومنهم الذكور والإناث، قال تعالى: "وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَجَلُّونَ" 
من الجن يعودون ينكالون من الذين فردوهم رقفاً [الجنة]. وفي القرآن والسنة من الأخبار عنهم شيء كبير، ومن ينكر وجود الجن فهؤ كافر.
وقوله: "بالحق والهدى، والثورة والضياء".


فهذا الذي ذكره المؤلف جملة من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، وله خصائص كثيرة فضل بها على سائر الأنبياء، منها ما يختص به، ومنها ما يتعلق بأمته، مثل قوله: "أعطيت خصما لم يعهنه أحد قبله; نصرت بالرعاب مسيرة شهر، وجعلتها لي الأرض مسجدا وظهرا؛ فأيما رجل من أتى أدركه الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه
خاصة، وبعثت إلى الناس عامة، وفي حديث آخر: "فَضَلَّ عَلَى الأَنْبِياء بَسْتَ: أَعْطِتِ جَوَامِعَ الْكَلَّمِ، ونَصَرَتِ بِالرَّجَبِ، وآَهَلَتِ لِيَ النَّفْقَ، وَجَعَلَت لِلأَرْضِ تَنْهَرًا وَمَسْجِدًا، وَأَرَسَلَت إِلَى الْخَلْق كَافَةً، وَخَتَمَ بِي النَّبِيَّ(٢)"

وَخَصَائِصِ الرَّسُول كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ أُمِّي أَهْلِ الْعَلَمِ بِجَمْعِهَا(٣).

وَحَقَّ عَلَى أَمْتِهِ الْإِمَامُ بِهٍ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَمَحْبَبِهِ فَوْقَ مَحْبَبِ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْمَالِ وَالنَّفْسِ، قَالَ النَّبِي(٤): "ثَلَاثَ مِنْ كَنْفِ فِي وَجَدِ حَلَوَاةِ الْإِمَامِ: أَنْ يَكُونِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْبَبُ إِلَيْهِ مَعْمَ سَوْاهَا..."

الحديث(٥).

وَقَالَ: "لَا يَأْمُنُ أَحْدَكَمْ حَتَّى أَكُونَ أَحْبَبٌ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلْدِهِ، والْنَّاسِ أَجْمَعِينَ(٦)"

وَتَحْقِيقٌ مَعْلُوَّمَةٌ تَكُونُ بَامْثَالٌ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابٌ نَهْيٍ، وَتَصْدِيقَهُ، بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، وَالْتَقْرِيدُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِما جَاءَ بِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ تَحْكِيمَهُ، وَالْتَحَاَكَمِ إِلَى شِرْعِهِ، قَالَ تَعَالَى: "فَلَا وَرَبِّيَ لَكَ يَمْنُورُكَ حَتَّى يَكُونَ مُحْكُومًا فِي مَا شَجَرَ بِيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعَلَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا يَمْنَأً فَقَضِيتِكَ وَتَسَلُّمْنَا شَلَيْكَا(٧) [العدو]."

وَالْنَّاسِ فِي شَأْنِ الرَّسُول ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ:

مِنْهُمْ: مِنْ نَفْلِهِ وَيَجْعَلُهُ لِلْنَّاسِ عِلَمًا إِلَهِيَّةٌ.

مِنْهُمْ: الْجَافُونُ المُقَصُّرُونَ، وَشَرِيرُهُمُ المَكْذُوبُونَ، وَكَذَلِكَ

(١) رُوِاهُ الْبَخَارِي (٣٣٩٥) - وَالْفَلِيْهِ لَهُ، وَمَسْلِمَ (٥٢١) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ دَيْبَةَ.
(٢) رُوِاهُ مَسْلِمَ (٥٢٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِيهِ هَرِيرةَ.
(٣) كَدَائِيَةُ السَّيِّدَةُ فِي خَصَائِصِ الرَّسُول لَابِنِ المَلِقَنِ، وَ"الْخَصَائِصِ الكَبْرِيَّةِ" للسَّيَّوِيِّ، وَ"الْخَصَائِصِ المُصْطَفَىَّ بِنِ اللَّغْوِ وَالْجَفَاَ" لِلشَّادِّيَ بِنِ مَحَمْدٍ.
(٤) رُوِاهُ الْبَخَارِي (١٦١)، وَمَسْلِمَ (٤٣٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِيهِ.
(٥) رُوِاهُ الْبَخَارِي (١٥٥)، وَمَسْلِمَ (٤٤٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِيهِ. 
المعرضون عن سنته، والمقصرون في تحقيق متابعته وطاعته وتحكيمه.
والوسط من آمن به وصدقه، واتبع أمره، وترك نهيه، وعبد الله بشرعه.
عقلية أهل السنة في القرآن، والرد على المخالفين

وقوله: "وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقتنا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده سقر، حيث قال تعالى: "تأمّله سقر" [المدثر] فلما أوعد الله سقر لمن قال: "إنا هذى إلا قول اللبقر" [المدثر] علمنا وأيقتنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر، ومن وصف الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبار، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه صفاته ليس كالبشر.

قوله: "وإن" هذا عطف على ما سبق، مثل ما قلنا في قوله: "وإن محمدًا" يعنى: ونقول في القرآن معتقدين بتوفيق الله: "إن القرآن كلام الله أي: نُفَرَّن ونعتقد أن الكتاب المنزل على محمد المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس هو كلام الله، تكلم به تعالى، وأنزله على رسوله، كما قال تعالى: "فَأَقْتُلُونَ سَرْقًا، فَخَلَصْنَاكُمْ مِنْ ذَٰلِكَ ظَلَامًا [النور: 42]"، وقوله: "يَتَبَيَّنُونَنَا مَا كَتَبْنَا لَكُمْ وَمَا فَرِيقَ بَيْنَ مَنْ يَتَبَيَّنُونَ سَرْقًا، فَخَلَصْنَاكُمْ مِنْ ذَٰلِكَ ظَلَامًا [البقرة: 175]"، وقال تعالى: "يَبْتَغُونَنَا مَا كَتَبْنَا لَكُمْ وَمَا فَرِيقَ بَيْنَ مَنْ يَبْتَغُونَنَا مَا كَتَبْنَا لَكُمْ [الفتح: 15]"، فالقرآن كله "كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله".

(1) ص 84.
الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف(1)، (التر) [البقرة] كلام الله، «ذِلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبِّ فِيهِ» [البقرة: 2]، كلام الله تكلمه تعالى بما فيه من أوامره ونواهيه وأوامر
وقوله: «بلا كيفية» يعني: بلا كيفية معقولة لنا، لا بد من هذا التقييد، فلا يقول: إن الله تكلم على هيئة كذا وكذا، أو بصفة كذا وكذا.
وقوله: «قولًا» مصدر مؤكد لقوله: «منه بدا بلا كيفية»، أي: بدا من الله كلامًا مسموعًا، سمعه جبريل، وبلغه محمدًا ﷺ، وأهل السنة يقولون: «إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدا، وإليه يعود(1)»، ومعنًى: «إليه يعود»: ما ورد في الآثار: أن القرآن يُسرى عليه في آخر الزمان، ويرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى له وجود في الأرض(2)، وهذا عندما يُعطَل، وينتهي الأجل المعدود والمحدود بتكليف العباد، وأمرهم ونهيهم بهذا القرآن.
وقوله: «وأنزله على رسوله وحيًا» بدأ من الله قولًا، وأنزله وحيًا على رسول محمد ﷺ بواسطة الرسول جبريل ﷺ، قال تعالى: (وَأَنزِلَهُ بِالْقُرْآنِ عَلَى ﺔُحْيَى مَعْنًىٰ مِّنَ الْكُبُرَاءِ يَسْتَفْعَاءً عَالِمًا ثُمَّ يَذْكُرُ وَيَذْكُرُ) [الزخرفة: 77].

---

وقوله: "صدقه المؤمنون على ذلك حقا" صدق المؤمنون
الرسول فيما جاء به تصديقا، والنبي لما أرسله الله ودعا الناس
رومو وصفه، ووصفو بالشعر، والكهانة، والجنون، والسحر، وصدقته
من صدقه، وأول من صدقه خديجة بنت خويلد أم المؤمنين السيدة
العظيمة، وفازت بهذا الفضل العظيم، ثم آمن به بعض الناس على قلة
من الأحرار والعبيد: واحد، واثنين، وثلاثة، حتى تتلوا الناس على
الإيمان، حتى دخلوا في دين الله أفواجا، وعولما المؤمنون صدقوا بأن
القرآن كلام الله، وأن محمد رسول الله، وأن ما جاء به من عند الله.
وقوله: "حقا" مصدر مؤكد لقوله: "صدقه"، كأنه قال: صدقوه
تصمداً، والمصدر المؤكد يشرط أن يكون من لفظ الفعل، كما إذا
قيلت: "نمت قيامًا"، أو من معناه كما إذا قلت: "نمت وقفا".
وقوله: "وأيقنوا أن كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق كلام
البرية": أي: وأيقن المؤمنون الذين صدقوا: أن القرآن كلام الله على
الحقيقة لا المجاز، ومعطلا من الجهميّة والمعتزلة يقولون: إنه
كلام الله، لكنه مخلوق، فإضافته إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه، فليس
هو كلام الله على الحقيقة، لأنهم يعتقدون أن الله لا يتكلم!
إذا؛ فالقرآن عنهم ليس كلاماً تكلم الله به، ولا يخصون القرآن
بهذا، فكل كلام الله عنهم مخلوق حتى الخطاب الذي نويده به
موسى في الوادي المقدس زعموا أن الله خلق كلاماً في الشجرة
سمعه موسى!
وردَ عليهم أهل السنة بأن هذا يقتضي أن الشجرة هي التي قالت:
"إِنَّ مَا أَلَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَاَ أَنَاَ" [طه: 14]؛ لأن الله إذا خلق كلاماً في بعض
مخلوقاته، فالكلام لا يوصف به إلا من قام به الكلام.
وهذه المسألة هي التي نشأت عنها فتنة القول بخلق القرآن، حتى
حُمل الناس على هذه البدعة بالقوة، وامتُجِن العلماء، وعلى رأسهم إمام
أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل (1).
وأما الأشرعة فذهبهما في القرآن ملفق، فيثبتون الكلام الله،
ولكن ما هو الكلام الذي يثبتونه؟ يقولون: إن كلام الله معنى نفسي
قديم واحد.
هذا ضابط كلام الله عندهم، فهو عندهم: معنى واحد، تقديم قائم به
سماحة لازم لذاته لا تتعلق به المشيئة، ليس بحروف وأصوات،
ولا يسمع من الله، هذا تحرير مذهبهم.
وعلى هذا: فالقرآن المسموع، المتلو، المحفوظ، المكتوب،
عبارة عن ذلك المعنى النفسي!
إذًا، فحقيقة قولهم: إن هذا القرآن مخلوق للدلالة على ذلك
معنى النفسي.
فالجهمية والمعتزلة والأشعرة كلهم يقولون: القرآن كلام الله، لكن
كل على أصله.
فالجهمية والمعتزلة: يريدون أنه مخلوق الله، وإضافته إلى الله من
إضافة المخلوق إلى الخالق. والأشهرة يقولون: إنه كلام الله، فهذا
الكلام المكتوب في المصاحف دليل على المعنى النفسي، وفي هذه

(1) انظر: "ذكر مجهزة الإمام أحمد لحنين بن إسحاق، ومناقب الإمام أحمد
لابن الجوزي ص 432، و"سير أعلام النبلاء" 232/11.
(2) انظر مذهب الناس في كلام الله، وتقرير مذهب أهل السنة في:
منهج السنة 358/2، ومجموع الفتاوى 12/162، والكافية الشافية ص 47، ومختصر
الصواعق 4/1302.
يقتربون جدًا من الجهمية والمعتزلة، فليس بينهم كبير فرقي؛ لأن النزاع
في هذا القرآن الذي يحفظه المسلمون، ويسمعونه، ويتلونه، ويكتبونه.
وأهل السنة والجماعة عندهم: أن القرآن كلام الله على الحقيقة.
كيف ما تصرف: مكتوبًا، ومحفوظًا، وسموًعاً، ومثلًا.
فالكلام المكتوب في المصاحف هو كلام الله، وما في صدور
حقيقة القرآن هو كلام الله، وما ينطقونه الثالون هو كلام الله، لكن الصوت
صوت الفارق، والكلام الملموّ克莱ام البارز، وكل عاقل يفرق بين الكلام
الذي يبدؤه المتحدث، وبين كلام غيره حين يقرأه، فالكلام إنما يضاف
حقيقة إلى من قاله مبدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا.
فإذا سمعت إنسانًا يقرأ الحديث "إِنما الأعماَل باليَنيات"، تقول:
هذا قول الرسول ﷺ، ولا تقول هذا كلام الذي قرأ الحديث؛ لأن
القارئ يقرأ كلام النبي ﷺ.
وإذا سمعته ينشد قصيدة للشاعر امرئ القيس، فإنك لا تقول: هذا
كلام فلان الذي ينشد القصيدة؛ بل تقول: هذا كلام امرئ القيس.
فالقرآن هو "كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق"، كما تقول
الجهمية والمعتزلة والأشاعرة "كلام البرية" فالبشر وكلامهم، وأفعالهم،
وصفاتهم مخلوقة.
وقوله: "فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله
وعاهب وأوعده بسفر، حيث قال تعالى: "فقضي سفر".
فمن سمع القرآن فزعم أنه كلام البشر، أسأله محمد فهو كافر,
مكذب للرسول ﷺ، مفتر على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ.
ويشير المؤلف إلى الآيات من سورة المدثر النازلة في أوله بن

(1) رواه البخاري (1)، ومسلم (1907) من حديث عمر ﷺ.
(2) د.د تعارض العقل والنقل 259/1، ومناظرة الواسطية 172.
المغيرة، فإنه جاء إلى النبي ﷺ فسمع القرآن فرق له، فجاء إلى قريش فأنشئ على القرآن، فعابوه، فلما عيروه بذلك أراد أن يحتفظ بمكانته نسأل الله العافية - فقال ما أخبر الله به عنه: "ذري وث قلعت وثيدا وتعلت لق ما محدودا وثين شوكة وهمدت لق مثيدا ثم يطبع أن أريد كلا إيمان كان نبيتا عيدا سارهما صفوا ثم دفر وندر ثم جليل كف فذر ثم قيل كيف ذر ثم نظر ثم عبس ونسر ثم أدر كف فذر وقال إن هذا إلا خمر ينقر إذ هذا إلا قول البشر سألته سير وما أدرك ما ستر لا تبكي ولا نقر لا تبكي ولا نقر لوانته فناءة

وقوله: "فلما أوعد الله بسقر لمن قال: "إنه هذا إلا قول البشر" "علمنا وأبقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر".

لما علمنا أن الله ذم وتوعد من قال: إن قول البشر! علمنا أنه قول رب العالمين، لا قول البشر، ولا يشبه قول البشر، وأيضاً كان القرآن معجزا تحدى الله الثقاب أن يأتيوا بمثله، أو بعشر سور، أو بسورة من مثله، قال تعالى: "قل أين لاجتذب الله الإنثى واحده على أن يأتيوا يطل عين هذا القرآن" لا يقولون صدقيا ولا كاب حمهم ليضجو ظهورا لا يظرون أقربهم فلا يأتوا ببعضهم مفروغين وآءدوا من استطعنهم من دون أن نكن صدقيين (5) [الإسراء] وقال تعالى: "أتم أقولون أقربهم فلا يأتوا يشترون يطيل وآدوا من استطعنهم من دون أن نكن صدقيين (6)

(1) رواه الطبري في تفسيره 329/429، والحاكم 5/396 وإسناده صحيح. وصاحب، موصولا، وفي حديث حماد بن زيد، عن أبي، عن عكرمة قال: جاء الوليد بن المغيرة... وهذا فيما رواه يوسف بن يعقوب الفاضلي عن سليمان بن حبيب، عن حماد، هكذا مرسلا. وكذلك رواه معيرو، عن عباد بن منصور، عن عكرمة مرسلا. ورواه أيضًا: معيرو بن سليمان، عن أبيه، فذكره أثم من ذلك مرسلا. وكل ذلك يؤكد بعضه بعضًا.
شَرَحِ المُقِيْدَةِ الطَّحاوِيَةِ

[يونس]، وقال تعالى: «وَإِنَّ مَسْجِدَكَ فِي رَبِّ یَمَّا كَانَ عَلَيْهِ عَبْدًا فَأَنْفُسُهُ». 

وقوله: "ولا يشبه قول البشر" لا في بيانه وفصاحته، ولا في معناه; لاحتماله على المعاني العظيمة، فقد بلغ الغاية في الصدق في أخباره، والعدل في أحكامه: "تَزِيَّنَ بَيْنَ حَاكِمٍ وَمُهْتَمٍّ" [فصلت: 421]. "تَزِيَّنَ بَيْنَ الرَّجُمِ الَّذِيْنِ" [الجَيْفِ: 36]. "تَزِيَّنَ الْكِتَابِ بِنِعْمَيْهِ الْقَرِيرِ الْفَكِيرِ" [الزرار، لا يشبه قول البشر، مع أنه كلام، وقول البشر كلام، ولذا قال بعض أهل العلم: "إن افتتاح السور بالحروف المقطعة فيه تشبه على الإعجاز، وأن القرآن كلام مؤلف من هذه الحروف التي يتألف منها سائر الكلام: (ا ل م ر ص ط ه ك ع ق) فهو حروف وكلمات، وسور وآيات.

وقوله: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكبران أنجزر، وعلم أنهصفاته ليس كالبشر".

يُعْني من شبه الله بخلقه فقد كفر؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى: "لَيْسَ كَيْلَمُهُ شَيْءٌ وَهُوَ الْأَعْلَى الْبَصِيرُ" [الشورى: 11]. "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَكْفَوًّا أَحْكَمَ" [الإخلاص].

فأنت تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أعماله، قال الإمام نعيم بن حماد: "من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه.

(1) الكشاف 1/69، والجامع لأحكام القرآن 1/388، وتفسير ابن كثير 1/160.
(2) نعيم بن حماد الخزاعي الإمام العلامة صاحب التصانيف كان صلبيا في السنة شديدًا على الجمعية، روى عن ابن المبارك والفضل وابن عيينة وغيرهم، وروى عنه: يحيى بن معين والبخاري وأبو داود وغيرهم. قال الخطيب: "إن أول من جمع المسند وصنفه نعيم، توفي عام 229 هـ. سير أعلام النبلاء 595/10.
ولا رسول تشبهه»(1).

وقوله: «فمن أبصر هذا اعتبر».

من أبصر هذا عقله وبصيرته اعتبر وحذر من حال المكذبين، وانزجر عن المقالات الباطلة، كقول الوليد بن المغيرة، وقول الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

فالقرآن كلام الله، والله تعالى يتكلم بما شاء إذا شاء، وكلام الله يسمعه من شاء الله بلا واسطة.

والأدلة على إثبات كلام الله كثيرة ومتنوعة ففي القرآن قوله تعالى:

«قال الله هذا يوم يقطع الصميم صدفهم» (المائدة: 119)، «وَلَمْ تَنَادُهُمْ فَقَالُوا مَا أَجَابَهُمُ الْمُرْسَلُونَ» (النساء: 124)، «وَلَمْ تَجِدْ مَعْلُومًا لَّهُمَا وَاَلْمُرْسَلُونَ» (الأعراف: 143)، «فَلَأَتْخُذَّلَ مَعَهُ مِن كَانِهِ كَانَ قَالَ عَلَيْهِ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الْوَلَّدَ الْآَمِينَ» (البقرة: 6) فقد جاء ذكر الكلام بلفظ القول، والكلام، والكلمات، والنداء، والمناجاة.

والله كلام موسى وناداه ونائفه، ناداه بصوت مرتفع، وناجا بصوت خفي، قال تعالى: «وَنُذِينَكَ بِنِسْبِ أَلْقَوْى الْأَلْدَمْيَانِ وَقَرْنَتِهِ تَيِّيًا» (مرiem)، فموسى كلام الله، ونجل الله؛ لأن الله ناجاه، وهو تعالى يوصف بالمناداة، والمناجاة، والتكليم.

والخليط يوصف بالمناداة، والمناجاة، والتكليم، ولكن نقول: ليس التكليم كالتكليم، ولا المناضدة كالمناداة، ولا المناضدة كالمتاجزة، كما نقول: إن حياته ليست كحيات المخلوقين، ولا علمه كعلمهم، ولا قدرته كقدرتهم، فالقول في الصفات واحد ولا فرق، وهذا أصل معقول صحيح.

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة 3/587، وتاريخ دمشق 2/163/22، والعلو 1093/2.
إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة

قال رحمه الله تعالى: "والرؤية حقًا لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: (وَبِمَا يَقُولُ قَائِمُهَا إِلَّا رَبُّكَ كَأَبْرَزٍ) [القيامة]. وتفسيره على ما أراد الله تعالى، وعلمه." 

أي رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم ثابتة وواقعة، فيجب الإيمان بأن المؤمنين يرون ربه يوم القيامة عيانًا بأبصارهم.

وقوله: "بغير إحاطة" أي: يرون ولا يَحْيِطُونَ به، فلا يرون رؤية يدركون بها من كل وجه، فهو تعالى أعظم من أن يَحْيِطُ به العباد، فإنهم: (لا يَحْيِطُونَ بِهِ عَلَمًا) [ط: 110]، وكذلك لا يَحْيِطُونَ به رؤية، قال تعالى: (لا تُحِيطُونَ الْبَصُّرَةَ) [الأنعام: 103] أي: لا تُحِيطُ به الأبصار.

وقوله: "ولا كيفية" هذا يصح إن أريد به نفي العلم بالكيفية، ولا رؤية المؤمن لربه لها كيفية، ولكنه تعالى كيفية، لكن لا نعلمها، فالنفي للكيفية متعلق بالعلم، فيكون المعنى: بغير إحاطة ولا كيفية معلومة لنا.

ومسألة الرؤية، مسألة عظيمة افترقت فيها الأمة، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن المؤمنين يرون ربه يوم القيامة عيانًا بأبصارهم، يرونها في عرصات القيامة - أي: مواقعها -، ويرونه في الجنة، كما يشاء: (وَيَرَى الْجَنَّةَ) [القيامة] وينعمون بالنظر إلى ربه، (وَيَرَى الْجَنَّةَ) [القيامة] وفي الآية الأخرى: (وَلِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) [المطففين].

قال حرّي: (وَبِمَا يَقُولُ قَائِمُهَا إِلَّا رَبُّكَ كَأَبْرَزٍ) [القيامة].
وياأتي متعدياً بالفي فيكون معناه: التفكر، قال تعالى: "أَوْلَىٰ يَنظُرُوا فِي مَلَكِوتِ السَّمَوُاتِ وَالْأَرْضِ [الأعراف: 185] وقال تعالى: "أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ [الروم: 8]."
وياأتي معاً بال"إلى" فيراف به نظر العين، قال تعالى: "أَلَّا يَنظُرُوا إِلَّا الْحَاكِمُ قَوْمِهِ" [النجمة: 17] وقال تعالى: "أَلَّا يَنظُرُونَ إِلَّا الْبَلَّامِي" [البقرة: 22]، وما استدل به على إثبات الرؤية من القرآن قوله تعالى: "لَيَّنَّ أُحْمَرُوا لِفَتْحَانِهِمْ وَزِيَادَةُ [يونس: 66]، وقد بَيْن النبِي ﷺ أن الزيادة: هي النظر إلى وجه الله الكريم(3)، وفي معناها: قوله تعالى: "فَمَا تَكَامِنَ فِي وَضْنٍ وَأَبَدًا مَّزِيدٌ [ق: 44]."
كما استدل أهل السنة بقوله تعالى في الكفار: "لَا إِنّمَا عَن تَّوْهِم" [المطففين: 10] فلو كان المؤمنون لا يرون، لا يрестوا هم والكافرون.
ووما استدل به من القرآن قوله تعالى: "عَلَّ آلِ الْأَرْكَيْنِ يَنظُرُونَ [طه: 14]."

(1) انظر: الرؤية للدارقطني، شرح أصول اعتقاد أهل السنة 3/500، وحادي الأرواح 2/255، ونظم المتواتر من الحديث المتواتر ص 250.
(2) تهذيب اللغة 14/371، وحادي الأرواح 2/263.
(3) رواه مسلم (181) من حديث صهيب، ونظر: حادي الأرواح 2/609.
(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة 3/519، وحادي الأرواح 2/617، وتفسير ابن كيير 7/407.
في وجههم تصرف الله ﷺ [المطهري] قيل: ينظر بعضهم إلى بعض، وقيل: ينظرون إلى الكفار وهم يُعذبون، فيغيبون بنعمة الله عليهم أن يُجاهموه وعافاهم، وقيل: ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الفوائد، وقيل: ينظرون إلى ربهم، أقوال في تفسيرها للسلف(1) كما هي عادةهم يذكرون بعض ما تدل عليه الآية، لكن قال ابن القيم ﷺ: "ولقد هضم معنى الآية من قال: ينظرون إلى أعدائهم يعذبون، أو ينظرون إلى قصورهم وبيسائتهم، أو ينظرون إلى بعضهم إلى بعض، وكل هذا عدول عن المقصود إلى غيره، وإنما المعنى: ينظرون إلى وجه ربهم، ضد حال الكفار الذين هم عن ربهم لمجروحون"(2).


إذاً، رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة، وكذلك بإجماع أهل السنة(5)، وهي من مطالب المؤمنين، مما يرجون الفوز به، وللذل يجا في دعاء النبي ﷺ: "أسأل لذة النظر إلى وجهك"(1).

(1) الجامع لأحكام القرآن 22/150.
(2) إغاثة اللطفان 1/41.
(3) رواه البخاري (7437 و7438 و7439)، ومسلم (182) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد.
(4) رواه البخاري (554)، ومسلم (733) من حديث جبريل بن عبد الله ﷺ.
(5) الرد على الجهمية ص 126، وحادي الأرواح 2/105.
(6) رواه أحمد 265، والنسائي 2/176، وصححه ابن خزيمة في التوحيد ص 12، وابن حبان (1971) والحاكم 54/1 من حديث عمر بن =
ومع هذه الأدلة قد أعمق عن إثبات الرؤية من لبس عليهم الشيطان، فأضلهم عن سواء السبيل من الجهمية والمعتزلة، ومن واقفهم فقلنا: إنه تعالى لا يرى، وهذا ليس غريباً منهم، فالذين ينفون عن الله كل الصفات حقيق بأن يقولوا: إنه تعالى لا يرى، بل لعل قولهم: إنه لا يرى هو من لوازم نفيهم لجميع الصفات، لأن نفي جميع الصفات يستلزم نفي الذات، والمعصوم لا يرى، وقولهم بنفي الرؤية مناسب لمنحههم في التعطيل، ومن شبهاتهم في ذلك استدللهم بقوله تعالى: "لا تدريسته الأبنص (الانعام: 113) فقالوا: معناه لا تراه الأنصار.

وأجيب (1) عن هذا بأن قوله تعالى: "لا تدريسته الأبنص نفي الإحاطة، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، وعلى هذا فالأخاء دالة على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنها دالة على إثبات الرؤية بال الآخر.

وقد قيل في تفسير هذه الآية: لا تدركه الأنصار في الدنيا، أو لا تدريسته الأنصار (2)، وهذا تفسيران مرجحان.

أولًا: لأن الإدراك أخص من مطلق الرؤية، وليس المنفي الرؤية.
ثانيًا: على هذا التفسير لا بد من التقييد أو التخصيص، أما على التفسير الأول فالأخاء على إطلاقها.

ومن صفات ربنا أنه لا تدركه الأنصار، وهذه صفة سلبية، وتقدم (3)، أن النبي الذي من صفات الله تعالى لا بد أن يتضمن ثبوتاً،

---

(1) منهج السنة 317/2، وبيان تلخيص الجمعية 4/420، وعنه في حادي الأرواح 2/118.
(2) تفسير الطبري 464 - 465.
(3) ص 33.

= ياسر ورواه أحمد 320/5، وصححه ابن خزيمة في التوحيد ص 141، والحاكم 1/56، من حديث زيد بن ثابت .
فأما النفي الذي لا يتضمن ثبوتًا فلا يدخل في صفاته تعالى، بل كل نفي في صفاته فإنه يتضمن إثبات، فنفي إدراك الأعصار له يتضمن إثبات كما عظمته سبحانه، فلكمالي عظمته لا تدركه الأعصار.

إذاً، فهذا نفي يتضمن إثبات ملح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية جل الله عليه وسلم: "ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة ملح، لأن النفي المحسوس لا يكون مدخلاً إلا مدخل أحمد الإنسان، ولأن المعدوم لا يرى، والمعدوم لا يُمدح، فعلم أن مجرد نفي الروية لا مدخله فيه" (1).

أما الآيات التي فيها إثبات الروية فإنهم يُحَرَّفُونها، فأظهر آية في الدلالة على إثبات الروية: "بِيَّنَّا ۖ رَبُّكَ ٱلَّذِي ٱلۡيَوْمَ ۖ إِنَّهُ ۖ بِرَبِّكَ ۚ ۖ تَفَسِّرُونَ النَّظَرَ بِالنَّظَرِ ۖ (2) [القيامة] قالوا: ناظرة إلى ثواب ربيها، أو يفسرون النظر بالانتظار.

وتقدم أن هذا لا يتفق مع قاعدة اللغة (3).

وقد جاء في الحديث تشبه رؤية المؤمنين لربهم برؤية الشمس والقمر، فالمشببه والمتشابه به هو الروية، فشبهة الروية بالرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي، فلا يقال: إن الله تعالى كالشمس والقمر، فقوله: "إنكم سترون ربكما ترون" يعني: ترون ربكما رؤية كرؤيتكم للشمس والقمر، ووجه الشبه بين ال罗斯يتن:

أولاً: أنها رؤية بصرية لا علمية، وأنفنة الروية يفسرون هذه الروية بالرؤية العلمية، أي زادوا علمهم بله يوم القيامة، لا أنهم يرون بأبصارهم.

ثانياً: أنهم يرونها في العلوا كما يرى القمران في العلوا.

ثالثاً: أنها رؤية من غير إحاطة، فالمؤمنون يرون ربكما يوم القيامة من غير إحاطة، كما أن الناس في الدنيا يرون الشمس والقمر من غير إحاطة.

(1) منهج السنة 2/319.
(2) ص 113.
فماذا يصنعون بهذا الحديث وغيره؟!
يزعمون أنها أخبار آحاد، ومن أصولهم الباطلة: أن أخبار الآحاد
لا يُحتج بها في مسائل الاعتقاد!
أو يردونها، طاعنين في بعض رواتها، مع أنهم ليسوا أهلاً أن
يتكلموا في ذلك.
فقول الجهمية والمعتزلة قول بطل ماردود بالكتاب والسنة
والاجتماع، وإنكار الرؤية كفر؛ لأنه إنكار لأمر معلوم من دين الإسلام
بالضرورة، إذ إنه جحد لما دلت عليه هذه النصوص المستفيدة من القرآن
ومن الحديث، ولما اتفق عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسن.
وأما الأشاعرة فيقولون: إنه يرى لا في جهة! فلا يرى من فوق
ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف!
فأضحكوا عليهم العلماء، وفتحوا بابًا للمعتزلة فاحت政权 علىهم,
وكأنهم ما أثبتوا الرؤية. فقول الأشاعرة فيه تلفيق، وهذه عادتهم، فهم
في باب الصفات يثبتون بعضًا من الصفات، وينفون كثيرًا منها، وفي
الكلام (1) يثبتون الكلام، لكن ليس على وجه المعقول الذي دلت عليه
نصوص الكتاب والسنة.
وهكذا الرؤية إثباتهم لها ليس على ما دلت عليه نصوص الكتاب
والساعة. بل ولا على الوجه المعقول.
وهذا يرجع إلى أن من أصولهم الباطلة نفي علو الله على خلقه.
ويقولون: إن الرؤية تحتاج إلى مقابلة.
نعم فله تعالى في العلوي والعباد ينظرون إلى ربهم كيف شاء.
وقال كتب به: "وتفسيره على ما أراده الله تعالى وكيلته".

---

(1) ص 107
هذه العبارة مضمونها التفويض، يعني: ونحن لا نعلم معاني تلك النصوص، لكن لا يصح أن يُريده المؤلف؛ لأنه أثبت الرؤية، فقال:
"بغير إحاطة ولا كيفية" فأثبت رؤية حقيقية، فلا يصح أن يقال: يُريد المؤلف بهذا أنا لا نعلم تفسير ما ورد في هذه النصوص من ذكر الرؤية، بل تفسيرها على ما أراد الله!
فإن مراد الله من ذلك أنهم ينظرون إلى ربهم، كما دلت على ذلك السنة الصحيحة الصريحة، فما أراد الله من معانيها معلوم لنا، وما أراد الله من حقائق ذلك وكيفيته هو الذي لا نعلمه، فنحن نعلم مراد الله بقوله: "أَلَيْنَأَنَّ اللَّهَ كَانَ عَصِيًّا بِعَفْرَاحَكُمْ" (النساء: 98) أنه ذو سمع وبصر، هذا مراد معلوم لنا، والله أرادنا أن نعلمه، فعلمنا إياه وعرفنا به، وهكذا نقول في الرؤية.
وكذلك قول الرسول ﷺ: "إِنَّكُمْ سُتْرُونَ رَبِّكُمْ (1) مراده أن نعلم أنا نرى ربنا يوم القيامة.
والذي يظهر لي من مراد المؤلف بالتفسير: معرفة الحقيقة والكيفية؛ فذلك الذي لا نعلمه، كما سياتي (2) في الكلام على التأويل، فكأنه قال: وكيفية ذلك على ما أراد الله وعلمه.

(1) ص 114
(2) ص 136
وجوب التصديق بخبر الرسول ﷺ وحمله على مراده

وقوله ﷺ: "وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ، فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخلي في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا".

يعني: ما جاء عن الله تعالى في كتابه هو على ما أراده وجعله، وما جاء عن النبي ﷺ وصح من سنته؛ فهو كما قال، فقد قال ﷺ: " إنكم سترون ربيكم فسترى ربا كما قال، وهذا معناه التصديق، فما جاء عن النبي ﷺ من الحديث الصحيح فهو حقّ كما أخبر، هذا معنى قوله: "كمامة قال" فنحن نؤمن به مصدقين لخبر الله تعالى، وخبر رسوله ﷺ، وهذا بيان لوجوب الإيمان بما أخبر الله ﷺ، وما أخبر به رسوله ﷺ في هذه المسألة وغيرها.

وقوله: "ومعنى على ما أراد" الكلام في هذا كالكلام فيما قبله، فقوله ﷺ: " إنكم سترون ربيكم" ماذا أراد ﷺ؟ أراد الرؤية البصرية، ونعلم أنه أراد ذلك يقينا، وليس المقصود التفويض، فقوله: الله أعلم بمراة ومراد رسوله؛ بل نقول: نعم، هو كما قال، ومعناه على ما أراد، ونحن نعلم المعنى الذي أراده من قوله ﷺ: " إنكم سترون ربيكم"؛ لأنه يخاطبنا بكلام واضح مبين مفسّر لا إجماع فيه ولا إبهام، فلا يجوز أن يكون المراد ستعلمون ربك، لأن العباد يتعلمون ربهم وهم في الدنيا قبل أن يموتوا: و لا يُجْعَلَونَ رَبِّي عَلَمًا [الله: 110] يعرفون ربهم أنه خالقهم، وخالق كل شيء، وأنه الله الذي لا إله غيره، فلا يجوز أن يُراد
بقوله "سترون ركبم" يعني: تعلمون، وتكون الرؤية علمية؛ فإنه قال: "كما ترون الشمس.. كما ترون القمر .." وهذا كلام واضح قاطع مبطل لكل التحريفات.

وكلمات الطحاوي هذه توهم التفسير، لكن لا يصح أن نقول: إنه يُفْضِل هذه النصوص؛ لأن التفسير لا يجري إلا على مذهب من يتفق حقية الرؤية، والمصنف بريء من هذا، فإنه يثبت الرؤية.

وقوله: "لا ندخل في ذلك متاؤلين بآرائنا".

التأويل بمعنى التأويل، فلا ندخل في ذلك متاؤلين لتلك النصوص برأينا المحض فنؤولها على خلاف ظاهرها.

قال الإمام ابن تيمية: "إن التأويل صار مستعملا في ثلاثة معان:

الأول: التأويل في اصطلاح كثير من المتآخرين المتكلمين في الفقه وأصوله: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى احتمال مرجوع لدليل يقرن به.

الثاني: التأويل بمعنى: التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين.

الثالث: التأويل بمعنى: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام."1

والمتأثر من هذه المعاني هو الثاني والثالث، وأما الأول فهو اصطلاح حادث، وهو نوع من التفسير، لكن الأصل أن الكلام يحمل على ظاهره، ولا يجوز صرفه عن ظاهره إلا بدليل يجب المصدر إليه، فهذه النصوص لا يجوز صرفها عن ظاهرها، بل يجب إجراها على ظاهرها كالقول في سائر نصوص الصفات، وظاهرها هو إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة عياناً بأبصرهم، ولا يجوز صرفها عن هذا الظاهر؛ لأنه ليس هناك حجةً صحيحة توجب صرف هذه النصوص عن ظاهرها.

(1) التدمرية ص 262 باختصار.
وإذا قال الأصوليون: هذا مُؤوَّل، أو مُتأول؛ معناه: أنه مصروفاً.

عن ظاهره إلى غيره، لكن تارة يكون بحجة صحيحة، فيكون هذا التأويل صحيحاً، وتارة يكون ذلك التأويل بغير حجة صحيحة، كتأويل المبتعدة للنصوص المختلفة لأصولهم، فكل تأويلات المبتعدة للنصوص المختلئة لأصولهم من نوع التأويل الباطل، والاسم المطابق لتأويلهم، هو التحريف؛ فإن صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى احتمال مرجوح، أو صرفه عن ظاهره إلى غيره بغير دليل يوجب ذلك، هو من تحريف الكلم عن موضعه.

قوله: «ولا متوهمين بأهوائنا».

ولا نتوهم فيها خلاف ظاهرها بدافع الهوى، فإن من التأويل ما لا دليل عليه غير وهم باعته الهوى؛ فإن الإنسان إذا كان له هوى في شيء يكون في عقله تصورات واعتقادات تنبعث من هواه، وهذا هو الذي يرمي إليه المؤلف بقوله: «لا ندخل في ذلك متأولين بأوايتنا» فتحرف النصوص ونصرفها عن ظاهرها بموجب آراء وشبهات، بل يجب أن تجري النصوص على ظاهرها، وتفهمها على موجب ما دل عليه اللسان العربي، وعلى فهم السلف الصالح؛ فإن أي فهم لاية أو حديث يتنافض مع فهم الصحابة، أو فهم السلف الصالح؛ فهو باطل.

وقوله: «فإنهما مسلم في دينه إلا من سلَّم الله ﷺ ورسوله ﷺ، ورد علمه ما أشبه عليه إلى عالمه». هذا تعليق لقوله: «لا ندخل في ذلك متأولين بأوايتنا، ولا متوهمين بأهوائنا»، بل نؤمن به على مراد الله، ومراد رسوله ﷺ، فإن الواجب علينا الإيمان بهذه النصوص، والتسليم لما أخبر الله به، فما علمتنا منه آمنا به على ما فهمنا منه، وما لم نعلمه نكل علمه إلى عالمه، هذا هو الواجب على المؤمن إذا وردت عليه آية من كتاب الله، أو حديث صحيح عن رسوله ﷺ يجب عليه أن يؤمن به ولا يتوقف، ففهم معناه أو لم يفهمه، فيجب أن يقابل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ بالإيمان والإذعان.

فمذاهبهم مبنية على الظنون والخُرَص، ليست مبنية على حجج وبيانات، بل على شبهات واهيات، وعلى الهاوية: «إِنَّ يَمِينَنَّ إِلَّا الْأَلْلَهَ وَيَا تَحْوَى الْأَنْفُسُ» [النجم: 23]، «إِنَّكُكَ أَسْتَرَطْنَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَضَلُّواْ عَنْ سَبِيلِي إِنَّكُمْ إِلَّا الْأَلْلَهُ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَعْبُدُونَ» [الأنعام: 88]. فَإِنْ أَنْتَ تَسْتَجِيبُواْ اللَّهِ فَأَقْبَلْ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ أَهْلُهُمُّ» [القصص: 80]، فإنهم قد يكونون على علم بالحق، لكن يمنعون من اتباعه الهوى، وقد يضلون عن الحق بسبب ظنونهم وآرائهم وشبهاتهم، وفي كثير من الأحيان يجتمع الأمران: فيكون الباعث على ذلك الباطل الشبهة والهوية، فَالذين يُحكُمون عقولهم - مثلًا - في باب الصفات: كالجهمية والمعتزلة أصلهم هو تحكيم العقل الفاسد؛ لأن العقل الصحيح لا يُناقض النقل الصحيح أبدًا، لكنهم حكَّموا عقولهم الفاسدة، ولو حكَّموا العقل الصحي لكان موافقًا لما جاءه به الرسول، فإن الرسول لا يأتون بما تُحيله العقول أبدًا، لكن قد يخبرون بما لا تدركه العقول، أو بما تحار فيه العقول، ولا يأتون بما تقطع العقول السليمة بطلانه(1).

فما تأتي به الرسول إما أن يكون العقل شاهدًا ومصدًّا على صدقه وحسن، أو يكون العقل واقعًا جاهلًا، والجالل عليه أن ينقاد ويُسلَّم.

(1) مجموع الفتاوى 2/317 و17/444، الفرقان 443/11، والقرآن والنقل 297/7 و227/3، والصواعت المرسلة 829/3.
فأخبار الرسول دائرة بين الأمرين، أما شيء يُحيله العقل فلا والله لا تأتي به الرسول; لأن العقل الصريح والقضايا العقلية القطعية لا تتناقض، والحق لا يتناقض، وهذه القضية الكبيرة أعني: الوفاق بين العقل والنقل، ألف فيها الإمام العالم شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه العظيم: «العقل والنقل» أو «درء تعارض العقل والنقل» الذي قال فيه ابن القيم:

وأقرأ كتاب العقل والنقل الذي ما في الوجود لمه نظيران

يعني في بابه.

(1) الكافية الشافوية ص 197.
وجوب التسليم لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ، وتقديمه على الآراء

وقوله: "فإنما سلم في دينه إلا من سلم الله ﷺ ورسوله ﷺ ورد علم ما اشتهبه عليه إلى عالمه".

هذا في تقرير وجوب التسليم لله، والانقياد لحكمه، وحكم الله ﷺ.

نوعان:
- حكم كوني.
- حكم شريعي.

ويجب على العبد الرضاء عن الله في تدبيره وحكمه الكوني وحكمه الشرعي، فلا يعارض حكم الله برأي ولا ذوق ولا استحسان، هذا بالنسبة للحكم والقضاء الكوني.

واصل ألمام哎 المكونة والمقضية فهذه يجب أن يعمل فيها من حيث الاستسلام والدفع والطلب بموجب الشرع، فيحكم شرع الله، فما أمره الله بفعله فعله، وما أمره بتركه تركه، فيجب ما أحبه الله، ويغض ما أغضبه الله، ويأتي ما أمره الله به ويذكر ما نهاه الله تعالى عنه، ويصير على ما أوجب الله عليه فيه الصبر، ويدفع ما أوجب الله عليه دفعه من المكروهات.

وهذه الأعمال من طلب أو دفع للمقدرات تجري فيها الأحكام التكليفية: الواجب والمحرم والمكروه والمستحب والمباح.

فلا بد من التسليم لحكم الله ﷺ بالرضا بحكمه وتدبيره، وأنه حكم عليم، وذلك بعدم الاعتراض عليه في قضائه الكوني وقضائه الشرعي.
وجوب التسليم لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ، وتقديمه على الآراء

وهذه الصوفية وغلاظهم يرون أن من التسليم للقدر الاستسلام لكل ما يجري على الإنسان، بحيث لا يطلب خلاف ما يجري عليه، ولا يدفع شيئا من المكروه، حتى يقول قائلهم: إن العارف لا حظ له! أو إنه يصير كالمبتعث بين يدي الغالب!

قال الإمام ابن تيمية: «هذا إنما يمنح منه سقوط إرادته التي لم يأمر بها، وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه، وأنه كالمبتعث في طلب ما لم يؤمر بطلبه، وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه» (1). وهذا كلام باطل، ولا يمكن تحقيقه في الواقع أبدًا.

فقوله: «ما سليم في دينه إلا من سلِّم الله ورسوله ﷺ».

يظهر من السياق أنه يريد التسليم لشرع الله في المسائل العلمية الاعتقادية، وفي المسائل العملية، فإن الدين يتضمن قسمين:

- اعتقادات، وأعمال، قال تعالى: (هَوُوُ الَّذِي أَرْسَلْ رَسُولَٰنَا بِالْهَدَايَةِ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (النوح: 43). فالهدي هو: العلم النافع، ودين الحق: العمل الصالح.

قال تعالى: (أَقَضِّيَ الْأَمْوَةَ بِالْعَدَدِ حَكْمًا) (العنام: 14)، (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا يَوْمَ الْوُجُودِ) (العنام: 75)، (وَلَا يُنْهَيْنَكُمْ فِي حُكْمِكُمْ أَحَدًا) (الكهف: 26). قال تعالى في تحكيم الرسول: (فَلاَ وَّرَبِّكَ لَ تَؤْمِنُونَ بِهِ وَيَدْعُوكُمْ وَيَسْتَلَمُوا شَيْئًا) (النساء). فلا بد من التسليم لحكم رسول الله ﷺ، وقبله بانشراح صدر، وطيب نفس، فإنه لا يتحقق الإمام كاملا إلا بهذه الشروط مع الإمام به، وأن ما جاء به حق من عند الله، وأن ما حكم به في كل مسائل الدين هو الحق والعدل والصواب، فإنه ﷺ، وإنما يحكم بشرع الله وحكمه، (وَمَن يُبِيعَ الرَّسُولَ فَلَنَّ يَجْعَلَ أَطْلَاعَ اللهِ) (النساء: 80)، (وَمَا تَنْتَكُمْ الْرُّسُولُ فَسُحُّواُ وَمَا تَسْتَكُمْ عَنْهُ فَقَانُوا) (الحجر: 7).
شرح المقيدة الطحاوية

وقد خرج عن هذا السبيل المبتعدة على اختلاف بدعهم، فلم يقنعوا بما جاء به الرسول ﷺ، فالمعطلة يرون أن كل ما في القرآن والسنة من صفات الرب ﷺ؛ ليس المراد منها ظاهرها، وأهل التفويض يرون أنها لا معنى لها، وهذا خروج عن تحكيم الرسول ﷺ، وعن الرضا بحكمه، والسليم له، فعندهم أن الحق في معرفة الله، وفيما يجوز عليه وما لا يجوز عليه؛ هو ما عرفوه بعقولهم، ومضمون هذا الكلام أن الرسول ﷺ لم يبين للناس ما يجب أن يعتقدوا في ربهم، فترك هذا العلم العظيم الذي هو أهم العلوم وأجل المطالب بلا بيان.

وقد فتح شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة العقيدة الحموية(1) هذا التصور الساقط الباطل، وذكر وجهًا من دلائل العقل على بطلان هذا القول، فكيف يبين الرسول ﷺ كل صغير وكبير للناس حتى آداب قضاء الحاجة، ثم لا يبين ما يجب على العباد أن يعتقدوا في ربهم؟! هذا من أبطال الباطل.

ومن الوجه الذي ذكر: «إن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلمون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أخيلوا في معرفة على مجرد عقولهم وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نضأ أو ظاهرًا؛ لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأتبع على هذا التقديم؟ بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين»(2)؛ لأنهم يقولون: إن نصوص الأسماء والصفات ظاهرها التشبيه، ثم يلجؤون للتخلص من ذلك إما بالتفويض فيقولون: هذه نصوص الله أعلم بمرادهما منها، فنحن لا نفهمها وليس علينا أن نندبها، بل علينا أن نلقوها ألفاظًا، والأكثر من منهم يسلكون طريق التأويل، وهو
وجوب التسليم لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ، وتقييمه على الآراء

تفسير النصوص بمعانٍ بعيدة مخالفة لظاهرها، ولمَّا دلت عليه سائر النصوص الأخرى الموضحة لها، فكل الآيات والأحاديث الرائدة - مثلًا - في البدين مؤينة عندهم بخلاف ظاهرها، فيجعلون ذلك كله من قبل المجاز والتحكيل، وهذا كله ضد التسليم للرسول ﷺ، فحكموا عقولهم ولم يحكموا النبي ﷺ، فضلوا ضلالًا بعيدًا، وهذا ما يتضمنه قول المؤلف: "إِنَّهُ مَا سَلَمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مِنْ سَلَمٍ لَّهُ وَرِسَالَتهُ، وَرَدَّ عَلَمَ مَا أَشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَيْهِ، Oلاَّ تَذَٰلُكَ مَـنْ كَانَ لَّهُ ﺇِلَٰهٌ مَّعْنًىٰ" (الكهف: 22)، "وَلَا قَفْنَ مَا لَيْسَ ﻋِلْمُ ﷺ ﻋَلَىٰ ﷺ" (الإسراء: 32) فالواجب على المكلف فيما لم يعلم أن يفضِّل علم ذلك إلى الله.

وقوله: "وَرَدَّ عَلَمَ مَا أَشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَيْهِ"، فهناك أمور استثنأ الله بعلمه، كحقائق ما أخبر الله سبحانه عن نفسه من أسماه وصفاته، وحقائق اليوم الآخر، فهذا كله مما يخفى على العباد ولا يمكنهم معرفته؛ فالواجب في هذا هو التفويض، ورد علم ذلك إلى الله.

أما معاني النصوص؛ فأقول أنها يمكن فهمها كلها، فما أخبر الله به عن نفسه، وما أخبر به عن اليوم الآخر هذه لا بد أن تكون معلومة لنا من جهة معانيها، لكن قد يخفى بعضها على بعض الناس في بعض الأحوال، فهناك قبل أن يعرف المراد، يرد ما أشتبه عليه؛ يقول الله ﷺ: "وَأَلَمْ يَشْتَبَهَ عَلَىٰ هَذَا إِلَّا عِلْمُ ﷺ ﻋَلَىٰ ﷺ؟"، ثم هذا لا يمنع التدبر والبحث لمعرفة المراد، ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في القاعدة الخامسة من الرسالة التدمرية "إِنَّ عِلْمَ ما أَخَبْرَتْهُ ﻋَلَىٰ عَالِمٍ إِلَّا إِلَّا عَلَيْهِ، وَأَلْمَا يَذَّكَّرُ عَلَيْهِ إِلَّا عِلْمُ ﷺ ﻋَلَىٰ ﷺ".

وقوله: "وَرَدَّ عَلَمَ مَا أَشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَّا عَالِمٍ"، هذا أدبٌ رفيع، وهو مقتضى علم العبد بربه وعلمه بنفسه، فلا يتجاوز حده فيدعي علم ما

(1) ص 251.
لا علم له به، ولا يتكلف في البحث عما لا سبيل إلى معرفته، فما علمه
قال به واعتقده وأمان به، وما خفي عليه رد علمه إلى عالمه.
وقوله خالق: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم
والاستسلام».

هذا تعبير في شيء من التشبيه والاستعارة على طريقه أهل البيان،
فقوله: «لا بيثت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم» فيصور المؤلف
الإسلام كأن له قدمًا يقوم عليها، والتسليم بأنه مركب ثابت إذا اعتمد
الإنسان عليه استقرار وأمان من السقوط والاضطراب.

فلا يستقر إسلام العبده، ولا تحصل له الطمأنينة إلا إذا ثبتت تلك
القدم على ظهر التسليم.

والتسليم والتسليم معناهما متقابلاً فال تعالى: {ورَبُّ يُسْلِمُ
وَجَهْهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحِيْيُ الْحَيَاتِ} (الق斯坦: 22).

الإسلام: الاستسلام والانقياد، وهذا يقتضي عدم المنازعه؛ لأن
من يناعع لم يسلم، وهذا الكلام يؤكّد قوله السابق: {فإنه ما سلم في دينه
إلا من سلم الله ورسوله}.

والتسليم أصل مهم، فإذا أصلت أصل الدين: الإيمان بالله ورسوله
وكتبه، والإيمان بالله يتضمن أنه تعالى هو الإله الحق الذي لا يستحق
العبادة سواء، وأنه تعالى رب كل شيء وملكيه، وأنه موصوف
بالكمال متزه عن النقص، فلا ظلم ولا عيب في خلقه وشرعه وقدره، بل
هو تعالى حكيم في ذلك كله، إذا حققت هذا، فكل ما يرد عليك عن الله
 تعالى وعن رسوله فلا بد أن يقوم على التسليم؛ لأن المعارضة
والمنزعة ما تجيء إلا من ضعف الإيمان بعدد الرب، ومن ضعف
الإيمان بحكمة الرب.

وكل ما يعارض الحق فهو باطل؛ لكن تارة تكون المعارضة وقحة
صريحة، كما يفعل الكثيرة أو الذين قد تزول إيمانهم، أو كاد أن يزول،
فهؤلاء يتكلمون بالمعارضات في شرع الله وقدره، وأحيانًا لا يتكلم بها لكن تكون في النفس.

والمسلم يجب عليه أن يدفع كل المعارضات التي تخطر بباله، أو يسمعها على ألسن الشياطين، أو ألسن الجاهلين، يدفع ذلك بالإيمان بأن الله تعالى حكم عدل، حكيم عليم.

وهذا لا يقتضي أن الشرع مخالف للعقل؛ بل العقل الصريح لا ينافض النقل الصحيح؛ لكن العقل مع النقل له طاقة وله حدود، فلا يمكن للعقل الإنساني أن يدرك ويحيط بكل شيء؛ بل له حدود يقف عندها؛ لأن الإنسان نافض، فلا يمكن أن تجيب على كل سؤال، أو يجاب عليه، فلا بد من أن تقول: الله أعلم، الله حكيم عليم.

فإذا سلم الإنسان استراح كثيرًا وأراح، وما يرد عليك من المعارضات:

إما أن تدفعه بالفيضات والحجج الكاشفة لزيت تلك الشبهات الواردة.

وإن لم يتهيأ ذلك لقلة العلم فادفعه بهذا الأصل وقال: آمنت بالله ورسوله، فإن الشيطان يلقي الوسواس في النفس.

والرسول ﷺ ما ترك شيئًا يقرب أمره إلى الجنة، ويبعدهم من النار إلا دلههم عليه، ولا ترك أمرا يحتاجون إليه في دينهم إلا بينهم، وقد قال ﷺ: «يا أيُّ النبي ﷺ أحكمكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعد بالله وليته»(1).

وإلا لفظ آخر: «فليقل: آمنت بالله ورسوله»(2).

فهل بعد هذا الوسواس وسوس؟

فإن ورد عليك فإفرءه بسرعة بالعلاج النبوي:

---

(1) رواه البخاري (٢٨٧٦)، ومسلم (١٣٤) من حديث أبي هريرة ﭼ.

(2) عند مسلم في الموضع السابق.
فقطاط الوسواس، ولا تسترسل معه، واترك التفكير، وقل: أعوذ بالله من الشيطان، آمن بالله ورسله؛ فإنك إذا تفكرت فيه زاد، وطمغ الشيطان فيه؛ لأنه وجد عندك قابلية للوسواس.

وانظر إلى إيمان الصحابي الذي وجد مثل هذا، فجاء مذعورًا يتذكر، ويقول: "يا رسول الله، إنني أحدث نفسي بالشيء ما لو أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به. فقال النبي ﷺ: الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة"(1).

وقال في حديث آخر: "ذاك صريح الإيمان"(2).

والمراد كراهته هذا الوسواس، وبغضه والخوف منه، وهذا نابع من الإيمان، فبقدر إيمان العبد وقوته يكون موقفه من تلك الأفكار والوسواس.

وهذا كله يرجع إلى التسليم فأي شبهة أو فكر أو خاطر أو قول يعارض الحق فهو باطل، وهذا المبدأ عصمة للمسلم من كثير من الشرور والشبهات والضلالات.

فالتسليم الله ورسوله ﷺ، معتصم للمسلم أمام كل باطل وكل مجداد، فلا يعط لعقله الحرية التي تسمى حرية العقل، ولا يسمح للعقل بل عبودية للشيطان، خروج عن عبودية الله، فليكن هذا الأصل على بالك، فكل ما يخالف الحق الذي جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ، فهو باطل من الوهالة الأولى، وليس بلازم أن يكون الإنسان عنده القدرة على تزويج الشبهة، المهم أن الحق عنده ثابت، فما يُدعى أن هذا يعارضه فهو مردود مدافع، فاعتمد بالحق وثبت عليه وأطرح كل ما خالفه.

(1) رواه أحمد ٤٢٥٢ - باللغة له ..، وأبو داود (٥١٤٦)، وصححه ابن حبان

(2) رواه مسلم (١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وجوب التسليم لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ، وتقديمه على الآراء

واجبت أن أؤكد على هذا فإنه ينفع المسلم ويريح بالله عند ورود الشبهات على قلبه (1)، فقد انتفخ على الناس أبواب شر في هذا العصر ممثلة في وسائل الإعلام، وفي الشبكة العنكبوتية، فهي وسائل عظيمة الآثر في الخير والشر، ولكن أكثر ما تعمل في الشر؛ لأن أكثر الناس على غير هدى، فكان على حذر مما يطرح في هذه الوسائل، فقد أصبح الناس في فتنه مدخنة، فكل يستطيع أن يتكلم بما يريد، الملل والمبتدع والذين يتنسب للسنة، فإن من المنتبسين للسنة من تسربت إليه أفكار وتوجهات فيحملها ويحمل لواءها، فيصير - والعياذ بالله - داعي فتنة، سواء مما يتعلق بالاعتقادات أو بالسلوكيات.

وقوله ﷺ: "فمن رام علم ما حظره عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خاشع التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان".

هذا بيان لأنّ أثر عدم التسليم، من رام يعني: طلب "ما حظر عنه علمه" يعني: حجب عنه ومنع من علمه، "ولم يقنع بالتسليم" فهو كثير الاعتراض والسؤال، يقول: مثلًا - لم خلق الله الحشرات؟ لم خلق الله هذه المؤديات؟ لم خلق الله الناس هذا دميم، وهذا قصير؟ لم أصل من أصل من الخلق؟ لم أكن هذا وأقصر هذا؟ في تساؤلات عن جَمَّ الهَـلِك

في تقديراته، في نفسه اعتراضات!

ومن الأشياء التي تجري على بعض الألسن - وهي نابعة عن عدم التسليم - (فلان والله ما يستحق أن يتبلى بهذه الأمراض والأوجاع والمصابات أو يتلى بالفقر) هذا اعتراض على تدبير أحكام الحاكمين.

وقوله: "فمن رام علم ما حظر عنه علمه ولن يقنع بالتسليم" فبرد أن يفهم كل شيء، وهذا لا يمكن؛ لأن عقل الإنسان له حد، فلا يمكن أن يعرف أسار الوجود، وتفاصيل جَمَّ الهَـلِك his الله في أقداره، وإن لم يسلم لله؛

(1) الإيمان الكبير ص 282، ومفتاح دار السعادة 280/1.
حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان هذه هي النتيجة، حجبه مرامه أي: منعه طلب وتكلفه، معرفة ما هو محجوب عنه، عن خالص التوحيد وصحيح الإيمان، فالتكلف وطلب ما لا سبيل إلى معرفته ينافي تحقيق التوحيد، فتحقيق التوحيد يقتضي التسليم؛ لأن التسليم والاستسلام لله هو موجب التوحيد والإيمان الصحيح والمعرفة الحقة، قال تعالى: «وَلَا تَهْجَرْ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَدَيْهِ يَعْلَمُ أَنَّ السَّمَّاعَ وَالْبَصَرَ وَالْفَوْزُ كُلُّهُ أَرْضَانَا كُلُّهُ أَوْلَيْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتَمِعًا» [الإسراء: 71]، وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَذَكَّرُونَ» [البقرة: 169]، وَمَعْمَ يَأْمُرُ به الشيطانُ أن يقول الإنسان على الله ما لا يعلم.
سُوء عاقبة من لم يسلم لخبر الله تعالى ورسوله

وقوله: «فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسمًا تائتًا، شاكًا، قائمًا».

من «لم يقنع بالتسليم فهم جربه صممه...» فيبقى متذبذبًا مترددًا
كحال المنافق (مدنيين بين ذلك) [النساء: 143] بين المؤمنين والكافر
لا إلى كلهاء ولا إلى كلهاء [النساء: 143] فسبب عدم التسليم والاتقاد
لما جاء به الرسول ﷺ فيبقى مترددًا.

وقوله: «فيتذبذب بين الكفر والإيمان» إما أنه يقع في الكفر
الأعظم فعلًا فصيهر مرتدًا ثم يرجع، وهذا يحصل تارة ظاهرًا، كما
قال الله: «إِنَّ الَّذِينَ مانُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَمَنُوا ثُمَّ أَزَادُوا كَفَرًا»
[النساء: 137].

ويحصل تارة داخل القلب فقط، فلا يتبين أمره، وقد يرجع إلى
الإيمان، وقد لا يرجع - والعيان بالله -، وقد يترد ويتكون عنده حالة من
الحرج والضيق فيما جاء وحكم به الرسول ﷺ، ولهذا قال سبحانه:
«فَلا تَرَبَّكَ لَا يُحِبُّونَ حَتَّى يُحَمِّدُونَ وَيَسْتَجِيرُونَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يُحْسَدُوا فِي
أَشْرَكَهُمْ حَرَّا كَيْماً فَسَبَتُ بِهِ» [النساء: 75].

وقوله: «والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار» هذه الكلمات
متقارب، فالكافر يكون بالتذبذب والإنكار والإيمان يكون بالتصديق
والأقرار، فهذا تنوع في التعبير، وإن كانت الألفاظ مختلفة المعاني
لكنها متزايدة.
وقوله: «موسوسة تائهة».
فبقيت متذبذبة بين هذه الأضداد «موسوسة تائهة» فالوسواس التي يلقيها الوسواس الخناس تجعله في حيرة، فما يخطر بالبال من شهوات وأفكار تعارض الحق كلها من إلقاء الشيطان، فهو مسلط على الإنسان، والإنسان مبتلى بالشيطان، وهو عدو خفيف، والله أقدر على أن يوسوس للإنسان، والقلب بين حالتين:
بين آية الملك، وآية الشيطان، فلمه الملك لقلب المؤمن المسلم، أما الكافر فقد أحاط الشيطان به، وليس للملك فيه لمة، فلمه الملك إعداد بالخير وتصديق بالحق، ولمه الشيطان إعداد بالشر وتكذيب بالحق، فالشيطان يوسوس، فيبقى هذا المتكفل الذي لم يوفق للتسليم متذبذباً موسوساً، فقلبه مع هذه الوسواس فتجعله في تردد، كما قال سبحانه في المنافقين: "فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَرْتَدُونَ" [النوتة:45] فهو يتقلب، فتارة يكون مؤمناً، وتارة كافراً، وتارة حائراً.
وقوله: "شاكأ زائغًا" أي: مترددًا تائهة، زائغًا منحرفًا، قال تعالى:
"قُلُواْ رَأَيْتُوا أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَهُمْ" [المصفق:5]، «وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُوَءَىٰ تَذَكَّرُ» 
بَشَّرْنَاهُ إِلَى بِعْضِ هَلْ يَرْتَحِصْمُ يَوْمَ أُخُوُّنْ ثُمَّ أَنْصَرْفُوا سَرَوْفُ اللَّهِ قُوَّمِيْنِ يَتَّهِمُّنَّ قُوَّمِهِ لاَ يَفْقَهُونَ (160) [النوتة]. فهذه آثار عدم التسليم، وعكس ذلك من كان مسلمًا اللَّه عَلَيْهِ وَرسُولُهُ صلى الله عليه وسلم قد قام دينه على التسليم، فأصبح ثابت القلب ليس عنده تردد ولا تذبذب ولا حيرة ولا قلق، بل يسير على صراط واضح مستقيم، يمشي بنور من الله، قال تعالى: "كَبِيرَانِ الَّذِينَ (1) اللهما: اللمحة والخَطْرَة تقع في القلب... فما كان من خطرات الخير، فهو من الملك، وما كان من خطرات الشر، فهو من الشيطان. النهاية في غريب الحديث 4/273.
(2) رواه الترمذي (988)، والبزار (207)، والنسائي في الكبرى (1551)، وابن حبان (997) من حديث ابن مسعود حُكيم، ورجح الأئمة وفقه، انظر: علل الترمذي الكبير (254)، والعلل لأبي حاتم (224)، ومصدر التخرج.
سوم عاقبة من لم يسلم لخير الله تعالى ورسوله

"إِنْتَ قُرْءُوا اللَّهَ وَأَيَّامُهُ وَسُلْطَانُكُمْ كَثِيرًا مِّنْ رَجُوْحٍ، وَيَجْلَلْ لَكُمْ نُورًا
تَصْرُّفُهُ" (الحديث: 28)، فالمؤمن الصحيح الوحيد يمشي في هذه الحياة بئور الحق، فيعرف مواقع أقدامه، والطريق الذي يسير عليه "وَأَنَّ هَذَا
صَرْطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَأَنَّ يَتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا الْشَّيْطَانِ" (الأنعام: 103)، لكن هذا
المتذبذب لا يدري أي طريق النجاة، فهو متذبذب متردد بين التصديق والتذكير، والإقرار والإنكار، فهو في حيرة دائمة؛ لأن الشك والحيرة
عذاب، أما المؤمن فقلبه في نعيم، وكلامنا هذا في من ينتمي للإسلام، أما الكافر فهو غارق في بحر الضلال والكفر، فليس عندك تفكير، وتردد
بين حق وباطل وإقرار وإنكار وإيمان وكفر، بل عنده كفر خالص وإنكار
دائم تام؛ لكن هذا الذي ينتمي للدين، ويدعي الإيمان، ولكنه لم يكن
مستقراً مَسِلَّمًا، فهذا الذي يحصل له ما يحصل من الأضطراب
والقلق، فإما أن يعصمه الله ويثبته ويرفعه، فثبت على الإيمان وينجو من
هذه الرسوس والشكوك، وإما أن يقوى في قلب سلطان الباطل؛ فتصير
إلى الكفر دائمًا ولا يكون عنده تردد.

وقوله: "لا مؤمنًا مصدقًا ولا جاهدًا مكذبًا، ولا يصح الإيمان
بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم يوهم، أو تأملها يفه، إذ كان
تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف إلى الرؤية - بتدرك التأويل،
ولزوم التسليم، عليه دين المسلمين«.

هذا كأنه كلام معرض من قوله: "لا تدخل في ذلك متأولين بأرأيتا
ولا موهبين بأهوائنا فإنه ما سلم في دينه..." وعُرِسَ في هذه الكلمات
في التأكيد والبحث على التسليم والاستسلام والتحذير من ضد ذلك،
وبيان الآثار المرتبة على عدم التسليم والاستسلام، فكل هذا الكلام
معترض في ثنايا كلامه في تقرير رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وبيَّن
أن من أثبت الرؤية على خلاف ظاهر النصوص، أو تخيل كيفيتها بوهم،
أو تأملها بفهم، كما صنع المعطلة نفاة الرؤية، فلا يصح إيمانه برؤية
المؤمنين لربهم.
وقوله: "إذا كان تأويل الرؤية - وتأويل كل معنى يضاف إلى الرؤية - بترك التأويل وزوم التسليم، وعلى دين المسلمين".
فالصراط المستقيم والمنهج القوي: بترك التأويل الذي معناه: صرف الكلام عن ظاهره إلى غيره، أو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى احتمال مرجح.
فتأويل الرؤية يعني: تفسيرها، وتفسير كل معنى يضاف إلى الرب من صفاته يكون بترك التفسير، ويمثل هذه العبارة توهيم - أيضًا - التفسير، كقول السلف: "أمرها كما جاءت بلا كيف"، تفسيرها بترك تفسيرها، وهذا لا يقصده السلف، فإنه قد عُلِّم أن أهل السنة يثبتون حقيقة الرؤية، وأنها رؤية بصرية، وبصرعون بذلك، ويثبتون الله الصفات بالمعنى المعقول المفهوم من النصوص، فإذا جاءت مثل هذه العبارات فلا بد أن نفهمها على وجهها الصحيح، "أمرها كما جاءت" أي: أجورها على ظاهرها، مثبتين لما دلت على ثبوت، بلا بحث عن الكيفية، ولا تحديد لِكُلٍّ تلك الصفات، وليس المقصود: أمرها ألفاظًا من غير فهم للمعنى! فهذا باطل؛ لأن مقتضاه إذا ما أثبتنا شيئًا.
فتفسيرها أن نجريها على ظاهرها بعدم صرفها عن ظاهرها، بترك التأويل في اصطلاح المتآخرين، ونجد في كلام بعض الأنبياء نحو هذه الكلمة: الواجب في هذه النصوص عدم تأويلها، أو إجراها على ظاهرها بترك التأويل.
وترتكز التأويل ليس ترك التفسير مطلقًا، فيكون خبر الله كلماً لا يفهم معناه؛ لأن الكلام الذي لا يفهم معناه لا فائدة منه، تعالى الله عما يقول الjahluون والظلمون علّوًا كبيرًا.
المقصود: أن عبارة الطحاوي من جنس عبارات بعض السلف التي تهتم أنه يقرر التفسير وليس كذلك، إذ كيف يقول: "الرؤية حق لأهل الجنة" إذا كانت الرؤية لا تفسر ولا يفهم، فلا معنى لقوله: "حق". فمن يقول: إن الله خاطب عباده بما لا يفهم منه شيء لا يجوز أن...
يتكلم في النصوص بأنها تدل على كذا، أو لا تدل على كذا، كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر القاعة الخامسة من الرسالة التدمرية، حيث قال: »وهؤلاء - يعني: أهل التفويض - قد يظنون أنا خوطنبا في القرآن بما لا يفهمه أحد، أو بما لا يعني له، أو بما لا يفهم منه شيء، وهذا مع أنه باطل فهو متناقض» إلى آخره(1).

(1) التدمرية ص329.
وقوله: «ومن لم يتوفق القفي والتشبيه رَلَّ ولم يصعب التنزيه».

الناس في باب الأسماء والصفات ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: المعطولة نفاة الأسماء والصفات: الجهمية ورأسهم الجهم بن صفوان ومن بعده، والمعترضة ومن وافقهم.

والطائفة الثانية: المشههة الذين يشعرون الله بخلقه.

فهما طائفتان متقابلتان على طرفين تقيض، فالمعطولة يزعمون أنهم بنفسيهم للصفات يقصدون تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، فأظهروا الباطل بصورة من الحق، فأفترضوا في التنزيه، وتتجاوزوا الحدود حتى وقعوا في الإلحاح والضلزل البعيد.

والمشههة أثبتوا الله الصفات لكنهم شهوه بخلقه، ويقول قائلهم: له سمع كسمعنا وصر كصطرنا، فأفترضوا في الإثبات حتى شهوا البال الخلق.

وكلتا الطائفتين زاغتا عن الصراط المستقيم.

والطائفة الثالثة: أهل الصراط المستقيم - أهل السنة والجماعة - الذين آمنوا بكل ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به عنه رسوله، فهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل، فمذهبهم بريء من التحريف والتعطيل، والتكيف والتمثيل، ولهذا قال نعم بن حماد القمر: ذلك الأثر الجليل: «من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر».
وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهٌ، فليس إثبات الصفات من التشبيه في شيء؛ بل إثبات الصفات هو التوحيد.

وقوله: «ومن لم يتوق» أي: يجتني ويحذر «النبيّ» أي: نفي الأسماء والصفات، وهو التعطيل، «والشبيه» من لم يجتني ويحذر هذين المذهبين الباطلين زلت قدمه عن الضرائع المستقيمين، ولم يصب التنزيه فالمعملة زعموا أنهم يتنزون الله، وما نزوهوا الله; بل تنقصوه تعالى أعظم تنقص، والمشهده الذين قالوا: إن الله له سمع كسمعنا، هؤلاء وإن كان مذهبهما باطلًا فإنهم خير من المعملة النفاة، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن المعطل يعبد عدما، والمشبه يعبد صنمًا؟ لأن نفي الأسماء والصفات يستلزم نفي الذات، فكلهم مبطلون؛ لكن الذي يعبد موجوداً أعمق من الذي يعبد معدومًا.

وقوله: «فإن ربنا - جل وعلا - موصوف بصفات الوحدانية، متعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية».

المنصف كله يتحرى السجع؛ لأنه يروق للسامع، فهو من جنس الشعر «فإذا ربا - جل وعلا - موصوف بصفات الوحدانية» هذه الكلمات فيها تنوع في التعبير، وتحسينات لفظية مترادفة تقريبًا، والوحدة نسبة للواحد بزيادة (النون).

وقوله: «متعوت بنعوت الفردانية» نسبة للفرد، «ليس في معناه أحد من البرية» ليس له مثل من خلقه، فالجمل الثلاث مدلولها واحد، وتتضمن أمرين:

إثبات أنه الواحد.

(1) تقدم في ص 110.

(2) مجموع التناوي 5/261.
ونفي الشريك والمثل عنه: \( \text{فَقَلَ:} \) هُوَ اللهُ أُحَدُ اللهُ الصَّمَدُ لَمَّا كَذَّبَ وَلَمْ يُولِدْ وَلَمْ يَكُنْ أَحْكَمُ لَمْ يُكْفَرُوا أَحْكَمُ [الإخلاص].

واسم (الواحد) ثابت الله تعالى في القرآن كما قال: \( \text{وَمَا مِنْ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} \) [ص: 15] وهو الأحد (فَقَلَ: هُوَ اللهُ أُحَدُ [الإخلاص]).
الواجب في الألفاظ المحدثة
في صفاته تعالى

وقوله: "و تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحوي الجهات المستكسائر المبتدعات".

كلمة " تعالى " تفيد التنزيه، و جاءت في القرآن في مواضع:
{سُبْحَانَكَ وَتَعَلَّمَ (الأنباء: 10)، وتَعَلَّمَ أنَّكَ عَرِضْتَ نَفْسَكَ (النمل: 37)،
وهي من جنس {سُبْحَانَكَ} (البقرة: 116) و {بَارَكَ} (الأعراف: 45) فكلها ألفاظ تفيد التنزيه.

 تعالى " تنزه وتقدس، وهذه الألفاظ التي استعملها الإمام الطحاوي

- عفنا الله عنا و عنته - لم ترد في كتاب ولا سنة، فليس في شيء من
النصوص هذا النوع من التقلي، فليته لم يأت بهذه العبارات التي هي من
جنس عبارات أهل البدع؛ فإنهم يأتون بألفاظ محدثة ومجمولة، والقاعدة
في الألفاظ المحدثة المجمولة: التوقف عن الحكم على قائلها أو عليها
إلا بعد الاستفسال؛ فإن أراد منها حقاً قبلنا ما أراد، وإن أراد باطلًا;
ردنا الباطل، وإن أراد حقاً و باطلًا؛ و قفنا اللظف، و قبنا الحق، و ردنا
الباطل (1).

ويذكر الموقف هو موقف العدل والإنصاف، فإن الموافقة على مثل
ذلك يؤدي إلى الوقوع في الباطل وموافقة المبطل، والمبادرة بالرد تؤدي

(1) التدمرية ص 204 و مجموع الفتاوى 73/347 و 305/5 و 137/2 و 114/1 و 76/1 و 238 و 554. و درء تعارض العقل والنقل.
إلى رد الحق؛ لأن المتكلم بذلك قد يريد حقاً، فكان في التوقف والاستفصال مخرج من التورط برد الحق أو الموافقة على الباطل، هذه قاعدة مقررة معروفة، وهي منهج من مناهج الجدل والمناظرة.

وتأتي لهذه الكلمات: "تعالى عن الحدود" هذا لفظ مجمل، والحد يطلق ويراد به تحديد الماهية، مثل الحد عند المناظرة، أي: التعريف الذي يتضمن تحديد كنه الشيء وماهيته؛ فإن أريد هذا فهو ممنوع، إذ لا سبيل إلى تحديد الرب تعالى وذكر حقيقته، فتعالى عن أن يحدد الحادون، وأن يصلوا إلى معرفة كنه وحقيقة، قال شيخ الإسلام: "أهل العقول هم أعجز عن أن يحدوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوه" (1)، فهذا المعنى حق، تعالى الله عن أن يدرك أحد حقيقة ذاته أو حقيقة صفاته.

ويأتي لفظ (الحد) ويراد به أنه ليس ساريًا في العالم حالًا في المخلوقات؛ بل هو فوق سماواته، وهذا المعنى جاء عن الإمام ابن المبارك، لما قال له: بماذا نعرف ربي؟ قال: "بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه. قيل: بحد؟ قال: بحد" (2).

وقوله: "والغايات" الغاية تطلق ويراد بها النهاية، وتعلق ويراد بها المقصود من الفعل، أي: الحكمة منه، فإذا أريد أن الله تعالى منزه عن أن تكون له حكم في أفعاله؛ فهذا باتباع، لأن الله له الحكمة البالغة في خلقه وفي شرعه، يقول شيخ الإسلام "الصلاة في التدمرية: "والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته - وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة - تدل على حكمته البالغة" (3).

(1) التدمرية ص 179.
(2) نقض عثمان بن سعيد ص 57 والرد على الجمعية ص 48، والسنة لعبد الله بن أحمد 1/164، والإبانة 3/158، وانظر: بيان تلييس الجمعية 3/42.
(3) ص 123.
الواجب في الألفاظ الحديثة في صفاته تعالى

ومن العلل والحكم ما علمناه بالنصر عليه في الكتاب أو السنة، ومنها ما يُبدِّل إليه التدبير والتفكير، ومنها ما طوِّر الله علمنه عن عباده؛ فالعباد لا يحيطون بحكمته تعالى.

وكل ذلك إذا أريد بنفي الألفاظ: نفي أن يكون الله في السماء فوق العرش; وأنه في كل مكان، كقول الجهمية الحلولية.

فني الألفاظ من النفي المحدث لمعان أو ألفاظ مجملة.

وقوله: (والأركان والأعضاء والأدوات) لا حول ولا قوة إلا بالله! عفا الله عن المؤلف وغفر الله لنا وله! ماذا يريد بالأركان والأعضاء والأدوات؟ لقد كان في غنى عن هذا الكلام، أين الآية أو الحديث الذي فيه هذه الألفاظ؟

الأركان: الجوانب، والأعضاء التي في الإنسان والحيوان هي أجزاءه التي يمكن أن تتبعض، والمخلوق يتبعض، فالإنسان يتجزأ، وأجزاءه يقال لها: أعضاء؛ لأنه يمكن انفصالها.

فني الأعضاء بمعنى: أنه تعالى متزه عن التجزؤ، حق الله متزه عن التجزؤ، فهو تعالى أحد صمد؛ لكن هذا التعبير المحدث يمكن أن يفهم منه المطلق نفي بعض الصفات؛ لأن قوله: (والأعضاء) يحمل نفي بعض الصفات الذاتية كالوجه والعينين والبدين، فيقول المبطل: هذه أعضاء، فنفي الأعضاء، وهذا باطل، ونرجو أن المؤلف لم يرد هذا، وإنما أراد نفي ما تحصل به مماثلة المخلوق للخلق، لا سيما أنه قال: «مصوص بصفات الوحدانية ممنعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية» فهو في مقام تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات.

(1) وانظر: ص٨٠.
وقوله: «لا تحويه الجهات الست».

الجهات الست: فوق وتحت، وأمام وخلف، ويمين وشمال.

والمحفظات: المخلوقات.


قال شيخ الإسلام: النفوذ للجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش، أو نفس السماوات. وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم(1).

فإذا أريد بالجهة ما وراء العالم فاننا إلى للجهة مبطل، إذ ليس وراء العالم شيء مخلوق؛ بل وليس وراء العالم شيء موجود إلا الله تعالى.

وإذا أريد بالجهة شيء مخلوق، مثل أن يراد بالجهة نفس السماء أو العرش، وأنه سبحانه حاصل في ذلك؛ فالنافي لهذا محق والمثبت له مبطل.

فإذا أريد بكلمة «الجهات» أشياء موجودة مخلوقة؛ فالله منزه من أن يحيط به شيء من المخلوقات؛ بل هو تعالى أعظم وأكبر من أن يحيط به شيء من المخلوقات؛ لأنه تعالى العظيم الذي لا أعظم منه فهو الذي «وَسَيَّعِبُ الرُّسُلَةَ الْمَلَكَةَ وَالْأَرْضَ» [القرآن: 255]، وهو الذي «يَقِلُلُ ٱلْمَلَكَةَ وَٱلْأَرْضَ أَنْ تُرْزَأ» [فاطر: 41]، «وَبَذِّيَةٌ جَيِّـعًا قَبَصُّتُ يَوْمَ ٱلْيَكْـيَـمَةِ».

(1) التدمرية ص 485، وانظر: منهج السنة 2/ 31، 32 و 558 و 548، وبيان تلبيس الجهمية 3/ 305 و 58/ 5 و 7/ 58 و 57/ 15.
والسموت مطوية(١) بسمه [الزمر:٧٧]، لا يحيط به شيء من الجهات؛  
لكنه في العلو فوق جميع المخلوقات، بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء  
من مخلوقاته، ولا في المخلوقات شيء من ذاته.

وقد وقف الشارح ابن أبي العز كنتة في هذا الموضوع(١)، وتكلم  
على هذه الألفاظ كلامًا حسنًا، فجزاه الله خيرًا على ما فعل، وقد أحسن  
كثرًا بهذا الشرح، الذي لزم فيه منهج أهل السنة.

---

(١) ص٢٧٠.
مذهب أهل السنة بالجماعة
في الإسراء والمعراج

وقوله: (والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ) وخرج بشخصه في
البيظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء،
وأوحي إليه ما أوحى، (ما كتب الفؤاد مارأة [النجوم] ففي الآخرة والأولى).

الإمام الطحاوي ﷺ في هذا المؤلف المختص في مسائل الاعتقاد
لم يلتزم بالتنسيق بين المسائل، وضمّ كل نوع إلى ما يناسبه، بل نوع;
فتارة يذكر المسائل المتعلقة بالتوحيد وأسماء الله وصفاته، والمسائل التي
تخص الرسول ﷺ، ومسائل أخرى كثيرة تنازل بالقدر، والملائكة...،
فتجده يتنقل؛ فمثلًا: قال هنا: (والمعراج حق، وقد أسري بالنبي ﷺ)
بالإسراء والمعراج مما يتصل بخصائص نبي ﷺ، فضلًا المؤلف عما تقدم
من كلامه (1) في رسالة نبيا محمد ﷺ، وما ذكره من بعض خصائصه.

وأصل كلمة (مغراة) في اللغة: آلة العروج (2)، والعروج:
الصعود، فتقول: عرج إلى السطح وإلى الجبل وإلى السماء، أي: صعد;
قال تعالى: {فَتَصْعَدُ الْمُتَّكِئُةُ وَالْمُرْجُ} [المعارج: 4]، وفي الحديث: "ثم
يعرج الذين باتوا فيكم" (3) وليس المراد هو إثبات الآلهة أو الوسيلة التي

1) ص 48.
2) في القاموس ص 253: المغراة: النَّلْحِم والمسدح.
3) رواه البخاري (555) ومسلم (132) من حديث أبي هريرة ﷺ.
أخرج بها النبي ﷺ، بل إِثَاث عِروج النبي ﷺ إلى السموم، وإِلى حيث شاء الله من العلا، فَكَانَ المصنف يقول: وَعِروج نبينا ﷺ إلى ما شاء الله حق، فَلكُن صَار لفَظ (المعراج) عُلَمًا على هذا الأمر.

وَقَد أَشَار الله إلى العروج بالنبي ﷺ في القرآن في سورة النجم: 

ما كَتَبُ الْقُوَّةَ مَا رَأَىٰ أَقْطَرُونِينَ عَلَى مَآ يُرَىٰ وَلَقَدْ رَأَى نَارَةً أَخْرِجَتِ الْعَمَّاءَ أَمَامَهَا (النجم) 

وَقَد ثَبَت في الصحيح: أنه حينئذ رأى جبريل على صورته التي تُلْبِي عليها، سُمَيَّة جِناح والمراد بالإسراء هو: الذهاب بالنبي ﷺ ليالًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس، قال الله تعالى: «شَكَّنَ اللَّهُ أَسِرَىٰ يُصِيبُوَّاتِهِ السَّمِيدَةَ الحَكْراً إِلَى السَّمِيدَ الأَقْصَى أَلِيْهِ بَرَكَا كَحْوَلٍ».

(الإسراء: 1).

وَقَد جاء ذِكرُ صُفَات المعراج في أحاديث، لكن الغالب أنها ليست من الأحاديث المعتمدة، لكن الإسراء بالنبي ﷺ، والعروج به إلى السموم هذا أمر معلوم، وجميع عليه بين أهل السنة، ودلت عليه الأحاديث الصحيحة المتواترة.

وَقَد اخْتَلَف الناس في حقيقة الإسراء والمعراج - مع الاتفاق على ثبوتهما - على أي وجه وقع؟ والحق أنه قد أسرى بالنبي ﷺ بروجه وبدنه، وعَرْج به إلى حيث شاء الله من العلا يَقْطِزَ لا مناطًا، ولهذا نص المؤلف على ذلك بقوله: «وَقَد أَسَرَى الْبَنِي ﷺ، وَعَرِج بِشَخْصِهِ فِي الْبَقْتَةَ» وهذا هو الذي يدل عليه ظاهر الأدلة، قال تعالى: «شَكَّنَ اللَّهُ أَسِرًاٰ يُصِيبُوُّاتِهِ السَّمِيدَةَ حَكْراً إِلَى السَّمِيدَ الأَقْصَى أَلِيْهِ بَرَكَا كَحْوَلٍ» (الإسراء: 1).

والعِبَد اسم للروح والبدن.

(1) البخاري (4856)، ومسلم (174) من حديث ابن مسعود ﷺ.
(2) نظم المتنانر ص 219، وانظر: تفسير ابن كثير 6 فقد ساق روايات كثيرة جداً.
وتصدير هذه الآية بالניסبي دال على عظم الأمر، والإسراء كان بروح وبدنه يقظة لا مناماً، فإن الذهاب والانتقال في النوم أمر ليس بمستغرب ولا مستنكر، فهو يحدث لسائر الناس.

ومما يؤكد هذه الحقيقة ما جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ لما أخبر قريشًا استعظاموا ذلك وكذبوا، وسألوه عن أشياء من بيت المقدس، قال النبي ﷺ: "فَكْرَبْتُ غُزُولًا ما كُرِبَتْ مثله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به" (1) فهذا كله يؤكد أن الإسراء كان بروح وبدنه يقظة لا مناماً.

كذلك العروج به إلى ما شاء الله من العليا كان يشخصه يقظة لا مناماً، فهذا هو الأمر الخارق العظيم أن يقطع هذه المسافات ويعود في ليلة.


وقال بعضهم: إنه كان مناماً! واحتجوا برواية شريك بن عبد الله ابن أبي نمر: "واستيقظ وهو في المسجد الحرام" (2). ورد ذلك

(1) رواه مسلم (172) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(2) حديث الإسراء روي في الصحيحين في مواضع من رواية عدد من الصحابة منها: البخاري (7) ومسلم (144) من حديث مالك بن صعصعة ﷺ.
(3) البخاري (17) ومسلم (718) من روايته عن أنس ﷺ.
المحققون وقالوا: إن هذا وهم من شريك، وقد وهم في هذا الحديث في مواضع عدة (1).
والقول بأن الإسراء والمعراج كان مناماً قول باطل ليس بشيء، فلو قال الرسول ﷺ لقريش: إنى رأيت في المنام، لم يكذبه؛ لأنه أمر عادي يحصل لأحده الناس.
وُنسب إلى عائشة وعائشة وعائشة (2) أن الإسراء والمعراج كان بروحه دون جسد. وهو رأى عندي غير مقبول، ويرد عليه ما يرد على القول بأنه كان مناماً، فإذا كان جسدًا بائقًا عندهم فلن يكون بينه وبين رؤية المنام كبير فرق، وما معنى أن يأتيه جبريل بالبراق، ويحمله عليه ويسير به، ويشتي بالأنبياء؟
فهذا القول فيه نظر، وهو خلاف ظاهر الأدة.
ومن اختيار هذه الأقوال من العلماء أراد أن يوفق بين الروايات فيقول: إن الإسراء كان مرة يقظة ومرة مناماً، ومرة في مكة ومرة في المدينة.
وإنه وظنه العلامة ابن القيم، وقال: «هذه طريقة ضعفاء الظاهرة من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تختلف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى، فكلما اختفت عليهم الروايات عدوا الوقائع! والصواب الذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجبًا لهؤلاء الذين زعموا أنه مرارًا، كيف ساغ لهم أن يظنا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصور خمسًا، ثم يقول: «أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي» ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين ثم يحظها عشرًا عشرًا» (3).

(1) انظر: صحيح مسلم (162)، وزاد المعاد 3/ 42 وتفسير ابن كثير 57/5، وفتح الباري 485/13.
(2) ذكره الطبري في تفسيره 445/14 ونقضه، وانظر: زاد المعاد 3/ 40.
(3) زاد المعاد 3/ 42.
فالصواب: أن الإسراء والمغراج حدث مرة واحدة والنبي ﷺ في مكة قبل الهجرة، وفرضت عليه الصلاوات الخمس، وقد اتفق أهل العلم: أن الصلاوات الخمس قد فرضت عليه وهو في مكة قبل الهجرة، والمشهور أن ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل: بأقل، وقيل: بأكثر. 

وفي قصة الإسراء والمغراج الدلالة على عظم شأن الصلاة حيث فرضت على النبي ﷺ بلا واسطة وفرضت عليه وهو في أعلى المقامات فوق السلمات.

وفي قصة الإسراء والمغراج دلالة على علو الله تعالى على خلقه، فإنه عرج به إلى ربه، كما قال تعالى: {فُجِبَتْ النُّديَّةُ وَأُرْجَعْ إِلَيْهِ} (المجار: ٤). فالملاكاة والأرواح ترجع إلى الله لأنه في العلو.

وفيها إثبات صفة الكلام الله تعالى، وتكليمه لنبينا محمد ﷺ بلا واسطة.

وفي ذلك فضيلة لنبينا ﷺ حيث أكرمه الله ورفعه على سائر النبيين والمرسلين، حتى تجاوز كل الأنبياء، حتى إبراهيم ﷺ لقيه في السماء السابعة وتجاوز إلى مكان فوق ذلك يسمع فيه صريف الأقلام (٢). 

سبحان الله مع هذه الأبعاد العظيمة يتم هذا في ليلة، هذا أمر خارق، ولا تقل: كيف?

والآن أتى الله للناس بشيء ما كان يخطر بالهم، هذا الصوت الآن في أقصى الدنيا، يقول لك: السلام عليكم، فتقول: وعليكم السلام، فتسمعه وترد عليه، والذين يصعدون في المراكب الفضائية أيضًا مع بعد العظيم الذي تنتهي إليه تلك المراكب، يتكلمون مع من يكلمهن.

---

(١) التمهيد ٤٨/٨

(٢) رواه البخاري (٤٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث ابن عباس وأبي عبيدة

الأنصاري ﷺ.
في الأرض، ويصل الصوت في نفس الوقت، فهذا مثال أصغر للحدث العظيم حدث الإسراء والمغارة، سبحان الله! هذه أمثلة وآيات لعلها تدخل في عموم: ﴿سُرِّبِيرُهُمْ مُّسأٍّيٍّا في الأفْقِ وَقَفْهُمْ حَتَّى يَبْيَيْنَ لَهُمْ ﷺ﴾ [فصلت: 53].

وأي أمر تستعظمه مما أخبرت به الرسول فرده إلى كمال القدرة يسهل أمره عليك جدًا، ﴿وَإِنَّا كَانْنَا عَلَىٰ كُلٍّ شَرِيفٍ﴾ [البقرة: 20] ومتى استبعد الإنسان شيئًا من ذلك، فذلك لنقص إيمانه بكمال قدرة الرب تعالى وتقديره، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُعَجِّرُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِلَّآ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مَقَامٌ﴾ [ناصر: 44].
إثبات حوض نبينا محمد ﷺ

وقوله: «والحوض الذي أكرمه الله تعالى به - غيابًا لأمه - حق» تواترت السنة عن النبي ﷺ في الخبر عن حوضه (1). وقال النبي ﷺ للأنصار: "إنكم ستلقون بعدي أثر، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" (2). وأخبر عن ورود أمته عليه وهو على حوضه، وقال: "إني أفقركم على الحوض - أي: سابكم - وإنه سيَدُ علي أقوام من أمتى فيداون عن حوضي، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقو صقحاً لمن غيَر بعدي" (3). فيجيب الإيمان بما دلت عليه الأخبار عن حوضه، وأن طوله شهر وعرضه شهر (4)، وآتيه عدد نجوم السماء، وما أشده بيضًا من اللبن، وأحلى من العسل (5).

والحوض في عرائض القيامة، قبل دخول الجنّة، يرد عليه

(1) قطع الأزهر المتناثرة ص 297، ونظم المتناثر ص 248، وانظر: السنة لابن أبي عاصم 346 - 426، والبداية وال النهاية لابن كثير 19/373 - 416 فقد أطال في سرد أحاديث الحوض.

(2) رواه البخاري (433)، ومسلم (1061) من حديث عبد الله بن زيد.

(3) رواه البخاري (583 و 584)، ومسلم (299 و 299) من حديث سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري.

(4) رواه البخاري (679) ومسلم (292) من حديث عبد الله بن عمرو.

(5) رواه البخاري (679) ومسلم (292) من حديث عبد الله بن عمرو، ومسلم (247) من حديث أبي هريرة، (2300) من حديث أبي ذر، و (2301) من حديث ثوبان.


فيجب الإيمان بما دلت عليه هذه الأخبار، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، ولذا قال الطحاوي: "الحوض الذي أكرمه الله تعالى به ـ غيابًا لأمته ـ حق".

ورد في حديث رواه الترمذي أن النبي قال: "إن لكل نبي حوضًا"، ولكن أعظمها حوض نبيا؛ لأن المؤمنين من أمته

---
(1) نفس تحرير حديث سهل وأبي سعيد السابق.
(2) رواه مسلم (2300) عن أبي ذر، وأبي نعيم.
(3) رواه مسلم (400).
(4) الترمذي (2442)، وقال: حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي مرسلاً، ولم يذكر فيه عن سميرة، وهو أصح، وانظر: فتح الباري 11/437، والسلسلة الصحيحة (1589).
هم أضعاف أضعاف المؤمنين من سائر الأمم، فكثر أتباعه ومؤمن به يقتضي أن يكون حوضه أعظم الموارد.
وكلم بعض العلماء في شأن ترتيب الحوض مع بعض أمور القيامة، هل يكون قبل الميزان أو بعده؟ وهل هو قبل الصراط أو بعده؟
والشافعي ابن أبي العز (1) نقل عن الفارابي (2): أنه قبل الميزان،
وعمل هذا بأن الناس يبعثون من قبورهم عطاً، فيقدم قبل الميزان والصراط.
وهذا لا يكفي دليلاً، وما الدليل على أن المؤمنين الذين هم أهل الورود يبعثون عطاً؟
فهذه المسألة يجب الإمساك عن الكلام فيها، فلا نقول: قبل ولا بعد، فهناك أعلم، هذه أمور غيبية، ولا يgement شيء منها إلا بحجة وبرهان.
وأما كونه قبل الصراط أو بعد الصراط فهذا فيه تأمل، واستدل من قال: إنه قبل الصراط: بأنه ثبت أنه يرده عليه من يدده عنه ممن استوجب العذاب، وهؤلاء لا يجاوزون الصراط.
واختار ابن القيم - بعد أن حكى القولين - أنه لا يمتنع أن يكون قبل الصراط وبعده، فإن طوله شهر وعرضه شهر، فإذا كان بهذا الطول والسعة، فما الذي يحل إمتداده إلى ما وراء الصراط، فيردونه قبل.
وبعد (3).
والأمر محتمل. والله أعلم.

(1) ص 282.
(2) التذكرة 2/702.
(3) زاد المعاد 3/823.
إثبات شفاعة النبي ﷺ لأمته،
وذكر الشفاعة الخاصة به

وقوله: «والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار».
أي: الشفاعة التي ادخرها النبي ﷺ لأمته يوم القيامة، كما صح
بذلك الحديث فقد قال ﷺ: «كل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي
دعوته، وإن اختلفت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن
شأء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيطان» (1) فهذه الشفاعة في أهل
الكبائر، وهي إحدى شفاعات نبيا ﷺ؛ فإن له ﷺ عدة شفاعات:

أولها وأعظمها: شفاعته في أهل الوقف أن يقضي بينهم، وهي
المقام المحمود الذي خصه الله به في قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَا رُبْكَ مَقَامًا
مَحْمُودًا» (الإسراء: 79)، وجاء في الحديث في الدعاء بعد الأذان: «من قال
 حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت
 محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاتلاً محمداً الذي وعدته، حَلَّت له
شفاعتي يوم القيامة» (2).

وقد تواترت الأحاديث (3) في ذكر استشعاك الناس بأدام وأولي العزم
من الرسل أن يشععوا لهم عند الله أن يريحهم مما هم فيه من الكرب
والشدة وأهوال الموافق.

(1) رواه البخاري (8304)، مسلم (199) - واللفظ له - من حديث أبي
 هريرة رضي الله عنه.
(2) رواه البخاري (214) من حديث جابر بن أحمد.
(3) قطف الأزهر المتناثرة ص 203، ونظم المتناثر ص 245.
وهذه الشفاعة لا ينكرها أحد من أهل البدع؛ لأنها لا تناقض شيئًا من أصولهم.

والثانية: شفاعةه في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فبعدما يجوزون الصرام الوقف على قنطرة بين الجنة والنار فإذا هُذُبوا ونَقَثوا أذن لهم بدخول الجنة(1)، ثم إنهم لا يدخلون إلا بشفاعته(2).

وهاتان الشفاعتان خاصتان به.

والثالثة: شفاعةه فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها، وهذا جاء صريحًا في الأحاديث، وأنه يشفع أربع مرات وفي كل مرة: يسجد له ويدعو ويستشفع فيقال له: ارفع رأسك، وقل تسمع، وسَل تعتمه، واشفع، تشفع، ثم أشفع: فَبَدْت لي حَدَا أَخْرَجُهم من النار(3).

وتواترت الأحاديث(4) بأنه يخرج من النار لهذه الشفاعات من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه مثقال خردة، أو شعيرة، أو بَرَة أو ذرة من إيمان، وأنهم يخرجون من النار وقد صاروا حِمَمًا - أي: مثل الفحم - فَيُنْقَلُون في نهر بأفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فَيُنْبِتُونَ كَمَا تنبت الجَبَّة في حمَل السِيل(5).

وهذه الشفاعة في أهل التوحيد لا تختص بالرسول(6) لكن له من ذلك النصيب الأكبر والأعظم، فمن يخرج بشفاعته أكثر من يخرج بشفاعة غيره، وإلا فإنه تَشفع الملائكة، ويشفع النبيون، ويشفع المؤمنون(7)

---
(1) رواه البخاري (1446) من حديث أبي سعيد.
(2) رواه مسلم (195) من حديث أبي هريرة، ومعناه (196) من حديث.
(3) رواه البخاري (1615) ومسلم (193) من حديث.
(4) انظر حاشية (3) ص 150.
(5) رواه البخاري (17439) ومسلم (183) من حديث أبي سعيد الخدري.
(6) الجَبَّة بالكسر: يُبُرِّر الْبَقُول وحِب الرَّياحين. وقيل: نبت صغير ينبت في الحشيش، النهاية 1/267.
كل يشفع حسب ما يحد له، فإنه لا أحد يشفع عنه إلا بإذنه.

وهذه الشفاعة تنكرها الخوارج والمعتزلة(1)؛ لأنها تناقض مذهبهم
في تخليد أهل الكبائر في النار، فهم يقولون: إن أهل الكبائر مخلدون
في النار، ويستحيل أن يخرجوا منها، واستندوا بمثل قوله تعالى: ﴿فَا نَتْفِهُمْ شَفَائَةُ الشَّيَاطِينَ﴾ (المدثر)، ﴿فَمَا يَقَلِّبُ الْقَلَىَّةَ مِنْ جَمِيعٍ وَلَا شَفَائُ﴾
[غافر: 18].

والشفاعة في إخراج عصاة الموحدين هي التي أشار إليها المؤلف;
لأنها هي محل النزاع بين أهل السنة والخوارج والمعتزلة.

والرابعة: شفاعة في تخفيض العذاب عن عمه أبي طالب، فقد
سأله عمه العباس، فقال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء
فإنه كان يحوطلك ويتغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضحضا من نار،
ولولا أنا لكان في الدرك الأسف النار(2).

فأبو طالب بشفاعته صار من أهون أهل النار عذابًا.

وبهذه يُعلم أن الشفاعة التي تذكر لها الشروط هي الشفاعة في
خروج أهل التوحيد من النار، وهي متوقعة على شرطين:
إذن للشافع، ورضاه عن المشعف له، وذلك بأن يكون من أهل
التوحيد، قال تعالى: ﴿وَرَكَّزْنَهَا فِي الْشَّمَـَـََـََّـْلَيْنِ لَا تَشْتَهِيَّ شَفَائِهِمْ شَيْـَّـٰكًا إِلَّا مِنْهُ﴾ (النجم)، ﴿فَمَنْ ذَا أَلْبَىٰ يَنْفَعُ عِبَادَهُ إِلَّا ﴿يَشْفِعُونَ﴾ (البقرة: 205)، ﴿وَلَا يَشْفِعُونَ إِلَّا ﴿لِمَنْ أَنْعَمَهُ وَهُمْ مِنْ خَيْرِهِمْ﴾ (المائدة: 28)، فلا يرد على ذلك شفاعة النبي ﷺ في أبي
طالب؛ فإنها ليست شفاعة في خروجه من النار؛ بل هي شفاعة في
تخفيض العذاب عنه.

(1) مجموع الفتاوى 116/1، اقتضاء الصراط المستقيم 2/359.
(2) رواه البخاري (6208)، ومسلم (209).
إثبات الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم

وقوله: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق».
الميثاق عهد مؤكد، قال الله تعالى: «وَأَنَّـهُ أَخْذَ أَنَّـهُ نَعْطَىٰ الْجَاحِرَةِ الْقَطِيفَةِ» [اليثيم: 81]، «وَأَنَّـهُ أَخْذَ أَنَّـهُ نَعْطَىٰ الْجَاحِرَةِ الْقَطِيفَةِ» [المائدة: 12].

وأثبت له بأحاديث عديدة جاءت في المسند والسنن وفيها: أن الله تعالى مسح ظهر آدم واستخرج ذريته أمثال الذر، وفي بعضها: أن الله استنبطقهم وَأَنْفَسُهُمْ إِنَّهَا مَثْلُ حَيَاةِ جَيْسٍ [الأعراف: 172].
فقال: «أَسْتَ لِيْكُمْ قَالَوْا یَا بَني آَمَةَ أَن نَفْسَهُمْ أَنْفِسُهُمْ وَأَنْفِسُهُمْ إِنَّهَا مَثْلُ حَيَاةِ جَيْسٍ» [الأعراف: 172].

والأحاديث التي فيها استنبطق ذريه آدم من ظهره كثيرة (٢)، وبعضها

(١) أحمد ١٤٤٤، وأبو داود (٣٧٠٣)، والترمذي (٣٧٠٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٩٠)، وأبن حبان (٢٢١٦٦)، والحاكم ٢٧/١ من حديث عمر، ورواه أحمد ٢٧٦٢، والنسائي في الكبرى (١١١٩١)، والحاكم ٢٧/١ من حديث ابن عباس.
(٢) انظرها وبعض الكلام عليها في: الروح ص٤٥، وتفسير ابن كثير ٣/٥٠١، والدر المئور ٣/٥٩٨، والسلسلة الصحيحة (١٦٢٣).
يشهد لبعض؛ لكن الرواية التي فيها أنه استنقظهم وأشهدهم على أنفسهم فيها مقال لأهل الحديث؛ فمنهم من لا يثبت هذه الرواية كما ذكر الشارح ابن أبي العز (١)، وأصح ما ورد في شأن الميثاق الحديث الذي في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «إن الله يقول لأهله أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فودك سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك» (٢).

الشاهد: «قد سألته ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك»، هذا أصح ما استدل به على الميثاق الأول.

ومن الناس من لا يثبت هذا الميثاق ويقول: هذا الميثاق لا يذكره أحد من الناس، وليس فيه حجة على أحد.

والجواب عن هذا: نعم ليس حجة وحده، ولا يستوجب من خالفه بمجرده العذاب، إنما يستوجب العذاب من جاهته الرسول، وبلغته دعوة الحق.

وأما الآية ففيها نزاع، هل هي في الميثاق الأول الذي أخذه الله على آدم وذرته يوم استخرجهم من ظهره؟ في ذلك رأيان:

أكثر المفسرين على أنها في هذا الشأن، ومنهم من يرى أنها في معنى آخر، وأن المراد منها ميثاق الفطرة التي فطر الله عليها عباده.

ورجح ذلك ابن القيم بوجهه (٣)، منها:

(١) ص٣٠.
(٢) البخاري (١٥٧٤) ومسلم (٢٨٠٥).
(٣) الروى ص ٢٦٠.


والمراد: استخراجهم جيلا بعد جيل، من ظهور آبائهم. وأشدهم عقل أنفسهم [الأعراف:167] بما نصبه من الأدلة على روبوته سبحانه وإلهيه، وفطر عباده على وحدانيته، وقال النبي ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة".

فالآية في ميثاق الفطرة، ومع ذلك هذا الميثاق لم يجعله الله بمجرده هو الحجة على العباد، نعم هو من جملة الحجج، لكن الحجة الكبرى هي: إرسال الرسول، قال تعالى: "وما كَأَيْمِنَانِ عَلَىٰ نَفْسِهِما رَسُولٌ" [الإسراء:15]. وقال سبحانه: "ورسلان مبديين ومبدين إلهًا يكون للذين على آله حجًا بعد الرسول" [النساء:166]. فبالرسول قطع الله المعذرة، وقال النبي ﷺ: "لا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين"، فالحجة القاطعة لحجة العباد على ربه هي: إرسال الرسول، وما هذه الوثائق، وهذه الآيات إلا من حجج الرسول عليهم، ولها يمتحن الرسل على أممهم فيما أنكروه بما أقروه به، فيمتحن عليهم بإقرارهم بروبيته تعالى، وأنه خلقهم وخلق السموات والأرض يمتحن عليهم بهذا الإقرار على وحود عبادته تعالى وحده دون ما سواء "أعذروا الله ما لمكم ينفعون إلا غيور" [الأعراف:95].

ومما تقدم يتبين أن ما ذكر الله هو موجب الدليل، كما في حديث أنس נּ في الصحيحين، وكما دلت عليه الشواهد من الأحاديث.

---
(1) رواه البخاري (1358)، ومسلم (768) من حديث أبي هريرة נּ.
(2) رواه البخاري (7416)، ومسلم (1499) من حديث المغيرة بن شعبة נּ.
(3) تقدم تخرجه ص 159.
أيهات الميثاق الذي أخذه الله علی بني آدم

الأخرى، فالميثاق الأول حق، ولكن ليس هو الحجة القاطعة للمعذرة على المكلفين، وإنما هو مما يحتاج به الرسل على أممهم، وذلك بتذكیرهم إياه وإخبارهم به.
وجوب الإيمان بالقدر بمراتبه الأربع

وقوله: «وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يُزَاد في ذلك العدد، ولا يُنقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله». 

الأصل السادس من أصول الإيمان: الإيمان بالقدر، والإيمان بالقدر يشمل أربعة أصول، وهي التي تسمى مراتب الإيمان بالقدر:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله السابق: وهو الإيمان بأن الله علم بعلامه القديم كل ما يكون، فعلم العباد وأعمالهم وأحوالهم وطاعاتهم ومعاصيهم بعلامه القديم الأزلي الذي لم يحدث بعد أن لم يكن؛ فإنه تعالى لم يزل عالما بما سيكون.

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة المقادير: وهو الإيمان بأن الله قادر مقادير الخلق، وكتب ذلك على وفق ما علم قبل أن خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (ع) عند مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن خلق السماوات والأرض» (1)، والآيات التي فيها ذكر الكتاب كثيرة، قال تعالى: «وَلَا رَزَقُوا كَالْإِنسَانِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» (الأنعام: 95)، وَمَا أُصَبِّبَ مِن مَّضِيَّاتِي فِي الأَرْضِ لَا فِي آثِمَكُمْ إِلَّا فِي صَبْرِ يُؤْنِي أَن تَّبَرَّاَهُمَا» (الحديد: 22).

(1) تقدم في ص 71.
المرتبة الثالثة: الإيمان بعموم مشيئة الله: وهو أنه لا خروج لشيء عن مشيئة الله، فكل ما يجري في الوجود فهو بمشيئة الله، فكل حركة وسكن، وكل تغير موجود أو عدم أو زيادة أو نقص على أي وجه كل ذلك بمشيئة الله وعلمه، (وما تحمل من أثني ولا تضع إلا يويله) (فاطر: 11)، 
«يُعمِمُ مَا تحمل سَكْلُ أَنتُ وَمَا تَنيشَ الأَرْكَامِ وَمَا تُرْدَدُ» (الرعد: 8).
والمرتبة الرابعة: الإيمان بعموم خلقه، ومعناه: أن الله خلق كل شيء، فكل موجود فهو مخلوق لله، قال تعالى: (الله خَلَقَ كُلٌّ شَيْءًا) (الزمر: 22)، (ذَلِكَ اللَّهُ الرَّحيِّمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِيفَ السَّلَامٍ) (الأنعام: 102).

هذه أربع مراتب لا بد أن تكون مستقرة في ذهن المسلم، والمؤلف ذكر عبارات كثيرة تتعلق بتقرير الإيمان بالقدر في حدود هذه المراتب المذكورة؛ لكنه نُوَّع العبارات وذكر جزئيات وتفصيلات، وفرق الكلام في القدر، فقد تقدم قوله: (خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالًا، ولم يخف على شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم (1)) وذكر المشيئة وأن (كل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفد لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم (2)), وهنا ذكر أيضًا بعض التفاصيل في إطار مراتب القدر المتقدمة، فقال: (وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة فلا يزداد في ذلك العدد ولا ينقص منه؛ لأنه إذا زاد أو نقص لزم منه تغير علم الله، وأن الله لم يعلم ما سيكون، لا، بل قد فرغ من الأمر، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من نفس متفوسة إلا وقد كتب الله مكانيها من الجنة والنار» الحديث (3).

---
(1) 68 ص
(2) 77 ص
(3) رواه البخاري (1362)، ومسلم (2647) من حديث علي ﭼ.
وقد أخبر الرسول ﷺ بأنه: "ما من نفس إلا وقَدْ عَمِلَ مَكَانًا من الجنة ومكانًا من النار، قال رجل: أفلا نتَّكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: عملوا ميسراً، أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة، فيسرون لعمل أهل الشقاوة" (1)، وسُميت النبي ﷺ أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكادون فيه أشيء قضي عليه ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاههم نبيهم وثبت الحجة عليهم؟ فقال: لا; بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله ﷺ: "وَفَقِيِّ مَا سَوَّاهَا، فَأَفْقَهْهَا فَنُورًا وَتَقُولُهَا [السمى] (2)" ومعنى ذلك: أن الله تعالى يجري الأمور على وفق ما سبق به علمه وكتابه، فيسير للعيد طريقه ويجعله مهيأً سالكاً وهو يسلكه باختياره ومشيئته، ولكن مشيئته واختياره محكمان بمشيئة الرسول ﷺ.

(1) تقدم في ص 163.
(2) رواه مسلم (2750) من حديث عمران بن حصين ﷺ.
وجوه الإيمان بالقدر بمراتبته الأربع

كما قال تعالى: {وَمَا نُظَرِّيْنَلَّ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْكَلِمَاتِ} [التكوين]، فإذا أطاع العباد ربهم فبتفويق وتسير منه تعالى لعبده، وإذا فعل العبد المعصية فبعد ذلك التوفيق، وعدم هذا التوفيق هو تسير للكلا. 

وذلك سؤال يجري على ألسن بعض الناس يقولون: الإنسان مسير?

أم مخير؟

وهذا من الألفاظ التي لم ترد في النصوص فلا بد فيها من التفصيل، فمن أراد أنه (خير) بمعنى أنه له مشيئة واختيار، فنعم، وإن أراد أنه مخير أنه يتصرف بمحم مشيته خارجًا عن مشيئة الله وطالت فهذا بطل، فلا خروج لأحد عن قدرة الله ومشيته، وكذلك (مسير)؛ فإن أراد بمسير أنه في جميع أموره يتحرك بتدبير الله وتقديره ومشيته فنعم، وإن أراد أنه مسير لا اختيار له ولا مشيئة؛ بل هو مجبور؛ فهذا بطل.

وقوله: {والأعمال بالخواتيم}.

أي: أن المعترض في مصير العباد هو ما يختتم له به، فقد يعيش الإنسان عمرًا طويلاً وهو في أعمال الكفر والضلالة والعصيان، ثم يدرك ما سابقه الكتاب، فمؤمن ومؤمن، فيحكم له بالإيمان والعمل الصالح كحادثة سحرة فرعون أمضوا حياتهم كلها في عبادة فرعون، وعمل السحر، ولما رأوا الآيات أشرى الإيمان في قلوبهم {فالعترض سحرة} قلنا {عند آخر التمرينات وهم في الفتح} [الشعراء] وقولة تعالى حكايته عن قول فرعون لهم: {وأصبحتم في جذوع النخل ونعلم أن أنت أشد عدوانًا وأ множًين} قلنا {أن نُؤدِبُك على ما جاءنا برك التلبيب واللى فطرًا فأفض ما أنت قاضٍ} [طه] تحولوا من الكفر الذي هو من أغلظ الكفر إلى هذه المرتبة من الإيمان، فصاروا إلى كرامة الله فختم لهم بذلك العمل، وشاهدها هذا كثيرة.

(1) انظر ص 415.
وكم من كافر يسلم ثم ينضم إلى صف المسلمين فيقاتل ويقتل ولم يعمل قبلها شيئًا؛ لكنه آمن بالله ورسوله إيمانًا صادقًا، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتلا هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد»، وفي حديث ابن مسعود ﷺ في الصحيحين: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فيتفنح فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد. قال: فوالله الذي لا إله غيره، إن الرجل ليعمل بأهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بأهل النار فتدخلها»، فالعبرة بالخواتيم، ماذا ينفع من كان دأبه الإحسان إذا تحول وتغير وانقلب من الإحسان إلى العدوان؟ فبعد أن كان محسناً مصلحاً صار ظالماً مفسداً، فمن كان مؤمنًا مدة طويلة، ثم صار كافرًا، فكشفه يحبط ما قبله.

ولهذا من أعم ما يجب أن يهتم به المسلم أمر الخاتمة، فسأل ربه للغابات أولًا؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ومن دعاء النبي ﷺ: «يا مقلب القلب، ثبت قلبي على دينك»، وهذا يتضمن سؤال حسن الخاتمة، والله تعالى يقول: «يا أيها الذين آمنوا أنعوا الله حَتَّى تُقِيمُوا دينَ عِنْدَ الْأَوَّلِينَ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأُمُورِ».

(1) رواه البخاري (826)، ومسلم (1510) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(2) في صحيح.
(3) رواه أحمد (112)، البخاري في الأدب المفرد (184)، والترمذي (2140) وقال: حسن - وصححه الحاكم 1/266 والعيوض في المختارة 6/231 من حديث أنس ﷺ وروي من حديث غيره من الصحابة.
وجوب الإيمان بالقرن بمراتبه الأربع


وقوله: والسيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.

السعيد هو الذي يفوز بمطلوبه ومحبوبه، وينجو من مرهوبه ومكروه، وهو من يظهر بالكرامة ويوزع بالتعليم المقيم، والشقي ضده، وهو الذي يفوته المطلوب والمحبوب، ويбоء بالمكروه والمرهوب، وهو الذي يصير إلى عذاب الله الأليم المهين قل تعالى: «فَمَتَّعْ شَقِيعًا وَسَكَيْدًا فَانَّ اللَّهُ شَقِّى فَلَمْ يُقْلَبْنَ عِندَ اللَّهِ وَشَهَدُونَ فِيهَا مَا كَانَ أَنتُمْ تَكُونُونَ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَا كَتَبَ رَبُّكُ إِنَّ رَبِّكَ فَعَلِيٌّ لَّا يُزِيدُ الْمُتَّقِينَ» (الرعد). فالسعادة والشفاوة مقضيان ومقداران، وفي الحديث الذي تقدم ذكره: «أن الملك يؤمر بأربع كلمات: كتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد» (1) وهذا لا يعني أن الإنسان يصير شقي بدون أسباب الشفاوة، ويصير سعيدا بدون أسباب السعادة، لا؛ بل للشفاوة أسباب، وللسعادة أسباب، فالسعادة سببها توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسوله، هذه أسس السعادة؛ إيمان وتقوى، وعمل صالح، ولا تكون السعادة بدون ذلك أبدا، كما قال النبي ﷺ: إنه لن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة» (2) فالسعادة موقوفة على أسبابها والشفاوة موقوفة.

---

(1) تقدم تخرجته في ص 72.
(2) رواه أحمد ١٩/١٧٩، والterdamي (٣٩٦) وقال: حسن صحيح، والحاكم ١٧٨/٤ وصححه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.
على أسبابها، فالشقاوة سبها الكفر والعصيان والشرك والظلم والفسق والعدوان، فلا يدخل النار أحد إلا بالأسباب الموجبة لدخولها، ولا يدخل الجنة أحد إلا بالأسباب المقتضية لدخولها، والكل قد سبق به علم الله وقضااؤه وكتابه، فلا بد من استحضار هذه الحقائق، فالشقاوة لا تكون بسبيب، فمن سبق قضاء الله في شقاوته فلا بد أن تقوم به أسباب الشقوق، ومن سبق قضاء الله بسعادته، فلا بد أن تقوم به أسباب السعادة.

ومقام الكلام في القدر من المقامات العظيمة التي تموج فيها الأفكار والأقوال موجة، ولكن المعتضم الذي به النجاة من الزلل في هذه المساق، وهذه المثاتلات التي ضل فيها أكثر الخلق هو كتاب الله وسماحة رسوله ﷺ، فإذا أشكل عليك أمر ولم تدركه بعقلك النافص القاصر، فاعتصم بالله وكتابه، وحسبك.

و هذا الأصل العظيم مع ما يذكر فيه من تفاصيل بعض المسائل يقوم على المراتب الأربعة المتقدمة، ولا بد مع الإيمان بالقدر من الإيمان بالشرع والإيمان بحكمة الرب، فهذه ثلاثة أصول لا بد من التحقق بها، وتقدم أن المؤلف ذكر الأصول: الإيمان بالشرع والقدر بعدما ذكر بعض الجوانب في القدر قال: "ولم يخفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته" (1).

---

(1) ص 4، 74.
وعقده: "وأصل القدر: سر الله تعالى - في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل.

قدر الله وقضاؤه الشامل النافذ له جَمِعُ وآسرار لا سبيل للخلق إلى معرفتها، فإن الخلق لا يحيطون به تعالى علمًا، لا بذاته ولا صفاته ولا أفعاله ولا حكمته في خلقه وأمره، وما دام أن الله تعالى قد استأثر بذلك؛ فلا تطلب ما لا سبيل إلى معرفته، فهله قد استأثر بعلم كيفية صفاته فلا تطلب معرفة ذلك، ولا تسأل: كيف استوى؟ وكيف يغضب؟ وكيف ينزل؟ كل ذلك غير معقول لنا، ولا يمكن لعقولنا أن تصل إليه، كذلك أمر القدر، فهله قد استأثر بعلم آسرار القدر، وجَمِعُه في أقداره على التفصيل.

فالأشياء التي نبهت عليها النصوص قد تدرك بالتدبر؛ لكن تأمل في خلق الله، هذا يجعله غنيًا وهذا فقيّرًا وهذا بين ذلك، وهذا مؤمنًا مهتديًا، وهذا ضالًا، وهذا عاصيًا، وفي الخلق طويل وقصير، وجميل ودمييم، وكل التفاوتات التي تلاحظها، أغنى الله هذا دون ذلك، وأفقر هذا دون ذلك، وجعل هذا طويلًا وهذا قصيرًا، وجعل هذا عاقلاً وهذا غير عاقل، وفي الناس معيته، وبدل وذكي، ويولد للإنسان العدد من الأولاد وأمهم واحدة وتفاوت خلقتهم وأخلاقهم وعقوبهم وحظوظهم، ابحث عن آسرار هذه التخصيصات لا تجد إلى ذلك سبيلًا.

وقده: "لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرس".
فكيف يعقل دونهم؟ إذا كان الرسول الذين هم صفو الخلق،
والملائكة لم يطلعوا على سر القدر، فهذا يؤكد أن ذلك مما استأثر الله به واختص بعلمه، فسر القدر من الغيب المطلق؛ لأن الغيب نوعان:

غيب مطلق، وغيب نسي.

فالغيب النسي: الذي يعلم بعض الخلق دون بعض، فهو غيب بالنسبة لمن لم يعلمه، وغيب مطلق لا يعلمه إلا الله كما في الدعاء المعروف: "أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أ静电 من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك")، فالقدر القدري من الغيب المطلق الذي اختص الله به، لم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً؛ لأنهم لا علم لهم إلا ما علمهم الله: "قالوا سبجتنًا لا علم لنا إلا ما علمنا" [البقرة: 229]، وقال تعالى: "وما أرسلنا من الرسل إلا فليعلم" [الإسراء: 85].

---

(1) رواه أحمد 1/391، وأبو حبان (472) والحاكم 5/1 من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقال الدارقطني في العلل 5:200: إسناد ليس بالقوي.
البحث في أسرار القدر سبب للضلال

وقوله: "والتميم والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطفيان".

التميم: التكلف في البحث، والنظر: التفكر.

فالتميم والنظر في أسرار القدر والبحث عن ذلك، يقول المؤلف إنه: "ذرية الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطفيان". هذه كلمتان متنازقتين مقصودها: أن التعمق والنظر سبب الشقاء والهلاك، والمنصنف من منهجه في هذه الرسالة أنه يتجري السجع، وتنويع العبارات.

والخذلان: عدم التوفيق، "إِن ِّيَنْصَرُهُمْ اللَّهُ فَلَا عَلَّمَ بِهِ كَمْ وَإِن يَقْتُلُهُمْ فَمِنَّا أَلْقَى يَنْصَرُهُمْ بِهِ بَعْدًا" [ال عمران: 160]. فالتميم والنظر في أسرار القدر سبب لخذلان العبد وعدم توفيقه وحرمائه من الاستقامة، وسبب للطفيان فلذي يبحث ويخرج ويعتمق قد طغى وتعدى حده.

فأنت عبد ضعيف، ومحدود الإدراك، ولا تطلب ما ليس لك، ولا ترم ما لا سبيل لك إليه ولا قدرة لك عليه.

فالتميم والنظر سبب لكل شر وشقاء وهلاك، فإنه يضرب في ماتاه لا ينتهي فيها إلى حدود.

وقوله: "فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوءًا؛ فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهى عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: {لا يَشْكُرُ عِنْهَا يَسْتَاذُ وَهُمْ يَسْتَكْبِرُونَ} [الأنيام]".

يؤكد المؤلف ما سبق، فبعدما بين خطورة الخروج في أسرار القدر بالكلمات السابقة قال: "فالحذر كل الحذر من التعمق والبحث في أسرار"
القدر نظرًا وفكرًا ووسوسة، والنظر والفكر بمعنى: التفكير.
والوسوسة دون ذلك، فقد تكون بداية التفكير والنظر، "فالحذر منصب على الإغراء، أي: الزم الحذر والخوف أيها المسلم العاقل الناصح لنفسك.
والوسوسة هي: إلقاء المعاني في القلب، فالشيطان يوسوس فيلقلي معاني الشبهات، ومعاني الشهوات في القلب مثل البذر، فوسواس الشيطان هي البذرة الأولى للشرور كلها، لكن هذه الوسوس قد تموت في مكانها إذا وقع الإنسان لدفعها، وتعوذ بالله منه فإنها تنتهي، وقد يمر تفكيراً وفكرًا، ثم قد يمر كلامًا وعملًا، فكلا الشرور التي تشاهد بالعين وتنزع بالاذان كلها ثابتة من ذلك الوسوس، والله تعالى قد أنزل سورة ليتحصن بها المسلم من ذلك الوسوس الخانس: "قل: أعوذ بِرَبِّيATER تنُهِي الْكَانِسَ إِلَى آلتَكَانِينَ تَصْدِي الْوُسْوَسَاتُ النَّاسِ آلِيَاَِّي يُوْسِعُ فِي صُدُورِ آلِيَاَِّي وَآلتَكَانِينَ (الناس)، وسبقت الإشارة إلى الحديث الذي ورد في شأن الوسوس: "يأتي الشيطان أحدكم يقول: من خلق كلها، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعت بالله وليته"(1) فالشيطان يلقي في القلوب أخط الوسوس، لكن المؤمن الموفق يدفعها باعتصامه بربه و البلجوه إلى مولاه، ويقول: أعوذ بالله من الشيطان، فإن الله هو الذي خلق الشيطان وهو قادر على أن يصرفه عنك.
وقوله: "فإن الله تعالى علم القدر عن أئمه، عن خليقته، ومنهاهم عن مرامه" هذا تأكيد لما سبق من قوله: "واصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل".
فالمؤلف كوكب أراد أن يؤكد هذا الأمر العظيم بهذه المؤكدات: "فإن الله طوير علم القدر عن أئمه طوي علمه: اختص به، ولم يطلعهم

(1) في ص 129.
وعلى، فونهائم عن مرامه أي: طلبه، ففيّم أسرار القدر من العلم الذي
لا يجوز أن يطلب.
لكن هل يجوز البحث في القدر؟
نعم، فنحن الآن بحث ونتكلم في القدر، وهذا الذي نتكلم فيه
ليس هو الذي نُهينا عنه، نحن الآن نتكلم في معرفة ما يجوز وما لا يجوز
من الكلام في القدر، فالإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان، والإيمان
بالقدر لا يعارض الإيمان بالشرع، بل لا بُد من الجمع بينهما، كما أن
الإيمان بالقدر لا يعارض إثبات الأسباب، فالأسباب والمسببات كلها
جارية بقدر الله، فلا بد أن تنتهي لهذا.
إذا؛ الشيء الذي لا يجوز البحث فيه هو البحث في أسرار القدر،
لِمَ؟! لِمَ! فقد قال تعالى: «لا يفْتَلُّ عَمَّا يفْتَلُّ» [الأنبياء: 23] لا يُسأل
 تعالى عن ما يفعل لكم حكمته، والعباد يسألون «وَمَّا يَسْتَلْكِتْ»
[الأنبياء: 23] وهذا من النفي غير المحض، وكل نفي في صفات الله تعالى
فإنّه يتضمن ثبوتًا.
وقوله: «فمن سأل: لِمَ فعل؟».
فمن سأل: لِمَ هدى هذا؟ وأصل هذا؟ وأفنّر هذا؟ لِمَ خلق
الشرور؟ لِمَ خلق الشياطين؟ يسأل على وجه الاعتراض.
فإن السؤال يكون على وجهين:
سؤال اعتراض ومعارضة بالعقل.
وسؤال طلب للمعرفة.
فالمنكر العظم: السؤال على وجه الاعتراض، أو السؤال عن أمر
لا سبيل إلى معرفته.
فالأول: ظاهر الفساد؛ لأنه اعتراض على أحكام الحاكمين.
والثاني: تكلف وبحث عما استأثر الله بعلمه وطوى علمه عن
العباد.
وقوله: "فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين".

حكم الكتاب هو حكم الله، ومن رد حكم الله كان كافرًا به.

"إن الحكم إلا من يعلمون" [يوسف: 40]، وقوله: "إِنَّما يَكْفِرُكَ بَعْدُ ِبِلَٰدٍ يَأْتِيكُمْ ُهُمْ مَكِينُونَۚ" [التين].
وجوب التمسك بالكتاب والسنة، وترك الخوض فيما طوي عنا علمه

وقوله: «هذا جملة ما يحتاج إليه من هو منوئ قلبه من أولياء الله تعالى، فهي درجة الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يستثنى الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود».

قد يكون مراده من هذه الإشارة من أول ما يتعلق بالتوحيد والرسالة والقرآن وما بعد ذلك، أو يريد القريب وهو ما يتعلق بالأصل السادس وهو الإيمان بالقدر، وكأن الأرجح رجوع الضمير إلى كل ما تقدم، «هذا جملة ما يحتاج إليه» أي: ما لا بد منه: «لم يمن هو منوئ القلب» ولا يكون منوئ القلب إلا بذلك، فنستطيع أن نقول: فهذا جملة اعتقاد من قلبه نور، والإيمان في القلب نور، لأن النور نوعان:

نور حسي: يرى بالأبصر.

نور معنوي: قال الله تعالى: "إِنَّهُنَّ نُورٌ أَلَـمُّكَمْ وَأَلْمُيْنِ مِّـنْ نُورٍ كَيْفَ كَانَ مَعَكُمْ ذِي الْمَقْدُصُ وُلِّدْتُمْ مِّنْ تَجْرِيْـتِهِ رَبِّيكُمْ لَا شَخْفًا لَّا غَفُورًا" وَفَضَّلْتُ مَعَ مَلَأِيْنَ يَا بَيَّنَّا يُعَظِّمَهُ وَلَوْ لَمْ تَسْتَحْسِمْهُ كَأَنْ نُورٌ عَلَّهُ رَبِّيَّةُ مَهَيْهِ مَنْ يَتَأَقَّلُ وَقَضَيْنِي رَبِّيْنِ إِلَّهٌ أَكْمَلَهُما وَلَهُمْ جَزَاءٌ كَبِيرٌ "(النور)"، الشاهد: "كَمْ نُورِكَ" أي: مثل نور الله في قلب عبده المؤمن.

فإن الإيمان نور في القلب، والله تعالى سمي الوحي المنزل نوراً: (كابنوا)
شرح المقيدة الطحاوية

ياَبْنِيِّ وَرَسُولِيُّ وَالْبُهْرُ اِلْدُلُوْئَةَ أَزْلَلْنَاهُ [التغابن: 88] والإيمان والعلم في القلوب نور:

وهذه معانٌ عظيمة تُنبِّئَ إليها هذه النصوص، ولكن ما حظك من
هذا الأمر العظيم؟ وفي دعاء النبي ﷺ: «الله ﷺ اجعل في قلبي نورًا،
وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يسارى
نورًا، وفي نفسي نورًا، وفي صحتي نورًا، وجعل لي
نورًا» (1) المؤمن الكامل الإيمان في قلبه نور، وفي سمعه، وفي بصره،
والنور محيط به، والنور المعنوي هو: نور العلم والإيمان قال تعالى:
والمعصية والجهل، إلى نور الإيمان والعلم والبصرة.
والقلوب لها أحوال كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "تعرض
الفتن على القلوب كالحمص عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة
سوداء، وأي قلب أثرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين،
على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السفوات والأرض،
والآخر أسود مزَبَّنًا كالكوز مُجَجُحِيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا
إلا ما أشرب من هواه" (2).

وقد ذلت النصوص على أن القلوب ثلاثة أقسام:
قلب حي سليم، وهو قلب المؤمن.
وقلب ميت، وهو قلب الكافر.
وقلب مريض، فيه مادة حياة، ومادة موت؛ أي: فيه صحة
ومرض، وهو لما غلب عليه منهما.

---
(1) رواه البخاري (16316)، ومسلم (763) من حديث ابن عباس.
(2) رواه مسلم (144) من حديث حذيفة.
وجوب التمسك بالكتاب والسنة، وترك الخوض فيما طوي عنا علمه

وأقرأ ما ذكر ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» في مثل النور في قلب المؤمن (1) وأقرأ كلامه على قوله تعالى: «مثل نوره كنورٍ» (النور: 25) في «الواقف الصبي» (2) فقد أت يعد في الكلام عليها وأحسن.

وقوله: «من هو منور القلب من أولياء الله».

فكل ولي الله فهو منور القلب، وكل منور للقلب فهو ولي الله، وولاية الله تقوم على الإيمان والتقية، والإيمان والتقية لا يكونان إلا بالعلم.

إذاً؛ فولي الله هو الذي نور الله قلبه بالعلم والإيمان، وظهر أثر ذلك على جوارحه بالتقية وبالأعمال الصالحة، ولذا قال المؤلف:

«وهي درجة الراشدين في العلم».

الراشدون في العلم ذكرهم الله في قوله: «وَقَالَتِ الَّذِينَ يَفْتَنُونَ في الْأَوْلِيَاءِ كَذَّابُونَ» (آل عمران: 7) فالراشدون في العلم هم المتمكونون في العلم، ليسوا على خرف في العلم أو في الإيمان أو في العبادة، لا بل هم ثابتون راشدون، وهم يؤمنون بكل ما جاء عن الله، ولا يعارضون ما أخبر الله به، وما أخبرته به رسله: «وَقَالَتِ الَّذِينَ يَفْتَنُونَ في الْأَوْلِيَاءِ كَذَّابُونَ» (آل عمران: 7) بخلاف الذين في قلوبهم زيف، فإنهم يتبعون المشابه له: «أَبْيَاءَ الْيَسِيرَةِ» (آل عمران: 7) وابتهاج إضلال الناس، وليس الحق بالباطل.

وقوله: «آن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود».

العلم الموجود: مسائل الاعتقاد والشروح، فهذا العلم الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وهو موجود في القرآن والسنة ففيهما من الأخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة ما يعلمه من تدبرهما.

وعلم في الخلق مفقود».

وهو علم الغيب الذي طواه الله، مثلما تقدم في القدر: «أَنَّ اللَّهَ
تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه(1) فسر القدر هو من العلم المفقود، وكيفية صفات الرب من العلم المفقود، وحقائق الآخرين من العلم المفقود، ولا سبيل إلى معرفة ما استأثر الله بعلمه.

والمؤلف رتب على هذا قوله: "إنيكال العلم الموجود كفر" جهد شيء مما علم بالضرورة من أخبار الرسول ﷺ، أو الشرائع التي جاء بها كفر.

"وإذاع العلم المفقود كفر".

لأنه إدعاء لعلم الغيب، فتكيف صفات الرب كفر؛ لأنه قول على الله بلا علم؛ لكن الذي يسأل عن الكيف، كمن يقول: كيف استوى؟ فهذا مبتدع يجب الإنكار عليه، كما أنكر الأثمة عليه كمال ذلك. حين رد تلك الجمل التي صارت قاعدة: "الاستواء معلوم، والكيف غير مقبول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا رجل سوء، فأمر به فأخرج"(2).

وقوله: "ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود".

لا يثبت الإيمان ولا يستقر ولا يسلم "إلا بقبول العلم الموجود" وهو الإمام ما بعث الله به رسوله "وترك طلب العلم المفقود"، قال تعالى: "وَلَا تَقُولُ وَهَاتَ قُلْنَا لَهُ مَثَالٌ كَأَنَّهُ مِنْ فِي نَاكِلٍ" [الإسراء]، والله تعالى علم نبهاء فقال: "قل لا أقول لك كن عبد خلقين الله مثلاً أعلم القدب ولا أقول لكم إني ملك" [الأئمة: 50] وفي الآية الأخرى: "وَلَوْ كَانْتَ أَعْلَمَ الْقَدْبِ لَأَنْ تَهْتَكَثِينَ بِنَّ الْخَيْرِ وَمَا مَسْئُونَ آسِيَاء" [الأعراف: 188].

(1) ص 171.
(2) صح هذا الأثر عن الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن، والإمام مالك رحمهما الله. انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة 3/ 440 - 442، وعنبية السلف أصحاب الحديث ص 37، ومذ التأويل ص 25، والأثر المشهور عن الإمام مالك كتب في صفة الاستواء ص 84 و123.
并不多言，无需过多论述。
والتأكد، وببيان ما يقتضيه الإيمان بالقدر، وتقدم (1) أنَّ جماع الأمر الإيمان بالقدر بمراتبه الأربع، والإيمان يتضمن التسليم لحكم الله ولقدرته، وترك المعارضة، والإمساك عن الخوض فيما طوى الله علمه عن العباد.

ويقول هنا: "ونؤمن باللله والملوِم، ويجمع ما فيه قد رُزِم".

من توابع الإيمان بالقدر: الإيمان باللحوام، واللحوام المحفوظ ذكره الله تعالى بهذا اللفظ في سورة البروتج، قال تعالى: "في آله العموم" (البروج)، واللحوام المحفوظ هو: أم الكتاب "يَسْحَرِوُ اللَّهُ ما يَشَاء "Runner" (العذراء)، وهو الكتاب المبين المذكور في قوله تعالى: "ولا رطب ولا يطيب إلا في كتاب مَثْنِي" (الأنعام: 95) وهو الكتاب المكنون: "إِنَّ الْقُرْآنَ كُرَّمًا في كِتَابٍ مَكْنَوْنٍ" (الموضع) فقد ذكر بأسماء متعددة في القرآن: "آتَنَّ تَلَّمُرَةَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِيَسَارٍ" (الحج).

فوجب الإيمان باللحوام المحفوظ تصديقًا لخبر الله تعالى، وخبر رسوله ﷺ، وهو الذي كتب الله فيه مقام كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، "واللحوام" أي: قلم المقداري الذي ورد فيه حديث عبادة بن الصامت أن الرسول ﷺ قال: "أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة" (2) فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وهذا القلم هو قلم المقداري الأول، والمقداري أو التقديرات أنواع، وكل قدر له قلم يناسبه؛ لأن الكتابة تكون بالقلم.

فالقدر الأول هو القدر العام لجميع المخلوقات.

(1) ص 162 وما بعدها.
(2) رواه أحمد 5/ 317، وأبو داوود (4700)، والترمذي (2155) - وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ابن جرير في تاريخه 5/ 281، وصححه، والضياء في المختارة في موضوع منها: 351 - 353.
والتقدير الثاني: وهو الذي قدر الله فيه أموات آدم وذريته، وهو الذي أُشير إليه في حديث احتجاج آدم وموسى، وأن آدم قال لموسى: "هل وجدت في التوراة: (وعَضْنَى آدمُ رَبَّهُ فَعَرَوْي؟)" قال: نعم. قال: أفلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى (1).

والتقدير الثالث: وهو التقدير المختص بكل إنسان، كما في الحديث المتفق على صحته عن النبي ﷺ: أنه قال - في الجنين عندما يبلغ أربعة أشهر -: "فيأتيه الملك فيékف فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشيئ أو صديع" (2).

والتقدير الرابع: وهو التقدير الجولوي: وهو ما يكون في ليلة القدر: ١١١: "إِنَّا أُنزِلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْفَحْشَاءِ، فَمَنْ خَذَّلَ فِي هَٰذِهِ اللَّيْلِ، فَكَثِيرًا، وَمَنْ أَخْرَجَ فِي هَٰذِهِ اللَّيْلِ" [الدخان]، وسميت ليلة القدر، لأنه يقدر فيها ما يكون في السنة إلى مثلها.

وهذه التقديرات لا تختلف ولا تنافق التقدير الأول العام، فنؤمن باللوح والقلم ولا نتكلم في كيفية اللوح، وكيفية القلم، وكيفية تلك الكتابة، فلله أعلم كيف كانت تلك الكتابة، كل ذلك غيب يجب أن نمسك عنه، ولا نخوض فيه، ولا نفكر فيه.

وقوله: "وبجميع" أي: ونؤمن بجميع ما فيه قد رُقم: أي: كِيِب، فنؤمن إيمانًا مجملًا بأن الله كتب فيه مقادير الخلق، لكن هل نعلم ما رُقم فيه وما كِيِب فيه؟ لا نعلم؛ إلا ما أخبر الله تعالى به ورسوله ﷺ؛ لكن نعلم أن كل ما يقع في الوجود فهو

(1) رواه البخاري (1614)، ومسلم (2392) - واللفظ له - من حديث أبي هريرة.
(2) تقدم في ص 72.
مكتوب؛ لكن قبل الوقوع لا ندر إلا أن يأتي فيه خير من معصوم.

وقوله: "لو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتب الله تعالى فيه ليجعلوه كاتباً لم يقدروا عليه".

يعني: لو اجتمع الخلق على أن يغيروا ما سبق به علم الله وكتابه لم يقدروا، وهذا معلوم بالضرورة أن الخلق لا يقدرون على تغيير قدر الله، ومن أدل ذلك ما جاء في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ:

"واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك شيء لم ينفعوك إلا شيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك شيء لم يضروك إلا شيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأعلام، وجفت الصحف" (1) فالامر قد فرغ منه، وهذا يوجب للعبد أن يعلن رجاءه وخوفه بره لا بالأسباب ولا بالعباد؛ لأن العباد إن نفعوك فالله هو الذي أجرى تلك المنعفة على أيديهم، وأقردهم عليها، وجعلهم يردنها، وياً لهم أسبابها، وإن حصلت لك مضررة على يد أحد، فاعلم أن هذا يتقدر الله، فلا تغفل عن الله وتعلق قلبك بهم فتخافهم و yênعى(...): "في الله جعل قلنته التائب كهدى لله" (العنكبوت: 10).

وقوله: "جف القلم بما هو كائن".

جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "جف القلم بما أنت لاقي" (2) جف القلم: هذه كتابة عن الفراغ من الأمر الذي سبق به القدر، فكل ما يجري في الوجود فقد سبق به علم الله وكتابه، لكن نؤكد على أن الله قضى بحكمته وعلمه وكتابه أن هذه الأقدار مرتبط بعضها ببعض، ومن

(1) رواه أحمد 1/293، والترمذي (2516) - وقال: حسن صحيح -، والسيّد في المختارة 10/26 - 25، وحسنه الحافظ ابن رجب في جامع العلماء والحكم ص 345.
(2) رواه البخاري (5076) من حديث أبي هريرة ﭼ.
قدر الله ترتيب المسئّبات على الأسباب، ما يجئ لك وله إلا إذا تزوجت، ولا يعقل أن تقول: إنَّ كتب الله لي ولداً فسيأتي ولون أتزيح! أو تترك طلب الرزق وتقول: إنَّ كتب الله لي رزقًا سيأتي واننا نعم قد يكون؛ لكن ليس هذا موجب العقل والفطرة والشرع؛ بل موجب العقل والفطرة والشرع: أن تسعى في طلب الرزق، ولو توكّلت على الله، فلا بد لك من الأخذ بالأسباب، وأعظم من ذلك أمر السعادة، فلا تكون السعادة إلا بأسبابها وهي الإيمان والعمل الصالح، ولا يمكن أن يكون الإنسان سعيدًا إلا بالأسباب، فمن تحققت له أسباب السعادة فتعلم بذلك أن قد سبق علم الله وكتابه بسعادةه.

وقوله: "وما أخطأ العبّد لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه".

هذا تأكيد، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأت لم يكن ليصيبك"(1) فما حصل لك من خير أو شر فقد سبق في علم الله وكتابه أنه يصيبك وينصلك، وما أخطأك وما فاتك وما سلمت منه فقد سبق علم الله وكتابه بذلك، ولم يكن في علم الله وكتابه أنه يصيبك ثم يخطئك.

وقوله: "وعلى العبّد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه، فقد ذلك تقديرًا محكّمًا مبرّمًا ليس فيه ناقض ولا معقب، ولا مزيل ولا مغير، ولا ناقص ولا زائد من خلقه في صفواته وأرضه".

هذه الجملة تؤكد ما سبق، وهي أعم من قوله: "وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، ...

(1) رواه أحمد 5/182، وأبي داود (799)، وأبي ماجه (77)، وأبي حبان (777) من حديث ابن الدليمي عن أبي بن كعب، وأبي مسعود، وحديثة موفقًا، ورفعه زيد بن ثابت ﷺ، وقال الذهبي في المنهج في اختصار السنّ الكبير 8/4213، إسناده صالح، وصححه ابن القيم في شفاء العليل ص.113. وانظر: السلسلة الصحيحة (1439).
لا يُزاد في ذلك العدد، ولا يُنقص منه. (1) فهذه الجملة بخصوص عدد
من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار، وقد علم الله ذلك كله؛ لكي هنا
المؤلف يؤكد ما يتعلق بالمرتبة الأولى من مراتب القدر، فلا بد أن يعلم
العبد أنه قد سبق علم الله بكل ما هو كائن، وسبق قضاوته وحكمه قضاء
مبرمًا محكمًا، فلا مَنْعِر ولا ناقض، ولا زائد ولا ناقص لعلمه وتقديره
 تعالى، وهذه الجملة شاملة يدخل فيها - مثلًا - الملكة، فقد سبق علم الله
وكتابه وتقديره للملائكة بأعدادهم وصفاتهم ومنازلهم وفضائلهم وأعمالهم
وأقوالهم، وقد سبق علمه كتابه بعدد الأشجار وأنواعها وأجناسها
ثمارها وأوراقها، قال تعالى: (وَبَيْنَ مَا فِي النَّارِ وَبَيْنَ مَا تَسْقَطُ مِنْ وَرَكْمٍ إِلاَّ يُعْمَّهَا إِلَّا وَيُعْمَهَا مَا فِي النَّارِ وَبَيْنَ مَا تَسْقَطُ مِنْ وَرَكْمٍ إِلاَّ يُعْمَّهَا وَلا حَيْثُ قَبْلَهَا كَذَٰلِكَ الأَرْضُ وَلَا زَكْبٍ وَلَا يَأْتِي إِلَّا فِي كَمِثْلٍ) ([الأنعام: 56]).
تأمل ماذا يتساقط من أوراق وحبوب الزروع والأشجار المأكلّة
غير المأكلة في القفار وفي الديار؟
واتقول له: (وَلَا زَكْبٍ وَلَا يَأْتِي إِلَّا فِي كَمِثْلٍ) ([الأنعام: 56]) فإنها تشمل كل شيء
من هذه الكائنات.
وقس سائر المخلوقات على هذين المثالين المذكورين.
ولسيد قطب كتاب في تفسيره كلام وتصوير بديع لدلالة هذه الآية،
لما فيها من الشمولية العظيمة، والدلالة على الإعجاز (2).
وقوله: (وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الإِيْمَانِ، وَأَصْولِهِ) (1)
العلم بأن الله قد سبق علمه في كل كائن، وقد ذاك تقديرًا محكمًا
هذا من عقد الإيمان، وباختصار نقول: الإيمان بالقدر بكل مراتبه؛
ولكن المؤلف ركز هنا على المرتبة الأولى والثانية: مرتبة الإيمان بالعلم
السابق الأزلي، ومرتبة الكتاب فرَّزَه عليها وأَكَّد عليها، يقوله: (وَذَلِكَ
(1) ص ۱۲۲; (2) في ظلال القرآن ۲/۱۱۱. ۱۱۱۱
كله من عقد الإيمان الذي يجب عقد القلب عليه، والإيمان اعتقاد يعقد الإنسان قلب عليه.

وقوله: «والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبته».

لا حظ أن الإيمان بالقدر هو من توحيد الروبية؛ لأننا نقول في توحيد الروببة هو: الإيمان بأنه تعالى رب كل شيء ومليكه، وأنه على كل شيء قدير، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء، هكذا نفسر توحيد الروببة، وهذا يتضمن الإيمان بالقدر، وهو أن كل شيء جاء بقدر الله وبمشيئة الله على وفق علمه وتقديره السابق، ولهذا روي عن ابن عباس: «الإيمان بالقدر نظام التوحيدي، فمن وحى الله وآمن بالقدر فقد تم توحيده، ومن كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده».

فالمكتب بالقدر فقد يتم توحيده، فإن كان من الغلاة جحد علم الله وتقديره السابق، وتفس عضوم المشيئة وعموم الخلق، وإن كان من مقتضي الدائرة القديرية فهو يخرج أفعال العباد عن مشيئة الله وعن قدرته وخلقه وملظه.

إذًا; الإيمان بالقدر من توحيد الروببة، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده، وهذا يوضح قول المؤلف: «والذ من عقد الإيمان، وأصول المعرفة».


هذا دليلان من الأدلة الدائلا على الإيمان بالقدر، وأنه تعالى خلق كل شيء على وفق ما سبق به قدره.

وقوله: «فويل لمن صار الله تعالى في القدر خصيمًا، وأحضر للنظر

(1) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة 3/426، والفريبا في القدر ص 143، والآخر في الشريعة ص 183 و184، وابن بطة في الإبانة 2/159 و160، واللاكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 4/742، بمعناه.
في قلبٍ سقيماً، لقد التمس بوهم في فحص الغيب سيرًا كنتيماً، وعاد بما قال فيه أئنا كأنيماً.

بعدما ذكر أن هذا هو ما عليه الراسخون في العلم أولياء الله الذين نزوات الله قلوبهم، وذكر أن هذا كله من عقد الإيمان وأصول المعرفة والتوحد، أشار إلى من خالف ذلك ولم يعرف به، أو آمن بالقدر إيمانًا ليس على الوجه المشروع، فقال: «فويل لمن صار» ويل: كلمة للوعيد والتهديد، قال تعالى: «وفى مُطَفَّفيين (١) [المطففين]، وفى يَسْكُنْ هُمُّرَ اِلْحَمْرَةِ (٢) [الحمزة]، فويل يَطْهِرُ يَلْكَمْرِينَ (٣) [الطور]» وهذا الوعيد يشمل كل الطوائف: الجبرية المشتركة، والمجوسية نفحة القدر، والإبليسية، كلهم يصدق عليهم هذا؛ ولكن دخول الجبرية والإبليسية أظهر؛ لأن الجبرية يحتاجون بالقدر في معارضة الشرع كما قال المشاركون: «أو ساء الله ما أشرصح» [الأنعام: 148] فهم يعارضون شرعه بقدرهم، ويحتاجون على الشرع بالقدر، والإبليسية الأمر فيهم أظهر وخصوصهم الله تعالى وطعنهم في حكمه أشهر، كما قال الله عن سلفهم إبليس لما أمره الله بالسجود لأدم فأبى وقال: «أنا خيرٌ نعنى نفسي من نأيا وطمعي من بلى» [الأعراف: 12].

وقوله: «اوحضر للنظر فيه قلبًا سقيماً».

فنظر في القدر بقلب سقيم على مرض، لم ينظر بقلب حي سليم، والقلوب (١) ثلاثة على سبيل الإجمال: القلب السليم: وهو الذي سلم من أمراض الشهوات والشهوات، وقلب ميت، وقلب مريض. فالذي ينظر في القدر وهو عليل القلب لا يستقيم فهمه، وتضطرب الحقيقة في نظرة.

----

(١) ص 176.
وقوله: «القدر التمس». 

هذا الذي نظر في القدر بقلب سقيم يطلب ما لا سبيل إلى معرفته؛ لأنه طلب ما استأثر الله بعلمه كما تقدم أن: «القدر سر الله تعالى في خلقه... والتميم والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطفيان... فإن الله تعالى طوى علم القدر عن آنامه، ونهاهم عن مرامه»(1)

وهذا الكلام يؤكد ما سبق.

فالذي نظر في القدر على غير هديّ، وعلى غير بصيرة لم يعكس بالح وي، فالمعنى في كل المضائق هو دين الله أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من اتبع الرسل اهتدى، ومن أعرض عما جاءوا به ضل وتخط في الظلمات.

وقوله: لا يهوه في فحص القدر سرًا كبيرًا، وعند بما قال فيه أفكًا أثيمًا.

سر كتب أي: مكتوم، سر استأثر الله بعلمه، ما دام أنه نظر فيه بقلب سقيم، ونظر فيه بوهمه وتكلف في إفكوفاً في القدر هي إفك وكذب، فالحبرية، والقدرية النفع، والابنوسية كلهم يشملهم هذا الكلام، عادوا بالكذب والإثم المبين، فالحبرية أعرضوا عن الشرع أو كذبوا به، والقدرية كذبوا بالقدر، والإبليسية طعنوا في حكمة الله وضربوا أحكام الله بعضها بعض.

وهنا انتهى ما يتعلق بالقدر مما ذكره المؤلف وقد أطنب فيه الله، وقد أحسن في هذه الكلمات الطيبة في التأكد على وجوب الإيمان بالقدر، وأبدع على أصل التسليم وهو أصل عظيم، وحذر من الخوض فيما لا سبيل إلى معرفته من أسرار القدر، وأشار إلى أحوال القلب، وغير ذلك، فجزاء الله خيرًا ورحمة، وسائر أهل العلم والإيمان.

(1) ص 169، 171.
إثبات العرش والكرسي،
وجناه تعالى عن كل شيء

وقوله: «والعرش والكرسي حق، وهو مستفن عن العرش وما دونه».

ما يجب الإيمان به عرش رب العالمين الذي تمدّح الرّب

وقد جاء ذكر العرش في القرآن في مواضع كثيرة.
ومجيد على قراءة الجر: «ذَوَّ الْعَرْشِ الْمُجِبِّيَّ» [البقرة: 151].
وأخبر تعالى أن له حملة: «أَلَيْنَ يَمْلِكُونَ الْمَرْزَقَ» [غافر: 7]، «وَيَقُولُ عَرْشُ رَبِّكَ قَوْفَهُمْ مُقْيَمَةً» [البقرة: 176].
وأخبر عن استواه على العرش في سبعة مواضع من القرآن.

(1) هي قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر. التيسير ص 221، والنشر 329/2.
(2) في سورة الأعراف آية 54، وسورة يوسف آية 3، وسورة الرعد آية 2، وسورة طه آية 5، وسورة الفرقان آية 59، وسورة المسجدة آية 4، وسورة الحديد آية 4.
وجاء في السنة وصف العرش بأنه فوق السماوات (1)، وأن له قوائم (2)، وكل هذا يجب الإيمان به من غير تحديد لكيفيته، فنحن لا نتصور كيفية العرش؛ لأنه غيب.

وأهل السنة والجماعة يثبتون العرش لله، ويثبتون استواء الله تعالى على العرش، ويثبتون كل ما ورد في صفة العرش، على أساس الإيمان بالله وكتابه ورسوله ، وأما المعطيلة نفاذ الصفات كالجمهورية والمعتزلة؛ فإنهم لا يثبتون حقيقة العرش التي دلت عليها النصوص، فيفسرون العرش بالملك، ويقولون: "أَسْتَوَى عَلَى الْمَلكِ" (الأعراف: 54) استولى على الملك، فالعرش عبارة عن كل المخلوقات.

ورد عليهم بأن هذا التفسير لا يستقيم مع ما ورد في وصف العرش بأن له حملة، قال تعالى: "أَلَيْنَ يَكْرُحُونَ الْعَرْشَ؟" (غافر: 7) أيكون ممها يحملون الملك؟! هذا لا يستقيم؛ لأن حملة العرش من جملة ملك الله، وفي الحديث عن النبي ﷺ: "إذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش" (3) فتفسير العرش بالملك من تحريرات أهل البدع.

وأما الكرسي فلم يرد في القرآن إلا في آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله، كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ (4)، وسميت بهذا لذكر الكرسي فيها: "وَقَيْبَ كَرِيْبَةٍ" (القرآن: 2) فأضاف الله الكرسي

---

(1) رواه أحمد 206/1، وأبو داود (4736) والترمذي (3320) - وقال: حسن
(2) رواه البخاري (4141) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(3) رواه مسلم (810).
(4) رواه البخاري (4141) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
إلى، وإضافة العرش والكرسي إليه تعالى من إضافة المخلوق إلى خالقه، وفي هذا تشريف للعرش والكرسي، وورد في السنة ذكر الكرسي، وأن العرش أعظم منه، كما في الحديث عن النبي ﷺ: "ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة"، فالكرسي عظيم وواسع، ومع سعته فالعرش أعظم منه.

وقد اختلف المفسرون في الكرسي المذكور في الآية فقيل: علم الله تعالى، وعلى هذا القول فلا يكون في الآية دلالة على إثبات الكرسي الذي هو شيء قائم بنفسه موصوف بسعته للسماوات والأرض. وقيل: إن الكرسي هو العرش، وعلى هذا فليس هناك شيطان، فما هو إلا العرش.

وقيل: وهو الصحيح عن ابن عباس، والمشهور من مذهب أهل السنة أن الكرسي مخلوق عظيم، وهو موضوع قديم الرعب. وهذا أرجح الأقوال في تفسير الكرسي.

وهذا يتبين أن العرش أعظم من الكرسي بكثير، كما يظهر ذلك من ورود النصوص بذكر العرش وتنوعها، والله ﷺ هو العلي العظيم، هو

(1) رواه ابن حبان (٣٦٦١٥٩)، وانظر: السنة الصحيحه (١٠٩).
(2) تفسير العلوي٤/٥٣٧ و٥٣٩.
(3) السنة لعبد الله بن أحمد ٣٠١/١، وصححه ابن خزيمة في التوحيدي ص١٩٧، والحاكم٢/٢٨٢، والضياء في المختارة ١٠١/١٠، وقال العلامة الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/٤٥: "الصحيح عن ابن عباس في الكرسي: ما رواه الثوري وغيره عن عمران الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: الكرسي: موضوع القدمين، وأما العرش فلا يقدر قدره". وهذه الرواية اتفقت أهل العلم على صححتها، والذي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يشبه أهل المعروفة بالأخبار. وانظر: الفقه العلمي ١٩٩/٨.
(4) انظر: أصول السنة ص٩٦، والفتاوى الحموية ص٣٥١.
العلي بكل معاني العلوي، فله العلو ذائناً وقدرًا وقهرًا، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، فالمخلوقات كلها صغيرة في جنب عظمته، قال تعالى:

"وَمَا قَدْرُوا أَنْ تَحْقِقُوا الْقَرْيَةَ وَالْأَرْضَ جَمِيعًا قَضِيَّتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَوْتُ مُطْلِبَتُ يَبِينَيْنِىْ سَبَلَتُهُ وَتَعَطَّلَ عَنَّا يَدَيْنِىْ (٧) [الزمر]."

وقوله: "وهو مستغن عن العرش وما دونه".

خلق الله السماوات والأرض ثم استوى على العرش، واستواه تعالى على العرش لا يلزم منه حاجته إلى العرش؛ بل هو تعالى مستوى على العرش مع غناه عن العرش، وما دون العرش، هو تعالى الممسك للعرش والسماوات والأرض، "إِنَّ اللهُ يُسِيرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَوَلَّا (٤١) [ناضر: ٤١]".

وليس استواءه سبحانه على العرش كاستواء المخلوق على ظهر الفلك والأنعام ونحوها من المراكب، فالملحق مفتقر إلى ما هو مستو عليه مستقر عليه بحيث لو عثرت النابهة أو فرقت السفينة لسقط أو غرق المستوي عليها، فهو مفتقر إلى ما هو مستو عليه، يحتاج ومعتمد عليه، والله بخلاف ذلك، فاستواه على العرش لا يستلزم افتقاره ولا حاجته إلى العرش، بل هو مستغن عن العرش وعن كل شيء، هو الغني عن كل ما سواء، والذين نفوا حقيقة الاستواء زعموا وتوهمو أنه إذا كان تعالى مستوي على العرش لزم أن يكون استواه كاستواء المخلوق على ظهر الفلك والأنعام، وهذا فهم باطل وقياس للخالق على المخلوق، ولا يظن ذلك إلا جاهل ضال، فاستواه على العرش صفة فعلية من جملة أعماله، وليس هو كاستواء المخلوق، كما يقال مثل ذلك في سائر الصفات، فكما أن علمه تعالى ليس كعلمنا، ولا قدرته كقدرتنا، ولا سمعه وبصره ورؤيته مثلنا، كذلك استواه على العرش ليس كاستواهنا، بل صفاته مخصصة به مناسبة له لا تماثل صفات المخلوقين.
إثبات صفة الإحاطة والفوقية لله تعالى

وقوله: "محيط بكل شيء وفوقه".

محيط بكل شيء، وفوق كل شيء، والله تعالى وصف نفسه
بالإحاطة في آيات كثيرة كقوله تعالى: "وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [البقرة: 289]
[المبروز]، وفي الآية الأخرى: "وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [الأنفال: 47]،
وقال تعالى: "ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: أَتَعْمَلُونَ مَهَابًا" [الطلاق: 12]. هذا الذي جاء في القرآن الإحاطة العلمية، ومعناها:

أنه لا يخرج عن علمه تعالى شيء، والشيء المحيط به هو الذي يكون محيطاً به من جميع الجوانب، فعلم الله محيط بكل شيء، فهو تعالى محيط بكل شيء علمًا وقدرة "إِنَّمَا كُلُّ شَيْءٍ وَقِيرٌ" [فصلت: 39]. "وَهُوَ الْعُلُمُ الْكَبِيرِ" [البقرة: 29].

أما الإحاطة الذاتية بمعنى أنها كإحاطة الفلك بما فيه؛ فلا، فالله تعالى فوق كل شيء، وليس في ذاته شيء من مخلوقاته، بل هو بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته.

وقوله: "وفوقه".

ذكر الشارح ابن أبي العز (1) أن في بعض النسخ "محيط بكل شيء فوقه" بدون وقفة، وحيثما يكون المعنى: محيط بكل شيء فوق العرش. وأما النسخة التي اعتمدها الشارح بإثبات الواو (2)؛ فتكون مفيدة

(1) ص 372.

(2) وقد نقلها بإثبات الواو: الذهبي في العلوي/1278، وأين القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص 263، وكذا رأيتها في مخطوطين لمتن.
لمعنى آخر، وهو: أنه تعالى محيط بكل شيء، ووفق كل شيء، فتفيد الجملة أمرين: إثبات الإحاطة، وإثبات الفوقية.

والفوقية قد جاء ذكرها في القرآن في مواضع مثل قوله تعالى:

وهو القيّامُ الْقُوّةُ يُبَيَّنُونَ [الأنعام: 18]، وقال تعالى: (يَا نُحَّلُونَ رَبَّنِيَّنَّ مِن فِوْقِهِمْ) [النحل: 50]، وفي الحديث عن النبي ﷺ: "وَاللهُ فَوْقُ الْقُرْبَى".

والقول في الفوقية كالقول في العلو، فهي ثلاثة أنواع كالمعلو:

علو الذات، وعلو القدر، وعلو القدر لكل شيء.

كذلك الفوقية يقال:

فوقية الذات، وفوقية القدر، وفوقية القدر.

فوقية القدر هي: فوقية الصفات، والنزاع الذي بين أهل السنة والمبتدع إنا هو في علو وفوقية القدرات، فإن نفاساً العلو والفوقية يفسرون علو الذات بالقدر، فيقولون: قوله تعالى: (وَهُوَ الْقُدُّرُ الْقُوّةُ يُبَيَّنُونَ) [الأنعام: 18] كقولك: الذهب فوق القضة، من حيث القدر والقيمة.

وأيات الفوقية هي من جملة الأدلة على علو الله تعالى بذاته، فله فوق عباده (وَهُوَ الْقُدُّرُ الْقُوّةُ يُبَيَّنُونَ) [الأنعام: 18]، وقال تعالى: (يَا نُحَّلُونَ رَبَّنِيَّنَّ مِن فِوْقِهِمْ) [النحل: 50]، وأدلة علو الله بذاته على المخلوقات كثيرة جدًا، وذكر ابن القيم (2) أنها أنواع، وكل نوع تحته أفراد، فمنها: 1- التصريح بوصفه تعالى بالعلو، كقوله تعالى: (وَهُوَ الْقُدُّرُ الْقُوّةُ) [القرآن: 255] في آيات كثيرة.

2- التصريح بالفوقية (يَا نُحَّلُونَ رَبَّنِيَّنَّ مِن فِوْقِهِمْ) [النحل: 50].

3- التصريح بأنه في السماء: (وَإِنَّمَا تَأْمُرُنَّ فِي الْسَّمَاوَاتِ) [الملك: 16].

وقال النبي ﷺ: "ألا تأموني وانتم على أمنين من في السماء".

---

(1) انظر حاشية (1) ص 189.
(2) الكافية الشافية ص 131، وإعلام الموقعين 2/ 281.
(3) رواه البخاري (4351)، ومسلم (1064) من حديث أبي سعيد الخدري.
4 - الإخبار برفع بعض المخلوقات إليه: (بِلِ رَفَعِهِ الْهَمَّ إِلَيْهِ)

(النساء: 158).

5 - الإخبار بعروج بعض المخلوقات إليه: (يَسْنِحُ الْكِتَابُهُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ).

(المعايير: 4).

6 - الإخبار بصعود بعض الأمور إليه: (وَالْحَمْلُ الْصَّلِحُ يُرْقَعُ)

(قاطر: 10).

7 - الإخبار عن بعض المخلوقات بأنها عنده: (إِنَّ أَلْلَهَ يَخْلُقُ عَنْ أَلْلَهِ)

(الأعراف: 206)، (وَمِنْ يَتَعَالَ عَنْهُ، وَلَا يَتَحَمَّرُونَ عَنْهُ)

(الأنبياء: 19) ويستدل أهل السنة بهذا على العلو;

لأن المبتدعة الذين ينفون علو الله يقولون: إنه في كل مكان، وإذا كان في كل مكان تعالى الله عن ذلك فلا تكون بعض المخلوقات عنه دون بعض، بل تصبح كل المخلوقات عنه؟ لأنه في كل مكان، فلا يختص الملائكة بقرب، ولا يوجد قريب و بعيد.

إذا؛ الله تعالى ليس في كل مكان، وإذا لم يكن في كل مكان - وهو كذلك - فلا بد أن يكون في أكمل الأمور والأحوال وهو العلو لا في السفل.

كما يستدلون بالسؤال عنه ب(لاين)؛ لأن من أدلة أهل السنة على إثبات علو الله على خلقه صححة السؤال عنه ب(لاين) كما قال النبي ﷺ للجريدة: (أين الله؟ قالت: في السماء) (1)، ونفاة العلو لا يجوز عنهم السؤال عن الله ب(لاين) إنما يسأل ب(لاين) عنهم هو في مكان، والله عندهم ليس في مكان، ويقولون المقولة التي فيها التضليل والترويج: (كان الله ولا عرش، وهو على ما عليه كان) ويتوصلون بهذا التعبير إلى نفي الاستواء على العرش (2).

(1) رواه مسلم (537) من حديث معاوية بن الحكم

(2) الاستشامة ص. 137، وسير أعلام النبلاء 18/474، واجتماع الجيوش 18/275.
إثبات صفة الإحاطة والوفقية لله تعالى

وإذا قلنا: إنه تعالى ليس في كل مكان؛ بل هو في العل٢ فليس معناه: أنه في مكان موجود محيط به؛ بل هو فوق العالم، وليس فوق العالم كله موجود إلا الله تعالى، فله تعالى لا يحيط به شيء من المخلوقات؛ بل هو تعالى فوق سمّواته على عرشه بائِن من خلقه، فتضمن قول الطحاوي: "محيط بكل شيء وقوقه" إثبات صفة الإحاطة وإثبات العلو لله تعالى، وبين إثبات العرش وإثبات العلو تناسب؛ لأنه تعالى مستَو١ على العرش، بل نصوص إثبات الاستواء هي من جملة ما يستدل به على علو الله تعالى بذاته.
وقوله: «وَقَدْ أُعْجِزْتُ عَنِ الإِحَاثَةِ خَلْقِهِ».


(1) رواه مسلم (486) من حديث عائشة.
وقوله: "ونقول: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلم الله موسى تكليماً، إيماناً وتصديقاً وتسليمًا".

نقول نحن أهل السنة: إن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، كما أخبر سبحانه في كتابه: "وَأَتَّبَعَنَّ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا" (النساء: 125) وأخبر سبحانه أنه كلم موسى تكليماً، قال سبحانه: "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً" (النساء: 124). وفي هذا فضيلة لإبراهيم وفضيلة لموسى، إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله - عليهما، وعلى نبينا الصلاة والسلام -، وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: "إن الله اتخاذني خليلًا كما اتخاذ إبراهيم خليلًا" (1) وقال ﷺ: "إن صاحبكم خليل الله" (2).

وأهل السنة يثبتون المحبة ويثبتون الكلام الله، ويقولون: إن الله يحب ويحب، قال تعالى: "يَبْحَبُ وَيَبْنُوۡءُ" (المائدة: 45)، "إِنَّ اللَّهَ يَبْحَبُ الْمَحْبُوبِينَ وَيَبْنُوۡءُ" (النساء: 24)، "إِنَّ اللَّهَ يَبْحَبُ الْمَحْبُوبِينَ وَيَبْنُوۡءُ" (البقرة: 222)، ويكلم ويتكلم، فيثبتون صفة المحبة وصفة الكلام.

والمحبة هي أجمل المحبة، إبراهيم خليل الله، فله من محبة الله ما تبوا به منزلة الخَلِيْلَة التي هي: أعلى درجات المحبة، ونبينا خليل الله أيضًا، إبراهيم ومحمد هما خليلان الله تعالى، وأما ما ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: "إن إبراهيم خليل الله... وأنا حبيب الله".

(1) تقدم في ص 95.
(2) تقدم في ص 96.
ولا فخر» فهو حديث ضعيف(1)؛ وقد تعلق به بعض الجهالة وأهل الغلو، فيسمون الرسول ﷺ: حبيب الله(3)، وكان المحبة عندهم أعلى من الخُلّة، وهذا خلاف اللغة، وخلاف دلالات النصوص، فالمحبة ثابتة للأنبياء والمؤمنين والملائكة، كل على منزلته من محبة الله ﷺ، فقل إن كنت تُحبون الله فالمحبة حبيبك ﷺ (آل عمران: 31)، إن الله يُحب الصالحين [التوبة: 42]، إن الله يحب الصالحين [البقرة: 195]، فالمحبة مشتركة بين سائر المؤمنين، كل له حظه من محبة الله ﷺ بحساب إيمانه وتقوىه، فوصف الرسول ﷺ بأنه: حبيب الله فقط ليس فيه خصوصية ولا تميز، فكل مؤمن هو حبيب الله؛ أي: محبوب الله.

وتقدم ذكر الأدلة على إثبات صفة المحبة، وصفة الكلام ﷺ تعالى(3).

والمعطلة من الجهمية والمعترضة(4) ومن تبعهم يفون هذه الصفات، فالجهمية يقولون: إنه لا يُحب ولا يُحب، لأن المحبة ميل شيء إلى ما يناسبه، ولا تناسب بين الخالق والملحق، وهذا - إن صح أن يكون تفسيرًا للمحبة - يختص بمحبة المخلوق، فالمحبة معنى معقول هو ضد البغض، والله تعالى أخبر بأنه يحب أولياءه ويحب المؤمنين والمقيمين والتوابين، وأخبر بأنه يممت الكافرين: أنفقت الله أكثرا من مقيتم (القصص: 41). [غافر: 10].

و في نفاة المحبة منهم من يفسر المحبة من الله بإدارة الإعظام، أو يفسرها بنفس النعم المخلوقة، ويفسر البغض بإدارة الانتقام، أو بنفس العقوبة، فهم عندهم نفي حقيقة المحبة عن الله، ويفلون محبة المخلوق

---

(1) تقدم في ص 96.
(2) انظر: ص 96.
(3) ص 95 و 111.
(4) مجموع التناوي 10/26.
للخلائق سباحان ويقولون: إن المحبة هي محبة ثوابه، أو محبة طاعته، والمحبة عندهم لا تتعلق إلا بالخالق.

ومن المبتدعة من أثبت المحبة من جهة الخالق، كالصوفية؛ فإنهما يبالغون في إثبات محبة الخالق للخلائق حتى يعبرون عن محبتهم لله بالعشق، وكذلك الفلاسفة يطلقون العشق على الله تعالى (١).


وكل صفة شبت الله تعالى فليست مثل صفة الخالق، فليس حبه تعالى كحبا، وليس كلامه وتعليمه ككلامنا، والقول في بعض الصفات كالقول في بعض، فإنَّهُ كُلُّ عَلَمٍ شَهِيدٌ [الشورى: ١١] لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فكما أنه تعالى له علم لا كلامنا، وسمع لا كسمتنا، فله محبة لا كحبتنا، وربما لا كرضانا.

وأما ما ذكره الشارح ابن أبي العز (٢) من الكلام في الخلَّة، وقول الشاعر (٣):

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلاً

فهذا تفسير للخلَّة التي هي صفة الخالق، وكذلك قوله (٤): إن

(١) مجموع الفتاوى: ١٣١/٣٥٨، والرد على المنطقيين ص: ٣٥٩، ودرء تعارض العقل والتقلل ١٠٠/٢٣١ و٢٣٧، والرسالة الصافية ص: ٢٣٦ و٢٩٧.
(٢) ص: ٢٣٦.
(٣) البيت لبشار بن بردي في ديوانه ٢٩٧.
(٤) ص: ٢٩٧.
الخليل لا تقبل الشركة، فهذا في نظر، لأن الله اتخذ إبراهيم خليلًا واتخذ محمدًا خليلًا، نعم من كان الله خليله فلا يكون أحد من الخلق خليله، كما في الحديث الصحيح أن النبي قال: "لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت ابن أبي قهافة خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الله" (1) فدل على أن المعنى له من أن يتخذ أبا بكر خليلًا أن الله اتخذه خليلًا، وهذا يقتضي أن يكون الله خليله، وإن لم يرد فيما أعلم - وصف الله بأنه خليل إبراهيم، أو خليل محمد، لكن هذا الحديث يشعر بهذا، وأن الله حين اتخاذ محمدًا خليلًا لم يكن للرسول خليل من الخلق، وأن ذلك يقتضي أن الله خليله، وهذا من الأدلة على أن أبا بكر هو أفضل هذه الأمة على الإطلاق، فهو صديق الأمة وخيرها بعد نبيها؛ لأنه قال: "لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت ابن أبي قهافة خليلًا".

(1) تقدم في صف 95.
وجوب الإيمان بالملائكة، والأنبياء، والكتاب

وقوله: «ونؤمن بالملائكة والنبين، والكتب المنزلة على المرسلين، وشهد أنهم كانوا على الحق المبين». أهل السنة يؤمنون بهذه الأصول، بالملائكة والأنبياء والكتب، وهذه ثلاثة أصول من أصول الإيمان التي ذكرها السور في جوابه لجرير حيث قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». والإيمان بأصول الإيمان يكون على وجهين: مجمل، ومفصل.

فأما الإيمان بهذه الأصول إجمالاً ففرض عين على كل مكلف، فعلى كل مكلف أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بالقدر، والإمام الطحاوي في هذه العقيدة لم يراع ترتيب مسائل الإيمان، فيدكر مسائل تتعلق - مثلًا - بالإيمان بالله، ومسائل تتعلق بالإيمان بالرسل، ثم يعود ويدكر مسائل تتعلق بالإيمان بالكتاب أو بالملائكة أو باليوم الآخر، من غير مراعاة للترتيب، ولهذا قال الشارج ابن أبي العز: «الشيخ لا لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتن فيه بترتيب. وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي لجبريل حين سأله عن الإيمان».(1)

---

(1) رواه مسلم (8) من حديث عمر.
(2) ص 289.
ولكن في الحقيقة هذا التفريق عندي له فائدة وهي: أن الصلة بهذا الأصول مستمرة لا تقطع، فبذلك الكلام ويتكرر، فيحصل بسبب ذلك التذكير والضبط، فعلى سبيل المثال: مسائل القدر جاءت مترفقة، لكن صار من فائدته: تجد_SWCL الكلام في القدر، وحصل فيه التأكيد ومزيد الإيمان والإيضاح؛ لكن إذا جُمع الكلام في موضوع واحد فإنه مع طول الوقت يُعفى عنه.

فهنا قال: "وؤمن بالملائكة وال ליبيين".

هذا إيمان مجمل، نؤمن بالملائكة كما ذكر، والإيمان بالملائكة كما جاء في السنة جاء في القرآن مقرناً بالإيمان بالله في ثلاثة موضوع في قوله تعالى: "ولكن آله من خالقِ يُبَيِّنُكم ما أنزلَ من رَبِّكَ وَمَلَائِكَةَ الأنفِسَةِ وَالْقُلُوبِ" (القرة: 177)، وقال سبحان: "كانت السورة بيتاً أدنى إلى ربيع ودونه ومنه أنزل الله وملائكته، كتب ورسِل، إلا أن السورة 89 كان رسمه على أصل من رَبِّكَ" (القرة: 285) فهذا إيمان بالمائكة الذين وصفهم الله بصفات كريمة، فقال تعالى عنهم: "وَقَالَّا هُمْ أَجْرَاءُ الْأَرْحَامُ وَلَدَى سَبِيعَةٍ مَّا كَتَبَنَا مَكَّنَّكُمْ لا يَسْقُونَكُمْ بِالْقَوْلِ وَهُمْ يَأْمُرُونَ يَصِلُّونَ" (الانبياء).

وكما أخبر الله تعالى أن الملائكة أصناف منهم: ملك الموت، قال تعالى: "فَقَلْ ﴿يُؤْتِنَّكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ﴿وَيُكَبِّرُ ﴿إِنَّكَ ﴿كَمَتَّ مَثْلَهُ ﴿حِيَّاتَكُمْ ﴾(السجدة).

وهم الملائكة الذين هم من أئمهم ملك الموت: ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وقد أضاف الله إليهم التوفي كما أضافه إلى ملك الموت، قال تعالى: "فَوَلَّوْا تَرَّجَّمَ لَهُمْ فِي عُمَّارِ الْ أَرْحَامِ وَالْمَلَائِكَةِ بِأَبْيَضِيِّهَا أَحْرَيْرَهُمْ أَنْصَمُّهُمْ لَهُمْ يَبْتَغُونَ عَلَى اللَّهِ عَلَى الْنَّفْسِ الْأَلْبَا» (الأنعام)، وقال تعالى: "أَلَمْ نَنْتَهِي مَلَائِكَةَ الْكَوْنِ إِلَى نَفْسِكَ" (النحل).

وهم الملائكة الموكلون بحفظ وكتابة أعمال العباد. "وَإِنَّ عَلَيْكُمْ كَنَّـا كَبِيِّنَ" (الانفطار).
وجوب الإيمان بالملائكة، والأنبياء، والكتب

ومنهم الملائكة الموكلون بالوحي، بِيَدِ الَّذِي خَلقَ فِي نُورِهِ، [النحل: 2]

وقد سمى الله من الملائكة في القرآن جبريل، ومكائيل، ومالك خازن النار، قال تعالى: "نِعَمَ كَانَ عَلَيْهِ بِنَبِيٍّ وَرَسُولٍ، وَسَيَرْبِّيَ وَسَيَكُنَّ لِي مِنْ شَرِّهِ فِي الْجَحِيمِ"، [البقرة] وقال تعالى: "وَقَالَ رَبُّكَ لَيْلَيْكَ لَيْقِضَ عَلَيْكَ نَارًا"، [الزخرف: 77].

و جاء في السنة تسمية إسرائيل ومنكر ونكير، ففي حديث عائشة، أن النبي ﷺ كان يستفتح في قيام الليل: "الله رب جبرائيل ومكائيل وإسرائيل". وروى الترمذي عن النبي ﷺ تسمية الملكين الذين يسألان المقرب: ب"المنكر والنكير".

والملائكة خلق من خلق الله فيجب الإيمان بأنهم عباد مخلوقون، مربوبون مدبرون ليسوا بآلهة كما ظن المنكركون، وليستوا بنات الله كما افترى المفسرون. قال الله ﻟَهُمُ الْبَنُوْتُكُ، وَلَعَلَّكُمْ لَمْ تَنْفِكُنَّ، ﻟُقِلْوُا إِنَّهُمْ إِلَّا نَحْنُ ﻟَهُمْ، وَلَدَ أَنَّهُمْ لَكُنُونَ ﺩَاءً لِّكُلِّ آدَمٍ [الإبليس: 58]. فمن الناس من ينكر وجودهم، ومنهم المناول الذي يقول: الملائكة هي القوى الخيرة في الإنسان، والشياطين هي القوى الشريرة في الإنسان، فليسوا خلقاً قابلين بأنفسهم، وهذا خلاف ما أخبر الله به في كتابه من أمر الملائكة، فهم عباد عابدون الله مطيعون في غاية من العبودية والطاعة ﷺ، ويُصَيَّونُ آئِلَ، وَأَلْهَرَ لا يَتَفَكَّرُونَ [الأنبياء: 202]، ولا يُسْتَكْفِرُونَ ﻋَنِ عِيْانِهِ، وَيُسِيقُونَ وَلَمْ يُبَحَّتِونَ [الأعراف: 6]، وذكر الله ﷺ ما دار بينه وبين الملائكة في أمر خلق آدم: "وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِمَلِكِكُمْ إِنِّي جَيَلٌ فِي الْأَرْضِ".

(1) رواه مسلم (770).
(2) رواه حبان (3117) - وقال: حسن غريب، وأبي حبان.
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
وجهب الإيمان بالملائكة، والأنبياء، والكتب

قال تعالى: {وَمَا تَلَكَ الكِتَابَ إِلَّا مَصِيبًا لَمَّا بَيْنَ يَدَيْنِ أَيِّنَا وَأَيِّنَا ذَا الرَّزْقُ وَالْإِحْسَانُ} ([البقرة: 285])؛ لكن الظاهر أن المؤلف قد مضاهى، وأخر، مراعاة لتعابير الجمل.

فوجب الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على من شاء من رسوله، والله أخبر في آيات كثيرة أنه أنزل الكتب وسمى لنا التوراة والإنجيل، قال تعالى: {وَلَوْ كَانَ نُحْوَاءُ الْكِتَابَ إِلَّا مَصِيبًا لَمَّا بَيْنَ يَدَيْنِ أَيِّنَا وَأَيِّنَا ذَا الرَّزْقُ وَالْإِحْسَانُ} ([البقرة: 285])، وصفح إبراهيم وموسى (صُحِحَ إِيَّاهُمْ وَمُوسِىُّ} ([الأنبياء: 45])؛ فيجب الإيمان بكتاب الله إجمالاً، وهذا فرض عين، بما سمي الله منها تفصيلاً وتعييناً فنومن بالتوراة المنزلة على موسى، وبالإنجيل المنزل على عيسى، وبالزبور المنزل على داوود، و化身 موسى وإبراهيم، ونؤمن بأنها كلام الله، فالكتب المنزلة كلمة كلام الله.

والمؤمنون بالكتب يندرج في الإيمان بالرسول؛ لأنهم هم الذين جاءوا بها قال الله تعالى: {كُلُوا مَا أُتِيَتُكُمْ فِيهِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ قَبَلٍ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلٍ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلٍ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلٍ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلٍ} ([البقرة: 285]) للفقه في من فهم لا تستنجد بين أحد بفهم وفهم ليس مسلمون (السورة).

لا نفرق بين الرسول ولا نفرق بين الكتب فإن البيت يفخرون إبراهيم وموسى. ويدعون أن يفرون بين الله ورسله، وينصرون أن ينعوذوا بين ذلك سلماء أولئك هم الذين حقاً ويعتنون ي يتعلقون عاماً مما ويعتنون في نص، ويعتنون في نص، ويعتنون في من الله ورسله، وكن الله عفواً رجعتا (النساء).

وهذه الأصول يتعلق بها كثير من مسائل الاعتقاد، نص المصنف سنة على بعضها فيما بقية، وسياقي بعضها.

وقوله: {وَشَهِدُ أنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ المُبِينِ}.

ونشهد أن الأنبياء والمرسلين رسل من عند الله، جاءوا بالحق من عهده، وكلهم صادقون مصدوقون، {لَا تُفِرِقُ الْحَقَّ مِنْ أَحَدِ مَنْ هُمْ} ([البقرة: 136])،
وأنهم خير خلق الله، وأن بعضهم أفضل من بعض، كما قال سبحانه:

تسمية أهل القبلة بالمسلمين

وقوله: "وأنسمي أهل قبلينا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به
النبي ﷺ معترفاً، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين".

أهل القبلة: هم الذين يستقبلون الكعبة في صلاتهم، فنسمي كل من يستقبل الكعبة: (مسلمين)، فجميع الفرق الإسلامية يسمون أهل القبلة؛ لأن القبلة تجتمع المسلمين، وليس فيها خلاف بينهم.

وأما قوله: "مؤمنين".

فهذا جاري على عدم الفرق بين الإسلام والإيمان، وأن كل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم، وأنهما اسمان لمسمي واحد، وهي مسألة معروفة وكبيرة.

فمن أهل العلم من يقول: إنهما اسمان لمسمى واحد.

ومنهم من يقول: بل هما متغايران ومختلفان.

والقول الوسط هو: أن الإسلام والإيمان إذا أفردا اتحد معناهما، وإذا اقتربا وذكرا جميعا معاً اختلف معناهما، كقوله تعالى: "إن أَلْمِّسْيِنَّ وَلَا تَمْسِيْنَ وَلَا مُؤْمِنِينَ وَلَا مُؤْمِنٍّ" (الإحزاب: 32)، فإذا ذكر الإسلام والإيمان كان المراد بالإسلام الأحكام الظاهرة، وبالإيمان اعتقاد القلب، ولهذا فرق بين الإسلام والإيمان في حديث جبريل، فلما قال: "أخبرني عن الإسلام" أخبره بأصول الأعمال الظاهرة، وهي أركان الإسلام، وعندما قال: "أخبرني عن الإسلام؟"(1)، فسره له بأصول الاعتقاد وهي الأصول الستة.

(1) تقدم في ص 201.
فعلى القول بالفرق لا نسمي كل أحد مسلمًا مؤمنًا؛ بل الفاسق
لا نعطي الاسم المطلق بل نقول: هو مسلم، وإذا وصفنا بالإيمان
تقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بما معه من الإيمان.
وقوله: «ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، فله بكل ما قاله
وأخبر مصدقين».
ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله،
واستقاموا واستمروا على الشهادات شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا
رسول الله، وقاله: «وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين» تأكيد للجملة
الأولى، لأنها داخلة فيها.
والرسول ﷺ جاء بأمرين:
بعلم، وعمل، قال تعالى: «هَوَّا الْيَتْ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى الْهَدِيَّةِ وَالْحَقِّ» (الفتح: 28) فالهدي هو: العلم النافع، ودين الحق هو: العمل
الصالح، والدين دائر على هذين الأساليين: العلم والعمل، فالإيمان بما
جاء به الرسول ﷺ يشمل: الإيمان بما جاء به من مسائل الاعتقاد،
واسمها: المسائل العلمية.
وأما جاء به من الشرائع والأحكام، ونسميها: المسائل العملية.
فنسمي أهل القبلة مسلمين ما لم يكن منهم ما يوجب الردة، ومن
علمت ردته من المنتسبين للإسلام فليس من أهل القبلة؛ بل هو مرتدة،
مثل القائل بوحدة الوجود، أو من يقول بنبوة أحد بعد الرسول ﷺ،
كالقاطعان الذين يقولون بنبوة مزرا غلام أحمد الهندي (1)، فهؤلاء ليسوا
من أهل القبلة، وإن انتموا للإسلام، فهم كفار وليسوا بمسلمين
ولا مؤمنين.

(1) الموسوعة الميسرة 1415/1، وفتأوى اللجنة الدائمة 2/1312.
وقوله: "ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله".
من منهج أهل العلم والتقوى أنهم لا يتكلمون في ذات الله وصفاته وأفعاله بغير علم أو بالكلام الباطل، بل يتكلمون في شأن الله بما علموا مما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة، فلعلنا أن نصف الله بما وصف به نفسه ونسميه بما سمي به نفسه، ونخبر عنه بما أخبر به عن نفسه، وناخبر به عنه رسوله، وليس هذا من الخوض، هذا من بيان الحق ومن الاتناء على الله، ومن تعظيم الله والإيمان به سبحانه، وما كان غير ذلك فهو من الخوض الباطل كالكلام في كيفية ذاته أو صفاته بغير علم.

وقوله: "ولا نماري في دين الله".
المراء: الجدل، وأكثر ما يطلق المراء على الجدل بالباطل، إما من جهة القصد، أو من جهة ما يجادل به ويحتج به من الحجج الباطلة الداحضة، فالاحتجاج بالحجج الباطلة كالاحتجاج والاستدلال بالشبه العقلية وبالروايات المكذبة، أو الجدل على وجه التعصب لا لقصد إظهار وبيان الحق والوصول إليه، كل هذا من الجدل بالباطل، ومن المراء في الدين، ومن ذلك الجدل أو المراء على وجه المعارضة لما جاءت به النصوص، فكل هذا من المراء في الدين.
والجدل بالباطل هو سبيل أعداء الرسول، قال تعالى: "فما يجدلُ في عِيْنِ اللَّهِ إِلَّا الْقَبْلَهُمَا كَفَّارًا فَلاَ يُكَرِّهُنَّ تَقَلُّبًا في الْيَتِينَ" (غافر)، ويقول...
تَعَالَى عَن أَعْدَاءِ الرَّسُولِ: "وَجَنَّلْنَاهُ بِالْبَاطِلِ لِنَحْضَرْنَاهُ بِهِ إِلَّا نَجْزَى" [غافر: 5],
أما الجدال الذي يراد منه الوصول إلى الحق وإظهاره ودفع الباطل فهذا مشروعاً وهو من طرق الدعوة، كما قال تعالى: "أَذَّنَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْبَيْكَةِ وَالْمُوَثَّقَةِ النَّسْمَةِ وَكَانَتِ الْأَيَّامُ يَسْتَهْزُؤُونَ [المؤمن: 125]، وقال تعالى: "وَلَا تَجَادِلُوا أَحَدًا عِنْدَ الْحَكِيمِ إِلَّا يُبَيِّنَ هُمُّ إِلَّا آَلِيَةٌ" [العنكبوت: 47]. فالجدال بالبينات، وبالحجج الظاهرة، والأدلة العقلية والسمعية، كل هذا من طرق الدعوة إلى الله ومن الجدال بالتي هي أحسن، وما خالف ذلك فهو من الرواة المذموم.
وقوله: "وَلَا نَجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ".

يظهر أن هذا يدخل في قوله: "لا نماري في دين الله".

لكن عطفها على ما قبلها من عطف الخاص على العام، فلا نماري في دين الله، ولا نماري في القرآن، أي: لا نجادل فيه تكتيكيًا، ولا نجادل في معانيه تجريفًا، لكن نحتج به ونستدل به؛ وهناك فرق بين الأسلوبيين، فنجادل بالقرآن، أي: يكون القرآن هو السلاح الذي نجادل به، وندعوه على أهل الباطل؛ لكن لا نجادل فيه معارضًا لأخباره أو أحكامه، أو تكيكنا أو تأويلنا له وصرفنا له عن ظاهره، فكل هذا من سبيل الباطل، فأهل الباطل هم الذين يجادلون في آيات الله، كما قال تعالى: "مَا يَجِدُونَ فِي غَيْبِ اللَّهِ إِلَّا آَلِيَةً كَبِيرَةً" [غافر: 4].

فيقولون: هذا سحر، هذا شعر، هذا كهنة، تكيكنا له، "النبي يجدلون في غاية الله يغير سلطانهم أنهم كثيرة مقاتل عند الله ويعيد آليهم مامونًا كنائبًا يطبع الله علَّه سلطنًا قلبيًا متكيرًا جبارًا" [غافر: 3]. "إِنَّ الْقُلُوبِ يَجِدُونَ فِي غَيْبِ اللَّهِ يَغيِّرُ سَلَطَانَهُمْ أَنْهَا نُمَّيَّةٌ إِنَّهَا مِنْ كِثَارِهِمْ إِلَّا شَيْئٌ مَا هُمْ بِيَقِينٍ فَأَسْتَعِيدُ اللَّهُ إِنَّهُ فَوْقَ الشِّعْرَةِ" [غافر: 3].
وقوله: "ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمن،
فعلهم سيد المرسلين محمدًا - صلى عليه وعلى آله وآله - وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين. ولهذا من شواهد ما تقدم ذكره (1) من أن المصنف لم يرتب الكلام في مسائل الاعتقاد، ويجمع كل صنف ويضمه إلى جنسه، بل فرق الكلام في أصول الإيمان.

فهذه الجملة المذكورة تتعلق بالقرآن، وقد تقدم (2) القول في عقيدة أهل السنة في القرآن، وأن القرآن كلام الله حقية منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه كلام الله على الحقيقة وليس ككلام البشر، والنساء في القرآن منهم الكفار المكذبون للقرآن الذين قالوا: إنه كلام محمد، إن هذا إنه لا قول له في المدرر (3) (المدرر)، ومنهم من يؤمن بتنزيل القرآن لكنه يتأوله على غير تأويله، ويفسره بما يوافق هواه وأصوله الباطلة كما فعل القدرية والجهمية والرافضة فكل طائفة تؤول القرآن على ما يوافق مذهبها وأصولها.

وقوله: (ونشهد أن كلام رب العالمين).

نشهد ونؤمن ظاهرًا وباطنًا، لنقر بقولينا وألسنتنا أن هذا القرآن كلام ربي، تكلم به سبحانه حقيقةً، وأنه كلام الله حروفه ومعانيه، هو كلام الله تعالى مكتوبًا في المصاحف، أو محفوظًا في الصدور، أو متلألأل بالألسن، أو مسموعًا بالاذان، فالذي يقره القارئ نقول: هذا كلام الله، أي: المثلو (وإن أحدٌ من المسلمين استجابَ فأجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعُ كُلَّ آيَةٍ) (البقرة: 6)، لكن نحن نسمع كلام الله من صوت القارئ، كما سمع الصحابة القرآن بصوت الرسول، وسمعه الرسول من جبريل، وسمعه جبريل من رب العالمين.

---

(1) ص 201
(2) ص 104
وقوله: «نزل به الروح الأمين».

جبريل هو الروح الأمين، وهو روح القدس.

وقوله: «فعلمه سيد المرسلين محمدًا صلى عليه وعلى آله وآله وآله».

كما قال: «إن هو إلا وحي يري، فكلم بشيد القرآن، دو متعلق فاستوار وطه يألهه الأعلى، ثم ذا فند، فكان قاب فوسين أو أدنى فأوجى إلى عبود ما أوحى» [النجوم]، فجبريل هو الموكل بالله، ولهذا أضاف الله القرآن إلى الرسول من البشر محمد، وأضافه إلى الرسول من الملائكة وهو جبريل، كما قال تعالى: 

فلأقيم بين تجاهين (2) وما لا تبهركن (3) إنما لقول رسول كريم (4) وما هو مقرر شعاعي قليلا ما تؤمنن (5) والسيد: نقله قليلا ما تذكركن (6) لأننا منه نهين (7) 

[التكوين] فالمراد بالرسول في هذه الآيات: محمد صلى الله عليه وسلم، وقال سبحانه في سورة التكوين، نقله قليلا ما تؤمنن (5) والسيد: نقله قليلا ما تذكركن (6) لأننا منه نهين (7) 

وهذا التأكيد لما سبق أنه كلام الله، ولا يسانيه شيء من كلام المخلوقين.

وقوله: «وهو كلام الله تعالى لا يسانيه شيء من كلام المخلوقين».

هذا تأكيد لما سبق أنه كلام الله، ولا يسانيه شيء من كلام العالمين، ولهذا تحدى الله به التقلين: «قل أي أجمعته الإبل والجثم على أن يأتوا يمثّل هذه الموارنة لا يأتون بيثم، ولئن كانت بعضهم ليضق ظهيرا» [الإسراء].

وقوله: «ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين».

ولا نقول بخلق القرآن كما قالت المعطلة المبتدعة كالجمهورية والمعتزلة ومن وافقهم، بل نقول: إنه كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف (1).

(1) العقيدة الواسطية ص 197
قوله: "ولا نخالف جماعة المسلمين".

جماعة المسلمين في الصدر الأول، وإلا فالمسلمون بعد الصدر الأول قد تفرقوا واضطروا واختلفوا في القرآن، فنحن لا نخالف جماعة السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.
أهل السنة لا يكفرون بكل ذنب

وقوله: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله». 
عبارة المؤلف تقتضي أن أهل السنة لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة
بأي ذنب، والذنوب نوعان:
ذنوب من أنواع الابادة كالشرك وما في درجته، وهي أعظم 
الذنوب، وذنوب دون الشرك لا توجب الابادة، وإذا أخذت عبارات المؤلف
على إطلاقها فظهورا أن كل من كان مسلمًا فإنها لا يكفر، أي ذنب
ارتته حتى ولو كان شرًا، ولا يربح أن الطحاوي لم يقصده هذا، وإنما
يقصد الذنوب التي دون الشرك.
ولهذا قال الشارح ابن أبي العزة: «امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق
القول: بأننا لا نكفر أحدًا بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب» (1)
فهذه هي العبارة الدقيقة، وتكون من سلب العموم، لا من عموم السلب;
كعبارة الطحاوي ومضمون سلب العموم: أنا لا نكفر أحدًا من أهل
القبلة بكل ذنب، إنما نكفره بالشرك وما في حكمه، ولا نكفر أحدًا من
أهل القبلة بما دون ذلك، والله تعالى قد جعل الذنوب قسمين: (إنَّ الله
لا يَغْفِرُ أن يَشَرَّكُ به، وَيَغْفِرُ مَا دُفِّعَ ذَلِكَ لِسَبْعَةً لَمْ يَكُونَ يَشَرُّهُ) (النساء: 88) فنحن أهل
السنة لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بشيء من الذنوب التي دون الشرك،
خلافًا للخوارج الذين يكفرون بالذنوب، وقد يعدون ما ليس بذنب ذيًا
فيكرون به، والخوارج هم الذين ظهروا بهذه البدعة في عهد علي

(1) ص 237.
أهل السنة لا يحكمرون بكل ذنب

فقاتلهم، وقد أخبر الرسول ﷺ عنهم وندب إلى قتالهم، وذكر الأجر العظيم لمن قتلهم (1).

إذاً الذنوب فيها مكفر وغير مكفر؛ فكل ما هو من أنواع الردة فهو مكفر، كالشرك، والتكذيب بما جاء به الرسول ﷺ، والاستهزاء بالرسول ﷺ، أو بالقرآن، وهناك ذنوب مختلفة العلماء في كفر فاعلها؛ كترك الصلاة.

وقوله: «ما لم يستحله».

أي: لا نكفر بهذا الذنب إلا أن يعتقد حله، فإن اعتقد حله كفر.; كجحد وجبوب الصلاة أو الحج أو صيام رمضان، وجدد تحريم المحرمات المعلوم حكمها بالضرورة من دين الإسلام؛ كتحريم الزنا، والخمر؛ لأنه يكون مكذبًا للقرآن والسنة المتواترة، وما أجمع عليه المسلمون، ومن اعتقد حل ما حرمه الله مما تحريمه معلوم من دين الإسلام بالضرورة فهو كافر حتى ولو لم يفعله؛ لأنه ليس من شرط ثبوت الردة بالاستحلال فعل المكلف لما استحله من الحرام.

(1) صحيح البخاري (6930)، وصحيح مسلم (1066) من حديث علي ﭺ، والبخاري (6933)، ومسلم (1064) من حديث أبي سعيد الخدري ﭺ.
تأثير الذنوب على الإيمان

وقوله: «ولا تقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله».

وأهل السنة لا يقولون: «لا يضر مع الإيمان ذنب» خلافاً للمرجئة، والطحاوي في منهج الجمليتين يقصد الرد على الخوارج في الأولى، وعلى المرجئة الغلاة في الثانية، والمرجئة والخوارج على طرفي نقيض، فالخوارج يكفرون بالذنوب، فعنهم فاعل الكبيرة كافر مرتد خارج عن ملة الإسلام خلال الده والمال، أما عند المرجئة ما دام معه أصل الإيمان وهو التصديق أو معرفته للخلق فهو عنهم مؤمن كامل الإيمان، لا يضره ما يفعل من الذنوب، وبذلهم هذه أقيح من بذة الخوارج، لأن الخوارج يعظون أمر الذنوب، ويبالغون في الحذر والتحذير منها.

وقد اختلف العلماء في تكفيهم، فعن أحمد فيهم روايتان، ونقل شيخ الإسلام أن الصحابة أجمعوا على عدم كفر الخوارج.

أما بذة المرجئة فهي أشنع من بذة الخوارج، لأن مضمونها الجرأة على المحرمات وعدم المبالاة بها، واقتراف السيئات، وهذا فيه رد لننوص يقول الكتاب والسنة الدالة على تحريم المحرمات، وترتبط العقاب عليها؛ كالقتل، والتولي يوم القيامة، وأكل مال البتيم، قال تعالى:

1. مقالات الإسلاميين ص 86، والمل والملل والمل، ومجموع الفتوى 125/12.
2. مجموع الفتوى 470/2.
3. مجموع الفتوى 118/2.
4. الإيمان الكبير ص 217.
ومن يقتل مؤمنًا من عبدها فتجزأ في جهيمه الكبيرة فيهم وعذاب الله عليهم وعذابهم وأعد الله عذابًا عظيمًا (النساء) وقال تعالى: "ومن يقتلهم فتبديلًا إلا متهمةٌ بالشياطين أو متهمةٌ إلى فتقوم بذلكب يضحى طيبًا (الله عز وجل) (الأنفال: 63)"] وقال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُصَليونَ أَمْوَالَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ طَالِعًا إِنَّمَا يَأكُلونَ فِي طَوْفَانِهِمْ نَارًا وَسَيَمَّارُونَ سِيرًا (النساء) فكيف يقال:
لا يضر مع الإيمان ذنب؟

وهذا مذهب جهم، وجهم إمام غلالة المرجئة، أما مرجئة الفقهاء فمذهبهم ليس كذلك إنما هم يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، لكن يقولون بوجب واجبات وتحريم المحرمات، وترتب العقاب على فعل المحرمات وترك الواجبات، فالذنوب عندهم تضر مرتقبًا، ويستحق العقاب الذي تعود الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول ﷺ.

وأهل السنة وسط في هذا المقام فلا يكفرُون أهل الكبائر، ولا يؤمنونهم من العقاب، ويروين أن مرتقب الكبيرة في الدنيا مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما ارتقب من الكبيرة، وما ورد في النصوص من إطلاق اسم الكفر على بعض الأعمال، أو بعض العاملين مما هو دون الشرك، فهو محمول على الكفر الأصغر الذي يعبر عنه بكفر دون كفر، كقول النبي ﷺ: "سباب المسلم فسوقي وفتيته كفر" (1)، وقوله: "أثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والناحية على الميت" (2)، وما أشبه ذلك، وفي الآخرة هو تحت شخية الله، هذا حكمهم في الآخرة. كما سيأتي تقرر حكم أهل الكبائر في قول الطحاوي: "وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون وإن كانوا غير تأثينين".

---

(1) رواه البخاري (48) ومسلم (124) من حديث ابن مسعود ﷺ.
(2) رواه مسلم (17) من حديث أبي هريرة ﷺ.
الرجاء للمحسنين،
والخوف على المسيئين

وقوله: «ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا يشهد لهم بالجنة، ونسخر لمسيئاتهم ونخف عليهم، ولا نقتضهم».

نرجو للمحسنين - لا أي أحد - أن يعفو الله عنهم، ويتجاوز عن ذنوبهم؛ فإن الحسنات يذهبن السينات، وأن يدخلهم الجنة برحمته ۚ، ولا نأمن عليهم العقاب على ذنوبهم; لأن ذلك مردود إلى مشيتهم ۚ لأن الله تعالى قال: «وَيَقُولُ ۖ مَا نَرْوَى ذَلِكَ لَيْسَ ۖ يَكْفَّآءً» (النساء: ۴۸) وهو سبحانه أعلم وأحكم; فيجعل فضله وعفوه وإحسانه ورحمته حسبما تقتضيه حكمه البالغة، ويحاسب من يشاء، كما قال تعالى: «وَيَقُولُ ۖ مَا نَرْوَى ذَلِكَ لَيْسَ ۖ يَكْفَآءً» (النساء: ۴۸)، «وَيَقُولُ ۖ لَيْسَ ۖ يَكْفَآءُ مِنْ يَكْفَآءٍ» (البقرة: ۲۸۴). فالآخر مردود إلى مشيئة الله; لكن نعلم بدلالة النصوص أن من المحسنين من يعفو الله عنهم، ومنهم من يعاقب ويدخله النار ثم يخرجه منها، ولا يصح أن نقول: يجوز أن يتجاوز الله عن جميع المحسنين فلا يدخل أحد منهم النار; لأن النصوص دلت على أن من أهل الكبائر من يدخل النار ثم يخرج منها ۚ.

وقوله: «ونرجو للمحسنين».

يريد أهل الإحسان الذين حسن إسلامهم واستقاموا عليه، فهؤلاء

(۱) انظر ص ۱۵۹.
رجال المحسنين، والخوف على المسيحيين

أهل الإحسان العظيم يرجى لهم من العفو والرحمة والمغفرة ما لا يرجى لغيرهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيات.

وقوله: "ولا نشهد لهم بالجنة«.

لا نشهد لأحد من المحسنين الصالحين بالجنة، فضلًا عن دونهم، وهذه مسألة سيأتي النص عليها في كلام الطحاوي (1)؛ لأنه يكرر المعنى الواحد أحيانًا في أكثر من موضع، فلا نشهد لأهل القبلة بجنة ولا نار.

والشهادة بالجنة ذكر فيها الشارح ابن أبي العز ثلاثة مناهب (2).

قيل: لا يشهد إلا للذين آثروا.

وقول: يشهد بالجنة لكل من جاء فيه النص، وهو قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

وقول: يُشهد بالجنة لهؤلاء، ومن شهد له المؤمنون.

والقول الثاني هو أصحها، فمن شهد له رسول الله ﷺ شهدنا له بالجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة (3)، وثبت بن قيس بن شماس (4)، والحسن والحسين (5)، رضوان الله عليهم، ومن شهد له الرسول ﷺ من الجماعات؛ كأهل بيعة الرضاوان نشهد بأن جميعهم في الجنة، قال تعالى:

»لقد رأينا الله عين المؤمنين إذ يلمعونك تحت السجراء« [الفتح:18]. وقال

(1) ص 264 عند قوله: "ولا ننزل أجلًا منهم جنة ولا ناراً.
(2) ص 538، وهو مقتول من منهج السنة/195.
(3) رواه أبو داود (4249)، والترمذي (375) - وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (636)، وصححب ابن حبان (993)، والحاكم 3/440، والضياء في المختارة 2/282 - 290 من حديث سعيد بن زيد ﷺ.
(4) رواه البخاري (4846) ومسلم (119) عن آنس ﷺ.
(5) رواه أحمد 2/3، والترمذي (3768)، وابن حبان (959)، والحاكم 3/167 - وصححه - من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

219
النبي ﷺ "لا يدخل النار أحد من بابع تحت الشجرة"(1). 

أما من شهد له المؤمنون، فيستدل له الحديث أن ﷺ قال:
مرأوا بجنازة فأثوا عليها خيرا، فقال النبي ﷺ: "وجبت"، ثم مروا
بأخرى، فأثوا عليها شرًا، فقال: "وجبت"، فقال عمر بن الخطاب ﷺ:
ما وجبت؟ قال: هذا أثنيت عليه خيراً ووجبت له الجنة، وهذا أثنيت
عليه شرًا فوجبته للنار، أتتم شهداء الله في الأرض"(2).

لكن هذا خطاب لجماعة من خيار الصحابة ﷺ، فلا يتأمى اعتبار
أي جماعة من الناس أن شهادتهم للشخص توجب الشهادة له بالجنة، إذا
شهدوا له بالخير والصلاح؛ لكن شهادة المسلمين والصالحين مما يستبشر
به، ومما يبشر بالخير ويبعث على الرجاء، أما أن يشهد له بالجنة بناء
على هذا فلا، وهذا المثنى عليه خيراً ما يعلم أنه في الجنة إلا بقول
الرسول ﷺ: "وجبت"، وهذا لا يتأتي لغيره من الناس.

وقوله: "ونستغفر لمسنئهم، ونخاف عليهم، ولا نقطهم".

نرجو للمحسنين أن يعفو الله عنهم ويدخلهم الجنة، ولا نأمن
عليهم ولا نشهد لهم بالجنة، وتستغفر للمسيئين، قال تعالى: "وأُصْبِحُ
لَيْلَكَ وَلُبْسَيْنَا لَيْلَكَ مُنْتَزِحًا وَلُبْسَيْنَا لَيْلَكَ مُنْتَزِحًا (مُحَمَّد) (الرضوان)
فأولئك أافظر في ولودك، وأولئك أافظر في ولودك، يَقُومُ الْجَسَابُ (محروم) (19)
إليهيم أن قال: "يَرْبَّى أَفْيَرَ لِي وَلَودُكَ وَلَبَسْيْنَا لَيْلَكَ مُنْتَزِحًا (الرضوان) (28)
إليهيم" وقد أثني الله على الذين يستغفرون لأخوانهم الذين سبقوهم
بالإيمان: "وَأَلْتَبْسِطَ لَهُمْ عَرْفَةَ وَلَا تَجَلَّلَ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَا أَلْتَبْسِطَ لَهُمْ
الْيَبِينَاتِ مِبَالِيْلِكَ وَلَا تَجَلَّلَ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَا أَلْتَبْسِطَ لَهُمْ
الْيَبِينَاتِ مِبَالِيْلِكَ (الرضوان) (28)

(1) رواه أحمد 3/450، وأبو داود (4653)، والترمذي (3862) من حديث
جابر بن سعد، ونحوه عند مسلم (2496) من روايته عن ابن مسهر.
(2) رواه البخاري (1367)، ومسلم (949).
الرحاء للمحسنين، والخوف على المسيئين

الرحمة ({٣٣} الحشر)، فنبغي أن يكون هذا داًب المسلم فيستغفر ربه لنفسه ولإخوته المسلمين.

وقوله: "Wonxاف عليهم".

قال في المحسنين: "ولا نأمن عليهم" مع إحسانهم، وهنا قال:

"Wonxاف لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقتطهم".

فنخاف على المسيئين من عقاب الله، ولا نؤمنهم كحال المرجئة الذين يقولون: "لا يضر مع الإيمان ذنب"، ولا نقتطهم كحال الخوارج الذين يقولون: "لا يرجى لهم مغفرة ولا رحمة ولا يدخلون الجنة".

وهذا مسلك أهل السنة فهم وسط بين هذه الفرق، وسط في باب الأسماء والصفات، وسط في أفعال العباد، وسط في أسماء الإيمان والذين، وسط في أهل الكبائر، وسط في الصحابة، فكل هذه العبارات تتضمن تقرير التوسط في أمر أهل الذنوب، فلا نكرههم، ولا نقول:

لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله.
وقوله: (والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القيبلة).

الأمن ضد الخوف، والمراد الأمن من عذاب الله ومكره، كما قال تعالى: "أُفِيَّ أَهْلَ الْقُرْآنَ أَن يَأْتَهُمْ بِأَسْمُهُمْ يُبْنَانٌ وْهُمْ كَعْبُونٌ أَوْ لَمْ يَأْتَهُمْ الْقُرْآنَ أَن يَأْتَهُمْ بِأَسْمُهُمْ يُبْنَانٌ وْهُمْ كَعْبُونُ" (الأعراف: 104) [الأعراف] والأمن من عذاب الله يتضمن التكذيب بوعيد الله، وهو مقتضى قول غلالة المرأة: "لا يضر مع الإيمان ذنب"، وهذا إذا كان عن اعتقاد أنه في مأمن من عذاب الله، لا إن كان ناتجا عن غفلة، كحال كثير من الناس، إذ لو كان يخفى من العذاب ويستحضره لأوجب ذلك خوفه من الله، وإقباله عليه، وقيامه بالواجبات، واجتنابه للمحرمات، فهذا ليس من الأمن الذي جاء في شأنه الوعيد.

و ضد الأمن من عذاب الله وبأسه ومكره، اليأس من رحمة الله، والإياس: هو اليأس، وهو ضد الرجاء، وقد قال تعالى: "إِنَّمَا يَأْتُشَّ مِنْ ذَكْرِيَّ اللَّهِ إِلَّا الْقُوَّمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْاَ" (يوسف: 78) [يوسف: 78] و قريب من معنى اليأس القنوط، وهو أشد اليأس، كما قال تعالى عن إبراهيم أنه قال: "وَقَدْ يَشْأَنُونَ مِنْ ذَكْرِيَّ رَبِّي إِلَّا الْمَيْلَةَ" (الحجر: 64). والقنوط والإياس يتضمن إنكار التوبة، وأن الله لا يتوب على من تاب، وفي هذا تكذيب لخبر الله أنه يتوب على التائبين، قال تعالى: 222

شرح المقدمة الطحاوية
لا أتمنى أن تكون وتميمَ وغِنَّهُ عَمَلَكُ صَلِّيُهُ [القرآن: 80]. إنما التوبة على
الله يُذْهِبُ بِمَتَّاعِ أَندِمَانِهِ وَحُجْرَةَ [النساء: 17]. وهذا هو مقتضى مذهب
الخوارج، فإن مذهبهم يتضمن أن مرتكب الكبيرة يخرج عن الإسلام، وإن مات على ذلك من غير توبة؛ فهو مخلد في النار كسائر الكفار، وهذا تقميض للعصاة من رحمة الله، ولهذا قال الطحاوي: والأيوان
والإياض ينقل أن ملة الإسلام ومحتمى هذا أنهما ردة عن الإسلام، ولا شك في كفر من قال: إن الله لا يتوب على من تاب، لخالفة وتذكير خبر الله في كتابه، وخبر رسوله.
وإلا أن الأمان غلو في الرجاء، والإياض غلو في الخوف.
فالغلو في الخوف ينتهي إلى اليأس والتثبيس والتقنيط من رحمة الله، والغلو في الرجاء يفضي إلى الأمان من عذاب الله، ولكن إذا كان هذا اليأس عارضًا للإنسان ليس عن اعتقاد; بل استتعمه ذنه وخف منه، ولبلغ به الأمر أنه ظن بجهله أنه لا يعفرة له؛ فهذا قد يظهر بأنه سيء الظن بنفسه، وأن الله لا يعفرة له لسوء عمله؛ مثل الذي أمر أولاده أن يحرقوه إذا مات لشدة خوفه من عذاب الله).
وسيل الحق بينهما.

الصراط المستقيم بين الأمن واللياس، فالواجب على العبد أن يكون خائفاً راجياً، فالرجاء من مقامات الدين، ومما أثنيت الله به على المؤمنين: إن اللهك عَمَّنَ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ الله وَأَولِيَّةُ الْكَفَّارَ يَسْتَوَى رَحْمَتُ اللهِ [البقرة: 282]. وقال [الإسيرة: 75].

والخوف من مقامات الدين، والله أثني على أوليائه بأنهم يخافونه، وبرجنه: لا يعفروا، خوفاً وطمأناً [السجدة: 16]. وقال ؛: يَسْتَغْفِرُونَ في الْخَيْرَةِ وَيَتَبَيَّنُونَ رَبَّهُ وَرَهْبَانَ [الأنبياء: 90]. وقال ؛: أَوْلَادُ اللهَ
شرح المقيدة الطحاوية

يُعَدُّونِ بِهِمْ إِنَّهُمْ إِلَّا رُبُوبٌ مَّسْرُوحُ وَبَعْضُهُمْ يُعَدُّونَ عَذَابَهُمْ. ([الإسراء: 75])

فَهذَا هُوَ الصراط المستقيم في هذا المقام فلأمن ولا يأس.

ومع ذلك فإن الأمر المقتضية للعمل ثلاثة: المحبة، والرجاء، والخوف.

فالرسول وابتعذهم يعبدون ربه جبالا له تعالى، ورجاء لرحمنه وفضله
وثوابه، وخوفًا من سخطه وعقابه، فيعبدونه بكل هذه الأحوال
والمقامات.

أما أهل الضلال فمنهم من يعبد بالحب فقط كجهلة الصوفية
وغلائهم، يستخفون بمقام الرجاء والخوف.

ومهم من يعبد بالرجاء كالمجرئة، ومنهم من يعبد بالمبالغة في
الخوف كالخوارج، ولهذا قال بعض أهل العلم: «من عبد الله بالحب
وحده فهو زندقي، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده
بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو
مؤمن موحد» (1)

فهذا ضر طريق الرسول، فلله ذكر أسماءه وصفاتها المقتضية للرجاء
والخوف، وأثنى على رسله بالرجاء والخوف.

و«حروري» أي: من الخوارج، «ومن عبده بالحب والخوف
والرجاء فهو مؤمن موحد» لأن هذا هو الصراط المستقيم في هذا المقام،
لا أمن ولا إياض، بل خوف ورجاء، فالخوف يُعدّل الرجاء، والرجاء
يُعدّل الخوف.

فالواجب على الإنسان أن يسير إلى الله في هذه الحياة بين الخوف
والرجاء، غير ويخاف، وفي الأثر: «لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخف
بلا ذنبه» (2).

(1) نسب الغزالي في إحياء علوم الدين 257/4 إلى الإمام مكحول الدمشقي.
(2) قاله علي. رواه العدائي في الإيمان (19)، أبو نعيم في الحلية 76/2،
وأين عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 1/90، وانتظر شرح هذا الأثر في
مجموع الفتاوى 8/161.
ما يخرج به المسلم من الإيمان

فلا بد أن يشهد الشهادتين ظاهرًا وباطنًا، عن علم وانقياد وإقرار، بذلك يدخل في الإسلام حقيقة.

فقوله: «إِلا بِجَهْوُدِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ».

معنى ذلك أن ينكر تفرد الله بالإلهة، فيصير بها شرَّكًا، أو ينكر رسالة الرسول  إلى جميع الناس، فيصير مُكذبًا للرسول  . هذا يعني هذه الجملة.

فإذا كان يخرج عن الإسلام بجحود التوحيد أو جحود الرسالة، فإنَّ لينصر عن الإسلام بالتكذيب أو الشك أولى، وعلى هذا فلا يخرج عن الإسلام إلا بالتكذيب، أو الشك في الباطن، أو بالجحود سواءً مع تكذيب وشك أو مع تصديق.

ويمكن أن يقال: إن هذه العبارة تقتضي أنه لا يكفر بأي فعل بعد ذلك إذا لم يجحود، وهذا لا يستقيم، بل من تكلم بما هو كفر، فإنه
يُكرر، لو لم يجحد، كمن يستهتز بالرسول مع إقراره برسالته، فهل يقال: إنه جحد الرسالة؟ لا، ومن ذبح لغير الله؛ فإنه يكرر، لو قال: لا إله إلا الله وأن الله هو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواء، فهذا غير جاحد، فكره بالفعل، والكرر يكون قولًا وفعلًا واعتقادًا، فهذه العبارة لا تصح على هذا الإطلاق، فإنه حصر الحكم بالكرر بالجحوود، وهي تساوي قوله: لا يكرر المسلم إلا بالجحوود، والله أعلم.
وقوله: "والإيمان هو: الإقرار بالله، والتصديق بالجنة".

هذا هو تعريف الإيمان عند مرجحة الفقهاء، وهو يقتضي أن أعمال الجهاز كلها ليست من الإيمان، بل وأعمال القلوب.


(1) 16/1
(2) 16/1
(3) 18/1
(4) 20/1
وستون شعبة(1). فالصلاة والصيام والحج والجهاد وبر الوالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان، وقال النبي ﷺ: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيه، فإن لم يستطع فبلسه، فإن لم يستطع فبقله، وذلك أضعف الإيمان"(2).

وسألة مسمى الإيمان مسألة كبيرة، وقد خالف أهل السنة والجماعة تواتر المرجئة، فمنهم مرجأ الفقهاء وهو الذين ذكر الطحاوي مذهبهم: أن الإيمان هو: "تصديق القلب وإقرار اللفسان"، وبعضهم يجعل الإيمان هو: "تصديق القلب"، والإقرار شرط فيه، وليس من مسمى؛ فلا يصح إيمان القلب إلا بإقرار اللفسان.

والقول الآخر قول الجهمية ومن تبعهم: "الإيمان هو مجرد التصديق أو مجرد المعرفة"، والمعرفة والتصديق في نظر محصلهما متقارب، فعلى تقررهم: إذا كان المكلف يعرف ربه فهو مؤمن، والكفر هو جحود الخالق، فأما الإقرار بالفسان، وعمل الجواهر، وعمل القلب؛ فالكل ليس من مسمى الإيمان، وهذا يقتضي أن كل طوائف الكفر مؤمنون؛ لأنهم يعرفون الله، حتى كفار قريش، قال تعالى: "وَلَيْن سَأَلْنَهُم مِّن حَلَقِ الْأَسْمَرِيَّةِ وَالْأَرْضِ لَيْقَوْنَ الله" [القarnation: 25]، وأخبر الله عن عاد وثومود أنهم قالوا: "لَوْ كَتَبَ لَنُؤْتُم مِّنَ الْمَلَيْكَةِ" [فصل: 12]، وقوم نوح قالوا: "لَوْ كَتَبَ لَنُؤْتُم مِّنَ الْمَلَيْكَةِ" [المؤمنون: 24]، إلى غير ذلك، فهذا أفسد أقوال الناس في مسمى الإيمان.

ومن الأقوال الباطلة قول الكرامية: أن الإيمان هو: "الإقرار بالفسان"، فالمنافق عندهم مؤمن، لكنه إذا مات فهو مخلد في النار، يقول شيخ الإسلام كمات تعليقًا على هذا: "فخالفوا الجماعة في الاسم دون الحكم"(3).

---
(1) رواه البخاري (79) ومسلم (253) - واللظ له - من حديث أبي هريرة.
(2) رواه مسلم (439) من حديث أبي سعيد الخدري.
(3) الترميز ص: 462.
فالمنافق عند المسلمين ليس بمؤمن؛ لأنه يبطئ التكذيب والشك والإباء، قال تعالى: 
«وما من آلهة إلا يدَّعونَ مَعَ اللَّهِ وَأَليوْمَ يَدْخِلُ الْأَخِرَةَ وَمَا هُمْ يَعْمَمُونَ» 
[البقرة] ويقول شيخ الإسلام عن قولهم: قول منكر لم يسبهم إليه أحد (1).

هذه أربعة مذاهب في مسمى الإيمان، وأهم هذه الأقوال المخالف:
قول المرجئة الفقهاء: الإيمان هو: التصديق، وإقرار اللسان، وأن الأعمال ليست من الإيمان، ولهم على ذلك شبهات كثيرة، وقد أجاب عنها شيخ الإسلام ابن تيمية في "الإيمان الكبير" و"الإيمان الأوسط" وغيرهما.

والمقصود: أنه قول مخالف لما دل عليه القرآن، والسنة الصحيحة أن الإيمان اسم لكل أمور الدين: الاعتقادية والعملية والقولية، كما في الحديث: "الإيمان بضع وستون شعبة" (2)، وإن كان ما في القلب أصل لأعمال الجوارح كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلحاً الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا و غي القلب" (3).

فالجوارح تابعة للقلب صلاحاً وفساداً، وهو بالنسبة لها بمثابة الملك مع جنوده.

ومن شبهات المرجئة قولهم: إن الإيمان معناه في اللغة العربية: التصديق.

وقد رد ذلك ابن تيمية (4) بوجه كثيرة، منها:
أنه ليس كذلك في اللغة العربية، بل الإيمان أخص من مطلق

الموضع السابق.

(1) تقدم في ص 227.
(2) رواه البخاري (52)، ومسلم (1599) من حديث النعمان بن بشير.
(3) الإيمان الكبير ص 289.
(4)
الصديق، وهو الإيمان بالأمر الغائب الذي يؤمن عليه المخير، فلا تقول
لمن قال لك: طلعت الشمس: آمنت لك، بل صدقتك، لكن تقول ذلك
لمن أخبرك بأمر لا تدركه ولا تعرفه بحسك، كما قال إخوة يوسف:
{وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ صَدِيقًا صَدِيقٍ} [يوسف: 17] فالإيمان في اللغة
العربية تصديق، لكن ليس كل تصديق يكون إيماناً.

وهكذا بالنسبة للاستعمال، في (آمن) يتعدى باللام وبالباء تقول:
آمنت به، هذا بالنسبة للخبر أو المؤمن به، وآمنت له بالنسبة للمخير،
وأما (صدق) فإنه يتعدى بنفسه، فتقول: صدقه، فهو يختلف عن الإيمان
من جهة اللفظ والاستعمال، ومن جهة المعنى والمضمون، وسيأتي لهذا
مزيد بحث عند قول المؤلف: {والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء} 1).
وجوب الإيمان والعمل
بكل ما صح عن النبي ﷺ

وقوله: "وجمِّع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله،
حق".

أي: ما رواه الشتاب الحدود حسب قواعد أهل الحديث، فالروايات عن الرسول ﷺ مروية بالأسانيد، فهي قسمان: متواتر،
وآحاد (1).

فالمتواتر هو الذي يرويه عدد كثير تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم إلى أن يبلغ النبي ﷺ. والآحاد هو: ما يروى بأسانيد معدودة، وقسمه العلماء إلى مشهور وعزيز وغريب.

لكن القسوة العامة: متواتر وآحاد.

أما المتواتر فكل الطوائف متفقة على ثبوته.
والآحاد تنقسم إلى: صحيح، وحسن، وضعف.

أما الضعيف فهو مردد لا يعتمد عليه، لكن الشأن في المقبول الذي يشمل الصحيح والحسن، فأهل السنة والجماعة يقبلون ما توافرت فيه شروط القبول، ولو كان واحدًا، في جميع أمور الدين، في الأمور
الإعتقادية؛ كصفات الرَّبِّ ﷺ، وأفعاله، أو ما يتعلق باليوم الآخر، وفي

(1) روضة الناظر ١٣٤٧/٢، ونوهة النظر ص ٣٦٧.
الأمور العملية؛ كأحكام الطهارة والصلاة والزكاة والمعاملات.

وهذه قضية أصولية عقدية، وهي: حجة خبر الواحد، والصواب:
أن خبر الواحد حجة في مسائل الدين الاعتقادية والعملية، والأدلة على
قبول خبر الآحاد كثيرة في السنة، منها: أن الرسول ﷺ كان يرسل
الرسول آحادًا (1).

وعند أهل البذع من المتكلمين: أن خبر الواحد لا يحتاج به في
العائد، فيردون كثيرًا من النصوص الواردة في صفات الله تعالى بحجة
أنها خبر آحاد.

والتفريق بين مسائل الاعتقاد ومسائل العمل من حيث الإثبات
بدعة، فكل مسائل الدين سواء، فما تثبت به الأحكام الشرعية الحلال
والحرام تثبت به مسائل الاعتقاد، ثم إن أهل البذع ليس مقصودهم فقط
الاحيان في الثبوت، إنما مقصودهم رد النصوص المخالفة لأصولهم،
فما استطاعوا ردود بقولهم: إن هذه آحاد لا تثبت بها مسائل
الاعتقاد؛ لكن إذا جاء متواترًا ماذا يصنعون؟

 يقولون: نعم هذا قطعي الثبوت؛ لكن نفس النصوص ظنية الدلالة،
ويقولون: إن مسائل الاعتقاد لا تثبت بالأدلة اللفظية!

الأدلة السمعية: الآيات والأحاديث - كلها أدلة للفظية في مقابل
الأدلة العقلية، وعندهم: أن العقائد لا تثبت إلا بالدلائل العقلية، هذا
هو الأصل الفاسد والطاغوت الأكبر الذي أفضى بهم إلى التلاعب
بكلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ، والى رد كثير من كلام الرسول ﷺ
وأخباره، فردوا نصوص الصفات، ونفروا الصفات بالشبهات العقلية التي
هي بزعمهم حجج، ولهذا يقول شيخ الإسلام فيهم: «ولكنهم من أهل
المجهولات المشبحة بالمعقولات، يفسطون في العقليات، ويفرطون

(1) انظر: الرسالة ص 402، وصحيح البخاري 86/9، ومختصر الصواعق المرسلة
1465/4
في السعوات (1).
فلمما أصلوا نفي الصفات وقفوا من النصوص أحد ثلاثة مواقف:
الأول: الرد لما قدروا على رده؛ كأخبار الآحاد قالوا: هذه لا تثبت بها العقائد.
الموقف الثاني: التأويل لما لا يستطيعون رده؛ كالقرآن، تكلموا فيه طريق التأويل، وهو صرف ألفاظ النصوص عن ظاهرها.
والثالث: مسلك التفويض، وهو إمرار النصوص ألفاظًا من غير تدبر وفهم لمعناها ومراد الله منها.
ولأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما أخبر الله تعالى به، ورسوله ﷺ، من الشرع والبيان، وهو يشمل: مسائل الاعتقاد، ومسائل الأحكام، فكلها حق من عند الله.

(1) التدمرية ص 94.
زيادة الإيمان ونقصانه

وقوله: "والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشيء والتقى، ومخالفة الورى ومقامة الأولى".

الإيمان واحد هو: التصديق بالقلب، ومعناه أنه لا يزيد ولا ينقص، ومسألة الزيادة والنقصان هي من فروع الخلاف بين أهل السنة والمرجئة، ومن المرجئة الفقهاء عندهم: أن الإيمان واحد لا يزيد ولا ينقص، وعند أهل السنة: أنه يزيد وينقص، فالصديق نفسه يزيد وينقص، يقوى ويفضفف، وهذا أمر معقول، وليس الخبر كالمعاينة، وليس ما يستفاد بالخبر المتواتر كالمستفاد بخير الآحاد من حيث قوة العلم الاليقين، فهل وجود الصلاوات الخمس كوجوب الوتر عند من يقول له؟ أو كوجوب بعض واجبات الصلاة؟ فالصديق نفسه والعلم نفسه يتفاوت قوة وضعفًا، وكذلك أعمال القلوب: الحب والبغض والخوف والرجاء والتوكل هذه الأعمال القلبية تتفاوت قوة وضعفًا، فهناك بعض وبعض شديد، وحب وحب شديد، قال تعالى: "فَلَوْ كَانَ عِبَادِي يَمْتَازُواْ وَيَحْتَزَوْنَ وَيَحْزَوْنَ وَيَخْضَعُوْنَ وَيَكُنُونَ رَضِيَاءًا أُحُبَّ إِلَيْهِمْ مُّنِّيٌّ اللَّهُ وَرَسُولُهُُّ" [النور: 242]، وقال النبي ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (1)، فهو أمر محسوس لا يستطيع المنصف العاقل أن ينكروه أو أن يتجاهله.

أما أعمال الجراح فالزيادة فيها والنقص ظاهر للعيان، والآيات

(1) تقدم في ص 210.
زيادة الإيمان ونقصانه

والدالة على الزيادة كثيرة؛ كقوله سبحانه: {الذين قال لهم Алله إني آكل قد جمعوا لكم فأحثوه فرآدهم إيمانًا} [ال عمران: 317]، {وإذا تكلمت عليهم} [المختصر: 436]، {وداود آلهم رأوه إيمانًا} [الأنفال: 24]، {فإنها أاردنا إيمانًا مع إيمانهم} [الغافر: 32]، {فأولئك أرانا فرآدهم إيمانًا} [المدن: 124].

وقوله: {أوأهله في أصله سواء}.

إذا كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص فلا بد أن يكون أهله فيه سواء؛ لأنه شيء واحد. لكن المؤلف أتي بتعبر فيه عندي عدم وضوح، وهو قوله: {أوأهله في أصله} ولم يقل: {وأهله فيه}.

والمناسب على مذهبه أن يقول: {وأهله فيه سواء}؛ لأن هذا مقتضى كون الإيمان واحدًا، أن يكون الناس فيه سواء، ولا أدي ما إذا يريد يقوله: {في أصله}، فإن أراد أن المؤمنين كلهم عنهم إيمان فهم مشتركون في الأصل، وبينهم قدر مشترك، فهذا لا يصح أن يقال: إنهم فيه سواء؛ لأن وجود قدر مشترك لا يصح معه أن يقال: إنهم فيه سواء، وحقيقة القول عند المرجحة: أن أهله فيه سواء، لكن الطحاوي كتب كأنه تحاشى أن يقول: وأهله فيه سواء فقال: {وأهله في أصله سواء} وؤكد هذا أنه قال: {والتفاوض بينهم في الخشية والثقة، ومخالفة الهوى وملازمة الأولى} ولم يقل: يتفاوضون في الإيمان، فعندنا أن أعمال القلوب فيها زيادة ونقص؛ لكن الخشية، ومخالفة الهوى، وصلاة الأول والثاني هي من الإيمان عند هؤلاء المرجحة؟ لا، ليست من مسمى الإيمان، لأن الإيمان عندهم هو التصديق بالقلب، وإقرار اللسان.

فعندهم أن أعمال القلوب وأعمال الجوراح كلها ليست من الإيمان، فالتفاوض في أعمال القلوب والجوراح هي ثمرة وأثر ذلك الإيمان وليس منه.

وعلى قولهم: {يكون إيمان أفسق الناس الذي مع الإمام وإيمان أبي بكر وعمر سواء}
قوله: «والتفاضل بينهم في الخشية والتقى، ومخالفة الهوئ، وملابسمة الأولٍ.»


و«التقي».

أي: التقوى، وهي: أن يجعل العبء بينه وبين غضب الله وعقابه وقاية بفعل أمره وترك معيصيته.

و«مخالفة الهوئ».

طاعة الله ورسوله، قال تعالى: «وَأَمَّا مِنْ خَلَفٍ مُّقَامٍ زَيَّدَ وَهَٰذَا أَنْفُسُ عَنِ اٍلْمَوْنَةِ إِنَّ الْبَيْتَةَ هُيَ الْمَرْؤُوْلَةِ» [المائدة: 91] (النازعات). «وَأَرْبَعُ مِنْ آتَى اللَّهُ إِلَيْهِ الْمُلْكَ الْمُبْرَئَةَ وَالْمَهْيَهَةَ» [النور: 43]. «وَلَوْ تَزَادَ الْمَهْيَهَةَ فَيُضِيقُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» [ص: 22]. «فَإِنَّ أَلْهَيْنِ الْمَكْتُوبَ فَأَعْلَمُ أَنَّمَا يَمْنُونَ أَهْوَاهُمْ وَمَنْ أَصْلَ يَمْنُ أَنْعُمَ هُوَ الْكَبِيرُ أَلْهَيْنِ يُضَيِّعُ هُدْيَ الْمَكْتُوبِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ اللَّهُ مَنْ أَفْتَلَ اللَّهُ أَثَانِيَانِ» [القصص].

و«ملابسمة الأولٍ».

المحافظة على ما هو الأولٍ به، هذا هو مجال التفاضل عندهم، أما الإيمان الذي هو التصديق فليس فيه تفاضل ولا زيادة ولا نقص، وبهذا يعلم أن الخلاف بين أهل السنة والمرجئة ليس خلافًا لفظيًا؛ لأن الخلاف اللفظي يقال عنه: لا خلاف فيه.

كيف يكون الخلاف لفظيًا وتبدل فيه هذه الجهود من المؤلفات، وتقرير الدلائل، ورد الشبهات، ويشتد الإنكار على من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان!

لا، ليس الخلاف لفظيًا؛ بل هو حقيقي، تربت عليه: مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، ومسألة الاستثناء في الإيمان.
ولاية الله وعِمْ تَكُونُ؟

وقوله: «والمومنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطعهم، وأنعمهم للقرآن».
قال تعالى: {اللَّهُ مَوْلَاكُمُ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الISON] والأنبياء هم خير وأفضل الأولياء، وهم أكمل المؤمنين إيمانًا وتقوى، وآتباعهم المؤمنون كلهم أولياء الله، قال تعالى: {وَبِمَا يَبْطِعُ اللهُ وَالرَّسُولُ أَوَلَّادَهُ مَعَ الَّذِينَ أَنْتُمْ أَنْتَمُ} [النساء:29] فهؤلاء أصناف أولياء الله: الأُنْبِياءُ والصديقون والشهداء والصالحون.

وطبقات أولياء الله إجمالًا طبقةٌ (1): مقربون، ومقتضبون.
فالمحترمون هم الذين يفعلون الفرائض والنواقل والمستحبات، ويجبون المحرمات والمكروهات وفضلوا المباحات، وهم المسارعون في الخيرات.
والمحترمون هم الذين يؤدون الفرائض ويجبون المحارم، وليس لهم تميز في النواقل، وليس معنى ذلك أنهم لا يفعلون شيئًا من النواقل.
فالمومنون هم أولياء الله، وهو وليهم، قال تعالى: {وَلِيُّ الْمُؤمِنِينَ} [آل عمران:88]، والكافرون والمنافقون أعداؤهم وهو عدوهم، قال تعالى: {فَأَيِّاهَا الْرَّحيْمُ عَلَيْكُمْ لِلْكَفِيرِينَ} [البقرة:98].

(1) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص.176.
وقوله: «واكرهم عند الله أطعومهم».
أكرم أولياء الله عند الله هو: أطعومهم تعالى ورسوله،
»أطعومهم« أفضل تفضيل، أي: أكملهم طاعة وامتثالاً للأوامر، واجتناباً
للمنهيات.

وقوله: «وأتبعهم للقرآن». هذا من التنويع في التعبير؛ لأن من كان
أطعوم فهو أتبع، ومن كان أتبع فهو أطوع، ولا طاعة إلا باتباع القرآن،
قال الله تعالى: «إنَّ أَنَحْيَاءَكُمْ عَنْ أَنْفُسَكُمْ» [الحج: 13] فالمؤمنون
متفاضلون تفاضلاً لا يعلمه إلا الله، فالأنبياء بعضهم أفضل من بعض،
والصديقون متفاضلون، والشهداء متفاضلون.

وإتباع القرآن يكون بامتثال ما فيه من الأوامر، واجتناب ما فيه من
المناهج، والإيمان بكل ما فيه من الأخبار مما يتعلق بالله وأسمائه
وسفاته، أو بما كان وما سيكون، والله تعالى ذكر الاتباع في مواضع:
»فَمَيْتُوْنَ وَإِنْ مِنْهُمْ يَرَىٰ قَلِيلًا وَلَا يَنْفَعُهُمْ» [طه: 133]، "أَنْتَيْعَوْاَ مَا أَنْبَيْلَا إِلَّاَ إِنَّكُمْ يَرَىٰ وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٰٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ قَلِيلًا وَلَا يَنْفُعُوْاَ مِنْ دُوَّارٍ أَوْلَٰٓٓيَّةٍ Q
الإيمان بالأصول الخمسة، وتفصيل الإيمان باليوم الآخر
وقوله: "والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.
فسر الطحاوي الإيمان في هذا الموضوع بما فسره به النبي، في حديث جبريل (1)، فهذه الأصول السبعة هي: أركان الإيمان، أو أصوله، أو أصول الاعتقاد: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتاب، والإيمان بالرسول، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر، وهذا هو الإيمان بالمعنى الخاص، فإن الإيمان يطلق إطلاقين:

إطلاقاً عامًا يشمل جميع أمور الدين العلمية والعملية، فهو اعتقاد، وقول، وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

ويطلق إطلاقاً خاصاً ويراد به هذه الأصول السبعة.
وهذا هو ما يفسر به الإمام إذا قرن بالإسلام، كما في حديث جبريل حينما سأله عن الإسلام، ثم سأله عن الإسلام ببنايته الخمسة، وفسر الإمام بإصوله السبعة، وقال الطحاوي فيما تقدم: "الإيمان هو: الإقرار بالله، والتصديق بالجنان" (2)، وهنا قال: "الإيمان هو: الإيمان بالله..." فيما تقدم أراد أن يبين مسمى الإمام،

(1) تقدم تحريره في ص 201.
(2) ص 247.
وأنا يكون بتصديق القلب وبالإقرار، وهنا أراد أن يفسر الإيمان بيان ما يتعلق به فالتصديق بالجنان والإقرار باللسان، أي شيء؟ فكأنه يقول: الإيمان هو التصديق بالجنان والإجراء باللسان بهذه الأمور الستة، وهذه الأصول الستة هي أصول اعتقاد أهل السنة، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مطلع العقيدة الواسطية: "فهذه اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره"، فالأيمان بهذه الأصول إجمالاً فرض عين على كل مكلف، أما الإيمان والعلم بهذه الأصول تفصيلاً فهو من فروض الكفاية؛ لكن من علم شيء من علم التفصيل؛ وجب عليه الإيمان به، وهذا الكلام فيه تكرار: لأن الطحاوي قام ذكر الأصول الثلاثة فيما تقدم بقوله: "وأنؤمن بالملائكة، والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين".

وسبق الكلام على هذه الأصول الثلاثة: الملائكة والكتب والرسل هناك، وتقدم ما يتعلق بالإيمان بالله عند قوله: "إن الله وحده لا شريك له".

وأما الإيمان باليوم الآخر، فهو الأصل الخامس من أصول الإيمان، وقد ذكره الله في كتابه وفضّل الخبر عنه تفصيلاً عظيماً، لذا يتقدم مثله في كتاب الله المنزلة، فذكر الله الإيمان باليوم الآخر على سبيل الإجمال، كما في قوله تعالى: "ولا كنت من عادٍ من ملأئِ اللَّهِ مِن قَبْلِكَ وَلَمْ تَجِدَ مِثْلَكَ مِن شَيْءٍ إِلَّا اللَّهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَالْجَمِيعِ" [البقرة: 171] و"وَمِنْ يَكْفُرُ إِلَّا اللَّهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَالْجَمِيعِ وَعُرُوشُهُ" [النساء: 136].

أما التفصيل؛ فكثير جداً؛ فسورة الواقعة والحاقة والتكوير

(1) الواسطية ص 21.
(2) ص 201.
(3) ص 212.
والانفطار والانشقاق والزلزلة والقارعة كلها في شأن القيامة وما يجري في ذلك اليوم من التغيرات والتحولات، ولذا اليوم أسماء متعددة: يوم القيامة، والحاقة، والغاشية، والصاخة، والطامة الكبرى، ويوم الحساب، ويوم النشور، والساعة، ويوم الدين.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله بعد الموت، من فتنة القبر وعذاب القبر، والإيمان بالقيامة الكبرى، والمراد بها: قيام الناس من قبورهم وبعثهم ونشرهم، قال تعالى: "إِنَّكَ لَعَلَّيْنَى لَيْسَ عَنْهُمْ يَارَاكُمْ ذَلِكَ حُضُورًا لَّيْسَ بِيَوْمٍ عَذَابٌ [ق]"، ومن الخبر المفصل عن اليوم الآخر قوله تعالى: "فَمَنْ تَبَيَّنَ النَّارَ فَإِنَّهُ يُضِلُّ عَذَابًا أَخْمَرًا [الروم]" (70:17) وقوله تعالى: "فَلْيَمْلِكُ الْيَوْمَ الْأَخَرُ إِلَّا اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [النبات]" [القصارى].

١٤١

ومن أهم ما يجب الإيمان به من أمر اليوم الآخر هو الإيمان بالبعث، والجنة والنار؛ لأن البعث هو الذي أدركه الكفار من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ ولا يؤمن به إلا المسلمون إلى دين الرسول، كاليهود والنصارى؛ لكن اعتقادهم للبعث فيه خلل؛ لكن بعث الناس من قبورهم هذا قدر مشترك، يؤمن به جميع المسلمين، ولا ينكره إلا الخارجون عن أديان الرسول، لهذا المكذبون للرسول مكذبون باليوم الآخر، قال تعالى: "فَفَتَرْوَانَا الْمَكْذِبُونَ يَبْعَثُنَّهُمْ فَيَسْتَغْفِرُ اللهُ مَنْ يُعْفِهِ [الجموح] ۚ أَوَّلًا يَتَابُعُونَ وَثُلُثٌ ثَلَاثًا رَبِّيَّةٌ ۚ اذْعَجِنَّ بِهِ [الأنبياء]" (7:120، 121، 122) ثم جاء البرد عليهم في نفس السورة فالسورة من أولها إلى آخرها في شأن القيامة، وهذا المعنى في القرآن كثيرًا، وأمر الله نبيه ﷺ أن يقسم على البعث في ثلاثة مواضع: "زَمَّمُ الْأَلِينَ كَفُّرُوا أَنَّ مَنْ يُعْفَفُ قَلِبَ بِرَبِّيَّةٍ [الغافر:7]"
فحكى الله إنكار الكفار للبعث والنشور ومعاد الأجساد، وأذكر عليهم ذلك وأبطل دعواهم، وذكر الأدلة العقلية على إمكان البعث ووقوعه في آيات كثيرة.

وأظهر طرق القرآن في تقرير إمكان البعث أربعة:

1. الاستدلال بخلق السماوات والأرض.
2. الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها.
3. الاستدلال بالنشأة الأولى.
4. الاستدلال بما وقع من إحياء الموتى فيما سبق.

تجد هذه الأربع تثني في القرآن في آيات كثيرة، فمثلًا في سورة ق، لما ذكر الله عن المكذبين إنكار البعث، ذكر الأدلة الدالة على بطلان قولهم، وبيان صحة وإمكان البعث، فقال تعالى: "قد عيننا ما تفصّل الأرض يمهم وصدنا كتاب موحَّطَتٍ قل كذَّبَنا إِلَى الْحَقِّ لَمَّا سَأَلْنَاهُمُ فَهُمْ فِي أَمْرِ مَرَّي ج انفَّذُوهُ إِلَى الْخَلْقِ فَوَقَّهُمْ كَيِفَ بَيَنَّا وَرَبِّي نَا وَرَبِّي نَا ثُمَّ أُحِبَّتْنَا فِي مِنْ خَلْقٍ تَجِيجٍ تَهِيجٍ ثُمَّ كَرِيرٌ وَدَكَرْتْ لِي لَعْبُ عِبَادٍ نَّيِمٍ [ق]. هذا الدليل الأول.

وَزَرَأْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَبَرَقُّنا بِهِ جَنَّتَنَا وَجَبَّتَنَا نَحْبَ التَّجِييَّةِ وَدَكَرْنَا بِالسُّبُلِّ مَا طَلَعَ فِي بَيْنِي نَحْبَيْنَ وَعَجَبَنَا بِخَلْقِنَا كَذَّلِكَ المَرْجُ [ق]. هذا الدليل الثاني. أي: الخروج من القبور كإخراج هذا النبات من الأرض.

الدليل الثالث بعد ذلك: "لاقتَنا إِلَى الْخَلْقِ أَوْلَى وَلَهُ مِنْ خَلْقٍ جَبَّيرٍ [ق]، فتارة يذكر الله هذه الأدلة في سياق واحد، أو في سورة واحدة، وتارة يذكر الله منها اثنتين، وأحياناً يذكر واحدًا؛ فمثلًا في سورة الحج:
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المرفقة.
الاستدلال بخلق السماء والأرض، وأن من أبدعها أقدر على خلق الناس وإعادتهم.

وأما الاستدلال بما كان من إحياء الموتى فذكر الله في سورة البقرة

خمس وقائع:

الإيجاز:

الثالثة: قال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا لَهُم مَّلَامًا فِي مَلَامٍ رَبُّهُمْ}. [القرآن]

الثانية: قال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا لَهُم مَّلَامًا فِي مَلَامٍ رَبُّهُمْ}. [القرآن]

الثالثة: قال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا لَهُم مَّلَامًا فِي مَلَامٍ رَبُّهُمْ}. [القرآن]

الرابعة: قال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا لَهُم مَّلَامًا فِي مَلَامٍ رَبُّهُمْ}. [القرآن]

الخامسة: قال تعالى: {وَأَرْسَلْنَا لَهُم مَّلَامًا فِي مَلَامٍ رَبُّهُمْ}. [القرآن]

فهذه بعض ما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.
الإيمان بالقدر خيره وشره

وقوله: "والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى".

هذا الأصل السادس من أصول الإيمان: وهو الإيمان بالقدر، قال النبي ﷺ: "وتؤمن بالقدر خيره وشره"(1)

والطحاوي هنا ﷽ قال: "والقدر خيره" ولم يقل: وبالقدر، بل عطف، والجملة كأنها مستأنفة، وكون: "والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى".

ولفظ القدر يطلق بمعنى التقدير، كما إذا قلنا: القدر السابق، والقدر العام، والقدر الخاص، كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ﭺ عن النبي ﷺ: "كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"(2) أي: تقدير الله لمقادير الأشياء.

ويطلق القدر على الشيء المقترح، وهذا كثير في اللغة العربية؛ فال مصدر تارة يطلق ويراد به الفعل، ويطلق ويراد به المفعول، مثل كلمة الخلق: فالخلق يطلق ويراد به فعل الرح تعالى، فإن الله تعالى من صفه ومن فعله الخلق، فهو يخلق، وهو الخلاق، وهو الخالق.

ويطلق على نفس المفعول، فقوله: هذا خلق الله، كما قال تعالى: "هُذَا خَلْقٌ أَلَيْمَانَ مُفْتَرَيُّهُ مَا خَلَقْتَ لِذَٰلِكَ مِن دُونِي". [القلم: 11] أي: هذا هو المخلوق الله.

(1) تقدم في ص 201
(2) تقدم في ص 71.
كذلك القدر يطلق ويراد به المقدر، فإذا حدث الآن حادث
للإنسان يقول: هذا قدر، أي: هذا مُقَدَّر قَدْ قَدَّرَه الله، قال النبي ﷺ: 
"إِنَّ أَصَابَكَ شَيْءًا فَلا تَقْلِ: لَوْ أَنِي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنَّ قَلِ
قدَرِ اللَّهِ وَما شَاءَ فَعَلَ"(1).
ومثل القدر القضاء؛ فإنه يطلق ويراد به الحكم، وهو فعل الرب
تعالى، ويطلق ويراد به المقضي، وهو ما قضى الله وشاء من
المخلوقات، ولهذا يقول المسلمون فيما يحدث: هذا قضاء وقدر، أي:
هذا أمر مقضي مقدر، أي: هذا أمر حكم الله به وقدرته
وقوله: "والقدر خيره وشره".
لا شك أن المقدرات المخلوقات فيها خير وشر وحلو ومر، فيها
النعم والمصائب، فيها طيب وخبث، وحسن وقبيح، هذه المخلوقات
فيها هذا التنوير.
فإذا أريد بالقدر: المقدر، فهذا أمر ظاهر، نؤمن بأن كل الأشياء
مُقَدَّرة مخلوقة الله، واقعة بقدرة الله ومشيئةه، لا يخرج شيء منها عن
ملك الله، فكل ما يجري في الوجود من خير وشر، فهو بمشيئة الله
وخلق الله، ومقدر بتقدير الله، وهو مقضي بحكم الله وقضائه.
وقوله: "وَحُلْوُهُ وَمَرُّهُ".
كأن هذا التعبير من تنوير الكلام؛ لأن الأمور المقدرة منها ما هو
حلو في حس وذوق الناس، كالنعم والأشياء المستطابة.
والمر: الأشياء الكريهة كالمصائب؛ لأن لها مرارة في النفس.
ويفسر الخير بالذات وأسبابها، والشر بالألام وأسبابها، لكن هناك
لذات في نفسها لكنها أسباب لألام طويلة، فتكون في ذاتها خيرًا، لكنها
شر باعتبار ما تفضي إليه، فالمعاصي شر وإن استلذتها النفس؛ لأنها
تفضي إلى أعظم الآلام.

(1) رواه مسلم (2164) من حديث أبي هريرة ﷺ.
الإيمان بالقدر خيره وشره

والطاعات خير في ذاتها وملائها، وإن اشتملت على بعض المشاق والكلُّف، لكنها خير؛ لأنها نفسها مصالح ومنافع عظيمة، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: "حفظ الجنة بالمكنار، وحفظ النار بالشهوات" (1)، والله تعالى أقتضى حكمته تنوع الخلق، وخلق الأضداد في هذا الوجود، فخلق الخير والشر، والنافع والضار، والحسن والقبيح في الذوات والصفات والأفعال، فخلق النور والظلمات، وخلق الملائكة والشياطين، وخلق الصحة والمرض والحياة والموت: "أَلَيْلَيْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَلَعَظَىِّ الْعِلْوَمَ" (الملك: 2).

إذاً الأشياء المخلوقة فيها خير وشر، وإثلال الله خالق الخير والشر، أما فعل الرب سبحانه: حكمه وقضاوئه وتقديره؛ فكلاه خير، ليس فيه شر، والشر لا يضاف إلى الله اسمًا، ولا صفة ولا فعلًا، فالشر لا يكون في أسمائه فكلها حسن، ولا في صفات فكلها صفات كمال وحمد، ولا في أفعاله فكلها أفعال عدل وحكمه، وإنما يكون في مفعولاته، أي: مخلوقاته.

وهذا ما قصر به قول النبي ﷺ: "والشر ليس إليك" (2).

أنا تعالى لا يخلق شرًا محضًا؛ بل كل الشر الذي في المخلوقات شر نسبي ليس شرًا محضًا، وهذا يرجع إلى الإيمان بحكمه ﷺ، وأنه حكيم، ما خلق شيئًا عبّا، لم يخلق شيئًا إلا لمصالح وحكم يعلمه سبحانه، وليس من شرط ذلك أن تكون عائدة للعبد، بل قد يكون فيها شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فآمَ شر كلي، أو شر مطلق؟ فهذا تعالى متزه عنه.

وكل ما خلقه الله إما أن يكون خيرًا محضًا، أو أن وجوده خير من

(1) رواه البخاري (1487)، ومسلم (2823) - واللَّفظ له - من حديث أبي هريرة.

(2) رواه مسلم (771) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.
عدمه باعتبار الحكمة العامة، فإن الله خلق هذه الأضداد لحكم بالغة، ومن حكمة تعالى في خلقه: الابتلاء، قال تعالى: "خلق السماوات والأرض، وَيَلْبَسُهُمْ" [الملك: 2] وقال تعالى: "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً مَّا يَسْبُرُهُ آتِيَنَّ أَحْسَنَ عَمَلًا" [الكهف: 34]، وَرَفَعَ الْأَنْبَاتَ وَالْأَرْضَ في سَبَعَةٍ أَيَّامٍ، وَسَكَتَتْ عَلَى الْأَلْلَهِ يَبْلُوُكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا" [هود: 7].

والشر الذي في المخلوقات لا يضاف إلى الله مفردًا أبدًا، بل إما يدخل في عموم المخلوقات كقوله تعالى: "قُلْ لَّا تَشَافَى الْأَرْضُ بِالْأَرْضِ" [النساء: 78]، وكقوله: "أَتُّقِنُ اللَّهُ فَيْلَوِّنَ" [الرعد: 16]، يعني: الخير والشر.

وإما بصيغة البناء للمفعول، كقوله تعالى عن الجبن: "وَلَا تَدْرِي أَشَّرٌ أَرْيَدُ يَمُنُّ فِي الْأَرْضِ" [الجبن: 101].

وإما أن يضاف إلى خلقه سبحانه، كقوله تعالى: "قُلْ أَعْوَذُ بِيْرَبِّ الْفَقَارِيْنِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ" [اللق: 1].

وهذه الوجهة التي يعبر بها في إضافة الشر المخلوق.


وأيضاً إذا أردت أن تخبر عن خلق الله للمخلوقات، قل: الله خلق كل شيء، الله خلق السماوات والأرض ومن فيهن، ولا تقول: الله خلق الحشرات وخلق الكلاب، أو: الله خلق الكلاب، هذا منكر؛ بل قل: رب السماوات والأرض، رب كل شيء، هذا الذي فيه التعبير، كما تُصَدَّعُ بِذَلِكَ "ربَّ النَّجَّارِينَ وَرَبِّ الْأَكْبَرِ الْعَظِيمِ" [المؤمنون: 86].

(1) منهج السنة 5/410، ومجموع الفتناوي 14/266/14، وبدائع الفوائد 2/724/2.
وهكذا في النفع والضر فلا تقل: الله هو الضرار؛ بل قل: الله هو النافع الضرار، وهذا من جنس الأول في التعسير بالعموم.

ومن هذا ما ذكر الله من قول إبراهيم عليه السلام: «قِنِّي لَكَ مَغْفِرَةٌ وَرَحْمَةٌ وَلَيْسَ كَيْفَ يُبَيِّنُونَ وَلَيْسَ كَيْفَ يُبَيِّنُونَ [الشعراء] ولم يقل: وإذا أمرضني شفاني، وهذا من الأدب في الإخبار عن الله.

ومما يتعلق بهذا: الجمع بين آبتي سورة النساء، وهي قوله تعالى:

وَتَمَنَّى مِنْهُمَا حَسَنَتَينَ بَعْلاً مِّنْ يَوْمِ الْيَوْمِ، وَيَدْعَى نَفْسَهُمْ نَفْسَهَا يُقِيُّونَهَا كَيْفَ يُبَيِّنُونَ [النساء:72] وقوله تعالى في الآية التي تليها:

فَمَا أُصَابَاهَا مِنْ حَسَنَةٍ فَنَّصْبُهَا وَمَا أُصَابَاهَا مِنْ شَهِيدٍ فِي نَفْسِهَا [النساء:79] فظاهر الآية الأولى أن الحسنة والسيئة كلها من عند الله، ومعنى أن الحسنة والسيئة من عند الله أنهما بمشيئة و تقديره و تدبيره، وليس في تقديره

شر، بل حكمة وعدله.

وأما قوله تعالى: «فَمَا أُصَابَاهَا مِنْ حَسَنَةٍ فَنَّصْبُهَا وَمَا أُصَابَاهَا مِنْ شَهِيدٍ فِي نَفْسِهَا [النساء:79] فالمعنى: بسبب نفسك، والحسنة والسيئة تطلق في القرآن إطلاقياً:

١- حسنات وسيئات الجزاء، وهي: النعم والمصائب، ومنه قوله تعالى: "وَتَمَنَّى مِنْهُمَا حَسَنَتَينَ بَعْلاً مِّنْ يَوْمِ الْيَوْمِ، وَيَدْعَى نَفْسَهُمْ نَفْسَهَا يُقِيُّونَهَا كَيْفَ يُبَيِّنُونَ [الإعراف:168]." 

٢- حسنات وسيئات الأعمال، ومنه قوله تعالى: "فَمَا أُصَابَاهَا مِنْ حَسَنَةٍ فَنَّصْبُهَا وَمَا أُصَابَاهَا مِنْ شَهِيدٍ فِي نَفْسِهَا [هود:114]."

وأما الحسنة والسيئة في الآتي:

ففي الآية الأولى: النعمة والمصيبة.

وفي الثانية كذلك على الصحيح، وفسرت الحسنة بالنصر والخصب، والسيئة بالهزيمة أو بالمصيبة وبالجدب وما أشبه ذلك، فتكون الآية: "فَمَا أُصَابَاهَا مِنْ حَسَنَةٍ فَنَّصْبُهَا وَمَا أُصَابَاهَا مِنْ شَهِيدٍ فِي نَفْسِهَا [النساء:79] من جنس "أَوْ لَمَّا".
أصبحت مهيئةٌ قد أصابتم مهلبًا فلمَّا أنتَ أحدَ فلَمَّا أنَّ هذا وقد الهو من عند أنفسكم
[العمران:165] وقوله تعالى: "فَوَمَا أُصِبَّ الْخَيْرُ من مَّوْكِبَةٍ فَقَامَ كَسْتُ"
[الشامى:230].

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية (1) وابن القيم (2) هذا المعنى تقريرًا حسنًا، ونقل بعضه الشرح ابن أبي العز في شرحه (3) فجزاه الله خيراً.

وقوله: "من الله تعالى".
أي: كله بخلق الله، وبقدرة الله، وبشريكة الله، لا خروج شيء عن ذلك.

وقوله: "ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسوله، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به".
أي: بكل ما تقدم من مسائل الاعتقاد التي ذكرها مما يتعلق بالإيمان بالله وملاذته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

لا نفرق بين أحد من رسوله.

 البل نؤمن بهم جميعًا، كما وصف الله المؤمنين بذلك: «كُلُّ امْنَانٍ يَلُوتُوهُ وَكُلُّ مُلْكٍ يَلُوتُوهُ لا تَهْزَفُ بِهِنَّ آخِرَيْنِ» (الأبصار: 285) فالكفار هم الذين فرقو بِهِنَّ، وكفرهم الله بذلك: "إِنَّ الَّذِينَ يَكُونُونَ يَسْتَلَقُونَ إِيَّاهُ وَيَنْصِرُونَ وَيُبْدِئُونَ يُبْخَطُونَ يُصِّرُونَ يَثْغُونَ وَيُرَبَّدُونَ أُوْلِيَاءَكُمُ الْكُفَّارَ حَقًا وَأُمُّتَدَّةً لِكُلِّ كُفَّارٍ عَذَابًا مُهِينًا" ( النساء).

وصدقهم كلهم على ما جاءوا به.

فكما نؤمن بجميع الرسل، نؤمن بكل ما جاءوا به، فمن آمن ببعض

(1) منهاج السنة 5/410، ومجموع الفتاوى 14/1266.
(2) بدائع الفوائد 2/710، وشفاء العليل ص 159.
(3) ص 515.
الرسول وكفر بعض؛ فهو كافر لا يتفه إيمانه، ومن كذب رسولًا واحدًا، فهو كالمكذب لجميعهم، وكذلك من آمن بالرسل الواحد ولكنه كفر بعض ما جاء به؛ فهو كافر لا يفعه إيمانه، فلو آمن أحد بكل ما جاء به الرسول إلا مسألة واحدة مع ثبوتها وقطعتها، ولا يحمله على ذلك التوقف في ثبوتها؛ فإنه كافر، فلو قال: أنا أؤمن بالقرآن كله إلا هذه الآية؛ فهو كافر، أنا أؤمن بكل أحكام الإسلام إلا تحريم الخمر؛ فإنه كافر.
حكم أهل الكبائر في الآخرة

وقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون»


ومن قال: إن الذنوب كلها كبائر باعتبار أنه لا يستحسن شيء منها؛ إن أراد هذا المعنى فهو حق، ولو كانت مما يعد من الصغارى، أما إن أراد أن الذنوب كلها كبائر فليس الصحيح.

وقد اختالف الناس في حج الكبيرة اختلافاً كثيراً، وذكر ابن القيم في «الجواب الكافي»، وفي «مجار النجوم السالمين» أكثر أو جميع أقوال الناس في ضابط الكبيرة، وضعف كثيراً منها.

(1) رواه البخاري (٢٢٤٣)، ومسلم (٢٦٧٥).
(2) ص ١٤٤.
(3) ٣٢١/١.
(4) وكذا شيخ الإسلام في الفتاوى ١٦٦/١٥٦، وانظر: فتح الباري ٤٠٩/١٠٠٤.
الذين يعرفون الكبيرة منهم منعرفها بالحد، ومنهم من يعرفها بال حد، فقالوا: الكبائر سبع، أو تسع، أو سبعون.
وأحسن حك للكبيرة أنها: "كل ذنب رُتب عليه حد في الدنيا، أو تُوعَد فاعله بلعن أو غضب أو نار، أو نفي الإيمان عن صاحبه، أو تبرأ منه النبي ﷺ.

ومثال ما رتب عليه الحد في الدنيا: السرقة، قال تعالى: {والكوارث والسارقين فاقطعوا أيديهما} [المائدة: 88].

ومثال ما لعن فاعله: قذف المحصنة، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُعَمِّرُ} 

{المصائب الطوائف ألَّمُوا في الدُّنْيَا والَّآخرة وَلَمْ يَعْقِلُوا عَلَيْهِمْ} [النور].

ومثال ما تُوعَد فاعله بالغضب: التولى يوم الزحف، قال تعالى:

{وَمَن ذَيَّنَهُمْ يَوْمَ الْذِّيْلَةِ أَمْوَلًا إِلاَّ مَنْ تَحَمَّلَ أَمْوَلًا أوَّلًا} [الأنفال: 16]

ومثال ما لعن فاعله بالنار: أكل مال اليتيم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْتِنُونَ أَمْوَالَ الْيَتَمَّةِ غَلْبًا إِنَّمَا يَأْتُونَ في بُطُونِهِمُ نَارًا وَمِصَاحِرَ سِبْعُاء} [النساء]

ومثال ما لَّه تَعْقِل عن صاحبه الإيمان: الزنا، كقول النبي ﷺ: "لا يزني الزاني حين ينبي وهو مؤمن" (١).

ومثال ما تبرأ منه النبي ﷺ: قوله: {مَمْ غَشَّ فَلَيسَ مِنْي} (٢)
وقوله: "ليس منا ضرب الخدوء، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية" (٣).

والكبائر نفسها متفاوتة، ليست على حد سواء، بل بعضها أكبر من

(١) رواه البخاري (٤٧٥)، ومسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) رواه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود ﷺ.
بعض، حتى تنتهي الذنوب إلى أكبر الكبائر، وهو الشرك، ومن الأدلة على هذا: حديث أبي بكر بن عاقب عن النبي ﷺ: "ألا أنبتكم بأكبر الكبائر؟ ( ثلاثًا): الإشراك بالله، وعقول الوالدين، وشهادة الزور، وكان رسول الله ﷺ متكاءًا فجلس، فما زال يكررها حتى قلقنا. ليته سكت").

و بهذا يتبين أن النهي المجرد يدل على التحريم؛ فإن ورد فيه تغليظ فهو كبيرة.

فأما الذنوب الصغيرة فمثل ما ورد في حديث أبي هريرة السابق، ومثل سرقة الشيء الحقيق الذي لا قطع فيه، ومثل كذبة الأم على طفلها إذا قالت: تعال أعطيك كذا، ثم لا تعطيه.

فهذه الصغيرات جاء في التصوص أنها يُكفرُ بالأعمال الصالحة وباجتناب الكبائر، كما في قوله تعالى: "إِنْ تَجْنَبْنَاهُ سَبْعًا عَشَرَةَ عَذَابٌ كَبِيرَةً" [النساء] وقول النبي ﷺ: "الصلوات الخمس، والجامعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهم إذا اجتنبت الكبائر".

وقوله: "إذا اجتنبت الكبائر قيل: إن هذا شرط في تكفيض الصغيرات، فلا تكفر الصغيرات إلا بشرط اجتناب الكبائر، ومنهم من قال: إنها تكفر ما بينها إلا الكبائر.

أما الكبائر فإنها لا تغفر إلا بالتوية التصويب، أو بالحدود المقدرة؛ فإن الحدود كفارات لأهلها، أو برجحان الحسنات، فقد يكون للعبد حسنات عظيمة ترجح بعده من سيئات.

هذا ما يتعلق بالكبائر.

---

(1) رواه البخاري (2154)، ومسلم (87).
(2) ص. 252.
(3) رواه مسلم (233) من حديث أبي هريرة.
(4) فتح الباري 2/ 377 و2/ 357. 
أما مرتكب الكبيرة فله حكم في الدنيا وحكم في الآخرة، فحكمه في الدنيا تقدمت الإشارة إليه (1)، وأن مرتكب الذنبين التي دون الشرك لا يكفه بذلك خلافًا للخوارج؛ بل ولا يخرج من الإيمان خلافًا للمعتزلة، بل هو مؤمن ناقص الإيمان.

أما حكمه في الآخرة فأهل السنة والجماعة يقولون: إنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ولم يدخل النار، وإن شاء عذبه ثم أخرجه من النار برحمته وشفاعة الشافعيين من أهل الطاعات.

وقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد».

هذا القدر قد يكون له مفهوم، وأن حكم أهل الكبائر مختص بأمة محمد؛ وأهل الكبائر من الأمم الماضية ليس عندهم في حكمهم دليل، إنما النصوص الصريحة جاءت في شأن أمة محمد، ففي الحديث الصحيح أنه قال: «للنبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا» (2) وكذلك أحاديث الشفاعة المصرحة بأنه يشفع أربع مرات وفي كل مرة: يسجد لربه ويدعو ويشفع فيقال له: ارفع رأسك، وقل تسمع، وسأ تعطه، ويشفع تشفع، ثم يشفع: فبخذ لي حدًا فأخرجهم من النار» (3) وهذا ما عنده الطحاوي يقوله: «وأهل الكبائر... في النار لا يخلدون» (في النار متعلق بـ«يخلدون» أي: وأهل الكبائر لا يخلدون في النار إذا دخلوها، وليس مقصوده أنهم لا بد لهم من دخول النار ولكنهم لا يخلدون فيها.

وقوله: «إذا ماتوا وهم موحدون، وإن كانوا غير تائبين».

(1) ص 214 وما بعدها.
(2) تقدم في ص 155.
(3) تقدم في ص 156.
هذا قيد لا بد منه، وهذا هو محل الخلاف بين طوائف المسلمين، أما النائب فقد اتفقوا أن من تاب تاب الله عليه، لكن الخلاف في من مات مصدرًا على ذبه لم يتب منه، فهذا هو المُعرّض للوعيد؛ أما من تاب توبة نصوحًا مستوفية للشروط إلقاءً وندمًا وعزمًا؛ فإنه مغفور له، وليس هو من أهل الوعيد.

والطحاوي هنا بيِن مذهب أهل السنة والجماعة في حكم أهل الكبائر في الآخرة: أنهم مستحقون لوعيد؛ ولكنهم تحت مشيئة الله، إن شاء غفرو لهم، وإن شاء عذبهم، ومن عذبه منهم فلا بد أن يخرجهم من النار؛ لأنه لا يخلد أحد من أهل التوحيد، إذ «من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه مثقال خردلة، أو شعيرة، أو برّة أو ذرة من إيمان» لا بد أن يخرج من النار، كما تقدم في أحاديث الشفاعة\(^1\).

أما الخوارج والمعتززة فقد اتفقوا على حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة، وهو: أنه لا بد من دخول النار، وعندهم أن من دخل النار، فإنه لا يخرج منها.

وقوله: «بعد أن لقوا الله عارفين».

أي: مومنين ببرهم الإيمان الصحيح، وعلق الشارح ابن أبي العز على قوله: «عارفين» بأنه: «لو قال: (مومنين) لكن أولى؛ لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر - ثم قال - وكأنه يريد المعرفة التامة المستلزمّة للاهتذاء التي يشير إليها أهل الطريقة، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر، بل هم سادة الناس وخاصتهم\(^2\)

لأن أهل الكبائر ليسوا من أهل العلم التام بالله ﷺ، وإنما يريد مطلق المعرفة، إذا ماتوا بعد أن لقوا الله عارفين موحدين.

\(^{1}\) ص 156

\(^{2}\) ص 547
حكم أهل الحكبائر في الآخرة

قوله: "وهم في مشيتهم وحكمهم، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله،
كما ذكر في كتابه: "ورب مَنّ مَنْ ذَاكَ لَمْ يَكُنْ يَكَأْتَهُ" [النساء: 48، وإن
شاء عليهم في النار بعده، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من
أهل طاعته".

أي في الآخرة هم في مشيتهم وحكمهم، يحكمون فيهم بما شاء،
وهو الحكم العدل الجواد المتفضل، وإذا كانوا تحت مشيتهم الله
فالأمر محتمل، فإما أن يغفر الله لهم ويدخلهم الجنة بلا عذاب، وإما أن
يعذبهم بالنار حسبما تقتضيه حكيمته ومشيتهم، ثم يخرجهم منها برحمته
وشفاعة الشافعين من أهل الطاعات، والدليل على هذا قوله تعالى: "إِنَّ
اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَارِكُوا مَا دُوِّنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَكَأَتُهُ" [النساء: 48] ودلت
هذه الآية على أن الذنب قسمان:
قسم لا يُغفر، وهو الشرك الأكبر، "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَارِكُوا مَا دُوِّنَ ذَلِكَ لِمَنْ يَكَأَتُهُ" [النساء: 48]
خصوص الشرك بأنه لا يغفر. وقسم دون الشرك "يُغْفِرُ مَا دُوِّنَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَكَأَتُهُ" [النساء: 48] وَقَيْدَ غُفْرَانِهِ بِالْمِشِيَّة.

ويشكل على ظاهر هذه الآية قوله تعالى: "لَقَلَّ يُجَادِلُوا الْمَلِئِينَ أَشْرَقُوا
عَلَى أَنْ قَبْلَهُمْ لَا تَقْسَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ الْذَّينَ يَتَّبِعُونَ جَمِيعًا" [الرَّمْل: 34]
فيها الإطلاق والتعليم، فعم حيث قال: "جِيَاغًا"، وأطلق حيث لم
تقد هذه المغفرة بالمشيئة.

فالتعارض بين الآتيين ظاهر، في آية الزمر عم وأطلق، وفي آية
النساء خص وقيد.

والجمع بين الآتيين: أن آية النساء في شأن من لم يتب، وآية الزمر
في التأثث، فمن تاب تاب الله عليه، ومغفرة الذنب بالتوهجة جاءت مطلقة
غير مقيدة، فلا نقدها، ولا نقول: إن من تاب تاب الله عليه إذا شاء،
فمن تاب توبة نصوها تاب الله عليه، وعدأ لا يخلف إِنَّا أَنْ تَوَكَّبُوا عَلَى
اللَّهِ يَلْدُونَ تَحْسَبُونَ السُّوءَ يَحْتَلُونَ ثُمَّ يُؤْتِيُونَهُمْ مِنْ قَرْبِهِ إِلَّا مَا يَوْبِثَ الله
عليهم، وَكَانَ اللَّهَ عَلِيمًا حَكِيمًا" [النساء]، فمن لم يتب إن كان ذنبي
الشرك؛ فإنه لا يغفر الله له، وإن كانت ذنوبه دون ذلك فإنها تحت المشيئة، هذا من لم يتب، أما من تاب فتوب الله عليه مهما كانت ذنوبه كثيرة وثيرة، كما في قصة الذي قتل تسعة وتسعين نفسه، ثم كمل المائة، ثم تاب توبة نصوءًا، فقبل الله منه وغفر له (1).

فهذا هو الدليل على هذا التفصيل، وأن من مات من أهل الكبائر من غير توبة؛ فإنه تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه.

والذين يخرجهم الله سبحانه من النار منهم من يخرجه بشفاعة الشافعين، وأعظم الناس حُتًا من أهل الشفاعة هو نبينا ﷺ، فلله يخرج بشفاعة من النار ما لا يخرجه بشفاعة غيره من الملائكة والنبين والصالحين؛ فإن الملائكة يشفعون، والأنبياء يشفعون، والمؤمنون يشفعون، ويخرج سبحانه من شاء من النار بموضوع رحمته لا بسبب من جهة بعض العباد، وورد الأمر كله إلى الله، فلله هو الذي يأذن للشافع بالشفاعة، وهو الذي يقبل منه، فورد الأمر كله إليه (2).

وقوله: «ثم يبعثهم إلى جنتيه».

بعدما يخرجهم من النار يبعثهم إلى الجنة، كما في الحديث: «وأنهم يخرجون من النار وقد صاروا حمدًا، فِيَلْقَونِ فِي نَهْرٍ بِأُفِوَاهِ الْجَنَّةِ يَقُولُ لَهُمُ الْحَيَاةُ، قَبْسِيْتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْجِبَّةُ فِي حَمِيمِ السَّيْلِ... فِي دَخُلَانِ الْجَنَّةِ» (3)، ففضله ﷺ.

وقوله: «وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته».

هذا تعليق لقوله في أهل الكبائر: «وهم في مشيته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله... وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمة وشفاعة الشافعين من أهل طاعته» (4).

1) رواه البخاري (4470)، ومسلم (2766) وسياطي بلفظه في ص 287.
2) انظر: ص 152.
3) تقدم في ص 156.
حكم أهل الكبائر في الآخرة

الذين أطمعوا وأن الكفرين لا مولى لهما [1] [محمد] فلله ولي المؤمنين، وكل
عبد مؤمن له حظ ونصيب من ولاية الله سبحانه بهقدر ما مه من إيمان
وعمل صالح، قال تعالى: «آلا إنا أولياء الله لاخرف عليهم ولا هم
يصرخون» [الزخرف]، [الزخرف].

والمعرفة هنا كالمعرفة في قوله السابق (1)، «عازفين»: مطلق
المعرفة ومطلق الإيمان، لا المعرفة التامة التي هي كمال العلم بالله.

وقوله: «ولم يجعلهم في الدارين كاهل نكرته».

الله سبحانه تولى أهل معرفته ولم يجعلهم في الدنيا والآخرة كاهل
نكرته، فالفاسق في الدنيا أخ للمؤمنين، فقاله تعالى: «إِنَّا أَلَمْ نَوْنِي
إِلَّا بِالْجَمِيعِ» [الحجرات: 10] يشمل جميع المؤمنين صالحهم وفاسقهم، وقال
 تعالى في شأن القاتل: «فَمَنْ عَقِبَّ مِنْ أَيْضَىْ نَكَرَهُ» [البقرة: 178] فجعل
القاتل أخا للمقتول، فالفاسق لا يجعله كالكافار المنكرين له، أو
المشركين به.

وقوله: «الذين خابوا من هدايته».

هم الكفائر والمشركين، فليس لهم حظ أبدا من الهداية.

وقوله: «ولم يتالوا من ولايته».

عبارة المؤلف دقيقة، فلم يقل: «ولم يتالوا ولايته»، فيشعر
بالكمال؛ بل قال: «ولم يتالوا من ولايته» فما نالوا حظا، وهذا منطبق
على الكفار.

وقوله: «اللههم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى
نلقائك به».

ختم الكلام في حكم أهل الكبائر في الآخرة، وأنهم تحت
مشيئة الله، وأن الله ميزهم فلم يجعلهم كالفاسق الذين هم أهل النار،

(1) ص 256.
بقوله: «اللهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به»

(1) رواه البخاري (1351)، ومسلم (2680) من حديث أنس ﭼ.
مذهب أهل السنة في الصلاة
خلف المسلمين، وعلى موتاهم

قوله: «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى
من مات منهم».

ونرى نحن أهل السنة، لأن العقيدة بها تقرر منهج أهل السنة
صلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، أي من المسلمين، والبر:
الصالح الثقي. والفاجر: الفاسق الذي ظهر فسقه وفجوره بما ارتكب من
ذنوب.

أي: أنا لا نعطل الجمع والجماعات، وصلاة العيد من أجل
فجور أو فسق الإمام، فإن هذه شرائع وشعائر ظاهرة، والأصل أن صلاة
الفاجر والفاسق صحينة، ومن الأدلة العامة على هذا حديث أبي
هربة في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال في الأئمة:
«يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم»(1);
لأن فسوق الفاسق وفجور الفاجر عليه ولا يضرك.

ومن الدليل على هذا الأصل: ما جاء عن الصحابة، والتابعين،
فقد كانوا يصلون خلف الولاة مع جورهم وظلمهم، كما صلى ابن
عمر ﷺ خلف الحجاج بن يوسف المعروف بظلمه(2)، وفي الصحيح
عن أبي ذر رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا كانت

(1) (294).
(2) رواه البخاري (1660).
عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها؟ قال: فما تأمرني؟ قال: صل الصلاة لوقتها؛ فإن أدركتها معهم فضلًا، فإنها لك نافلةٌ." فهذا يدل على صحة الصلاة خلفهم؛ لأنها تصح نافلة.

وترك إقامة الجمع والأعياد خلف الإمام لفجوره من منهج المبتدعة، ولهذا نص أهل العلم على هذه المسألة في هذا الباب، وإذا فأصل أن هذه المسألة عملية من الأحكام الفقهية؛ لكن لما لم يكن الخلاف في هذا بين أهل السنة؛ بل أجمعوا على الصلاة خلف الأئمة أفرارًا كانوا أم فجارًا، نصوا عليه في بيان أصول ومنهج أهل السنة؛ لكن إذا كان هناك إمام عدل وفاسق، فلذي ينبغي الصلاة خلف العدل، وأما الصلاة خلف الفاسق؛ فإنها صحبية كما قلنا؛ لكن ينبغي هجر وترك الصلاة خلفه إذا أمكن أن يُصلي خلف غيره؛ بل ينبغي السعي في عزله إذا أمكن ذلك بدون مفسدة؛ لأنه لا يجوز تولي الخلاف الفاجر والفاسق في الإمامة، فمن له قدرة على عزله وإبلاده بالعدل وجب عليه، وهذا من إنكار المنكر، لكن محل قولنا (يُصلي خلفه) إذا لم تمكن الصلاة خلف غيره، أما إذا أمكنت الصلاة خلف غيره فهي الأولى، وأولى من الصلاة خلف الفاجر الصلاة خلف المخالف في المذهب، فيجوز أن يتصلي خلف من يخالفك في بعض أحكام الصلاة، فيجوز أن يتصلي خلف من يرى أن أكل لحم الجزور غير ناقض، وأنت تعتقد أن أكل لحم الإبل ناقض، فأتت لو أكلت لحم الجزور لرأيت أن صلاتك لا تصح بدون وضوء، لكن هذا صاحب المذهب الآخر صلاته صحابة؛ لأن هذا الذي أده إله علمه واجتهاده، فلا تترك الصلاة للخلف المذهبي في بعض شروطها؛ لأن في ترك الصلاة لذلك تفريق بين المسلمين، وهذه مفسدة كبرى، وفساد عريض، فلا تترك الصلاة خلف مخالفك في المذهب فيجوز للحنبلي أن يصلي خلف الحنفي أو المالكي أو الشافعي، وكذا العكس.

(1) رواه مسلم (148).
وقوله: «من أهل القبلة».

أي: من المسلمين.

أما من ظهر منه ما يوجب ردهه - والعبادة بِالله - فلا يصل الخلفه، وإن كان ينتسب للإسلام، ومن هذا النوع: القيهريون الذين يدعون الأموات، كالرافضة فهم قبورية مشركون، يدعون عليًا والحسين وغيرهما، ويستغثون بهم في الشدائد.

وقوله: «وعلى من مات منهم».

أي: ونرى صلاة الجنازة على من مات من المسلمين، فإن الصلاة على الميت فرض كفاية، وهي مستحقة لغير من تحصل بهم الكفاية، وقد زُوي حديثً ضعيف عن النبي ﷺ: "صلوا على من قال: لا إله إلا الله، وصلوا خلف من قال: لا إله إلا الله"(1) لكن معناه صحيح دلت عليه نصوص أخرى.

ويخص من هذا الشهد في المعركة على خلاف في ذلك; لأنه تثبت أن النبي ﷺ: "أمر بذفن قتلى أحد في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم"(2).

كما أنه ينبغي للإمام والعالم والرجل الصالح المشهور أن يترك الصلاة على الفجر والسُلَق زجراً عن حالهم وأعمالهم، ودليل هذا حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: "أتي النبي ﷺ بِرجل قتل نفسه فلم يصل عليه"(3)، بل كان النبي ﷺ يترك الصلاة على من مات وعليه دين لم يترك له وفاء(4)، زجراً عن تحمل الديون من غير أن يكون لها وفاء.

---

(1) رواه الدارقطني في سنته (1761 - 1762) من حديث ابن عمر ﷺ، وقال: ليس يثبت منها شيء، وضعها البصمي السن الكبيرة 19/4، انظر: نصب الراية 272، والتلخيص الحاصل 194.
(2) رواه البخاري (1342) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.
(3) رواه مسلم (989).
(4) رواه البخاري (1731)، ومسلم (1119) من حديث أبي هريرة ﷺ.
لا يشهد لمعين من أهل القبلة
بجنة ولا نار إلا بحجة

وقوله: «ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكرف
ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم
إلى الله تعالى».

أي: لا نشهد لأحد من أهل القبلة من المسلمين بأنه من أهل
الجنة لصلاحه، ولا نشهد على أحد منهم بأنه من أهل النار لمعصية أو
بذعة، بل نفوض علمهم إلى الله، فهو تعالى أعلم بماكلهم وبحالهم،
ولا نشهد بالجنة إلا لمن شهد له الرسول ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة،
والحسن والحسين، وثابت بن قيس بن شماس، ولجميع أهل بيعة
الرضوان، وتقدمت الإشارة إلى هذه المسألة وأن فيها ثلاثة مذاهب،
والطحاوي يكرر المعنى الواحد في عدة مواضع.

وقوله: «ولا نشهد عليهم بكرف ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر
منهم شيء من ذلك».

تقدم هذا المعنى في قوله: «ولا نكرف أحدًا من أهل القبلة بذنب ما
لم يستحلله»، فلا نحكم على أحد بالكرف إلا أن يظهر منه ما يوجب
الردة، فمنى ظهر منه ما يوجب الردة قلنا: إنه كافر، ونحكم عليه تعنينا
إذا توفرت الشروط، وانتفت المواضع، فلو سمعنا إنسانًا يتكلم بكلمة
الكرف، فتنبأ أنه صاحٌ أم مجنون، أم سكران، فإن كان معه عقله؟

(1) ص ٢١٩، وهناك تخرج الأحاديث.
لا يشهد لمميين من أهل القبّلة بجنة ولا نار إلا بحجة

فنظر ماذا يريد بهذه الكلمة، فقد تكون محتملة، فإذا تحققنا أنه قالتها عالمًا بمعناها، مختارًا غير مكره، ذاكرًا من غير سبق لسان حكمنا بكفره.

«ونذر سرائرهم إلى الله تعالى».

فلا ندخل في سرائر الناس، ولا نتهمهم ونقول: هذا مراء، هذا منافق، فأحكام الدنيا تجري على الظواهر، فالرسول ﷺ أعلم الخلق يقول: «إني لم أَوَمَرْ أَن أَنْقُبَ عن قلوب الناس، أو أَشْقَ بَطُونِهِم» (1)، وقال النبي ﷺ: «أَمَرَتَ أَن أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يُشَهِّدُوا أَنَّ لَهَ رَبٌّ إِلَّا إِلهٌ» (2)، وأن محمدًا رسول الله، وقيموا الصلاة، ويوثوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله (3).

---

(1) رواه البخاري (4351)، ومسلم (1063) من حديث أبي سعيد الخدري.
(2) تقدم في ص 27.
وقوله: «ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ ﻻ من وجب عليه السيف». لا نرى القتال ولا القتال على أحد من المسلمين إذا أن يكون منه ما يوجب القتال أو القتال، قال ﷺ: «لا يحل دم إمرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ونبي رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثوب السامي، والنفس بالنفس، والثرب لديه المفارقات للجماعة» (1) فمن زنى بعد إحصان وثبت عليه ذلك بالبينة، وجب عليه الحد، وهو الرجم، ومن قطع معصوصًا وتوافرت فيه شروط القصاص وجب عليه القصاص، وكذلك من وجب عليه حد الردة، قال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتله» (2).

وكل ذلك الطائفة الباغية التي أمر الله بقتالها في قوله: "فإن تلقين من الموتيين أفصلوا فأصلحوا بينهما فإن بنت إحدىهما على الآخرة فقد أقبلتهما التي تبني حق حق أمة الله [الحجارة: 9]، وكذلك إذا تواطلت جماعة على ترك شعيرة من شعائر الإسلام، فإنها تقاتل، فلو اجتمع أهل بلد على ترك الأذان، فإنهم يقاتلون لتعطيلهم شعيرة من شعائر الإسلام، وقد «كان النبي ﷺ يُحيي إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذاناً أمسك، وإلا أغار» (3).

وقد هذا الطائفة الممنوعة المذكورة للزكاة يجب قتالها حتى تؤدي الزكاة،

(1) رواه البخاري (816)، ومسلم (1176) من حديث ابن مسعود ﷺ.
(2) رواه البخاري (1357) من حديث ابن عباس ﷺ.
(3) رواه مسلم (316) من حديث أنس ﷺ.
فقد قال عمر ﷺ للصديق ﷺ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟" فقال أبو بكر ﷺ: والله لأقاتلمن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو متعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر ﷺ: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (١).

وكذلك أجمع الصحابة على قتال الخوارج بأمر النبي ﷺ (٢)، وترغيبه في ذلك لما اجتمعوا، وأظهروا بدعتهم.

١ رواه البخاري (١٦٤٨٤)، ومسلم (٢٠٥٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.
٢ تقدم تخرج في ص ٢١٥.
وجوب السمع والطاعة بالمعروف
لولادة الأمر، وتحريم الخروج عليهم

وقوله: "ولا نرى الخروج على أمتنا وولاة أورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا تنزع بيده من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله خيرًا، فرضاً، ما لم يأمرنا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.

ولا نرى أي: نحن أهل السنة والجماعة.

الخروج يعني: بالسلاح والقتال.

أتمتنا وولاة أورنا أئمة المسلمين.

إن جاروا وإن كان منهم ظلم على الريعة، فالواجب الصبر والمدافعة بالتي هي أحسن.

وهذا أصل عظيم من أصول أهل السنة، وهو النصوح لولادة الأمر، وهو محبة الخير لهم والدعاء لهم بالعافية وصلاح الحال والاستقامة، والتوفيق للقيام بحق الله وحقوق رعاياهم، ومن كمال النصوح للأمة عدم الخروج عليهم بالسلاح وقتلهم لما يحصل منهم من ظلم أو معصبة بحجة إنكار المنكر، أما من يخرج عليهم للمنازعة على السلطة فهذا لون آخر، فلذني نعمه هنا أن أهل السنة والجماعة لا يرون الخروج على الأئمة بسبب ما يقع منهم من ظلم ومنكرات.

والله تعالى قد أمر ببطاعة ولادة الأمر، في قوله سبحانه: {ثبتها بأن يؤمنوا} (النساء: 95)، وكذلك...
الرسول ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني» (1).

وقال ﷺ: «على المرء المسلم: السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (2).

وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «إنما الطاعة في المعروف» (3)، وقال: «من رأى من أميره شيئاً يكره فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا ميتة جاهلية» (4).

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «خيار أتمكم الذين تحبونهم ويجبونكم، ويصلون عليكم وت sinon عليهم، وشرار أتمكم الذين يغضونهم ويجبونكم، ويلعنونكم ويلعنونكم، قالوا: يا رسول الله! أفرادهم عند ذلك؟ فقال: لا أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وإلا فرأيه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزن بناداً من طاعة» (5).


أواعدت في الأمر بطاقة ولادة الأمر بالمعروف، والنهي عن الخروج عليهم كثيرة مستفيضة.

وحالف المعزولة أهل السنة في هذا الأصل، فمعزلة من أصولهم

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدخلون في مفهومه: الخروج على

(1) رواه البخاري (7137)، ومسلم (1835) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(2) رواه البخاري (7144)، ومسلم (1839) من حديث ابن عمر ﷺ.
(3) رواه البخاري (7145)، ومسلم (1840) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.
(4) رواه البخاري (7054)، ومسلم (1849) من حديث ابن عباس ﷺ.
(5) رواه مسلم (1855) من حديث عوف بن مالك ﷺ.
(6) رواه البخاري (7056)، ومسلم (1709).
(7) رواه البخاري (7200)، ومسلم (1709).
الولاية الظلمة، ويجعلون الخروج عليهم واجبًا، لأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مخالف لما ذكر عليه النصوص الصحيحة الصريحة المستفيدة عن النبي ﷺ، ومخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، وهو مخالف لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه يقوم على قاعدة «احتمال أدنى المفسدين لدفع أعلاهما»، فإنكار المفكر المقصود منه هو إزالة المنكر أو تخفيفه، فإذا كان إنكار المنكر يؤدي إلى منكر أعظم ولم يجز الإنكار، ولا شك أن الخروج على الأئمة يؤدي إلى إهلاك الحب والحور والنسل، وفساد الناس ودُنِيَاهم، فهذا التشريع هو مقتضى الحكمة، وليس تحريم الخروج على الأئمة رضي بظلمهم وفجورهم؛ بل درءًا لما هو أعظم من ذلك، والواقع شاهد بأن ما جاءت به الشريعة هو الغاية في الحكم وتحقيق المصالح العادلة.

وقوله: «ولا ندعو عليهم».

الدعاء لهم بالصلاح، هذا موجب النصيحة، قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة. قالنا: لم؟ قال: الله ولكتبه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، والنصيحة أن تدعو لهم بالصلاح، اللهم أصلحهم، اللهم أصلح بطانتهم، اللهم اهدهم صراط المستقيم، ادعُ لهم لعل الله يصلح حالهم، لكن جرت عادة الناس أنهم لا يلتزمون بهذا المنهج، وقال النبي ﷺ في الحديث: «وشرار أنتمكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم»، ليس إقرارًا، وإنما هو من قبل الأخبار بالواقع، ولم يُسِّل على وجه التشويغ والتجويز له، فأهل العلم والإيمان، والصلاح والتجرد عن الهوى وإيثار الدنيا يحبون الخير لإخوانهم المسلمين، ولا سيما ولاقة الأمر سواء أعطوه من الدنيا أم لم يعطوه، وفي الحديث الصحيح: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم».

(1) رواه مسلم (55) من حديث تميم الداري ﷺ.
(2) تقدم في ص 269.
وجوه السمع والطاعة بالمعروف لولاية الأمر، وتحريم الخروج عليهم

ولهم عذاب أليم - وذكر منهم: ... ورجل تابع إمامًا لا يابيعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفي وإن لم يعطه منها لم يف (1)، فهو دائر مع الدنيا، وهذا واقع، فأكثر الناس إنما ينكرون على الولادة أمر الدنيا لا أمر الدين، فلا يتقدمون تقصيرهم في حقوق الله، إنما نقمتهم الأئمة، ويطلبون منافستهم في الدنيا، ولهذا أوصى النبي ﷺ أصحابه الأنصار فقال: "إنكم ستلقون بعدي أئرة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" (2).

وقوله: "أئرة": استبداد بالولايات وبالمال. وقوله: "فاصبروا" أي: لا تنزعوا ولاية الأمر من أجل ذلك.

ويكثر الخروج على الولادة من أجل المنازعة على السلطة باسم الإصلاح الدنيوي أيضًا; فينتج عنه شر مستطير على الناس، فتسفك الدماء وتتيشك الحرمات، وتذهب الأموال، وينشر الفساد، خصوصًا إذا لم يكن هناك استقرار في الأمر وفتم الفوضى، ويتمكن كل مجرم من بلوغ مرامه، واقتراف إجرامه.

وقوله: "ولا ننزح بدًا من طاعتهم".

لا ننزح بدًا من طاعتهم; بل ندين لله بطاعتهم بالمعروف، عملاً بأمر الله تعالى، ورسوله ﷺ.

وقوله: "لئن طاعتهم من طاعة الله فرضية".

نرى طاعتهم بالمعروف واجبة؛ لأنها من طاعة الله؛ فكل من أمر الله بطاعته فطاعتهم من طاعته، فالرسول ﷺ تجب طاعته مطلقاً بلا قيد؛ لأن طاعته طاعة الله مطلقة، ومن سواء ممن أمر الله بطاعته يطاع لكن بقيد، وهو ألا تكون في معصية، قال النبي ﷺ: "إنما الطاعة في المعروف" (3). فإذا أطاع الإنسان ولي الأمر بالمعروف أيماناً

(1) رواه البخاري (7116)، ومسلم (108) من حديث أبي هريرة ﭼ.
(2) تقدم في ص 152.
(3) تقدم في ص 169.
واحتمالًا أطيب على ذلك، أما إذا أطاعهم خوفًا من عقوبته، فهذا ليس بمطيع لله؛ لأن هذه ليست طاعة اختيارية تعبدية، بل طاعة عادية قهرية.
ووجوب اتباع الكتب والسنة وتجنب الشذوذ والفرقة

وقول: "وانتبع السنة والجماعة، وتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة".

من منهج أهل السنة والجماعة اتباع سنة الرسول ﷺ، قال تعالى:
"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" [الاحزاب: 21]، "وأتباعكم لم أحكمكم تهديداً" [الأعراف: 188]. قال إن كسر تجربون الله فأتينونه يجيبكم الله" [آل عمران: 31] والآيات التي فيها الأمر بجماعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ اتباعه والتأسيس به كثيرة معلومة، وهكذا أوصى النبي ﷺ بتابع سنته فقال: "عليكم بستني وسنة الخلفاء الراشدين" (1).

وذلك من منهج أهل السنة اتباع جماعة المسلمين، وذلك بتابع السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وسمي أهل السنة والجماعة بأهل السنة والجماعة لتابعيهم سنة الرسول ﷺ وجماعة المسلمين، والله تعالى يقول: "والتيكرون الأولون من المهجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان رضوان الله علمنهم ورضوا عنه" [الثوبة: 101]. فأتي على المهاجرين والأنصار وعلى من اتبعهم بإحسان ممن تأخر إسلامهم من الصحابة، وكذلك من جاء بعد الصحابة، وهكذا قوله تعالى بعد ذكر المهاجرين والأنصار: "والتيكرون جاؤوا من بعدهم يقودون رضوان الله وإحساناً للذين أتبعوهم بإحسان".

(1) رواه أحمد 4/136، وأبو داود (4672)، وصححه الترمذي (2676)، وابن حبان (5)، والحاكم 95/97 من حديث العرباض بن سارية ﭘ.
شرح المقيدة الطحاوية

"الله تعالى": [الحجة: 10] فتتبع السنة ونلزمهما، وتتبع الجماعة، ونلتزم بما أجمع عليه المسلمين، وما درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

وقوله: "ونجنب الشذوذ والفرقة".

بمخالفته ما أجمع عليه المسلمون وبمخالفة ما دلت عليه سنة الرسول ، ونحذر من أسباب الفرقة، وقد أمر الله بهذا في قوله:

"واعتقسو يبتلى الله جميعاً ولا تشركوا" [آل عمران: 103]، وقال تعالى:

"ولا تقولوا كأقلن تقرو" [آل عمران: 105]

وقال : "إن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم، وأصحابي" (1). وفي لفظ "وهي الجماعة" (2).

لهذا قال الطحاوي : في بيان منهج أهل السنة: "ونتتبع السنة والجماعة ونجنب الشذوذ" فمن شذ عن جماعة المسلمين شذ عن الصراط المستقيم، قال تعالى: "فمن يتقرب الرسول من بعيد ما بني له الهدى وينبت من سهيل الميمنين أولئك ما قول وتصل بهم جههم وسادات مصبرًا.[النساء] (3).

وهذه الآية مما احتتج بها الشافعي على حجية الإجماع (3).

(1) رواه الترمذي (2/264) وقال: هذا حديث مفسر غريب لا يعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، والحاكم: (128/1 من حديث عبد الله بن عمرو ، وقال: لم يرو هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إلا عبد الله بن سفيان المدلمي، وياسين الزيات.

(2) رواه أحمد (4/597) وأبو داود (3992) من حديث معاوية ، وأحمد (3/145) وابن ماجه (3992) من حديث أنس ، وأبي ماجه (3992) من حديث عوف بن مالك ، وصححه الشيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى 3450 س - 579، وتم على تعليق طويل، وذكره الكاتبي في كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 57.

(3) أحكام القرآن للشافعي 1/56.
حب أهل العدل وبغض أهل الجور

وقوله: "ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة".

ذكر هذا المعنى بعدما تقدم مناسب جدًا، وفيه تنبيه على أن وجوب
السمع والطاعة لولاية الأمر وإن جاروا، وكوننا نرى الصلاة خلف الأئمة
أبرارًا كانوا أو فجراً؛ لا يقضي النسوية بين الأبرار والفجرا، وأئمة العدل
وأئمة الجور، لا بل نحب أهل العدل من الولاية والأئمة وسائر الناس،
قال النبي ﷺ: "سبعة يظلله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام
العدل (١)، وهذا من الحب في الله، فنحب من يحب الله من المؤمنين
وال>{$\text{(4)}}$ ناصحًا، قال تعالى: "وَسَئِلْتَنَا إِنَّ اللَّهِ يُحِبُّ الْمُسْلِمَينَ" [الحجرات: ٩]
أي: العادلين، ونحب التوابين، ونحب السالحين، وننزل كلا منزلته،
و هذا هو الواجب على المؤمنين أن يتحابوا في الله، قال النبي ﷺ: "ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة والإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما
سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله..." (٢)، ومن شواهد ذلك
قوله: "والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا
حتى تحابوا، أولاً أدل لكم على شيء إذا فعلتموه تحابتم أكسل
بعدكم (٣) وفي الحديث عن النبي ﷺ: "أوثق مراة: الإمام الحب
في الله، والبغض في الله (٤)"، ولهذا قال الطحاوي ﷺ: "ونبغض أهل

(1) رواه البخاري (٢٦٠)، ومسلم (١٣١) من حديث أبي هريرة ﭼ.
(2) تقدم في ص ١٠٢.
(3) رواه مسلم (٤٥) من حديث أبي هريرة ﭼ.
(4) رواه الطالقاني (١٧٦)، وابن أبي شيبة في المصنف ٦٣٠، والحاكم =
الجور والخيانة يبغضهم لجورهم، لا لأغراضنا وشهواتنا وأهوائنا وعدم حصولنا على ما نريد، لا بل يبغضهم في الله والله، ومن باب أولى يبغض الكفار، واهل الفسق والعصيان، والله تعالى أخبر بأنه يمتهن الكافرين: «لمّاْنْقَلَبَ الْآوىْ أُكْرِرٌ مِّنْ فَقِيْمٍ أَنْخُصِصْتِمْ» [غافر: 101]، وأخبر أنه: 
«لا يْجِبُّ كَلِّ لِّحْوٍ كُبْرِيٌّ» [الحج: 28]، ولأ يُجِبُّ الْقَرْرِ الْقَدِيمِينَ [القصص: 72]
 بل يبغضهم و: «لا يُضْرُّ عَنْيَ الْقُوْرُ الْقَدِيمِينَ» [التوبة: 96] 

والناس في هذا الواجب ثلاثة أقسام:
 الأول: ولي الله تجب محبته مطلقًا.
 الثاني: وهو الله يجب بغرضه مطلقًا.
 الثالث: المخلت، كالناس من المسلمين يجب بحسب ما معه من الإيمان والطاعة، يبغض بحسب ما معه من الفسوق والمعصية.
 والواي الظالم والجائر يُعَفِّض لظلمه ويجوزه وحريته، يحب بحسب ما معه من الإيمان، فالمسيح الفاجر والظلم لا ي سوى بالكافر في نفسه، لا ؛ فمطلق الأخوة الإيمانية موجودة كما تقدمت الإشارة إلى قوله تعالى: 
فَقْنُ عَفَّيْنَ أَجُرُّ مِنْ أَجَرِّهِ» [البقرة: 178] (1) فسمى المقتول أخا للقاتل، فكونه قتله هذا لا يبطل الأخوة الإسلامية التي بينهما؛ فإن من العدل في الحكم والمعاملة أن تفرق بين الناس، فلا تعظم الناس حكّمًا واحدًا؛ بل تنزل الناس منازلهم بحسب حكم الله تعالى ورسوله ﷺ.

= \((\text{2} = \frac{1}{2})

من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وسلم ابن أبي حاتم أبا عن هذا الحديث، فقال:... الحدث منكر لا يشبه حديث أبي إسحاق. العلل (1977)، وانظر: ضعفاء الكبير 3/108، والكامل في ضعفاء الرجال 7/100، ورواه الطيالي (783)، وابن أبي شيبة في المصنف 74/19، وأحمد 4/286 من حديث البراء بن عازب، وفيه لث ابن أبي سلمى وهو ضعيف، تهذيب التهذيب 3/484، وله شواهد من حديث عدد من الصحابة، وانظر: السلسلة الصحيحة (998) و(1728)، (1) ص 259.
تفويض العبد ما خفي عليه من العلم إلى الله

وقوله: "ولنقول: الله أعلم فيما أشتهبه علينا علماً".

من منهج أهل السنة: تفويض علم ما لا علم لهم به، هذا تفويض واجب، وليس مثل تفويض المعطلة الذي ينفون الصفات، ثم يفرضون معاني النصوص فذاك مذهب باطل، وهذا التفويض الذي ذكره الطحاوي هو الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم: "سيقولون قلنة رأياهم كلهما، وقولوا سبعة وثمانية"، ومعهم كلما قالوا: "قل البي، وقل المي، وقل نبي، وقل يحيى، وقل يحنا، وقل يحيى، وقل يحنا، وقل يحيى، وقل يحنا"، قال الله تبارك وتعالى: "واتبعوا في كهنهن ثلاثة يأثرون سبعة"، قالوا: "في الله أعلم ما يأثرون ثلاثة عيبان الكريم، والأيمن أنصره، وأسمع ما نعلم من دونه من كله، ولا يشرك في جميعه أحداً"، وليست النبي صلى الله عليه وسلم على أولاد المشركين قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين".

وهكذا الواجب على المسلم، لا يخوض فيما لا علم له به، قال تعالى: "ولكن تنفون ما ليس لله به علم إن التسع والبصى والغواص كل أولئك كان عنده مسئولاء" (الإسراء) بن فوض علم ما لا علم له به، وما أشكل عليك إلى الله، وقال الله أعلم، وهذا من وقوف الإنسان عند حدث، فلا يتجاوزه فيدعي علم ما لا علم له به، وإن قال: لا أدرى فقد أحسن، فإن الذي يدعى أو يخبر أو يجيب ما لا علم يكون كاذباً، فمن يخبر بالشيء قد يخبر بما يعلم كذبه، وهذا المتعمد للكذب، ومن يخبر

(1) رواه البخاري (1597)، ومسلم (2660) من حديث ابن عباس.
بما لا علم له به، لا يكون صادقًا؛ بل فعله من جنس الكذب؛ لأن الصدق هو: الإخبار عن علم يطابق الواقع، هذا في الأمور العامة. أما فيما يتعلق بالغيب، وفي دين الله، وفي ذات الله وصفاته؛ فهذا هو الذي حذر الله منه في كتابه: وذكر أنه مما يأمر به الشيطان: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالشَّهْوَةَ وَالجِنْسِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ وَمَا لَكُم مَّا تَتَعَمَّدُونَ}. [الأعراف]}.
من مذهب أهل السنة المسح على الخفين

وقوله: «ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر».

«ونرى».

أي: نحن أهل السنة نرى «المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر» أي: كما جاءت به السنة المأثورة المتوارثة عن النبي صلى الله عليه وسلم للرافضة والخوارج؛ فإنهم لا يرون المسح على الخفين.

وإنا تعاون على قد أمر ب杲ل الرجلين في قوله: "یکَبَأِرُهَا ۖ کُلُّ یُرَّیضُ ۖ اتَّمَنْوۡا ۖ إِذَا تَسْرَعَ یَکُونُ ۖ فَأْقَسِمُوا وَمَجِیِّلُوا وَأَیَّذَیِّلُوْنَ ۖ وَأَنْسَحُوا ۖ وَزَوُهَیِّلُوْنَ ۖ وَأَذْیِّلُوْنَ ۖ إِلَیِّ ۖ الْکَذِبَّیِّلِیِّلَ ۖ (۱) ]ۖ وَأَرۡجِلَكُمْ [ۖ (۲) ۖ (المائدة:۲)ۖ واستدле العلماء بهذه الآية على وجوب غسل الرجلين، فحكم الرأس هو المسح، وحكم الرجلين الغسل؛ لأنه عطف الرجلين على الوجه واليدان والمغشولتين، وأوضح ذلك السنة، فكل من نقل صفة وضوئه ذكر أنه غسل جليبه.

فعلم أن فرض الرجلين هو الغسل لا المسح عليهما خالقاً للرافضة.

وفي القراءة الأخرى: "وَأَرۡجِلَكُمْ" [المائدة:۲] بجر اللام (۳) و divisive الأزهر ص۵۲، ونظم المتثير ص۵۷.

(۱) حديث عثمان بني الخفري (۱۱۵) ومسلم (۱۲۶)، وحديث عبد الله بن بلال عند البخاري (۱۹۱)، ومسلم (۲۳۵).

(۲) هي قراءة: ابن كثير، وأبي عمرو، وحمزة، وأبي جعفر، وخلف العاشر، وشعبة عن عاصم. النيسير ص۸۹، والنشر۲/۵۴.
وأختلف المفسرون في توجيهها، فقال: إنها عُلِف على الرأس، فتمسح مثله، وهذه من شبهات الراقصة(1)، لكن جمهور الأمة القائلون بغسل الرجلين قالوا: إنه خفيف للمجاورة، كما قالوا: جحر ضب خرب، وأصله خرب(2)، ومن أحسن ما قال في قراءة الجر: إنها محمولة على حال لبس الخفين(3)، وقراءة النصب على حال خلوهما، فتكون الآية على القراءتين دالة على الحكمن الغسل والمسح كما دلت على ذلك السنة، والسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه.

وفرض الرجلين هو الغسل إذا كانتا مكشوفتين، أما إذا كانتا في خفين ليسا على طهارة، ففرضهما المسح عليهاما، ودلت على ذلك سنة الرسول ﷺ الفضيلة والفعالية، كما في حديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين، أنه كان مع النبي ﷺ، قال: فأخبرت لأنزع خفية، فقال: دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين، فمسح عليهاما(4)، وهكذا في حديث حذيفة ﷺ في الصحيح أن النبي ﷺ بالفتوأ، ومسح على خفية(5)، وسل علي عليه ﷺ عن المسح على الخفين؟ فقال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام بناليههن للمسافر، يومًا وليلة للمقيم(6)، وغيرها.

فأحاديث المسح على الخفين متواترة، ولهذا كان من مذهب أهل السنة والجماعة المسح على الخفين وغسل الرجلين إذا لم يكونا في خفين، خلافًا للرافضة؛ فإن الراقصة خالفوا السنة في الحالين، فقالوا: إن فرض الرجلين هو المسح على أعلى القدم من الأصابع إلى العظيم

(1) الجامع لأحكام القرآن 7/43.
(2) زاد المسير 2/179، والجامع لأحكام القرآن 7/427.
(3) الجامع لأحكام القرآن 7/45.
(4) رواه البخاري (206)، ومسلم (274).
(5) رواه مسلم (273).
(6) رواه مسلم (276).
الناتئ في ظهر القدم، وإذا كانوا في خفين فلا يمسحون عليهما\(^1\)
فخالفوا السنة من الوجهين، حيث قالوا: إن فرض الرجلين هو المسح،
ولا مسح على الخفين، ومذهبهم باطل مخالف للنصوص.
والمسح على الخفين مشروع في السفر والحضر، فقد دلت السنة
على التفريق في حكم المسح على الخفين بين المسافر والمقيم حيث
 trách النبي ﷺ للمقيم أن يمسح يومًا وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام
 بلياليها.
وكمما تقدم\(^2\) أن بعض هذه المسائل هي من المسائل الفقهية
 العملية؛ لكن لما لم يخالف فيها إلا المبتعدة نص عليها، فهي مما يتميز
 به أهل السنة من المبتعدة.

---
\(^1\) المبسوط 1/22، وشائع الإسلام 1/17.
\(^2\) ص 264.
الحج والجهاد مع الأئمة برضهم وفاجرهم

وقوله: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برضهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا يقضهما». 

الحج مشروع منذ فرضه الله إلى قيام الساعة والجهاد مشروع إلى قيام الساعة، مع الأمراء والأئمة برضهم وفاجرهم لا يمنعهما فجور أو ظلم الأمير، بل يشرع الحج مع الأمراء أبرارا كانوا أو فجراً، وكذا الجهاد والقتال إذا كان مشروعًا فلا يمنع منه كون القائد فاجرًا أو عاصيًا أو ظالمًا.

ذكر الحاج؟ لأن الخلفاء في الدولة الإسلامية كانوا يعينون أميرًا على الحاج، لأنه يُحتاج فيه إلى تنظيم القوافل؛ لأنهم خلق كثير كالجيش، ويحتاجون إلى سياسة وقيادة تدبير أمر السير، وترتيب الحرسات، وما يحتاجون إليه من الأغذية وعلف الدواب، وغيرها.

فلهذا ذكر العلماء الحج مع الجهاد.

ذكر الطحاوي وغيره هذه المسألة للتبنيه على خلافة الراضة، فالراضة عندهم أنه لا جهد إلا مع إمام مصوص(1)، وهو يقولون بعضهم الأئمة السبع عشر أولهم علي ثم الحسن ثم الحسن... وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، وهو الذي يسمونه الإمام والمهدى المنتظر، ويقولون: إنه دخل في سرداب في سامراء، وهم ينتظرون إلى الآن، ويرون أنه لا جهد إلا معه، وهذا الإمام معدوم لا حقيقة له؛ لأنهم

(1) المبسوط 8/8، وشريعة الإسلام 1/232.
زعموا أنه دخل السرداد سنة ستين ومائتين أو قرابة من ذلك، وهو دون التمييز ابن خمس سنين أو أقل (1)، ولا يزال حيًا، وهذا الإمام كما يقول شيخ الإسلام: «لم ينفعهم في دين و لا دنيا» (2).

فنص على هذه المسألة للتبني على بطلان مذهب الراى، ثم إنهم لم ينفعوا بهؤلاء الأئمة الاثنين عشر، سوى علي ﷺ، فهو الذي تولى الخلافة، والحسن كانت له مدة قصيرة، أما بقية الأئمة الذين يدعون لهم العصحا وأنهم أحق بالإمامه من كل أحد؛ فلم ينفعوا بهم ولم تكن لهم ولاية، وهؤلاء الأئمة حكمهم عند أهل السنة، كحكم غيرهم حسب حالهم في دينهم وعلمهم، وهم متفاضلون، فمنهم العلماء؛ كعلي بن الحسين، وإنشه محمد بن علي، وإنشه جعفر بن محمد - رحمهم الله - فهؤلاء من العلماء الصالحين المعروفين (3)، ووفقهم من له فضل الصحابة وفضل القرابة كعلي، والله له: الحسن والحسين.
الإيمان بالكرام الكاتبين

وقوله: "ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين".

أي: نحن أهل السنة نؤمن بالكرام الكاتبين وهم: الملاكية الموسلاً بحفظ أعمال العباد وكتابتها، كما قال تعالى: "وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّمَاعُ وَالبَصَارُ [الأنفال] فَأَدْرَكْرَ كُلُّ أَقْدَرِهِمْ عَلَى الْعَلْمَ بِأَحْوَالِ الْعَبْدِ، فَهُمْ يَكْتُبُونَ حَتَّى النَّاسَةَ الْقَلْبِيَّةَ، فَنُفَلِّقُ عَلَى الْبَيْنِ "[الزمر]"

وفي الحديث القدسي الصحيح: "إذا أراد عبدي أن يعمل سبعة فلا تكتبوا عليه حتى يعملها؛ فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلها فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة؛ فإن عملها فاكتبوها له عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف". (1)

وقد دل القرآن ودلت السنة على كتابة أعمال العباد، ومن أدل ذلك قوله تعالى: "إِذ يَتَقَلَّبُ السَّبِيلُ عَلَى الْيَتِينِ وَيَتَقَلَّبُ أَلْفَ الْيَتِينِ تَذْكَرُ [القرآن]" [ق]، ومن شواهد ذلك قول النبي ﷺ: "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً". (2)

(1) رواه البخاري (8703) من حديث أبي هريرة.
(2) رواه البخاري (2996) من حديث أبي موسى الأشعري.
فهم يكتبون الحسنات والسياح، بل يكتبون ما سوى ذلك، وقد قيل في قوله تعالى: «ِيَفْحِّصُواْ أَنَّهُ ۖ مَا يَنْبِئُ ۖ دَمْثٌ» [الرعد: 29] أي: ما في صحف الملائكة، فليمحو ما لا ثواب فيه ولا عقاب، ويثبت ما يترتب عليه الثواب والعقاب، أو يليمحو ما تاب منه العبد وتجاوز عنه (1). وإليه بالإيمان بالحفظة الكاتبين داخل في الإيمان بالملائكة كما تقدم (2)، فمن الإيمان بالملائكة الإيمان بأصنافهم وأعمالهم، ومنهم الكرام الكاتبون.

(1) تفسير البغوي 4/325، وزاد المسير 4/259.
(2) ص 202.
الإمّان بملك الموت وأعوائه

وقوله: «وأنتم بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين».


وكم دل القرآن على ذلك دلت السنة عليه، ففي الحديث الطويل حديث البراء بن عازب ﷺ قال النبي ﷺ: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجه كان وجههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوت الجنة، حتى يجلسوا منه مرتين، ثم يبيّن ملك الموت ﷺ، حتى يجلس عند رأسه، يقول: أيها النفس الطيبة، اخرج إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطر من السقاء، فأخذهما، فإذا أخذهما لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كمطب نفحه مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فصعدون بها فلا يمرون على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ يقولون: فلان بن فلان..."
بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، إلى أن قال - وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود ووجهه، ومعهم المسوح، فجعلوه منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، يقول: أيتها النفس الخبيثة، الخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فتبتزها كما ينزع السُّفرد من الصوف المبول، فتأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طقة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصدعون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان بآلقت أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا...»(1).

الشاهد: أن السنة قد دلت على إثبات هذه الأصناف من الملائكة:
ملكة الموت، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب.


(1) رواه أحمد ٤/٢٨٧ - واللفظ له -، وأبو داود (٤٧٣)، وصححه ابن خزيمة في التوحيض ص ١١٩، وأبو جرير في تهذيب الآثار - مسنده عمر - ٢/٤٩١ -، والحاكم ١/٧٣، والبيهقي في إثبات عذاب القبر ص ٣٩ من حديث البراء - مطول -، وصححه - أيضًا - ابن القيم في الروح ص ٨٨، وإعلام الموقعين ١/٧٨، والبهذيب السنن ١٣٩/٧، وقروه ونقل عن جماعة

تصحيح الشيخ الإسلام في شرح حديث النزول ص ٢٦٢ - ٢٨٠.
وملائكة العذاب، فقالت: ملائكة الرحمة جاء تأتي بقلب إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأنا ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين إلى أينما كان أدنى فهو له، فقاسوه، ووجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة.

ويلاحظ أن التوفي جاء في القرآن منسوبيًا إلى الله: «ياً الَّذِيٌّ يَتَّقُوُّ الْآخَرَيْنِ بَيْنَ مِنْهُمَا وَالَّذِيٌّ لَا تُتْمِمْ فِي مَنْمُوحِهَا فَيَسُبِّحُ الَّذِيٌّ قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتُ وَرَيْسِ الْأَخَرَيْنِ» [[النور: 42]].

وملائكة إلى ملك الموت: «قلّ يُبَيِّنِكَ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِيٌّ وَقَلِّ يُكم» [[السجدة: 11]].

وملائكة إلى الملاكاة: «الَّذِينَ تَوَلَّوْنَهُمْ الْمَلَكَةَ» [[النحل: 28]] فمن الموتى إذ؟

والجواب: إن الله هو المتوفي؛ لأنه سبحانه هو الذي أمر به وبمشيئةه يكون، «وَهُوَ الْقَابُورُ قَوْى١ يَعِداً لَّهُمْ وَيُرِيِّسُ عَلَيْهِمْ حَقَّةً حَتَّى٢ إِذَا جَاءَ أَحَدُ الْمَوْتِ تَوَلَّوْنَهُ رُسُلًا» [[الأعراس: 61]] فأملائكة رسل من عند الله يرسلهم لقبض روح من شاء من عباده وأضيف التوفي إلى ملك الموت؛ لأنه هو الذي يتولى قضى النفس وأخذها أول ما تخرج من الجسد.

وأضيف إلى الملاكاة باعتبار أنهم يقبضونها ويتولونها بعد ذلك. فكلها حق، فنسب التوفي إلى كل لبثت ذلك على الوجه الذي يناسبه.

وإنها لآية عظيمة أن هذه الأنفس الكثيرة التي تموت في اللحظة الواحدة يتوفوها ويتولاها ملك واحد، فهذا يفيدنا أن أمر الغيب لا تحيط

(1) البخاري (2472)، ومسلم (2767) - واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري.
به العقول البشرية، ولا يقاس على البحضوس، فلا ينفع أن تقيس الغائب على الشاهد.

وقد حدث في هذا العصر من المخترعات الباهرة ما يقرب بعض أمور الغيب؛ كالحاسوب، والشبكة المعلوماتية، وغيرها مما يرسل الصور والأصوات وينقلها بن ولي أماكن متباعدة.
الكلام على الروح وبعض متعلقاتها

وقوله: «أرواح العالمين».

يتعلق بهذه الجملة الكلام في الروح التي بها حياة الناس، وتسمى النفس.
والروح موضوع حديث طويل للناس، فقد خاض فيه الناس كثيرًا بالحق وبالباطل، والناس في شأن الروح وحقيقة ثلاثة مذاهب:
قوم قالوا: إنها جزء من البدن، أو صفة من صفاتك كقول بعضهم:
إنها النفس الذي يتردد في البدن، ومنهم من قال: إنها الحياة، أو المزاج، أو نفس البدن، وهذه الأقوال متساوية إلى كثير من المتكلمين.
وقابلهم الفلاسفة فقالوا: إن الروح لا تقوم بها أي صفة، فالروح ليست داخل البدن ولا خارجه، ولا مباينة له ولا مداخلة له، ولا متحرككة ولا ساكنة، ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي جسم ولا عرض، وليس لها أي صفة، قال شيخ الإسلام محمد بن التدريمية: «يصفونها بما يصفون به واجب الوجود عندهم، وهي أمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود»(1).

فهذان القولان على طرفي نقيض، وكل منهما باطل.
والقول الوسط: إن الروح حقيقة موجودة قائمة بنفسها، ولها وجود مستقل عن البدن، فليست كالعرض الذي لا يقوم إلا بجسم؛ لكنها تتصل بالبدن وتتصل عنه، وتسري فيه سريانًا على وجه التقرب كسريان النار في الفحم، وسريان الدهن في الزيتون، وسريان الماء في العود،

(1) ص 169.
الكلام على الروح وبعض متعلقاتها

المهم أن لها كيانًا يخصها، وهي موصوفة بصفات ثبوتية وسلبية، مثل:
أنها تذهب وتجيء، وتبقي وترسل، وهذا بنص القرآن: "الله يُوحِّى
الأمر بين مَوْتِهَا وَمَوْتِهَا وَيُرِيدُنَّ تَمَثِّلَ في مَنْامِهَا، قَيَّمَتَا، أَنَّهَا
الَّتِي فَصَّتْ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرِيدُنَّ الْأَخْرَجَةَ" [النور: 44] وفي الصحيح عن النبي ﷺ في الذكر
عند النوم: "باسماك رنب وضعت جنبي وابك أرفعه، إن أمسكت نفس
فارحها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عادك الصالحين" (1)، وهي
مغايرة في حقيقتها للأجسام المشهودة.

فهذا هو القول الوسط الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة،
وهذا مذهب أهل السنة: أن الروح شيء موجود متغير، وهي حقيقة قائمة
بنفسها، ووصوفه بصفات ثبوتية وسلبية، وهي مغايرة في ماهيتها
وحقيقة للأجسام المشهودة.

ويتعلق بالروح مسائل كثيرة اعنى بذكرها ابن القيم في كتابه
"الروح"، وقصّل القول فيها.

منها: الكلام في خلق الروح فقد قيل: إنها قديمة، أي: ليست
محدثة، فلا بداية لوجودها، وهذا باطل؛ بل هي محدثة ومخلوقة كسائر
المخلوقات، فالإنسان مخلوق: روحه وبدنه (2).

ومنها: هل تموت الروح أو لا تموت؟ فيه خلاف، والذي رجعه
ابن القيم (3)، وهو الصواب: أن موت الأرواح هو مفاركتها لأجسادها;
فإن أريد هذا المقدر فهي ذاتية الروح في: "كل نفسي ذاتية الْمَوْتَ" [ال
عمران: 185] وإن أريد أنها تصير عدما بعد فراقها للبدن فلا؛ فالروح
ثابتة؛ إما في نعم أو عذاب.

ومن المسائل التي طرقتها ابن القيم كذلك: الفرق بين النفس

(1) البخاري (١٣٢٠) - واللفظ له -، ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة.
(2) الروح ص١٦٢.
(3) الروح ص١٧٠.
والروح(1)، وَبِئْنَ أنَّ النَّفْسَ تَطْلُقُ عَلَى مُعَانٍ مُتَتَّعَدَةٍ، والروح تَطْلُقُ عَلَى مُعَانٍ مُتَتَّعَدَةٍ، وَتَنْفَقُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، فَإِذَا قَيْلَ: مَثَلًا: خَرَجَتْ نَفْسُهُ وَخَرَجَتْ رُوحُهُ؛ فَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

وَمِنْهَا: هَلَّ النَّفْسُ وَاحِدَةٌ أَوْ ثَلَاثٍ(2)؟

الصحيح: أنها واحِدَةٌ؛ لَكِنْ ذُكَرَتْ بِلَفْظِ: النَّفْسُ الْأَمَارَةُ الْبَالَٰسَوْءِ، والنَّفْسُ الْمَطْمَتَةُ، والنَّفْسُ الْلَّوَامُةُ إِنْمَا هُوَ بِاِعْتِبَارِ صِفَاتِهَا، إلَّا فَهَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ.

وَمِنَ الْنَّاسِ مِنْ يَقُولُ: لَمْ يَخْرُجَ النَّفْسُ وَالكَلَّامُ فِي الْرُوحِ مَعَ اٰللَّهِ

تَعَالَ يَقُولُ: ﴿فَكَانَ تَكْلِمُ الْرُوحُ فِي الْلُّغَةِ عَنِ الْرُوحِ إِنَّ أَمْرَهُ رَبِّي﴾ (الإسراء: 85)؟

والجواب: أنَّ هَذِهِ الآيَةِ لَيْسَ فِي هَذَا النَّهَيْ عَنِ الكَلَّامِ فِي الْرُوحِ

فَثُمَّ إنَّ الْرُوحِ فِي الْآيَةِ قَدْ اِخْتَلَفَ فِيهِ، فَقَيْلُ: إِنَّ الْرُوحَ الْأَمِينَ.

جَبَرِيلُ ﴿۲﴾

وَقَيْلُ: إِنَّ مَلِكَ أُحُورِ.

وَقَيْلُ: الْمَرَادُ بِالْرُوحِ الْوِحِيِّ(3).

وَإِذَا كَانَ الْمَرَادُ: الْرُوحُ الَّتِي هِيُ الْنَفْسُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿فَكَانَ الْرُوحُ إِنَّ أَمْرُ رَبِّي﴾ (الإسراء: 85) وَلَيْسَ فِي هَذَا النَّهَيْ عَنِ الكَلَّامِ فِي الْرُوحِ،

وَالْوَاجِبُ هُوَ الْكَلَّامُ فِي هَذَا الْعُلَومِ، أَمَّا الْكَلَّامُ فِيهَا بِغَيْرِ عَلَمٍ; فَهَذَا هُوَ الْمَحْذُورُ، وَفِي كُلِّ مَقَامٍ أَيْضًا، أَمَّا الْكَلَّامُ فِي الْرُوحِ فِي حُدُودِ مَا جَاءَ فِي الْكُتَّابِ وَالْسَّنَةِ؛ فَهَذَا حَقُّ وَبِيَانٌ لِكُتَّابِ اٰللَّهِ تَعَالَى، وَسَنَةٌ رَسُولِهِ ﴿۳﴾

وَالْكَلَّامِ وَالْبَحْثِ فِي الْرُوحِ لَهُ فَاتِدْتَانِ:

الأَوْلِي: مَعْرَفَةُ الْحَقِّ مِنَ البَاطِلِ مِنْ أَقْوَالِ الْنَّاسِ.

وَالثانيَةُ: مَعْرَفَةُ مَا وَرَدَ فِي الْكُتَّابِ وَالْسَّنَةِ فِي شَأْنِ الْرُوحِ.

---

(1) الروح ص 325
(2) الروح ص 330
(3) تفسير البغوي 155/5، و자اد المسير 60/5.
ضرورة توثيق الإسلام ابن زكية في الرسالة التدمرية(1) بها المثل
لبان وترجع أن قيام الصفات بالموصوف لا يلزم منه المشابهة لغيره،
ليقرر بذلك أن إثبات صفات الله لا يلزم معرفة كنهه ولا تشبهه بخلقه،
فالروح مع أنها موصوفة في النصوص بصفات ثبوتية وسلبية؛ فالعقل
عاجزة عن تكييفها، وهي عن تكييف الرب عجز، وهي مباينة للأجسام
المشهدة، ومباينة الله لخلقه أعظم، وهو كلام ناصع بين متضمن للفهم
المبطلين المطلين.

(1) ص169.
وجوب الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه

وقوله: "وبعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكر، ونكر في قبره عن ربه، ودنه، ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم.

وتنؤمن بعدم القبر وفتنة القبر - أي -: سؤال الميت في قبره عن ربه، ودنه، ونبيه، فقد ثبت عن النبي ﷺ، من روافعة جماعة من الصحابة ﺔ، كحديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ: "إن الميت إذا وضع في قبره أتاه ملكان فيقعدانه ويقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟"(1)، والأدلة على فتنة القبر وعذابه: موثورة(2).

وقد أشير إلى فتنة القبر في القرآن قال تعالى: "بُيْنَتْ آنَّهُمْ أَلِينَكُمْ مَّأْمُوّاً يَفْقَحُونَ الْكُلِّيَّةِ فِي اللَّيْلِ وَفِي النُّهَارِ" [بقرة: 272]، وكان النبي ﷺ "إذا فرغ من دفن الميت، وقف عليه وقال: استغفروا لأيكم، وسلوا له الشتية، فإنه الآن يسأل"(3).

---

1) حديث البراء تقدم في صحيح البخاري (1338)، ومسلم (2870)
2) انظر: إثبات عذاب القبر للبهائي، والروح ص 97، وأهوال القبور لأبي رجب ص 340، وقف الأزهر ص 294.
3) روى البخاري (4299)، ومسلم (2871) من حديث البراء بن عازب ﺔ، عن النبي ﷺ أن الآية نزلت في عذاب القبر.
4) رواه أبو داود (3221)، والبخاري (445)، وقال: لا بروى عن النبي ﷺ إلا من حديث عثمان، ولا نعلم لهذا إسنادًا عن عثمان إلا هذا الإسناد.
ويظهر لي أنه ليس لنا أن نقول: "إنه الآن يسأل" وإنما نقول: استغفروا لأحيكم واسألوا له التثبت فقث، أما أن نحكم على الميت بأنه الآن يسأل، فهذا لا علم لنا به على الخصوص.

ومن أذلة عذاب القبر في القرآن قوله تعالى في آل فوعون: "إِنَّ أَذْنَابَكُمْ عَلَيْهِ عَذَابًا وَقَيْسَىٰٓ إِنَّ قَبْلَهُ أَذْنَابُكُمْ عَذَابًا كَبِيرًا" أَذْنَابُكُمْ عَذَابًا كَبِيرًا (المحذوذ) [غافر]، ومن ذلك قوله تعالى: "لا تُعِيدُوا فَإِنَّ الْقَبْلَىٰ إِلَّا قَبْلَاتُكُمْ فِي عَمَّارٍ مَّلِئٍ وَالْمَلِكَةَ بِأَيْدِيهِمْ أُخَذُوا أَسْحَابُ الْيَوْمِ الْحَيْبُوُّ عَذَابًا عَذِّابٌ الْهُوَارِ (النور) [الأنعام: 93]"، ومن ذلك قوله تعالى: "وَلَدَيْقَاتِهِمُ فِي عَذَابٍ كَبِيرٍ أَذْنَابُكُمْ عَذَابًا كَبِيرًا" (السجدة)، وكذلك قوله تعالى: "وَمَنْ حَرَّكَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مَثْقُولًا وَمَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مَرْدَوْنَ عَلَى الْبَيَانِ لَا تُؤْمِنُوا بِهِمْ نَمَّمُتْهُمْ فَسَتَتَّخِذُونَ مَرْتَنَى مَثْقُولاً مَّرْتَنَى عَذَابًا عَذْبًا (التوبة) وهو عذاب النار.

ومن أذلة عذاب القبر ونعيه ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: "إِن أَحَدَكُمْ إِذَا ماتَ عَرَضَ عَلَيْهِ مَقْعَدًا بالغِدَةِ والعنِي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: "هذى مقعدي حتى يبعثك الله يوم القيامة"(1) وفي حديث البراء عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الْمُؤمِنِينَ يُفْتَحُونَ لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فِي أَيْتِهِ مِن رَوحَهَا وَطِيْبَهَا، وَيَفْسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مِدْ بِصَرِهِ، وَإِنَّ الْكَافِرِينَ يُفْتَحُونَ لَهُ بَابًا إِلَى الْنَّارِ، فِي أَيْتِهِ مِن حَرْمِهَا وَسَمْوَمَهَا وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ(2) وقال النبي ﷺ: "إِنَّ أُحْيِي إِلَى أَنْكِمْ تَفْتَنُونَ فِي قَبْرِكُمْ مِثْلُ أَوْ قَرِيبًا مِن فَتَنَةِ الْمَسِيحِ النَّدِالُ: فَيَوْمَ يُؤْمِنُ بِهِ الْرَّجُلُ: مَا عَلِمْكَ بِهِذَا الرَّجُلُ؟ فَأَمَا
المؤمن فيقول: هو محمد رسول الله جاعلنا بالبينات والهدى، فأجبنا وابننا، فيقال: نعم صالح قد علمنا إن كنت لموقة بيه، وأم المنافق فيقول: لا أدرى سمعت الناس يقولون شيكا; فقلته(1).

ومن أدلة عذاب القبر: ما ورد من الاستعاذة بالله منه، كما في الذكر بعد الشهود في حديث أبي هريرة قال، قال رسول الله: «إذا فرغ أحذمه من الشهود الآخر؛ فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال»(2).

وأحاديث كثيرة فيها الاستعاذة بالله من عذاب في النار وعذاب في القبر(3).

وأكثر الأحاديث فيها: «أنه يأتيه ملكان»(4)، وجاء عند الترمذي تسميتهما: «المنكر والنكير»(5)، وسأله الإمام أحمد عن ذلك فأثبت تسمية هذين الملكين(6).

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله، والإيمان بفاتنة القبر وعذابه

---

(1) رواه البخاري (82)، ومسلم (905) من حديث أسماء بنت الصديق.
(2) رواه البخاري (777)، ومسلم (588) واللفظ له - عن أبي هريرة.
(4) تقدم في ص 28، وحديث أنس، وقد تقدم في ص 279.
(5) تقدم في ص 279.
وجوب الإيمان بفاتنة القبر وعذابه ونعيمه

ونعيمه من الإيمان باليوم الآخر؛ فإن الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه ما يكون بعد الموت.

والإيمان بفاتنة القبر وعذابه ونعيمه من الإيمان بالغيب؛ لأن الله

سُر من الخلق أحوال أهل الْقُبْورِ، وربما كشف لمن شاء بعض ذلك،

وقد أطلع الله سبحانه وتعالى على حال صاحبي الْقُبَّرِين فقال لما مَرَّ بهم: "إِنَّهُمَا لِعَذْبٍ إِنَّهُمَا لِعَذْبٌ فِي كِبَارٍ" (1) فأطلعه تعالى على حالهما، وسبب عذابهما، ولما سمع ذات يوم صوتًا قال: "يَهَوِّد تَعَذَّبُ فِي قُبُورُهَا" (2).

وقد يُكشف لبعض العباد شيء من أحوال أهل الْقُبْورِ، وفي هذا

أخبار كثيرة، يذكرها المعنيون بهذا من أهل العلم (3)، وفيها تصدق لما

أخبر به، وثبت عنه أنه قال: "لولا أُلَا تَدَاوَنَا لَدَعَوْتُ الْهَيْبَةَ أَن يَسْعِمَ كُنَّافٌ مِن عَذَابِ الْقُبْرِ مَا أَسْمِعَ" (4) لو كشف للناس أحوال أهل الْقُبْرِ لفروا وهموا على وجههم، ولما دُفِنوا موتاهم.

وأنكر عذاب القبر ونعيمه وسُوَأَه وفاتنة الملاحة الزنايدة (5) ويلزم

على قول من يقول: إن الروح عرض وليس شخصًا قائماً بنفسه؛ أنه ليس

هناك عذاب ولا نعيم؛ لأنها معدومة، ولهذا قال ابن القيم في النوبة (6)

- لما ذكر أمر الأرواح وبقاءها -:

وُكَذِلِكَ الأَرْوَاحُ لَا تَبَلَّى كَمَّا تُبَلِّي الْجَسَوُمُ وَلَا يَلِي اللُّحُمَانِ

(1) رواه البخاري (216)، ومسلم (292) من حديث ابن عباس.
(2) رواه البخاري (1375)، ومسلم (2869) عن أبي أيوب.
(3) انظر: مجموع الفتاوى 4/296، 294/276، 295/399، والروح ص 119، وأحوال القبور ص 21.
(4) رواه مسلم (2868) من حديث أسى.
(5) الروح ص 50، ورد عليه في ص 111.
(6) ص 25.
أرواح خارجة عن الأبدان قامت وذا في عيني البطلان
أبداننا والله أعظم شأن قد نعمت بالروح والريحان
تجري النهار بقتنا الحيوان
حتى تعود لذللك الجَمْهُرَاء
في جوف طير أحضر رُبا
نعيمهم للروح والأبدان
أجسام تلك الطيور بالإنسان
مازال لها كمساكين الإنسان
منها يهدي الدار في جمْهُر
قد عاينت أبصارنا بعيان
ذا كُلفْتُ تَبَأَّ لَذِي نُكران
وكلهم بعد الموت أكمل حَالَة
فالرَوحُ بعد الموت أكمل حَالَة
وأعدُّ أشقالاً أشدُّ من الذي
القائلون بأنها عَرَض أبوا
وقوله: "المن كان له أهلًا عذاب القبر ليس لكل واحد، وجهاء
التصريح بعذاب القبر ونعيمه للمؤمن والكافر، أما العاصي، فإن أكثر
النسوح لم تتعترض له، كما هو ظاهر في أمر فتنة القبر، إنما ذكر
المؤمن الذي ينعم بعد الفتنة، والكافر والمنافق الذي يعذب بعدها، لكن
العاصي يخفِّف عليه العذاب، فلذي سُكت عنه هذا على خطر،
فالمعاصي سبب لعذاب في الدنيا وفي اليرزخ وفي الآخرة، والعاصي
تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، وأما المؤمن التقي فهو
نَاجٌ من العذاب، وهو من أهل النعيم والثواب.

ومسائل القبر هذه، هي التي بني عليها الشيخ محمد بن
عبد الوهاب رضي الله عنه رسالة المعروفة بـ"ثلاثة الأصول".

وقد بلغ الأمر ببعض من يعظمون الوطن إلى درجة العبادة، أن يقول:
بنو وطني سأذكرهم متى ما عشت في الدنيا
وفي قبري أقول له إذا ما جاء يسأليني
وجوب الإيمان بفتنا القبر وعذابه ونعيمه

بنو وطني هم ومن شبيه ويني هم بنو وطني
هل سيجيب بهذا الكفر!
لن يجيب، بل سيقول: هاهه! لا أدري.
نعود بالله من فتنة القبر وعذاب القبر.
وقوله: "عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله، وعن الصحابة رضوان الله عليهم".
هذا هو المعتمد، فإنما أثبتنا هذه الأمور الغريبة لرود الأخبار الصحيحة بها، فنؤمن بذلك تصديقًا لله تعالى، ورسوله، واتباعًا لسلف هذه الأمة.

وقوله: "والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران" (٢) هذا تكمل للموضوع، وفيه إشارة إلى النعيم؛ لأنه في العبارة السابقة لم يقل: مثاب القبر ونعيمه، ففي هذه الجملة تنبه على النعيم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، هذه أحوال الناس في القبر، منهم: من هو في نعيم وفي سرور، في روضة من رياض الجنة يأتيه من روحها وطيبها، كما يشاء الله على ما يليق بحال البرزخ؛ لأن الدور ثلاثة:
دار الدنيا، وهي: دار الابتلاء والعمل.
ودار البرزخ، وهي: ما بين الموت إلى البعث، وهي: محل عذاب القبر ونعيمه.

(١) هذه الأبيات للشاعر السوداني عبد الرحمن شرقي، ونشرت في جريدة القصيم، العدد الرابع، في جمادى الأولى عام ١٣٧٩ هـ، كذا أفادني الشيخ، وهذه الجريدة توقفت منذ زمن بعيد، ولم أجد هذا العدد.
(٢) هذا لفظ حديث رواه الترمذي (٤٦٠) من حديث أبي هريرة عن النبي، وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وضعمه العراقي في المغني ٠٤٨٨، والسناوي في المقاصد الحسنة (٧٥٨).
والدار الآخرة التي بعد البعث، وهي: دار القرار، وليس فيها نفلة. ولا رحيل ولا تحول.

أما القبر، فليس هو كما يجري على ألسن الناس إذا دفنوا الميت قالوا: انتقل إلى مثواه الأخير، فإن القبر ليس هو المثوى الأخير، بل بعده رحيل والانتقال من دار البرزخ إلى الدار الآخرة: إلى الجنة أو النار، واستنبط بعض أهل العلم هذا المعنى من قوله تعالى: «ألّهكمّ التكاثر حقًا زَمَّمَهُ [التكاثر] والزائر لا بد له من انصرف» لأنه غير مقيم (1)، فأهل القبور ليسوا بمقيمين أبدًا في قبورهم، بل سينصرفون عندما يدعوهم الداعي: "وَأَسْتَحْيَا يَوْمَ يَقُولُ أَلَمْ يَتَفَقَّنَ عَنْ مَكَانِ قَرْبِهِ يَوْمَ يَسْتَمِعُونَ الصَّيْحَةُ إِلَى هَذِهِ يَوْمَ أَخْرَجُوهُ (3) [آغ]"، "وَتَفْعَّلُونَ فِي الْقُلُوبِ قَصْبًا مِنْ فِي أَسْقَرَةِ وَقََّنُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَأْنَا للهُمْ تَنْفِقُ فيهِ أَخْرَجُوهُ إِذًا هُمْ قَتَامُينَ بَيْضَرُونَ [الزمر]. (4)

(1) الجامع لأحكام القرآن 22/450، وتفسير ابن كثير 8/474.
الإيمان بالبعث والجزاء

وقوله: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة».

كل هذه المعاني والمسائل مندرجة في الإيمان بالبعث، والإيمان بالبعث مما أجمع عليه أهل الملل الثلاث: المسلمون واليهود والنصارى، وما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وليس فيه اختلاف بين فرق الأمة.

ولا ينكر بعث الأجساد إلا الفلاسفة الملاحة، ومنهم من دخل في الإسلام وادعى ذلك على الشريعة، كابن سينا، يقول: إن البعث والجزاء روحاني لا جسماني، فأنكر معاد الأجساد، فجعلوا ما جاء في النصوص أمورًا روحانية، وهذا إنكار مع تلبس.

ويوم القيامة اسمه: يوم البعث؛ لأن فيه البعث، ويوم انجمه؛ لأن الله يجمع الأولين والآخرين للحساب.

وسبق الكلام على أدلة البعث عند قول الطحاوي: «والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر».

ومن الأقوال الباطلة المعروفة عن المتكلمين قولهم: إن البعث يكون بجميع تلك الأجزاء، وهذا يرجع إلى مقوله معرفة هي: أن

(1) درء تعارض العقل والنقل 16/5، والجواب الصحيح 3/281، ومجموع الفتاوى 4/134، والقواعد المرسلة 4/1209.
(2) درء تعارض العقل والنقل 1/8 و10/59، وسير أعلام النبلاء 17/531، والكافية الشافية ص 108.
(3) ص 240.
الأجسام مركبة من جواهر مفردة، والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ، وهم منازعون في دعوى وجود الوجود الفرد.

والتحقيق أنه ما من جزء إلا ويتجزأ حتى يبلغ إلى غاية صغيرة فيستحيل أو يعدم، كما قال شيخ الإسلام 

فهؤلاء القائلون بنظرية الجوهر الفرد يقولون: إن البعث يكون بجمع تلك الجزئيات، فإذا مات在一 وتفقت جزيئاته فيكون البعث بجمع تلك الجزئيات.


وقد ثبت في النصوص ذكر خلقة من يدخل الجنة ومن يدخل النار، وأن أجسامهم لا تكون على هيئة أجسام الناس في هذه الدنيا، بل تختلف اختلافًا كبيرًا(1)، ينشئها الله نشأة أخرى تليق بالحياة الآخرة.

---

(1) مجمع الفتاوى 1/16 وتتابع السنة 212 و213 و214 و215.
(2) في صحيح البخاري (651)، ومسلم (816) عن النبي ﷺ: "ما بين منكب الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكون المسنعي"، وفي صحيح البخاري (936)، ومسلم (84) عن النبي ﷺ: "خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا ... فكل من يدخل الجنة على صورة آدم".
إيمان بالبعث والجزاء

عذابها ونعيهما، وليس البث إيجاد من عدم؛ بل البث إعادة، ولهذا هو الذي أنكره الكفار، فإنهم لا ينكرون أن الله يخلق مثلما خلق، فهم يشاهدون أن الله يخلق الأجساد، إنما ينكرون أن يعيد الله ما استحال من أبدانهم وتفرق من أجسادهم: {إِنَّمَا كَانَ ذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ۚ أُولُوا الْبَصَرِ ۖ أُولُوا الْأَئِذَّانِ} [البقرة: 5]. {وَقَالَ آمَنْا أُولُوا الْأَئِذَّانِ ۖ أُولُوا الْبَصَرِ} {الأنبياء: 31}. {فَأَهَمُّوهَا حَتَّى يَحْيَى في هَٰذَا جَنَّتُهَا} {العدل: 5}. {فَقُولُوا أُولُوا الْأَئِذَّانِ أُولُوا الْبَصَرِ} {الأنبياء: 141}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةً أَوْ نُبُوَّةً} {العدن: 23}. {وَأَلْنَىٰ مَا يَكْبِرُ ۖ وَأَفْتَىُ نُبُوَّةً} {البر verifica: 5}. {فَلِكَ أَفْتَىُ بَصِيرَةَ
وقوله: "وجزاء الأعمال يوم القيامة".

ما يجب الإيمان به الجزاء، والجزاء هو الغاية من البعث والنشر، ليدج كل عامل عمله، قال تعالى: "وَيَوْمَ نُجِبُونَ فَنُبِّئُنَّكُمُ الْعَدَائِنَ وَالْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ مِنْهُمَا عَلَى اللَّهِ مِثْلُهُمْ يُفْسِدُونَ" [النسم: 100]; بل هذا من حكمة الله في خلق السموم والأرض، وقال تعالى: "وَلَعَلَّاللَّهُ لَا يُقْسَمُونَ [الجلالة]"، وذكر الجزاء في القرآن كثير جداً، واجاء بلفظ الدين، قال تعالى: "مَلَائِكَةُ بُعُودِهَا الْيَوْمِ " [القاتية]، "يَعْلَمُهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَسِبُونَ [الزخرفة]"، "ذُو الْأَلْبَاسِ" [الصافات]، "ذِي الْأَلْبَاسِ" [المطففين]، "وَذِي الْأَلْبَاسِ" [الحشر].

وهذا الجزاء ذكر الله تعالى تفصيله: "فَنَجِبَ الْمُجَّرِّينَ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَجُرُّينَ لَوْ كَانُوا مِثْلَهُمْ يُفْسِدُونَ [الأنعام]"، "فَأَصْبِحُوا أَوْ لَا تَصْبِحُوا سَوْاءً عَلَيْهِمْ إِنَّا نَجِبُونَ مَا كَانُوا يَجِرُونَ [الطور: 16]"، "فَأَلِيْمَ يَأْخُذُنَّ فَنَبِلْحُمْ وَلَا تَجْرِنَّكُمْ إِلَّا مَا كَانَتْ تَجْرَى [المزمل: 32]"، "فَنَزَّلَ الْمُورِّقُ الْحَيْثَ يَتَرَهَّبُ إِلَّا مَا كَانَتْ تَرَهَّبَ [الأنبياء]"، "يَمِينُ الْمُكَافَّةِ مِنْ خَوْلِهِ أَيْنَاءَ يَبْعَثُ وَكَفِّيتُهَا حَسَبٌ [الزلزال: 1]"، "يَمِينُ الْمُكَافَّةِ ذَرْؤًا حَيْثُ يَثْبُرُ [الزلزال]" و لن يعاقبهم ولا يظلمون، ولا يظلمون. (1) ص 52 و 240.
وهو هذا الجزاء يتضمن الثواب على الأعمال الصالحة، والعقاب على ضدها من الكفر والفسوق والعصيان.

ومن الجزاء الاقتصاص للمظلمون من الظلماء، ولهذا تحقق حكمة الرب وعدله، فالناس في هذه الدنيا يقع من بعضهم عدوان وظلم على بعض، وكثير من المظلمين يموت وهو لم يستوف حقه، أو يموت الظلم ولم يؤخذ منه الحق، فجعل الله للخلق يومًا يجمع فيه الأولين والآخرين.

وجزاء الإيمان والحسنات مبني على الفضل والزيادة والمضاعفة، وجزاء السائتات مبني على العدل، قال تعالى: "فَمَنْ جَاءَ بِالْفَضْلِ فَلَمْ تَعْبُدَنَّهُ قَلْبًا {الأنعام: 98}

ولكن جَآئَنَّهُ بِالْفَضْلِ فَلَمْ تَعْبُدَنَّهُ قَلْبًا {الأنعام: 98}

وَمَنْ جَآئَنَّهُ بِالْفَضْلِ فَلَمْ تَعْبُدَنَّهُ قَلْبًا {الأنعام: 98}

ولا يعذب أحد بذنب غيره يقول تعالى: "وَلَا تَزَّرُوا بِالْأَذْنَانِ وَلَا تَأْخَذُوا مَعْمَاءً {الأنعام: 114}

وَالله تعالى ينبه إلى أن دخول أهل الجنة الجنة بسبب أعمالهم "جَآئَنَّهُمْ يَا كُلُّ يُبْلِسُوكُمْ {السجدة: 17}

والعمل الصالح سبب دخول الجنة، والكفر والمعاصي سبب دخول النار "جَآئَنَّهُمْ يَا كُلُّ يُكَبِّسُونَ {التوبة: 95}

وتفصيل هذا في القرآن كثير جداً.
الإيمان بالعرض والحساب
والصرات والميزان

وقوله: «والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصرات والميزان». من أحوال يوم القيامة: عرض العباد على ربهم، وعرض أعمالهم عليهم، قال تعالى: "وَقَامُ شَيْئٌ لِّلَّذِينَ كَفُرُواٰ أَن يَتَّلُفُّوا عَلَى رَتْبٍ سَمَّىٰ لَفَّظُهُمُ الْحَكِيمُ كَمَا خَلَقَهُمْ أَوْلَىٰ مَرَّمٍ" [الكهف]. وكذلك عرض الأعمال على العاملين، قال تعالى: "وَقَامُ شَيْئٌ مَا عَلَّجَتْ عْنَهُ بَيْنَ الْخَيْرَ يُحِبُّونَ وَمَا عَلَّجَتْ عَنَّهُ بَيْنَ الْضُّرُّ أَوْلِيَاءٌ فَأَتْبَعْهُمْ وَبَيْنَهُمْ أَمْنًا بَعْدًا" [ال عمران: 30], وفي حديث عدي بن حاتم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بيه وبيته ترجمان، فنظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه؛ فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقى وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة" (1).

وقال: "ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك"، فقالت أم المؤمنين عائشة: "أليس قد قال الله تعالى: "فَأَلْقِ الْبَيْتِ الْمَغْرُوبَةَ لَيَبْيُضَهُ" [الانشقاق]. فقال رسول الله: "إنما ذلك العرض، وليس أحد يناظر الحساب يوم القيامة إلا غذب" (2).

وذلك الحساب، والحساب في اللغة: العدو، ويطلق بمعنى

(1) رواه البخاري (6512)، ومسلم (1016).
(2) رواه البخاري (6537) - واللفظ له، ومسلم (2876).
الإيمان بالمرض والحساب، والصراط والميزان

المحاسبة، ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحساب، قال تعالى: "إِنَّمَا تُحْصِنُونَ ْلَيْسَ الْيَوْمُ الْقَيَامَةَ" {ص: 262}، وهو اليوم الذي يحاسب الله فيه الخلقين، قال تعالى: "وَقَضَّ الْمَوْتُ الْأَخْطَرَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ نَظَلَمْ نَسْنَ سَيِّئًاْ وَإِنَّ حَكْمَةَ َيَكُونُ أَحْسَنَ ْأَحْسَنَ مِنْ حَرُولٍ أَيْسًا يِهَا وَقَنْ يَا حَسْبَيْنِ" {الأنبياء}، ومن المحاسبة السؤال عن الأعمال، قال تعالى: "فَرَأَىَكُمُ نَشَأْتُهُمْ أَجْمَعُ عَنَا كَأَنْ فَخَتَمْنَا بَعْلُونَ" {الحجر}، وقال تعالى: "فَذُو قُرُونٍ لَّيْسَ مِنْهُمْ مَشْرُورٌ" {الصاحبات}، وقال تعالى: "فَقَأْنَا مِنْ أَوْلِيَاءِكُمْ رَجُلًا خَيْرًا مُّسْتَرَكًا" {الإسراء}، وقال تعالى: "فَأَتَمَّ مَنْ أَوْلِيَاءِكُمْ مُّسْتَرَكًا" {الإسراء}، وقال تعالى: "فَأَتَمَّ مَنْ أَوْلِيَاءِكُمْ مُّسْتَرَكًا" {الإسراء}.

[الانشقاق]

ومن الحساب ما فيه مناقشة كما قال الرسول ﷺ: "من نوقش الحساب عذب" (1).

ومن المحاسبة ما جاء في الحديث عن الرسول ﷺ، قال: "يدنو أحدكم من ربٍ حتى يضع كتفه عليه، يقول كذا وكذا؟ يقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا؟ يقول: نعم، فيبقره، ثم يقول: إنى سرت عليك في الدنيا، فأنا أغرها لك اليوم" (2)، حساب يسير وعرض للأعمال، ليس فيه مناقشة.

هذا كله يدخل في إطار الحساب، وهناك سؤال يمكن أن يدخل في الحساب، قال تعالى: "فَحَلَّ إِذَا جَاءَ قَالَ أَحْكَمَتُمْ يِنَادِيْنَهُ وَلَكُمْ مُّغَيْضًا يِها ْمُعْلُومًا أَنَّا كَأَنْ فَخَتَمْنَا بَعْلُونَ" {النمز}، "فَقُولُوا مَا مِنْ إِبْلٍ مُّ غَيْضًا إِلَّا كَأَنْ فَخَتَمْنَا بَعْلُونَ" {النمل}.

[القصص]

(1) تقدم في ص 306.
(2) رواه البخاري (260) - واللفظ له -، ومسلم (2768) من حديث ابن عمر.
فأحوال القيامة وأهوالها عظيمة، فيا له من يوم ما أعظمه! (6)

يطالّ أولئك الذين يسيّرون (ليّمهم عظيم) [المطففين] وثقيل، قال تعالى:

إِنَّهُمْ يَسْتَبْنُونَ الْجَاهِلِيَّةَ وَيَذْرُونَ وَرَآءَهُمْ يَمَامَ ٍ (١٦) [الإنسان] وعسير؛

لكن على الكافرين، أما على أهل الإيمان والتقى فهو عليهم يسير، ولذا

يقول تعالى: (كُلُّ الْكَفَّارِينَ عَيْنَ ٢١٤) [المهدر]، وفي الآية الأخرى:

وُسْئَلُواٍ عَلَى الْكَفَّارِينَ عَيْنَ ٢١٤ [القرآن:22].

وقوله: (قراءة الكتاب).

قراءة كتاب الأعمال، فآخذ كتابه بيديه وأخذ كتابه بشماله ومن
وراء ظهره، كما في الآيات من سورة الانشقاق، وسورة الحاقة، قال
 تعالى: (فَأَنَا مِنْ أُوْقَىٰ كُتُبِ ٢٥١) [المحاقة]
وأما من أوقى كتبه، يسيله: يقول: وَقُلْ ٢٥٢ أُوْقَىٰٞ كِتَابٗ ٢٥٢ (المحاقة)،
وقوله تعالى: (وَكَتِبَ كَأنَّهُ كَتِبَ ٢٥٣) [المحاقة]، وقوله تعالى:
وكَتَبَ إِنِّي أَرْسَلْتُكُمُ بِالْحَقِّ ٢٥٣ (الإسراء)، (فَيَمَّنْ نَسْعَوُ ٢٥٤) [الإسراء] وغيرها من الآيات.

وكل هذا مما يدخل في الإيمان بالنبي الآخر، ويجب الإيمان به.

وقوله: (والثواب والعقاب).

تفصيل وبيان لنوعي الجزاء على الأعمال، فإذا كانت الأعمال
حسنات وسئات؛ فالحسنات جزاؤها الثواب، وهو: كل خير ونعم
ورسول، ومعجوم ذلك وأعظمهم رحمة الله وكرامته ورضاه وجننه,
(وَقَالَ اٌمَرُّهمُ يَسْتَبْنُوا لِي ٢٥٣) [النور]
خليفة فيها أبداً إن الله يعبد أجر عظيم (النور).

وقوله: (والصرافات).

الصراف جسر وطريق ومعبر ينصب على متن جههم، فيعبر عليه
الإيمان بالمرض والحساب، والصراط والميزان

الناس بحسب أعمالهم، وجاء بيان ذلك عن النبي ﷺ بأن منهم من يمر في كطرف العين، و كالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاعيد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مسل، ومكلوس في نار جهنم(1). 

وهذا الصراط والسير عليه حسي، وهو في مقابل الصراط الذي في الدنيا، ففي الدنيا صراط معنوي، وهو دين الله الذي يبعث به رسله، فالسير على ذلك الصراط بحسب السير على هذا الصراط، فمن كان على هذا الصراط ثابتاً ومسرعًا وقبيلاً كان على ذاك كذلك، ومن كان بطيء السير في هذا الصراط كان سيره على ذاك "جريء وفِقَاء" (النبي)، والجزاء من جنس العمل.

وقوله: "والميزان".

أي: ميزان الأعمال، والآيات في هذا ظاهرة وكثيرة، قال تعالى:

"وَضُعِّ بَيْنَ الْمَيْمَضِ الْبَيْنِ الْقَبْيِمَةِ" (الأمين: 47)، وقال تعالى: "فَمَنْ قَنَعَ مَوْزِعَةً فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدِينَ" (الأحزاب: 48) و"فَمَنْ قَنَعَ مَوْزِعَةً فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا انفِصَامَهُمْ" (الأعراف)، إلى غير ذلك من الآيات.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالميزان، وأنه ميزان حقيقي حسي، تبرز به الأعمال، كما جاء في الأحاديث، قال النبي ﷺ: "كلمنا خفيفتان على اللفس، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" (2) وفي الحديث الآخر عن الرسول ﷺ: "والحمد لله تماً الميزان" (3).

فدل الكتاب والسنة على وزن الأعمال، والأعمال وإن كانت أعراضاً والأعراض في حسنا ومداركنا لا تقبل الوزن، لكننا نسلم

(1) رواه البخاري (7439)، ومسلم (183) - واللفظ له - من حديث أبي سعيد.
(2) رواه البخاري (6826)، ومسلم (2794) من حديث أبي هريرة.
(3) رواه مسلم (273) من حديث أبي مالك الأشعري.
ومن نؤمن بما أخبر الله به من وزن الأعمال، والله تعالى على كل شيء قدير، وفي حديث صاحب البطاقة الذي يأتي يوم القيامة فинтер له تسعة وعشرون سِجْلًا، كل سجل مس البصر، وكلها سيّئات، فيبَهت فتخرج له بطاقة فيها الشهادات، فتوضع البطاقة في كفّة والسجلات في كفّة، قال: (فطاشت السجلات وثقلت البطاقة) (1) دليل على أن صاحب فن الأعمال توزن، ويستدل به على فضل التوحيد الخالص، فهذا لما اقترن بهذه الكلمة من الصدق والإخلاص والصفاء وحسن النية؛ إذ الكلمات والعبادات وإن اشتركت في الصورة الظاهرة؛ فإن تعاونت بحسب أحوال القلب تفاوتًا عظيمًا، لأجل ذلك كثرت سيئاتهم، وإلا فأهل الكبار الذين دخلوا النار كلهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، ولم يرجع قولهم على سيئاتهم كصاحب البطاقة. هذا ما وَجَّه به شيخ الإسلام ابن تيمية، هذا الحديث (2) وامثalah (3).

وقد دلت النصوص على أن الأعمال توزن، وصحِّف الأعمال توزن، بل والعامل يوزن كما في الحديث: أنَّ عبد الله بن مسعود كان يجتنى سوَىَكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تُكَفَّفُه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: (مم تضحكون؟) قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: (والذي تفحي بيه لهما أثقل.

(1) رواه أحمد ٢/١٣٢، والترمذي (٢٦٣٩) - وقال: خبر قريب، وصحِّفه ابن حبان (٢٥٥)، والحاكم ١/٦٩ و٢٩٩ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(2) مجموع الفتاوى ١٠/١٣٥ و١١٩/٢١٩.

(3) كحديث: أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجل يمشي الطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخذه شكره الله له وفغفر له) رواه البخاري (٢٦٢)، ومسلم (١٩١٤)، وحديثه عن النبي ﷺ قال: (بينما كتب يُظنف بركات كاد يقبله العطش) إذ رأته بغي من بجاء بنى إسرائيل، فنزع للْؤَقُهَا فشقت فغفر لها، رواه البخاري (٢٤٧٦)، ومسلم (٢٤٤٥).
في الميزان من أحدٍ(1).

وأنكر بعض أهل البدع الميزان(2) وقالوا: ليس المراد ميزانًا حسيًا توزن به الأعمال، إنما هو كتابة عن عدل الرب. لكن النصوص ظاهرة بأنه ميزان حسي (وَضَعَ الْمُؤْرِخين) [الأنبياء: 47].

وقيل: إن الميزان واحد، توزن به أعمال العباد، والله على كل شئ [شَيْءٍ قَرِيرٍ] [البقرة: 284].

وقيل: إنها موازين، وهو ظاهر القرآن، ومن قال: إنه ميزان واحد، قال: الموازين المراد بها الموزونات، فالتحديد في الموزونات والميزان واحد، والله أعلم.

المهم الإيمان بوزن الأعمال(3).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه في باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب من مسائل حديث أبي سعيد رضي الله عنه: "لو أن السُمَومات السبع والأرضين السبع في كفه، ولا إله إلا الله في كفه(4)".

وعرفة أن الميزان له كفتان(5).

لأن الميزان يتضمن المعادلة بين السيئات والحسنات، فمن رجح حسناته على سيئاته نجا، ومن رجح سيئاته على حسناته فقد يعذب، والكلام في المسلم الذي له حسنات، أما الكفار فليس لهم.

(1) رواه أبو داود الطيالسي (254)، وأحمد 1/200 من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ونسخه عند ابن أبي شيبة 1774/194، وأحمد 1/114، والبخاري في الأدب المفرد (237).
(2) كالمعترف، انظر: مقالات الإسلاميين ص 472، ودرء تعارض العقل والنقل 348/5.
(3) التذكرة 2/734.
(4) رواه النسائي في الكبير (10675، و1098) والحاكم 268/1، وصححه ابن حجر في الفتح، 108/11.
(5) كتاب التوحيد ص 9.
حسنات، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: «وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسياسته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحمل، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها»(1).
خلق الجنة والنار وبقاؤهما

وقوله: «والجنة والنار مخلوقتان لا تفنان أبدًا ولا تبيدان».

هذه الجملة فيها مسألتان:
الأولى: قوله: «والجنة والنار مخلوقتان» مخلوقتان الآن وموجودتان الآن، خلافًا للمعتزلة، فالمعتزلة يقولون: إن الجنة والنار لم تخلقوا؛ لكن يخلقهما الله يوم القيامة.
وما حجتهم؟ قالوا: إن خلقهما الآن عبث؛ لأنها تصر معطولة ومدة متطاولة، ولم يدخلها سكانها!
وهذا قول باطل مبني على جهل فاضح، ولهذا كان من مذهبهم إنكار عذاب القبر ونعيمه.
والحق الذي لا ريب فيه: أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، والأدلة على هذا من الكتاب والسنة لا تختص كثرة، فكل أدلة عذاب القبر ونعيمه، هي من أدلة وجود الجنة والنار؛ لأن عذاب القبر هو من النار، ونعيم القبر من الجنة، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: «لقد رُفِّتُوا آخَرَى
عندَ مِثْلِهَا لِلنَّجَامِ» [الأنبياء: 69] [النجم]، وقال تعالى: «فَانْتَرِ» 
بِكَتَبٍ عَلَيْهَا عَدْدًا وَعَدْدًا وَقَبْضٍ تَفْصِّلُ أَلْتَّهُهَا أَجَلًا مَا لَ بِهَا وَعَدْدًا
المَذَابِ» [الغراف]، وقال تعالى: «فَمَنْ خَطَّطَ لَهُمْ أَنْحَابًا فَأَخْذُوْا نَارًا».
[نوح: 25].
وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه

(1) حادي الأرواح 24/1
مقعده بالغدامة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة(١)، وفي حديث البراء: أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن يفتح له باب إلى الجنة، فأتيه من روحها وطيبها، ويغشح له في قبره مد بصره، وإن الكافر يفتح له باب إلى النار، فأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه»(٢).

وفي حديث صلاة النبي ﷺ صلاة الكسوف أن الصحابة قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك كففت؟ فقال: «أني رأيت الجنة فتناولت منها عقوقًا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أراك يوم منظرًا قط»(٣) وهذا يقتضي أنها موجودة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعدت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه قال: فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها ففتح بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر إلى ما أعدت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خففت أن لا يدخلها أحد، قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعدت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضًا، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فدخلها، فأمر بها ففتحت بالشهوات، فقال: ارجع إليها، فرجع إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»(٤) ومثل

(١) تقدم في ص ٢٩٥.
(٢) تقدم في ص ٢٨٦.
(٣) رواه البخاري (٨٥٢)، ومسلم (٩٠٧) من حديث ابن عباس ﷺ.
(٤) رواه أحمد ٣/٣٣٣، وأبو داوود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٠٦) وقاض: حسن صحيح - والسني ٧/٣، وصححه ابن حبان (٧٣٥٤)، والحاكم ١/٢٦، من حديث أبي هريرة ﷺ.
خلق الجنة والనار وبياؤهما

حديث النبي ﷺ: «تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم؟ فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشقاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أذن بك من أشقاء من عبادي، ولكن واحدة منكما ملؤهما».¹)

هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، والقول بأنهما لم تخلق قبل باطل مناقض لنصوص الكتاب والسنة.

قال العلامة ابن القيم في النوبة:

يا سلعة الرحمٌ لسِّ رخيصة في الألف إلا واحدٌ لا اثنان
يا سلعة الرحمٌ ليس ينالُها
إلا أولُو النقوى مع الإيمان
يا سلعة الرحمٌ من ذا كفؤٍها
بين الأرامل سَلَفَةُ الحيِوان
فلقد غُرِضَت بِأيِسِرَ الأثمان
يا سلعة الرحمٌ أبن المشتري
يا سلعة الرحمٌ هل من خاطب
فالمهر قبل الموصِّ ذو إمكان
يا سلعة الرحمٌ كيف تَصَبَر الأَل
يا سلعة الرحمٌ لولا أنَّها
ما كان عنها قَطِ من مَتَحَلِّفٍ
وتعطلت دار الجزاء الثاني
لِيُصَدَّ عنها المَبطلُ الْمُتَواني
ورتب العلَّى بِمشيئة الرحمٍ ²)

والمسألة الثانية: مسألة فناء الجنة والنار، يقول الطحاوي:

لا تفنى أبدا ولا تبدان; بل هما باقيان على الدوام.
فالجنة لا تفنى ونعيمها دائم، قال تعالى: {أُصِلَّى دّارِيُّ وَطُولِيُّ} ³)

(1) رواه البخاري (4850)، ومسلم (2846) - واللغظ له - من حديث أبي هريرة.
(2) الكافية الشافية 297.
(3)
وذكر اللائن جاء فيها ما يدل على الدوام، قال تعالى: 

أَنْ يَتَرَجَّمُوا مِنْ آتِكَاتِي وَمَا هُمَّ يَتَحَيَّطُونَ بِهَا وَلَهُمْ عُذُوبٌ فَيَمَنُّونَ [المانعة]، وقال تعالى: 

كُنُوا حَتَّى نَزْدِهِمْ سَجَرًا [الإسراء: 97]، كُنُوا أَرَادُوا أَنْ يَتَرَجَّمُوا بِهَا مِنْ غَيْرِ أُغْيِدُوا بِهَا [الحج: 22] وقال تعالى: 

وَمَا هُمْ يَتَخُّبُونَ [الحجر: 48].

وذهب الجهيم بن صفوان ومن تبعه إلى فناء الجنة والنار، فعندهم أن المخلوقات يمتنع دوامها في الماضي، وكذلك دوامها في المستقبل.

وأجمع أهل السنة إجماعًا نفعيًا وسائر الفرق ما عدا الفرق

الضالة الجهمية على دوام الجنة، وأما النار فجهور أهل السنة وسائر الطوائف على دوامها كذلك، وفيها قول آخر ذكره ابن القيم، فقد عَنْى مُحَمَّد بن الكئيل على هذه المسألة (1) كعادته في البحث إذا بحث مسألة أبدع فيها، وأتى بكل ما يمكن من الاستدلال والحوار، والجواب والمناقشات في سائر المسائل الخلافية التي يتعرض لها، يذكر كل ما للطائتين من حجج واستدلالات ووجهات، ويقابل بينهما ويناقشهما، فتارة يرحف ترجيحًا ظاهرًا وبقوة، وtàرة يعرض ويقف، وإذا عرض القول الآخر قال: كأنه يختار الثاني، والذي يظهر أنه هكذا وقع له في

(1) حادي الأرواح 2/180 - 192، وشفاء العليل ص 254 - 264، ومختصر الصواعق 2/185 - 195، وقبله شيخ الإسلام في كتابه الرد على من قال بناء الجنة والنار.
خلق الجنة والنار وبقاؤهما

هذه المسألة، فلما ذكر حجج القولين يظن الظان إذا قرأ استدلالاته للقول الآخر يظن أنه قائل به(1).

وأكثر ما نقوله هنا: إن القول ببناء النار قول مرجوح، ولكن لا يقول: إنه بدعه، ولا يُبْدِع من قال به، ومن الناس من بُنِع من قال به، ومنهم من رمي ابن تيمية بالقول به، وجزم بأنه قال: ببناء النار، وقالوا: إنه له اعتقادات فاسدة، وهذا يقوله المتنجون على شيخ الإسلام ابن تيمية من خصومه الذين خالفهم في كثير من مسائل الاعتقاد، وقد ذكر ابن القيم أنه سأل شيخ الإسلام عن مسألة فناء النار، فقال: هذه المسألة عظيمة كبيرة، ثم ذكر فيها القولين(2)، ولم يذكر عن شيخه أنه ذهب إلى القول ببناء النار خلافًا، فمن ينسب إليه ذلك(3).

وقد أفضى شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير القول بدوام الجنة والنار والجواب عما استدله به للقول ببناء النار كقوله تعالى: "إِنَّا ضَرَّبْنَاهُ بِذَٰلِكَ فَقالَ لَمْ يُبَيِّنَ" (هود: 107)، وقوله تعالى: "إِنَّا مُنْتَخِبُونَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ الْاَسْتِدْنِيَّةَ " (الأنعام: 128) ذكر هذه المسألة عند هذه الآية في سورة الأنعام من كتابه "المواعيض في إهان الاضطراب.


(2) السؤال في شفاء العليل ص 264، وجوابه: فقال شيخ الإسلام: هذه المسألة عظيمة كبيرة، ولم يجب فيها شيء، فمضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي بعض تلك الآثار التي ذكرت، فارسلت إليه الكتاب وهو في مجييه الأخير، وعلّمت على ذلك الموضع، وقيل للرسول: قل له هذا الموضوع يشكل عليه ولا يدري ما هو؟ فكتب فيها مصنفه المشهور.

(3) كالسكي والحسني، انظر: دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ص 68.
وعند آي الكتاب (1).


(1) ص 132، وانظر: "مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي" ص 51.
وقوله: «وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قِبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَن شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضَلَّ مَثِيَ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْنَّارِ عَدْلًا مَثِي، وَكَلِّ يَعْمَلُ لَهَاٰ لَمْ يُقْعِدْ لَهُ، وَصَأَرَ إِلَى ما خَلَقَ لَهُ.»

هذا دخول في مسائل متعلقة بالقدر، وقد فَرَقَ الشيخ الكلام في القدر، كما فَرَق المسائل المتعلقة بأصول الإيمان، فذكر مسائل تتبع في الإيمان والملائكة، أو الرسل، أو بالزوم الآخر. وهذه المسائل الآتية متعلقة بالقدر، والمساعدة التي تقدمت وهي خلق الجنة والنار.

يقول: «وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قِبْلَ الْخَلْقِ».

هذا ظاهر، ولا يريد بالخلق جميع المخلوقات. الظاهرة أنه يريد قبل خلق الناس؛ لأن الخلق تارة يطلق على جنس المخلوقات. وتارة يطلق على خصوص المكلفين، ولهذا قال: وخلق لحما أهلاً، أي: خلق الوجه والنار، ثم خلق لحما خلقاً من الجن والإنس. خلق آدم وحواء، ثم خلق ذريتهما إلى آخر من يشاء اللَّه تعالى خلقه من هذا الجنس البشري، ومن الجنس.

ويحتم أن يكون مراده من قوله: «وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا» أي: قَدَّر لهما أهلاً، فخلق يعني لمعنى (أوجد) ومعنى (قدر)، والأول أظهر.

وقوله: «فَمَن شاء مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضَلَّ مَثِيَ، وَمَنْ شَاء مِنْهُمْ إِلَى الْنَّارِ عَدْلًا مَثِي.»
هذا شروط في تقسيم الخلق، وأن الله جعلهم فريقين: سعادة وأشقياء، فمن العباد من خلقه للجنة، ويعمل أهل الجنة يعمل، ومنهم من خلقه للنار، ويعمل أهل النار يعمل، نعوذ بالله من النار.

فمن شاء الله له منهم أن يكون من أهل الجنة كأن كذلك فضلاً من الله، والله يقضي فضلهم من يشاء، ومن شاء الله منهم إلى النار عدلًا، فحكمه في عباده دائر بين الفضل والعدل، وهذا المعنى تناه المؤلف كله فقد تقدم قوله: "هادي من يشاء ويعصمه ويعافي فضلاً، وبفضل من يشاء ويخذل ويبطئ عدلًا" (1).

وأيضاً: "وَأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى بَيْتٍ آمَنَّا بِاللَّهِ مَنْ أَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ الْمَكْرُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ السَّوْقُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أُوْلِي الْأَمْرِ هُمْ الرَّسُولُونَ فَضَلُّ نِعْمَةٌ مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَى مَثْلِهِ كَحَالِكَ {الحسيرات}، "وَمَنْ يَبْلِغَ اللَّهُ سَيْمًا وَيَدْعُو إِلَى الْحَكِيمِ {النور}، "وَأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى بَيْتٍ قَالَ مَنْ أَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ الْمَكْرُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ السَّوْقُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أُوْلِي الْأَمْرِ هُمْ الرَّسُولُونَ {اليسر}، وَأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى بَيْتٍ قَالَ مَنْ أَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ الْمَكْرُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ السَّوْقُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أُوْلِي الْأَمْرِ هُمْ الرَّسُولُونَ {اليسر}، وَأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى بَيْتٍ قَالَ مَنْ أَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ الْمَكْرُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ السَّوْقُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أُوْلِي الْأَمْرِ هُمْ الرَّسُولُونَ {اليسر}، وَأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى بَيْتٍ قَالَ مَنْ أَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ الْمَكْرُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ السَّوْقُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أُوْلِي الْأَمْرِ هُمْ الرَّسُولُونَ {اليسر}، وَأَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَى بَيْتٍ قَالَ مَنْ أَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْبَيْتُ الْمَكْرُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ السَّوْقُ وَأَتَىٰ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ أُوْلِي الْأَمْرِ هُمْ الرَّسُولُونَ {اليسر}. "إِبْرَاهِيم}، هذا كله يرجع إلى الإيمان بالقدر: الإيمان بعلم الله السابق لكل شيء، والإيمان بكتابته لمقدار الأشياء في أم الكتاب، والإيمان بعموم شريعة الله، وأنه لا خروج لشيء عن مشيته، وأنه تعالى خالق كل شيء، ففيه تعالى اهتمي المهمون، واعمله تعالى ضل الضعلون: "أَهْدَىَ السَّبْطَ السَّمِيقَ {الكوفة}، أَمَرَظَ اللَّبَنَ أَنْ قُلِّ، أَلْقِ عَلَيْهِمْ عَبْرَ النَّارِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصَبَّهُمْ {المائدة}، هذا دعاء حقيق بأن ينفع معناه وقهره وضرورة إلى مضمونه، "وَأَلْقِ عَلَىٰ كَانَ النَّارُ وَهُمْ مِنْ يَشَاءُ إِلَى عِرْضِ تَسْنِيمَ {يونس}. (1) ص. 77.
فيجب الإيمان بالقدر، والإيمان بالقدر يشمل الإيمان بأن الله قد علم أهل الجنة من أهل النار، وكتب ذلك، ولهذا لما أخبر الرسول بأنه "ما من نفس إلا وقد علم مكانها من الجنة ومكانها من النار، قال رجل: ألا تتكل عن كتابنا وندع العمل؟ قال: اعمالنا فكل ميسر، أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقافة، فيسرون لعمل أهل الشقافة"(1)، وسُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكذبون فيه أشياء قضي عليهم ومسى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يقبلون به مما أتاههم نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: "لا؛ بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وصدق ذلك في كتاب الله ﷺ: "وَمَا سَوَّاهَا ۖ قَالَاهَا فَجَعَلَهَا وَتَبَاَتْهَا (2) "[الشمس]."}

والنظر للقدر في أمر الإيمان والكفر، والطاعة والمعاصية من أعظم مداخل الشيطان؛ لأن الشيطان يوسوس ويقول: ما دام الأمر قد مضى وسبق به القدر، فإن كنت من أهل الجنة فستكون من أهل الجنة! لا لن تكون من أهل الجنة إلا إذا عملت بسب دخول الجنّة، فلن يدخل الجنّة إلا نفس مؤمنة، فمن سبق علم الله وكتبه بأنه من أهل الجنة، فلا بد أن يقوم به سب دخولها، وإن لم يتم سب دخولها فوالله لا يدخلها وكل مكلف لا بد أن يقوم بأحد السبيبين: سب دخول الجنّة أو سب دخول النار، والأعمال بالخواتيم.

وقوله: "وَكُلُّ يَوْمٌ يَوْمٌ قَدْ فُرَّغَ لَهُ، وصَائِرَ إلى ما خَلْقَ لَهُ".

وكلٌ من المكلفين يعمل لما قد فرغ له منه، و"كُلُّ" التثنين فيها يوضٍ عن "أحد"، "يُعمَل لما قد فرغ له" منه "وصائر إلى ما خلق له" هذا شرح وتبسيط لما قبله، وهذا يعني قوله ﷺ: "فكل ميسر لما

(1) تقدم في ص 123.
(2) تقدم في ص 164.
خلق له» "كل يعمل لما قد فُعِّل له" منه «وصائر إلى ما خُلق له» فمن خلق للجنة فصائر إلى الجنة، ومن خلق للنار فصائر إلى النار، ولكن بالأسباب التي جعلها الله لذلك، فالنار أعدها الله للكفارين، ولن يخلد فيها إلا الكافرون، والجنة أعدت للمتدينين، ولن يدخلها إلا نفس مؤمنة.

والأخذ بالأسباب هو فطرة فطرة الله عليها العباد؛ لكن هناك أشياء ما ينظر بعض الناس للقدر فيها:

طلب الرزق فهو من جنس ما سبق به القدر من أمر السعادة والشقاوة، أفيقول عاقل: أنا أجلس ولا أطلب الرزق؛ لأنه سيأتيني؟! لا ؛ بل إذا أصبح الناس نهضوا وانتشروا يطلبون الرزق.

نعم! قد يقوله الكسول تبريرًا لفسله وخموله وذُغيه.

وكما أنه موجب العقل والمفاهيم، فهو أيضًا موجب الشرع، قال تعالى: "هو الَّذِي جَعَلَ لَكُمَّ الأَرْضَ نِشَاطًا فَأَنشِئُوا فِي سَارِكُبِهَا وَفَعَّالِينَ بِيَدِهِ" [الملك: 15]، "إِذَا فُصِّلَتْ الصَّلَاةُ فَأَشْيَبُوا فِي الأَرْضِ وَإِنْ زَقُوْا فِي سَارِكِبِهَا" [الجمعة: 10].

فكيف يأتي هذا لأخطر الأشياء ويقول: إذا كنت من أهل الجنة فسأترك العمل! لا والله، من ترك الإيمان والطاعة إتكالًا على القدر، علمنا أنه إن مات على ذلك فهو من أهل النار، وكذا من نام عن صلامة الفجر وقال: إن كان كتب لي أجر فيجتني بدون أن أقوم وأصلي! فهل سيكتب له أجر؟!

الله سبحانه رتب المسببات على الأسباب، فهناك مسببات لا تكون إلا بأسباب معينة، ولا يمكن تحصيلها إلا بهذا السبب المعين، كالولد، فلا يمكن لأحد أن يولد له إلا بوطء.

أما الرزق فله أسباب متعددة، وطرق كسب كثيرة، بخلاف الولد؟ فلا يوجد إلا سبب واحد معين.
فقد هذا السبب فإلى الاعد والقاض. نعود بالله! هذه مقامات عظيمة على المسلم أن يلتجأ إلى ربه، ويسأله الثبات والتوفيق والهدية، ويُبعث بهذا الدعاء: "أهدياً الصّرّط السّقير" [الفاتحة]، ويسأل الله حسن الخاتمة: "توفّي مسيّماً وألحيقي بِالقِهيلين" [يوسف: 101].
كل شيء بقدر

وقوله: "والخير والشر مقدران على العباد".

هذا مضمونه تقدم في قوله: "القدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى" (1) قال النبي ﷺ: "وتعملين بالقدر خيره وشره" (2).

قال تعالى: "يرجعون إلى蹬ه من عند الله ونستعملهم سينثى" (النساء: 87)، كل ما يجري على العباد من خير ديني أودنيوي، أوشر ديني أودنيوي، فهو جار بقدر، ولا خروج لشيء عن القدر، هذا موجب كمال ملك الله وكمال قدره ومعوم مشيئته، فهو الذي يعطي ويمنع، فكل ما لدى العباد من الخير بأنواعه فهو بمه وبعضه، وكل ما يعوزه فبعدله سبحانه، لا يمنع لما أعطيت، ولا معطي لما معت" (3) تفصيل ذلك في مثل قوله: "ما يفعل الله للملائكة من حمل فلا سماك لهما وما يبقى فلا مبره لمو من بدره وما أضلى وما هادي له" (4). وقال ﷺ: "من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له" (5)، وقال ﷺ: "وعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله" (6).

(1) ص 245.
(2) تقدم في ص 201.
(3) رواه البخاري (844)، ومسلم (593) من حديث المغيرة بن شعبة.
(4) رواه مسلم (878) من حديث جابر.
عليك(1) لكن كل هذا لا ينافي الأخذ بالأسباب، ولهذا الناس بسبب الجهل، وعدم الاعتبار بهدى الله، اضطرراً; فمنهم: من أنكر القدر، ونفى تعلق علم الرب وكتبه ومبيته بآفعال العباد، وقالوا: إنه لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها.
وآخرون أخرجوا أفعال العباد عن مشيئته الله وخلقته وقدره.
وآخرون أثبتوا القدر وأنكروا الأسباب.
ومن غُفِي من هذه الديارات فليحمل الله.
فالذين ينكرون الأسباب يقولون: إذا شربت ورويت؛ فالماء لا أثر له في الرئ، وأكلك لا أثر له في الشبع، ولكن حين شربت وأكلت خلق الله لك الشبع!
والنار إذا أشعلتها في الحطب، فليست هي التي أحرقت الحطب؟
لكن لما جاءت النار عند الحطب خلق الله الإحرق فيها!
فيكون قوله: »أحرقِ النارُ الحطبَ» مجردًا لا حقيقة!
وإنكار الأسباب قول مشهور عن الأشاعرة(2).

(1) تقدم في ص 182.
(2) مجموع الفتاوى 128/8، والتذمرية ص 493، وشفاء العليل ص 188.
أنواع الاستطاعة

وقوله: "والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوعي والتمكن وسلامة الأدوات فهي قِبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: "لا يَكُن عَالِمَ مِن ذَٰلِكَ نَّاسًا إِلَّآ وَسْمَهَا".

[القرة: 286].


وقال لعمران بن حصين: "فإذا لم تستطع فقاعدًا فإن لم تستطع فعلي جنب". وقال في الكفار: "ما كَأَلَا يُسْتَطِيعُونَ أَلْسَنَّ وَمَا سَكَّنُوا بِيَبْهُرُونَ" [هود: 20].

والاستطاعة نوعان:

1. نوع قبل الفعل.
2. ونوع مع الفعل.

فالاستطاعة التي قبل الفعل هي مناط التكلف، فإذا لم توجد فلا تكلف، إذ لا واجب مع العجز.

---
(1) رواه البخاري (6288)، ومسلم (1377) من حديث أبي هريرة.
(2) رواه البخاري (1117).
أنواع الاستطاعة

والقدرة والاستطاعة التي قبل الفعل، مثل: الصحة، وسلامة
الآلات، وحصول الأسباب التي لا بد منها في الفعل، فهذه هي مناط
التكليف، قال تعالى: «وَلَيْتُ أَنَّ الْأَلْجَاء جَعَلْتُنَّ مَنْ أَسْتَطَعَ إِلَّهُ سَيِّئًا»
[آل عمران: 77] السابق: الزاد والراحلة، وكذلك القدرة البدنية لا بد منها،
فلآ يجب المضي للحج إلا على من توفرت له القدرة البدنية والمالية،
فهذه الاستطاعة هي مناط التكليف، ويقرر بها جميع الطوائف، ويستوي
فيها جميع الناس: المطيع والعاصي كلهم مستطيعون، فمن أمر بالصلاة
مثلث، وهو سليم العقل والحواس وقادر إن صلى أو ترك فهو مستطيع.

والنوع الثاني: الاستطاعة التي تكون مع الفعل، ويكون بها الفعل،
فهذه ليست مناطاً للتكليف، بل يمنحها الله لم يشاء، وهي التي تحصل
بالتوفيق والهداية الخاصة، وهي المنفية عن الكفار في مثل قوله تعالى:
«مَا كَانَ لِلْكَافِرِينَ أَسْمَعُونَ وَمَا سَأَلاْتُونَ يُجْرُونَ» [هود: 20]، (وَقَالَ رَتِينَ جَهَمُ
يَقْلِفُونَ عَرْضًا [الكهف] أَلَيْنَ كَانَ أَنتُمْ فِي غَيْبَةِ عَن ذُرُّوتِي وَأَنتُوَا لاَ يُسْتَطِيعُونَ
سَمَّا) [الكهف]، وليس المعنى أنهم عم لا يسمعون، فالآدم معدوم
إذا لم يسمع ما يجب سماعه، والأعمى معدوم إذا لم يستمتع
بإيصاله؛ لأنه غير مستطيع؛ ولكن الاستطاعة المنفية عنهم هي الاستطاعة
التي تكون مع الفعل، وهي ليست مناطا للتكليف، فهم مستطيعون لكن
صرفهم الهوى والشهوات عن الانقياد.

فمثلث: بعض الناس، يقال له: اترك شرب الدخان، فيقول:
لا أستطيع! لا يستطيع بسبب غلبة شهواته، وهو في الحقيقة مستطيع.
أو قول له: حافظ على صلاة الفجر مع الجماعة، فيقول:
لا أستطيع، أهو لا يستطيع! لا والله، مستطيع، ولو كان عنده أمر فيه
ملحة تتهوى لهضية إليها، وظهرت استطاعته.

و글لت في هذا المقام طائتان:
من لا يلبث إلا الاستطاعة التي قبّل الفعل، وهم المعتزلة.
فقد نقول الاستطاعة الثانية؛ لأن الله عندهم لا يقدر أن يهدى
أحدًا ولا يضل أحدًا بل العبد هو الذي يتصرف في نفسه.

وقوله: «من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به».
التوفيق هو صفة الله تعالى يوفق ويهدي من شاء، أما الاستطاعة فهي أثر هذا التوفيق.
أما قوله: «الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي من الفعل».
أي: الاستطاعة هي صفة للمخلوق لكن بمنح الله له، يمنحها من يشاء.
خلق الله لأفعال العباد

وقوله: «وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد، ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيعون، ولا يطيعون إلا ما كلفهم، وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله)، نقول: لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثواب عليها إلا بتوافقي الله».

هذا الكلام كله تفصيل لمعانى مردها كلها إلى الإيمان بالقدر.

وقوله: «وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد» اختلاف الناس في أفعال العباد الاختيارية حسب اختلافهم في القدر، فأهل السنة والجماعة يقولون: أفعال العباد هي أفعالهم حقيقة، وهم الموصوفون بها، فالعبد هو المصلين والصائم، والقائم والقاعد، وهو الصادق والكاذب، والمؤمن والكافر، والمطيع والعصي، هي أفعاله، والله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم، وقدرتهم وإرادتهم، لأنه خلق الأسباب والأسباب.

فهي مفعوله الله، وفَّاءُ الله خلقهُ [الشعراء: 22] فلا خروج لشيء عن خلقه وقدرته ومشيته.

وقالت القدرية نفاة القدر: إن العباد هم الخالقون لأفعالهم، فأفعال العباد خلقهُ لهم، وليست بمشيئة الله ولا بقدرته ولا بخلقه.

وقالت الجرية: إن أفعال العباد خلقهُ الله، والعبد لا فعل له؛ بل أفعاله مجبور عليها كحركة المرتعش، وكالريشتة في مهب الريح، وحركة الأشجار.
فأثبتو القدر وعموم خلق الله، لكنهم سلبوا العبد قدرته واختياره وأفعاله، وقالوا: إن نسبة الأفعال إلى العباد مجاز، ومعناه: أنه ليس هو الراكع والساجد؛ لأنه ما فعل هذا بقدرته؛ إذ لا مشيئة له ولا قدرة.

فهذا قولان على طرفي نقيض.

وقد ذل على إبطال المذهبين: مذهب القدره والجبرية قول الله تعالى: لِيَتَّقَبَّلْ مَا نُفِّقَ مِن كَثِيرٍ (التكوير)، فأثبت المشيئة للعباد، وأَمَّا كَفَّارَةُ الْجَهَّالَةِ لِيُنْفِقُواْ مَا كَفَّارَةً (التكوير) فجعل مشيئة العبد موقعة على مشيئة رب العالمين.

وجاءت الأشعار فلفقوا كعادتهم وقالوا: أفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد، لكن مفهوم الكسب عنهم هو: الفعل المقارن للقدرة المحدثة، وهذا ينوه على مذهبهم في نفي الأسباب.

فهرون أن العلاقة بين الأسباب والمسببات، وبين قدرة العبد وأفعاله مجرد الاقتران، يقولون: إن الله يفعل عند الأسباب لا بها، ليس عندهم بد سبب، بل برونها للمصاحبة.

فهComparatorن في هذا من قول الجبرية، لأن قولهم يتضمن: أنه لا أثر لقدرتهم في وجود أعمالهم، كما تقدم ذكر ذلك في الأسباب وقولهم: إن الماء لا أثر له في حصول الزمن، ولا أثر للطعام في حصول الشبع، ولا أثر لقدرته العبد في حصول فعله. هذا قول الأشاعرة، وقد ذكر كسب الأشعري من الأشياء التي لا حقيقة لها.

والله أعلم بمراد الطحاوي، لأن كلمة الكسب في اللغة والشرع تطلق على الفعل (يُكَفَّرُواْ يَكَسِيبُونَ) [الأعمال: 126]، (يُكَفَّرُواْ يَمْثِلونَ) [الأعمال: 108].

(1) ص 325.

(2) قالوا: عقاب الكلام ثلاثة: طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري. مجموع الفتاوى 128/8، ومنهج السنة 297/2، وشفاء العليل ص 124 و50.
خلق الله لأعمال العباد

وقوله: "ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطقون" أي: ما يستطيعون.

قال الله تعالى: "ولم يكلف الله تعالى إلا ما يطقون" (البقرة: 282) (ولم يكلف الله تعالى إلا ما تطمساه" (الطلاق: 7) وقال الله تعالى في الدعاء الذي علمه لعبادة: "ولم يكلفنا ما لا طاقة لنا به" (البقرة: 282) قال الله تعالى: "قد فعلت" (1).

وعلى هذا من رحمة الله بعبادته، وحكمته في شرعه، وهو من اليسر الذي أراده الله بعبادته: "يريد الله يعمم السماوات ولا يُريد يعمم السماوات (2) (البقرة: 135). وبهذا اليسر رفع الحرج عن عباده، قال تعالى: "وَا جَعَلْ عَلَّيْكُمْ فِي الْأَيَّامِ من حِجٍّ (3) (الحج: 78) فله الحمد على ذلك كثير.

وقوله: "ولم يطقون إلا ما كلفهم".

هذه العبارة فيها نظر، فالعباد يطقون أكثر مما كلفهم الله ؛ إذ لو كانوا لا يطقون إلا ما كلفهم؛ فمعناه: أنه كلفهم غاية طاقتهم، فلا يقتدون على شيء بعدها؛ بل ما كلفهم الله هو أقل مما يستطيعونه، والله الحمد، فقد كلفهم صيام شهر في السنة، أليسوا يطقون أن يصوموا شهرين؟ بل يطقون أن يصوموا ثلاثة لو كلفهم بذلك.

وقوله: "وَهُوَ تَفسِيرٌ لَّا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِاللَّهِ".

تفسير "لا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ إِلَّا بِاللَّهِ": لا تحول من حال إلى حال، ولا قوة على أي أمر إلا الله.

الإقرار بذلك واستحضاره وذكره يتضمن التوكل على الله والاستعانته به، وللهذا شرع لمن يجيب المؤذن أن يقول عند قول المؤذن: "حِيٌّ عَلَى الصلَاةِ، حِيٌّ عَلَى الفَلَاحِ" (لا حول ولا قوة إلا بالله) (3)، استعانت بالله على الإجابة إلى ما دعي إليه.

---

(1) رواه مسلم (126) من حديث ابن عباس.
(2) رواه مسلم (285) من حديث عمر بن الخطاب.
الجملة "لا حول ولا قوة إلا بالله" من أنواع الذكر التي دلت السنة على عظم شأنها، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري أن النبي قال له: "ألا أدرك على كثير من كنوز الجنة؟ فقلت: بل يا رسول الله، فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله". وذلك لأنها متضمنة لتوحيد الروحية، وممتزمة فقر العباد إلى الله فلا مشيئتهم ولهم ولا قدرة لهم إلا أن يشاء الله، "وَمَا كَثَّارَ إِلَّا أَن يَكُنَّ شَّابَةً اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" [الإنسان]، وقد فسر الطحاوي: "هذه الجملة العظيمة بعبارة حسنة، وذلك في قوله: "نقول: لا حيلة لأحد، ولا حركة لأحد، ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بترفيق الله".

(1) رواه البخاري (٢٥٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤).
كل ما يجري في الكون بمشيئة الله

وقوله: «وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضائه الحيل كلها، فعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً، تقدس عن كل سوء وحبن، وتنزه عن كل عيب وشين، قال تعالى: {لا يُسَلَّمُ عَنَا يَفْلَى وَهُمْ يُسَلَّمُونَ} (الأنبياء).»

هذا يتضمن المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر، والإمام الطحاوي - ١٠٧٩ - في هذه العقيدة فرق الكلام في القدر وأبدى فيه وأعاد، فقد مضى كلام كثير، ونصوص كثيرة من عباراته تتضمن تقرير الإيمان بالقدر، وما يوجه هذا الإمام (١)، ولا شك أن الإيمان بالقدر - وهو الأصل السادس من أصول الإيمان - من الأهمية بمكان، وقد زلت فيه أقدام، وضاعت فيه أفهام، وتبحر فيه المتحيرون، وهدى الله إلى الحق أهل السنة والجماعة أهل الهدى والتفاح، فهم أسعد الناس في كل حق، وهم أسعد الناس بإصابة الصواب في هذا الباب، فهم يؤمنون بأن مشيئة الله عامة، لا خروج لشيء عن مشيئته، فكل شيء من الحوادث والحركات والسكنات العلوية والسفلية، حركة الأفلاك والملائكة والجن والإنس والجمادات، وكل صغير وكبير؛ فهو يجري بمشيئته تعالى وقضائه وتقديره، يجب أن نؤمن بأنه قد سبق به علم الله القديم، وبسبقه كتابه الأول، وجرت فيه مشيئته، وهذا تحقيق كمال ملكه، فله الملك كله، لا خروج لشيء عن ملكه، فله التدبير

(١) ص ٦٨ و٧٧ و٦٢ و١٦٩ و٢٤٥ و١٩٤ و٣٦٥ و٣٢٥ و٣٧٩.
والتقدير، "كَمْ نَغْلِبُ اللَّهَ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ وَلَدَاءً" (البقرة: 107). وتجد هذا المعنى يُبنى في القرآن كثيراً.

وقوله: "وعلمه وقضائه وقدره".
كل شيء يجري بشتمته النافذة الشاملة، "وعلمه القديم، وقضائه" النافذ، "وقدره" أي: تقديره السابق، قال النبي ﷺ: "قَدْرُ الله مُقَادِرُ الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة"(1).

وقوله: "غلبت مسيحته المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها". مشيئة الله تعالى نافذة وإن خالفتها مشيئات الخلق، فما شاء الله كان وإن لم يشاء الخلق، وما شاء العباد لا يكون إن لم يشاء الله، كما قال الإمام الشافعي - ﷺ: 
ما شئت كان وإن لم تشا لم يكن خلقاً العباد على ما علمت على ما شئت وهذا خذلت وهذا اعتن ومنهم قبيح ومنهم حسن.

وقضاؤه وحكمه نافذ غالب لحيل الخلق، كما في الدعاء عن النبي ﷺ: "ماض في حكمك، عدل في قضاؤك"(2)، ومهم فعل الخلق ومهمماً ديروا، فإن يتم لهم شيء إن كان قضاؤه الله مخالفًا له، ولن يمضي ولن يتم إلا حكم الله وقضاؤه، لكن الخلق يقدرون على فعل الأسباب بالحيل من الأسباب، والإنسان مأمور بفعل الأسباب والحيل التي توصل إلى ما أمر الله به أو أباحه لعباده، ولكن هذه الأسباب محكومة بقضاء الله، ولن يتم بأي سبب وبأي حيلة أثر لأي سبب أو حيلة إلا ما قضاء الله سبحانه، وفي وصايا النبي ﷺ لا ينفعه ﷺ: "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله"(3).

1. تقدم في ص 71.
2. شرح أصول اعتقاد أهل السنة 4/777، والأسماء والصفات ص 171.
3. تقدم بعضه في ص 170، وتخرجه هناك.
لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأفلام ووجفت الصحف»(1).

وقوله: «يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا».

يفعل سباحته ما يشاء، فيعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، ويهدي ويضل، ويجيب ويميت، (بُيْثِرُ الأُمَّةُ) [يونس: 3]; (يَتَطَبَّقُ الْإِرْبَدُ لِنَسَبَّةَ وَيَقُدُّرُ) [الزُّوَّاَرِ: 26]; (وَيَعْلَمُ مِنْ يَتْنَأُ وَيَعْلَمُ مِنْ يَسْأَلُ) [العكبوت: 21]; كل ذلك جار على وفق حكمته تعالى، فله الحكمة في كل تدبير، كما تقدم في قول الطحاوي: (يهدي من يشاء ويصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويذل ويبتلي عدلًا) (2) فهو يهدي من يشاء بفضله وحكمته، ويضل ويذل ويتل من يشاء بعدله وحكمته، فالحكمة ثابتة في كل تدبير، فهو يضع فضله في مواضعه؛ لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والعدل: وضع الأشياء في مواضعها، فالله تعالى يضع فضله في مواضعه حيث شاء على وفق الحكمة، خلافًا لقول الجهمية ومن تبعهم كالأشعراة: إن كل ما يجري بمحض المشيئة دون أن تكون له تعالى حكمة في هذا التقدير والتدبير، وقد تقدم نحو هذا المعنى (3).

المقصود: أنه يجب الإيمان بأن أفعاله جارية على وفق العدل والحكمة، فأفعاله دائرة بين الفضل والعدل، والظلم مما يجب تنزيهه تعالى عنه (وَمَا نَزِكَّ يَتَطَبَّقُ الْإِرْبَدُ) [فصلت: 42]; (وَمَا أَنَّا يَقُولُونَ لِيُحَيِّي) [بَيُّ: 29]; (إِنَّ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِّقَالًا ذَرُّوًا) [النساء: 40] والآيات في تنزيهه تعالى عن الظلم كثيرة.

فلا يعذب أحدًا بغير ذنب، ولا يعذب أحدًا بذنب غيره، ووجه في الحديث عن النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَعَلَى عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِه وأَهْلَ أَرْضِه

(1) تقدم في ص 182.
(2) ص 77.
(3) ص 77 - 81.
لعنهم وهو غير ظالم لهم (1) فلن يعذبهم إلا بما يقتضي تعذيبهم، وهو قادر أن يعذب من شاء بغير ذنب، أو يعذب من شاء بذنب غيره؛ لكنه لا يفعل ذلك لكمال عدله سبحانه، وقد حرم الظلم على نفسه كما في الحديث القدسي عن أبي ذر (2) عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" (3) فهو لا يظلم ولا يرضى الظلم من أحد من العباد، ولذا حرمه على عباده في شرائعه التي أنزلها على رسله.

وإذا عرض للإنسان شيء من الحوادث فعليه أن لا يُحَكّم عقده الناقد، فكثير من الخلق لقصور علمهم وضعف إيمانهم يعترضون في نفوسهم، أو يتكلمون بأنفسهم على تدبيره تعالى، فتسمع بعضهم يقول: إذا ابتلى الله عبدًا بضياع، (فلان والله ما يستاهل)، وهي عبارة مشهورة عند العامة، وهي تعني: أن الله ابتلى هذا العبد، وهو ليس أهلًا لهذا! وهذا اعتراض على تدبيره وكمال عدله، هذا أصل يجب العبادة به علمًا وتفكيرًا وتكريرًا، وهو الإيمان بكمال عدله وكمال تدبيره في خلقه وأمره وجزائه، فلا تعارض قدر الله بقولك: لِمَ جرى كذا؟ وَلَمَّا كَانَ كِذَا؟ فَأَيَّ حَاتِر يُتَضَمَّ الاعتراف على تدبيره وكمال عدله في المؤمن أن يدفعه بإيمانه بأن الله تعالى حكيم له الحكمة البالغة في كل تدبير وتقدير (2).

وقوله: "تقدس عن كل سوء وحِين، وتنزه عن كل عيب وشَيْن".

تقدس وتزه، عبارةً عبارةً بمعنى واحد، والشيخ الطحاوي كثيرًا ما ينوع ويتفنّ في العبارات، وهذه المادة "تقدس" موجودة في القرآن كثيرًا فاسمه تعالى: "القدوس" [الحجر: 32]، وقالت الملائكة: "وَقَنَّى تَسَيَّحُ".

(1) تقدم تخريجه عند طرفة: "واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطفك" ص 183.
(2) رواه مسلم (752).
(3) انظر: كلامًا نفيًّا في هذا المعنى لابن القيم في زاد المعاد 3/ 235.
حكاية في السكون بمشيئة الله

[[القرآن: 2: 39]] فالنبوءة والتمييز والتنزه كلها تدل على نفي المعايب، فالقدوس: المنزه عن كل سوء وعيب، ومن عبارات السلف في تفسير القدوس: الطاهر (1).

وقوله: "عن كل سوء وحُين، وتنزه عن كل عيب وشَيْن".

السوء والحُين والعباب والشَّيْن، عبارات كلها معناها: الأمور المذمومة، فهو تعالى مثنى عن كل عيب وسوء ووصف قبيح، فهو مثنى عن القبيح في أسماه وصفاته وأفعاله، فله الأسما الحسن والصفات العلّى، وأفعاله كلها كمال كما تقدم في حديث دعاء الاستفتاح: "والله ليس إلّى إلّه" (2) فهو لا يضاف إلى الله اسماً ولا صفة ولا فعلًا؛ لكن السوء والشر والشَّيْن والذين يوجد في معقولات الله - أي: مخلوقاته -، أما أفعاله تعالى فكلها عدل وحكمة، فخلقه تعالى لأشياء المضادة من الحسن والقبيح، والنافع والضار، والملائكة والشياطين، والصحة والمريض، والمزح والحياة، كل ذلك على وفق الحكمة، فله الحكمة البالغة في خلقه للأضداد.

ومن حكمه ما بينه لنا تعالى، ومنها ما يظهر لنا بالتأمّل والتدبر والتفكير، وما خفّ علينا منها - وهو الأكثر - فعلينا أن نفوضه إلى عالمه سبحانه، ونؤمن بأن له الحكمة البالغة، وتفاصيل ذلك لا تحيط به عقول العباد (ولأ يُجرِّبُوهُمَّ غَيْرَ عِلْمًا) (الله: 110)، فلا نحيط به حكِمته كما لا نحيط علمًا بمخلوقاته.

وقوله: "قال تعالى: لَا يَسْتَلَّ عَمَّا يَقْعُلُ وَلَا يَشْتَلُّونَ (2) [الأنبياء].

ختم الشيخ هذه العبارات المتعلقة بالقدر بهذه الآية من القرآن: لَا يَسْتَلَّ عَمَّا يَقْعُلُ وَلَا يَشْتَلُّونَ (2) [الأنبياء)، هذا مما وصف الله به

(1) تفسير الطبري 500/1
(2) ص 247
فسمه: وتقدم (1) أن كل نفي يوصف الله به فلا بد أن يتضمن إثبات كمال، فلا يوصف تعالى بالنفي المحسن الذي لا يتضمن ثبوت كمال، لأن النفي المحسن ليس فيه مذة ولا كمال، فما وصف الله به نفسه من النبي: أنه لا يسأل عما يفعل، لا يتوجه إليه السؤال، وذلك لكمال حكمته، وليس هذا لقونته وقدره وسلطانه، فمن كان معرفًا بكمال الحكمة لا يقال: لم فعلت هذا؟ ولم كان منك هذا؟ لأنه حكيم، وأما العباد؛ فإن أقوالهم وأفعالهم عرضة للنقص والخلع والحب والانحراف، فهم يسألون عن أفعالهم في الدنيا بحكم الشرع، ويسألون في الآخرة، قال تعالى: (فَوَرَبَّكَ نُتْصِلُهُمْ أَجْمَيْنَ أَعْمَّى كَانَوْا عَمَّلُوْنَ) [الحجر]، وقال النبي: لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفعاله، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله منً أكنه وفيم أنفقيه، وعن جسمه فيم أبلاه (2).

فالعباد يسألون أ ما الله تعالى فلا يسأل: لم فعلت؟ على وجه الاعتراض، أما السؤال لمزيد المعرفة فلا منع منه كان يقول الإنسان ما الحكمة في كذا؟ لم شرع الله كذا؟ يعرف الحكمة لا على وجه الاعتراض على التشريع والتذبذب.

والملائكة لم يكن سؤالهم لربهم عندما قال: (إِيَّاَيُّوْمَ الْيَمِينِ قُلُواَ أَتَجْعَلُنَّ فِيهَا مَن يَقْسِمُ فِيهَا وَيَسْمِعُ الْأَيْمَانَ وَيَنْفِقُ أَمْوَاهُ وَيَشْكُرُ اللَّهُ وَيَبْكُرُ كُلَّ مَالٍ أَيْمَانًا) [الbacera:30] على وجه الاعتراض على تدبير الله، إنما تحيروا في معرفة الحكمة في خلق هذا المخلوق الذي يكون منه ما ذكر من الإفساد وفسق الدماء.

---

(1) ص. 333
(2) رواه الدارمي (543)، وعن عمه الترمذي (2416) وقال: حسن صحيح - من حديث أبي بزة الأسلمي ج، وانظر: السلسلة الصحيحة (946).
انتفاع الأموات بعمل الأحياء

وقوله: «وفي دعاء الأحياء وصدقته منفعة للأموات». أي: أن الأموات يتفعون بدعاء الأحياء لهم بالمغفرة والرحمة ورفع الدرجات وتكرير السباق، وكذلك ينتفعون بصدقته الأحياء عنهم، فإذا تصدق الولد عن والده أو عن أحد من أقاربه، بل لو تصدق أجنبي عليه انتفع بذلك، وهذا من فضل الله على عباده أن جعل لمن يموت من المسلمين سببًا في وصول الثواب والأجر لهم، لأنهم ينتفعون به في زيادة الأجور ورفع الدرجات وفي النجاة من العذاب، وقد شرع الله الدعاء للأموات وجبًا واستحبًا، فشرع الدعاء للحيتين ووجبًا بالصلاة عليه بعد موته، فالصلاة على الميت فرض كفاعة، وكذلك شرع الدعاء للأموات عند زيارة القبور وعند دفن الميت، هذه كلها مواضيع شرع الله فيها الدعاء لأموات المسلمين، والدعاء والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات مشروع، للاحياء والأموات، قال تعالى: «وَأَسْتَجِبَ لِلْمَعْلُوَمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» [محمد:19]. وفي دعاء الأنباء: «جِئِي أَعْفَرْ لِي وَلْؤُلْدِيَّةَ وَالْمُؤْمِنِينَ يُؤْمِنُونَ» [الجاحظ:18]. [إبراهيم] هذا دعاء إبراهيم، وقال نوح: «جِئِي أَعْفَرْ لِي وَلْؤُلْدِيَّةَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» [挪亚:28].

وكل ذلك الصدقة، فقد ثبت في الصحيح أن سعد بن عبيدة توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: «يا رسول الله إنامي توفيت وأنا غائب عنها، أيفعها شيء وإن تصدقت به عنها؟ قال: نعم»، قال: فإني أشهد أن حاتمي المحرم صدقة عليها»(1).

(1) رواه البخاري (1762).
وافق أهل السنة على أن الأموات يتفعون بدعاء الأحياء، وبالصدقة عنهم(1)، سواء كان المال المتفق عليه صدقة على فقرى، أو قضاء دين عن معسر، أو الإنفاق على أعمال الخير، كتعليم القرآن.

واقتصر الطحاوي على "دعاء الأحياء وصدقاتهم"؛ لأنه مذهب أبي حنيفة، أو أنه قد أنفع عليه أهل السنة اتفاقًا تامًا.

و女性朋友 - أيضًا - عامة علماء أهل السنة على وصول ثوابه إلى الميت وانتفاعه به، بل والحج عن الحي المُغْضوب(2) فقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس، قال: جاءت أمرأ من خُلَفَ عام حجة الوداع، قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده في الحج أدرك أبي شيحًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: "نعم"(3)، وفي الصحيح عنه - أيضًا - أن أمرأ من جهينة جاءت إلى النبي، فقالت: إن أمي نذر أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، فأباح أحج عنها؟ قال: "نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضية؟ أقضوا الله، فلله أحق بالوفاء"(4).


(1) التمهيد 270، ومجموع الفتاوى 498، و240/2406، والروح.
(2) المَعْضُوب: الضعيف، والرَّمَّن لا حَرَّاك به. والمراد هنا: الحاج عن الحج لكبر أو زمانة أو مرضي لا يرجى بروزه. القاموس المحيط ص 149، والإفتاء 543/1.
(3) البخاري (1854)، ومسلم (1325).
(4) البخاري (1852).
وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة: إنما يصل للميت ثواب النفقة، أما ثواب الحج فهو للحجاج.


ثم بعد ذلك اختلف العلماء في سائر العبادات، كالصلاة والصيام وتلاوة القرآن والذكر، هل يصل ثوابها إلى الميت، إذا عملها الحي عنه؟ أكثر أهل العلم على أن هذه العبادات يصل ثوابها فينتفع بها الميت؛ بل توسع بعض أهل العلم، وقالوا: إن أي قرية يفعلها الإنسان عن الحي أو الميت، فإن ذلك يصل إليه، كما في نص زاد المستقنع: «وأيّ قرية فعلها وجعل ثوابها للميت مسلم أو حي نفعه ذلك» (3). وهذا توسع كبير.

والذي يعيننا في هذا المقام انتفاع الأموات بسعي الأحياء، فأكثر العلماء على أن الآيات ينتفعون بهذه العبادات، فإذا صام أو صلى عن الميت ولو تطوعاً، أو قرأ قرآناً، أو سبّح وهلل وكبَر، يريد أن يكون ذلك عن الميت؛ فإنه ينفعه ذلك، قياّساً لهذه العبادات على ما وردت به النصوص، وهؤلاء لا فرق عنهم بين فرض ونفل أو نذر، فينتفع الميت بها جميعاً.

وفي هذا تفصيل؛ فأما الصيام فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات عليه صيام صام عنه وله» (3).

وهنا اختلاف أهل العلم على مذاهب، فمنهم من قال: لا يُصام

(1) بدائع الصانع ٢/٤٥٥.
(2) ص ٢٧.
(3) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١٤٧) من حديث عائشة. (٤)
شرح المقيدة الطحاوية

عن الميت مطلقاً، وإنما يطعم عنه عملاً بما صح عن ابن عباس أنه قال: «لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مداً من حنطة».

وهذه النصوص ربما أجبرنا عليها بالنسخ، ولا شك أن هذا الأثر لا يقاوم النصوص الصحيحة الصريحة، والمشهور عن الإمام أحمد: أنه يصوم عن الميت النذر خاصة، أما الفرض؛ كقضاء رمضان، والكفارات؛ ككفارة القتل، فلا تسام عن الميت، وإنما يطعم عنه على ما جاء في أثر ابن عباس. ولكن الحديث لفظه عام: «من مات عليه صيام صام عنه وليه».

وإذا كان سبب الحديث هو السؤال عن صوم النذر، فإن العبرة بعوم اللفظ لا بخصوص السبب.

وأما الصلاة وتلاوة القرآن والذكر، فلم يرد فيها شيء، إنما عادة من قال بوصول ثوابها وجواز فعلها عن الميت هو قياسها على ما ورد في النصوص من الحج والصيام.

وأهل السنة في جملة هذه القضية طرفان ووسط، فمنهم من يرى جواز إهداء جميع القرب، والذي دلت عليه النصوص ليس إهداء الشواب بل هو فعل العبادات عن الغير، وهذا لا بد فيه من نية فعل العبادة عن الغير عند ابتداء العمل كالحج عن المعضوب والميت، كما نهى على ذلك ابن القيم، فليس الوارد أن الإنسان بعدما يحج يقول: اللهم أجعل ثواب

---

(1) رواه النسائي في الكبرى (2918)، وصححه ابن حجر في التلميح الحديث.
(2) سنن أبي داود (2400)، والمغني 4، وإعلام الموفعين 4، وتهذيب السنن 3، 729.
(3) الروح ص 212.
احتفي هذه لفان، أو بعدما يتصدق يقول: اللهم اجعل ثواب هذا الصدقة لفان، أو يصوم يومًا ثم يقول: اللهم اجعل ثواب صومي هذا لفان؛ بل من أجل العمل ينوي فعله عمًّا يريد الإحسان إليه.
ثم إن العامل إذا عمل لا يعلم هل كتب له ثواب عند الله أو لا، فكيف يقول: اللهم اجعل ثواب هذا العمل لفان؟!
لكن الفقهاء لعلمهم نظروا إلى أن المقصود من فعل العبادة عن الميت هو نفع الميت بما يترتب على ذلك من ثواب.
ومنهم من قصر ذلك على الدعاء والصدقة والحج على خلاف.

وأظهر هذه المذاهب هو الوقوف عند ما ورد، فقوله: ينفع الميت بدعاء الحي، وهذا محل إجماع، وكذلك الصدقة والحج، ولا سيما الحج الواجب والصوم الواجب، هذا لا كلام في وصوله، وكذا إذا نذر الإنسان عبادة ثم أدركه الموت ولم يوصي بما نذر؛ فإن الأدلة تدل على فعلها عنه كالدين؛ فالنذر دين والتزام من المكلف، وما سوى ذلك؛ فإن إلحاقه بما وردت فيه النصوص محل نظر واجتهاد.

وفي مقابل مذهب أهل السنة والجماعة الذي قصد المؤلف التنبيه عليه، قول المبتدعة: إن الميت لا ينفع بشيء من سعي الأحياء، حتى قبل عن بعضهم: لا ينفع شيء من سعي الأحياء ولا الدعاء.
ولا شك أن هذا باطل، ومن شهادات استدلالهم بقوله: "وأَنَّ أَيُّهُ الْإِنسَانُ إِلَّا مَا سَأَلَتْهُ لَهُمُ الْجَنَّةُ [النجم]"، وقوله: "وَلَا تَجَوزُوا إِلَّا مَا كُتَبَ تَعْمَلُونَ [البقرة: 45]"، ونظائرها في القرآن كثير: "إِنَّمَا يَجَوزُ مَا كُتَبَ تَعْمَلُونَ" (الطارق: 16) أي: ما تجوز إلا ما كتب العمل، ومن أدلتهم قول: "إِذَا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (1).

(1) رواه مسلم (1131) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأجيب عن استدلالات القائلين بعدم انتفاع الأموات بسعي الأحياء، أما الدعاء فملوم بالضرورة من دين الإسلام انتفع الميت بالصلاة عليه، والمقصود من الصلاة على الميت هو الدعاء له، هذا ركنها الأعظم، وكذلك الدعاء لهم عند زيارة القبور (1)، وكذلك انتفعهم بالصدقة كما تقدم (2)، فقولهم مردود بهذه النصوص.

وأما الآية: {وَأَن لَّيْسَ لِلّدَّيْنِ إِلَّا مَا سَعِى} (النجم) فأجيب عنها بأجوبة، قال شارح الطحاوية ابن أبي العز: إن أصحابها جوابان:

الأول: أن الإنسان بسيع وحسن عشيرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواجه، وأسدى الخير وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوا له، واهدوا له ثرائب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخل المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، في حياته وبعد مماته (3).

وأظهر من هذا هو الجواب الثاني: وهو أن المنفي في الآية هو ملك الإنسان لسعي غيره، فالإنسان لا يملك إلا عمله، {وَأَن لَّيْسَ لِلّدَّيْنِ إِلَّا مَا سَعِى} (النجم)، {وَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ نَقْسًا إِلَّا وَانْصَبْهَا لِحَيَّةٍ مَّا كَسَبَّت} وعليها ما أكتسبت (البقرة: 282) فليس للإنسان إلا عمله، وليس له عمل غيره، ونفي استحقاق الإنسان لعمل غيره لا يستلزم نفي انتفعه بعمل غيره إذا فعله عنه أو أهدي ثوابه له، كما يقال: ليس للإنسان إلا ماله، أما أموال الناس فليس له، ولا يلزم من نفي ملكه لمال غيره نفي الانتفع به، فيمكن أن يهدئه، أو أن يصدق عليه، أو ينتفع به بوجه من الوجه، فالانتفاع أعم من الملك، فلا يلزم من نفي الملك نفي

(1) رواه مسلم (976) من حديث بريدة (ص، وتقدم في ص 294) حديث

(2) ص 339

(3) ص 379، ونقل ابن القيم في الروح ص 200 هذا الجواب عن ابن عقيل.
انتفاع الأموات بعمل الأحياء

الانتفاع، وهذا جواب سديد قريب بين(1)، كما دلت على ذلك هذه النصوص: الصدقة عن الميت، والصوم الواجب عن الميت، والحج عن الميت، والدعاء، بل وقضاء الدين، كما في حديث أبي قتادة(2) عندما ضمن الدين عن الميت، فبرئت ذمه، وصل عليه النبي ﷺ.

وأما قوله تعالى: «ولا تجعروا إنه ما كُشِّفَت تَعاوُنينما [بسم:44]».

وأشبهها من القرآن فيقال فيها ما قيل في الآية التي قبلها: إن الإنسان لا يجزى إلا بعمله، هذا الذي يستحقه بوعده الله، وهو لا ينبغي أن ينتفع بعمل غيره إذا أهداه إليه، وتصدق به عليه.


ومسألة انتفاع الأموات بسعي الأحياء ذكرها ابن القيم في كتابه «الروح»(3) ووسط القول فيها، وذكر أقوال الناس، وما ذكره ابن أبي العز في شرح الطحاوية هو ملخص من ذلك الكتاب، وذهب ابن القيم فيه إلى القول بانتفاع الأموات بسعي الأحياء مطلقًا، وعلى هذا فمن أخذ بهذا عن اجتهاد، أو تقليد لمن يذهب إلى ذلك؛ فلا شيء عليه.

(1) ذكر ابن القيم معنى هذا الجواب في الروح ص 206 وقال: كان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها، وانظر: مجموع الفتاوى 2/426، 317.
(2) رواه البخاري (2889) من حديث سلمة بن الأكوع.
(3) ص 190- 226.
إجابة الله لدعاء عباده


(1) رواه الترمذي (306) (م) وقال: حديث غريب، وروى غريب واحد هذا الحديث عن جعفر بن سليمان، عن ثابت البكاني، عن النبي ﷺ، ولم يذكروا فيه عن أنس - ثم ذكره من رواية ثابت مرسلا - وقال: هذا أصح، وابن حبان (876) و (894)، والرضيع في المختارة 9/5 و 10، وانظر: السلسلة الضيقة (1362).
لكن قيل: «الله أصلح لي شأني كله»، في ينبغي على المسلم أن يدعو ربه بقلبه وسناه، ويعتمد في قضاء حوائجه عليه، ولا يعتمد على الأسباب؛ بل يعتمد على ربه ويدعوه، فالدعاء أعظم الأسباب؛ لأنه التقاء إلى الله في جلب المنافع ودفع المضار، فهو ينفع في رفع البلاء وفي دفعه، وهذا ديدن الخلق كلههم، حتى الكفار يدعون الله، كما أخبر سبحانه عنهم، لاسيما في الشدة: «فأرَيْنَ عِنْدَ رَبِّكُمْ دَعُوَّاً إلاَّ اللَّهَ تَحَلَّلُونَ بِهِ» (الأعراف: 15)، ومتى وقع المخلوق في ضرورة؛ فإنه لا بد أن يلجب إلى الله، إلا من فسدت فطرته واستحكم فسادها؛ فإنه يتقطع صلته بربه.

وذكر الشارح ابن أبي العز عن ابن عقيل: «أن الله ندب إلى الدعاء، وفي ذلك معانٍ:

أحدها: الوجود، فإن ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغنى؛ فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع؛ فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم؛ فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة؛ فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة؛ فإن العجز لا يدعى».

فكلها تدخل في الإيمان بالله، فدعاء العبد لربه يتضمن الإيمان بأنه سميع قادر غني كريم رحيم، في ينبغي للداعي أن يستحضر هذا.

والدعاء كغيره من الأسباب لا بد لحصول أثره من توافر الشروط وانتفاء الموانع؛ فإن كل الأسباب الكونية والشرعية يتوقف أثرها على وجود الشروط وانتفاء الموانع.

فلا بد في الدعاء من الإيمان بالله والإخلاص له، والتوكل عليه، بحيث يدعو الإنسان وهو موفق بالإجابة طامع في فضل الله.

(1) ص ۶۷۸


إجابة الدعاء أعم من قضاء الحاجة، فلا يلزم من عدم حصول المطلوب أن الله لم يجب دعاءك، فقوله: إن الله لم يستجب لي! وما

(١) رواه البخاري (١٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥) - واللثوف له من حديث أبي هريرة ـ.
(٢) مسلم (١٠١٥).
(٣) رواه أحمد ٤/٨٧، وأبو داود (٩٦)، وابن حبان (٢٧٦٣ و٢٧٦٤)، والحاكم ٤٩٣/١، والبخاري في الأدب المفرد (١١١)، والحاكم ٤٩٣/١.
(٤) رواه أحمد ٣/١٨، واللثوف في الأدب المفرد (٢٧٦٤)، والحاكم ٤٩٣/١ من حديث أبي سعيد الخدري ـ.
يدريك؟ لعل الله أعلَّم إحدى هذه الثلاث، ومن أجل ذلك قلت: إن قوله: "وسقي الحاجات" أخص من قوله: "وأنت تعالى تستجيب الدعوات".

ومن المبتدعة من قال: إن الدعاء إنما شرع تبدأ فقط، وليس له أثر في حصول المطلوب؛ لأن المطلوب إن كان مقدّرًا فسيحصل فلا حاجة إلى الدعاء، وإن كان لم يقدر فلا فائدة في الدعاء؛ لأن له أن يحصل سواء دعوت أم لم تدع.

فيقال لهم: هناك قسم ثالث، وهو ما قدر الله حصوله بالدعاء، فما قدر الله حصوله بسبب لن يحصل إلا بهذا السبب، وهذه الشبهة طردها أن يقال لهم: قولوا مثل هذا في سائر الأسباب، فيقال من حرف وآراء الزرع والثرث: حركك وزرّعك هذا لا فائدة منه، فإن كان الثمر قد قدره الله فسيحصل لك بدون عملك هذا، وإن لم يقدر لك فلا فائدة في عملك!

وهكذا يقال لمن سعى لطلب الرزق: الرزق الذي تسعي إليه إن كان مكتوبًا لك فسيحصل ولو لم تستع، وإن كان غير مقدر فلا فائدة في سعيك، ولا أثر له!

وهذه الشبهة تقتضي تعطيل الأسباب الشرعية والكونية، وهذا معلوم الفساد؛ فإن الله قد فطر العباد على فعل الأسباب وعلى رجاء أثرها، فالذمّوم هو الاعتماد على الأسباب، كما قال بعضهم: "الزعم إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع"، فالأسباب خلقها الله وقدره وشرعها وجعلها مؤثرة في

(1) نسبه شيخ الإسلام في منهاج السنة 5/336، وبغية المرتد 262: إلى أبي حامد الغزالي وابن الجوزي، وهو بيعته في إحياء علوم الدين 4/374، وعمل كلام ابن الجوزي في مختصر الإحياء "منهاج القاصدين" وهو غير موجود.
حصل مسبباتها، ولكن كل ذلك مرده إلى قدرة الله ومشيئته وتقديره وتدبيره.

والآيات والأحاديث في الترغيب في الدعاء كثيرة معلومة، فالمَلِك وبيده الخير، وهو المعطي المنع، فلا منع لما أعطي ولا معطي لما منع، وقد ضمن الله الإجابة لكل من دعا وَقَالَ رَبِّيُّ إِنَّكَ لَأَنتَ الْرَّحْمَانُ [غافر: 10] وعد الله لا يخلف الميعاد.

وقوله: «ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غني عن الله تعالى طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الحق».


فهو المتصارف في هذا الوجود، وهو خالق كل شيء، وهو المدير لكل شيء، ومن أسماه الملك، أي: الذي له الملك، فهو ملك الناس، وهو ملك الأملاك، وهذا كلمة ناوٍ في توحيد الرفوعية، فتوحيد الرفوعية يتضمن أنه خالق كل شيء وملكه: «إِنِّي أَمْرُهُ إِذَا آرَأَتْ سَمِيعًا أُنَفَّذَ لَهُ كُنْ قَسَّمًةً قَبْلَهُ مُلْكُهُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَلَكَتُهُ» [المؤمن: 1].

سِيدهِ وَاللهِ تَعَالى يَمَّلَكُ مِن شَأْنِ مَا شَاءَ كَمَا يَمَّلَكُ الْعَبـَادُ مَا يَعْتِهِمْ مِن
الأَرْزَاقِ يَقُولُ ‏:‏ «قَلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلَائِكَةِ مَلِكُ الْأَرْضِ مَلِكُ الْأَمْرِ مَلِكُ
الْأَلْطَافِ مَلِكُ كَرَامَةِ» ‏(آل عمران: 22).‏

وَقَولُهُ: ‏«وَلَا غَنِّي عَنِ اللَّهِ طَرْفَةٌ عِينٍ».

لَا غَنِّي لَأَحَدٍ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةٌ عِينٍ، فَالخَلْقُ كَلِمُهُمُ فَقِيرُونَ إِلَى اللَّهِ افْتِقَارًا ذَاتِيّاً، فَلَيْسَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَاكَ إِلَّا الْعِدْمَ، فَالافْتِقَارُ صَفَةٌ ذَاتِيّةٌ
لِلْخَلْقِ، فَالخَلْقُ فَقِيرُ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَلَا يَسْتَغْنَى أَحَدٌ عَنِ اللَّهِ
طَرْفَةٌ عِينٍ، بَلْ هُمُ الْكُبْرَاءُ وَأَبْدَا مَفْتَقِرُونَ إِلَى اللَّهِ فِي وَجْهِهِمْ، وَفِي كُلِّ
شُوَّرُونَهُمُ ‏:‏ «كَانَ الْيَتَّاَبُّ النَّاسِ أُحْيَا الْقَلَعَةَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْقَلَعَةُ الْأَحْيَاً»
[فَاطِر] وَمِن تَحْقِيقِ الإِيمَانِ بِبَرَوْبِيَّةِ الإِيمَانُ بِغَنَّاهُ عَنْ كُلِّ مَا سُواهُ،
وَبِفِقْرِ كُلِّ مَا سُواهُ إِلَيْهِ، فَهُوَ تَعَالَى الْغَنِّي بِذَاتِهِ عَنْ كُلِّ مَا سُواهُ وَكُلِّ
شَيْءٍ فَقِيرٍ إِلَيْهِ، مَفْتَقِرُ إِلَيْهِ، فَلَا غَنِّي عَنِ اللَّهِ طَرْفَةٌ عِينٍ.

وَقَولُهُ: ‏«وَمَنْ أَسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةٌ عِينٍ، فَقُدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيَّينِ».

فِي الْوَاقِعِ لَا يَمَكِنْ لَأَحَدٍ أَنْ يَسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةٌ عِينٍ، لَكِنَّ
الْاِسْتِغْنَاءَ الَّذِي يَقُولُ مِنْ بَعْضِ الْخَلْقِ هُوَ اِسْتَغْنَاءٌ شَعْوِيّ مَا يَحْصُلُ مِنْ
أَهْلِ الْكَفْرِ، فَالْكَافِرُ وَالْغَافِلُ الَّذِي يَمَكِنُ أَنْ يَسْتَغْنَى فِي ذَهَنِهِ أَنْ
مَسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ، وَهُوَ فِي الْوَاقِعِ غَيْرِ مَسْتَغْنَى، لَكِنَّ هَذَا الْاِسْتِغْنَاءُ هُوَ
بَحْسُ رَسُوْلِ اللَّهِ ﷺ وَأَبْنِهِ وَسَيْدُ الْأَمْرِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ أَوَّلُ
أَرْجَحُ لِهِ ذِلِكَ الْطَّغَانِ وَالْيَخْرُورِ، كَمَا حَصَلَ مِنْ قَارُونَ، وَلَهُذَا مِنْ
يَصِابُ بِهِ ذِلِكَ إِلَيْهِ لا يَلِجَأُ إِلَى اللَّهِ وَلَا يَتْوِجُ إِلَيْهِ وَلَا يَعْتَرِفُ بِبَرَوْبِيَّةِ؛ بَلْ
يَنَظُّرُ إِلَيْهِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَمَا أَوْتِيَ مِنْ قُوَّةٍ وَأَسْبَابٍ وَحِيلَةٍ.

وَمِنْ أَسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةٌ عِينٍ فَقُدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيَّينِ,
أَيْ: مِنْ أَهْلِ الْهَلَائِكَ.
إثبات الغضب والرضاء لله تعالى

وقوله: «وَاتَّهَأَ بِالْغَضَبِ وَقَرَضَيْنَا لَا كَأَدَّ من الْوَرَى».

يثبت المؤلف صفي الغضب والرضي لله سبحانه كما أخبر تعالى عن نفسه، فقال: «وَمَن يَقْتُلُ مَوْؤُومٗا مَّتِعَانِيْنَا فَجَزَّأْتُوْهُ جَهَّاثَمْ خَلِيقَا فِيهِ وَغَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَسَنَّمُ وَأُعُدَّ لِهِ عَدَاءً عَظِيمًا».[النساء]، وقال: «وَتَغْلَبَ السَّيِّدَاتُ السَّيِّداتُ السَّيِّدَاتُ وَالشَّرِيكُونَاتُ وَالشَّرِيكُونَاتُ الأشْتَيِّنُونَ عَلَى اللَّهِ كَأَنَّهُمْ دَخَّلُوا السَّوْءَ وَغَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَسَّمُهُمْ وَأُعُدَّ لِهِمْ جَهَّاثَمْ وَسَاتَ بِصَبِيرَةٍ».[التحج].

قال في اليهود: «فَيَا كُبْرُ غَضَبِ الْلَّهِ عَلَى قُومٍ فَعَلُوا بَنِيهِ - يُشِيرُ إلى زَبَعِيْنِهِ - اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ قَتَّلَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[1]، وقال: «مِن حَلَفِ عَلَى يَمِينِ صَلَّبِ يَقْتَطُعُ بِهَا مَالَ أَمِرِيْ مَسَلِمَ هُوَ فِي هَا فَاجِرُ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَى غَضَبَانِ»[2]، وفي حديث الشفاعة في الصحيحين أنَّ أَمَامَ وَنُوحَا وَيِرَايِمَ وَمُوسَى وَعَيْسِي عَلَى هُمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: «إِنَّ رَبِّي غَضَبَ الَّيْلَ وَغَضَبَ الَّيْلَ وَغَضَبَ الَّيْلَ لَمْ يَغْضِبَ قَبْلَ عَلَيْهِ مَثْلِهِ، وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مَثْلِهِ.»[3]

وكذلك وصف الله تعالى نفسه بالراضي في آيات كثيرة، فقال: «ًبِيْنَ اللَّهِ عَسَمُ وَرَضَيْنِ عَنْهُ».[المائدة:119]، وقال: «وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ".

---

(1) رواه البخاري (20543)، ومسلم (1793) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(2) رواه البخاري (649)، ومسلم (138) من حديث ابن مسعود.
(3) البخاري (47612)، ومسلم (134) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وخلف في ذلك المعطلة كالجميمة والمعتزلة والأشاعرة فنفروا حقيقة الغضب والرضى عن الله، وقالوا: إن إثبات هذه الصفات لله يستلزم التشبيه؛ لأنهم يفسرون الغضب: بأنه غليان دم القلب طبقياً للانتقام، أو نحوه، ومن أجل ذلك نفوا حقيقة الحب وحقيقة الرضا، وحقيقة الغضب والسخط والكراهية.
ثم منهم من فسر هذه الأمور بأشياء مخلوقة، ففسر المحبة والرضا بالنعم المخلوقة، وفسر الغضب والسخط والكراءة بالعقوبات التي ينزلها الله بالعصاة.

ومنهم من فسرها بالإرادة كالأشاعرة فقد فسروا المحبة والرضا بإرادة الإعجاز، والغضب والسخط والكراءة بإرادة الأنتقام؛ لأن الإرادة مماثلة من الصفات السبع.

أما أهل السنة والجماعة ف`,`فإنهم يثبتون هذه الصفات على حقيقة الله تعالى على ما يليق به سبحانه، على الوجه الذي لا يماثل فيه صفات المخلوقين.

ومن الطوائف من أثبت الغضب والرضى على تعالى، لكن قال: إنها صفات ذاتيّة قديمة لا تتعلق بها المشيئة كما ذهب إلى ذلك الكلابية، فقالوا: إنه تعالى يغضب ويرضي، لكن غضبه ورضاه لازمان لذاته، كحياته وعلمه، ولا يتعلقان بمشيته.

وذاه بطل؟ بل هو تعالى يغضب ويرضى بمشيته، ولغضبه ورضاه أسباب يحدثها. Ø

وفي الحديثين السابقين: حديث الشفاعة: "إنَّ ربي غضب اليوم غضبًا" رد عليهم؛ فهذا الحديث نص على أن هذا الغضب إنما كان في ذلك اليوم.

وحديث أبي سعيد يعده، وقال الله تعالى لأهل الجنة: "أَجِلُ عليكم رضواني فلا أشْكَط عليكم بعده أبدًا، دليل على أنه تعالى يحل رضواني في ذلك الوقت، وأنه قد يحل رضواني ثم يسخط، كما أنه تعالى يسخط ثم يرضى على من شاء من عباده.

وينبغي أن يعلم أنه لا تلازم بين محبته ورضاه، أو غضبه وسخطه تعالى وبين مشيته، فليس كل ما شاء الله يكون محبوبًا له كما تزعم الجبرية؛ فعندهم: أن كل ما شاء فقد أحبه، وكل شيء يجري بمشيته الله؛ إذاً فكل شيء محبوب له!
وقابلهم القدريةُ نفاةُ القدر فقالوا: إنما أحبب الله فقد شاءه، وما
لا يحبب فلم يَشأَهُ، فعندهم: أن كل ما أمر الله به من الإيمان والطاعة
فقد شاءه، وكل ما نهى عنه وأبغضه من الكفر والمعاصي؛ فإنه لا يشاؤه.
فسوئ الطائفتان بين المشيئة والمحبة، فالمحبة أزبدوا المشيئة على
حقائقها وجعلوا المحبة لازمة لها، والمعتنزة أثبوا المحبة، وجعلوها
بمعنى المشيئة.

وأما أهل السنة والجماعة فقالوا: لا تلازم بين المحبة والمشيئة;
فقد يشاء ما لا يحب، فما يقع في الوجود من الأمور المسخوطة
كالكفر والمعاصي؛ فإنها واقعة بمشيئة الله وليست محبوبة له، وقد
يحب سبحانه ما لا يشاء كالإيمان والطاعة ممن لم يوفقه لذلك، ولم
يشاء منه.

فتجتمع المحبة والمشيئة: في إيمان المؤمن وطاعة المطيع، فإن إيمان
المؤمن وطاعة المطيع اجتمع فيهما المشيئة والإرادة الشرعية، فهي واقعة
بمشيئة الله، وهي محبوبة له.

وترنفر المشيئة في كفر الكافر ومعصية العاصي، فهي واقعة
بالمشيئة وليس ذلك محبوبة له تعالى.

وترنفر الإرادة الشرعية فيما لم يقع من الإيمان والطاعة، كما تقدم
ذلك مفصلاً(1).

(1) ص 42.
منهج أهل السنة في الصحابة

وقوله: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر وتفاق وطغيان».

نحن أهل السنة نحب أصحاب رسول الله ﷺ، والصحابي هو: «من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومت على الإسلام» (1)، هذا هو أحسن ما ضبط به الصحابي. وعلى هذا فالصحابية متفاوتون في صحبتهم للنبي ﷺ، وأعظمهم حلماً من هذه الصحابة هو أبو بكر الصديق ﷺ، وهو الذي جاء النص في القرآن على صحبته: «إذ يكثول ليضجيه. لا تحزن إن الله ممتنع» (التره: 40).

وهذا الحب للصحابية هو ثمرة الإيمان بفضلهم، وأنهم خبر الناس، وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة في الدلالة على فضلهم، يقول الله تعالى عنهم: «والسيقون الأولون من المهجرين والأنصار والذين أتبعهم يحبسون رضوون الله عنهم ورضوا عنهم وأعد الله لهم جنة تحت رحمة频繁» (التره) وقال تعالى: «إذ الذين ك主動وا وهاجروا وجعلوا يأمرون بнем沮丧 وأنت基金份额 في سبيل الله والذين آذوا ونصروا أولئك بسم الله الرحمن الرحيم» (الأنفال: 72) إلى قوله: «أولئك هم الموتيون حلفاً لهم مغفرة ورِزْقٌ كريم» (الأنفال: 74)، ومن ذلك قوله ﷺ: «ألاًّ
minent أهل السنة في الصحابة

وفي الصحيح عن الرسول ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم» (1) وفي الحديث الآخر: «خير من يقتل ملكاً يقتله، يصلى عليه» (2) وهم أصحاب الرسول ﷺ، وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيد له أن أحدكم ألقى مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيبه» (3).

ومن ذلك قوله ﷺ: «العَلِيّ اللَّهُ أطْلُعَ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ فَدَارَ فَقُولُهُمْ فَأَتِّئَنَا» (4) ومن ذلك قوله ﷺ في أهل بيعة الرضوان: «لا يدخل النار أحد من بابه تحت الشجرة» (5) وجاءت نصوص تدل على فضائل أعيان منهم: كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وبقية العشرة المبشرين بالجنة والحسن والحسين، وثابت بن قيس بن شماس (6)، وعكاشة بن محسن (7)، وغيرهم.

فالدلائل على فضائلهم منها ما هو عام في جنس الصحابة، ومنها ما هو أخص من ذلك، ومن الدلائل على فضائلهم وتفضيلهم قوله ﷺ: 

لا يَشَاءُ يَمْتَرِكَ نَفْسَ يَقِلْ الفَتْحَ وَيَنْتَكُ أَوْلِيَاهُ أَعْظَمْ دَيْنًا مِنَ الْأَيِّهَا نُفِقَوا

من بَعْدِ وَقَتَّالِينَ» (الحديث: 101)، والمراد بالفتح: صلح الحديثة الذي عقده.

(1) رواه البخاري (1054)، ومسلم (2532) من حديث ابن مسعود ﭼ.
(2) رواه مسلم (2544) من حديث أبي هريرة ﭿ.
(3) رواه البخاري (3673) - واللفظ له -، ومسلم (2541) من حديث أبي سعيد الخدري ﭼ.
(4) رواه البخاري (3057)، ومسلم (2494) من حديث علي بن أبي طالب ﭿ.
(5) تقدم في ص 219.
(6) تقدم في ص 219، تخرج الأحاديث الدالة على فضائلهم.
(7) رواه البخاري (5752)، ومسلم (250) من حديث عبد الله بن عباس ﭿ.
الرسول ﷺ مع المشركين بمكة في السنة السادسة من الهجرة، سماه الله ﷺ فتحاً؛ لأن هذا الصلح صارت عاقته خيرًا للإسلام وأهله.

وفيها تصريح بنفي التساوي، «لا يَسْتَثْبِى يَنْكُرُ مِنْ أَنْفُقٍ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحَ وَليَّةٌ» [الحديد: 10] ثم تصريح بالتفوق والفضل، «أَوْلَٰٓيَّاكُمْ أَقْضَمُ دُرَّةٌ مِّنَ اللَّهِ أفْتَقَرَوا بَيْنَ مَعْلُومٍ وَآثَارٍ» [الحديد: 10] وهم من أسلم بعد صلح الحديبية، والذين أسلموا بعد الصلح وقبل فتح مكة أفضل ممن أسلم يوم فتح مكة، وهم المعروفون بالطلقاء.

وأحسن ما قال في بيان المراد بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، الذين ذكروا به قوله تعالى: «وَالسَّيِّمَانِ الأوَّلَينِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَسْتَبْقَالِ» [التوبة: 100] أنهم الذين أنفقو وقاتلوا قبل صلح الحديبية، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وصلح الحديبية حد فاصل بين مرحلتين، ونوعين من المسلمين.

وقبل المراد بالسابقين هم من صلى إلى القبلتين، وهذا قول ضعيف؛ لأنه لا دليل على تخصيص من صلى إلى القبلتين، ثم كل من صلى إلى القبلة المشروعة فقد أطاع الله، لكن من قال ذلك لاحظ أن من صلى إلى القبلتين لا بد أن يكون متقدم الإسلام.

ولكن هذا يخرج من مات قبل نسخ القبلة الأولى، وهو من السابقين قطعاً، ويخرج من أسلم بعد نسخ استقبال بيت المقدس، ونسخ الاستقبال كان في السنة الثانية، فإنه قد ثبت أن النبي ﷺ بعدما هاجر صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا». فهذا لا يصح ضابطًا للسبق.

وقد اختلف الناس في أصحاب الرسول ﷺ إلى ثلاث طوائف

1) تفسير الطبري 2/393
2) نسب شيخ الإسلام هذا القول إلى جمهور العلماء، منهج السنة 2/26.
3) رواه البخاري (4486)، ومسلم (525) من حديث البراء بن عازب.
العلاقة بين الساحة والجماعة، فأهل السنة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الراشدة والخوارج؛ فالخوارج والمواصب مع الروافض على طرفين نقيضين، فالروافض يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ، ويسبونهم ويخصون أبو بكر وعمر بمزيد من السب، ويغلبون فيه، فيبغضون الصحابة عمومًا، ولا يستثنون منهم إلا القليل، وفي المقابل يغلبون في أهل البيت، ولا سيما في علي وذريته من فاطمة ﷺ، فمن الروافض من يكرر الصحابة، ومنهم من يفسقهم، فجمعوا بين ضلاليين: ضلالة الاعتداء والبغضاء لجمهور الصحابة، وضلالة التعصب والغلو في آل البيت.

وأما الخوارج فضلائهم في أصحاب الرسول ﷺ حيث كفروا علیًا وعثمان وأصحاب الجمل وأهل التحكيم، فنصموا العداوة لأفضل أهل البيت الرسول ﷺ علي ﷺ، وكذلك من تبعهم من النواصب الذين يؤدون أهل البيت وسبونهم بدوافع سياسية.

وأهل السنة والجماعة بين ذلك يحبون أصحاب الرسول ﷺ، ويتولونهم جميعًا، ويتزولونهم منازلهم، ويعرفون لكل فضله عمومًا، وخصوصًا، ويتبرؤون من ضلال الروافض، والخوارج، والمواصب.

فأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في جميع مسائل الدين، كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية، فقال: «هم الوسط في فرقة الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات الله ﷺ، بين أهل التعطيل الجهمية، وبين أهل التمثيل المشهية.

وهم وسط في باب أفعال الله بين القدرية والجبرية.

وفي باب وعهد الله بين المرجئة وبين الوعودية: من القدرية وغيرهم.»
وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعترضة، وبين المرجنة والجهيمة.

وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض وبين الخوارج (1).

والطحاوي ﷺ أ(ai بالعبارات المتضمنة لمعتقد ومنهج أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ، حيث قال: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ وحب الصحابة ﷺ، هو من الحب في الله، والحب في الله واجب لكل المسلمين؛ فكل من آمن بالله ورسوله تجب محبته على قدر ما يعرف به من الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وأحق الناس من ذلك الواجب هم أصحاب الرسول ﷺ، لما خصصهم الله به من فضيلة صحبتهم للرسول ﷺ التي لا يشركهم فيها أحد ممن جاء بعدهم.

وقوله: "ولا نُفُرِّطُ في حب أحد منهم".

الإفراط: الغلو وتجاوز الحد، والواجب الاعتدال والتسوق بعدم الإفراط والتفريط، فكل انحراف فإنه يعود إلى أحد الأمرين: إما انحراف بإفراط وتجاوز غلو، أو تفريط وتقصير وجفاء، وكلاهما انحراف عن الصراط، والحق ما وافق الصراط المستقيم.

وقوله: "ولا نتبرأ من أحد منهم".

ولا نتبرأ من أحد منهم كما تفعل الروافض أو الخوارج؛ بل نؤليهم جميعًا، وعند الرافضة مقوله: "لا ولاء إلا براء" فلا يكون الإنسان عندهم مواليًا لأهل بيت الرسول إلا إذا تبرأ من أبي بكر وعمر، فعندهم أن من والي أبا بكر وعمر، فقد يغض عليًا، ومن أبغض عليًا فهو ناصبي.

نعم من أبغض عليًا فهو ناصبي هذا صحيح، لكن زعمهم: أن من والي أبا بكر وعمر فقد يغض عليًا هذا عين الباطل؛ بل أهل السنة

(1) ص 177
يوالون الصحابة عمومًا، ويعرفون لهم فضلهم، وينزلونهم منازلهم،
ولا يبترؤون من أحد منهم.
والنتيجة يتضمن: التخلي عنهم، وكرهتهم ومعاداتهم.
وقوله: «ونبغض من يبغضهم».
هذا تأكيد لقوله: «نحب أصحاب رسول الله، ولا نفرط في حب
أحد منهم»، فلا نفرط في حب أحد منهم خلاصًا للرافضة، ولا نبغض
أحدًا منهم خلافًا للخوارج والروافض والنواصب، بل لا بد أن نبغض
من يبغضهم، فيجب بغض الراقصة والخوارج لضلالاتهم وبدعهم
وبغضهم أصحاب الرسول ﷺ.
وقوله: «وغير الخبر يذكرهم».
كما تفعل الراقصة، فإنهم يذكرون الصحابة بالسبع والذم واللعن
والتنقص وأنواع الطعن، وكما تفعل الخوارج بتكفيرهم.
لكن أشقي الناس في هذا هم الراقصة، فهُم شر طوائف الأمة
على الإطلاق، فجمعا إلى أصولهم الكنفية البديعة بعض أصول
الطوائف الأخرى، فدخل عليهم مذهب الاعتزاز فصاروا رافضة
ومعتزلة في آن واحد، وهم الأصل في نشوة الغلو في القبور في هذه
الأمة، فهُم أصحاب بناء المشاهد والقباب على القبور على معظمهم
ممن يعذبونهم في أثمينهم أو في عظمائهم، فذينهم يقوم على الشرك،
والغلو.
وقوله: «ولا نذكرون إلا بخير».
فذكرهم بصحبتهم للرسول ﷺ، وفضلهم، وأعمالهم الصالحة،
كالهجرة، والنصرة، ويدخل في ذلك الكف عن مساوؤهم، وما وقع بينهم
ما هو من لوازم البشرية، سواء كان اختلافًا جماعيًا كما حصل في عهد
علي ﭺ، أو كان خلافًا فردًا، كالذي حدث بين خالد بن الوليد
وبين عبد الرحمن بن عوف ﭺ، فقد كان بينهم شيء، فسبب خالدُ
عبد الرحمن، فقال النبي ﷺ لخالد: «لا تسبوا أصحابي» (1) يريد
النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف، وأمثاله من السابقين الأولين، وخالد بن
الوليد ممن أسلم بعد الفتح، أي: صلح الحديثية.

فمن منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عما جرى بين الصحابة،
فلا يجعلونهم موضع كلام وقيل وقال، فإن هذا يوجر الصدور، ويسبب
سوق شبه بالصحابة، وقرأ العبارات الحكيمة الدقيقة لشيخ الإسلام
ابن تيمية في العقدة الواسطة في قوله: «ومن أصول أهل السنة والجماعة
سلامة قلوبهم، وأسكنهم أصحاب محمد ﷺ إلى أن قال: - وتكلم
عمّا شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الأثار المروية في مساوئهم
منها: مهو كذب، ومنها: ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه،
والصحيح منه: هم في معاذرون; إما مجهدون مصوبين، وإما مجهدون
مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم
عن كبرائ السهم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من
السواق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه
يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر له غيرهم لمن بعدهم; لأن لهم من الحسنات التي
تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: «إنهم
خير القرون» (2)، «إذا لم يصدر عن أحدهم ذنب، فإنهم
أعداءه ممن بعدهم» (3). ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب، فيكون
قد تاب منه، أو أتيبحسنات تمحروه، أو غفر له بفضل سابقه، أو
بشفراع محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته، أو أبتلا ببلاء في
الدنيا كفر به عنه؛ فإذا كان هذا في الذنوب المحقة، فكيف بالأمور التي
كانوا فيها مجهدين؛ فإن أصابوا فليم أجران، وإن أخطأوا، فليم أجر
واحد، والخطأ مغفور لهم» (4). وهذا رصين جدير بالحفظ.

---

(1) تقدم في ص 357.
(2) ص 276 - 272.
وقوله: «وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

هذا تأكيّد لما قاله أوّلًا، فحب الصحابة من الذين، قال النبي ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» (1)، فإذا كان هذا في الأنصار فالمهاجرون من باب أولى؛ لأنهم في جملتهم أفضل من الأنصار.

فإذا كان الحب في الله والبغض في الله أوثق عرى الإيمان، ومن أسباب ذوق طعم الإيمان وحلاوته، فمن أفضل وأكمل وأعظم ذلك هو حب الصحابة ﷺ.

وقوله: «حب الصحابة دين وإيمان» يَرِدُ على ما تقدم (2) من تفسيره للايمان؛ لأن الحب عمل قلبي، فمن قال: الإيمان هو: تصديق القلب وإقرار اللسان، أو قال: هو تصديق القلب، أو قال: هو المعرفة، فموجب قوله أن أعمال القلب فضلًا عن أعمال الجوارح لا تدخل في مسمى الإيمان، فهذا الكلام يعارض تعليله للايمان؛ إلا أن تكون هذه العبارة على وجه المجاز؟ فإن المرجع يقولون: إطلاق اسم الإيمان على الأعمال كما في النصوص المصرحة بذلك من باب المجاز، كقوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة» (3) وعلى كل حال فما قاله الطحاوي في شأن الصحابة كلام حق عظيم رصين، بين فيه منهب أهل السنة والجماعة في أصحاب الرسول ﷺ اعتقادًا وعملًا.

---

(1) رواه البخاري (17)، ومسلم (74) عن أسحاق بن سفيان.
(2) ص. 227.
(3) تقدم في ص. 227.
الأخلاق بالخلافة بعد رسول الله ﷺ

وقوله: "ونشبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً: أبي بكر الصديق ﺔ نفيضًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم عمر بن الخطاب ﺔ، ثم عثمان ﺔ، ثم علي بن أبي طالب ﺔ، وهم الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدون.

من فروع ما يجب اعتقادها في أصحاب الرسول ﷺ هذه المسائل التي أردها المؤلف لما قبلها، فذكر أولاً: ما يجب لعموم الصحابة من الحجة والاحترام وذكر المحاسن والكف عن المساوي إلاخ.

ثم قال: "ونشبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً: أبي بكر الصديق ﺔ نفيضًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم عمر بن الخطاب ﺔ، ثم عثمان ﺔ، ثم علي بن أبي طالب ﺔ.

هذا أيضًا مما يقرره ويدين الله به أهل السنة: أن الأحق بالخلافة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، فيثبتونها له نفيضًا له وتقديمًا له على سائر الصحابة; فولائها للخلافة بعد رسول الله ﷺ كانت عن أهلية واستحقاق، وليس إثباتهم لها واقعًا فقط، كما تقول الرافضة، فالرافضة يقولون: الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر واقعًا، لكن عندهم أن خلافته بغير حق.

فقول الطحاوي: "نفيضًا له" أي: هو الأحق بتولي الخلافة بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه أفضل الأمة، كما ذلت على ذلك الأحاديث في فضل أبي بكر ﺔ.

ثم اختالف الناس في خلافة أبي بكر ﺔ بعد الرسول ﷺ، هل تثبت بالنص أو بالاختيار؟
الحق بالخلافة بعد رسول الله ﷺ

فمن أهل السنة من قال: إنها ثبت بالنص الجلي.
ومنهم من قال: إنها ثبت بالنص الخفي والإشارة.
ومنهم من قال: إنها ثبت بالاختيار - أي: باتفاق الصحابة.

وقد جاءت أدلة تدل على أن أبا بكر هو الأحق بالأمر بعد رسول الله ﷺ، من ذلك أنه قال وهو في مرض موهته: "مروا أبا بكر فليكسر بالناس"(1) وكرهه وأفده، وفعلًا كان هو الإمام، ومات النبي و هو الذي يصلي بهم، فتقليمه في إمامة الصلاة فيه النبي على أحقيته بالأمر من بعده؛ لأن هذا هو الأصل، فالرسول ﷺ كان هو إمام المسلمين عمومًا وخصوصًا؛ فهو إمامهم في الصلاة، وهو إمامهم في تدبير أمورهم وولاية شؤونهم.

ومن ذلك أنه أراد في مرض موهته أن يكتب لأبي بكر كتابًا، فقال لعائشة: "لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد أن يقول القائلون أو يتمى المنتمون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله وأياب المؤمنون"(2).

وفي الحديث الصحيح: "أن امرأة أتت النبي ﷺ فقلته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ - كأنها تريد الموت - قال: إن لم تجديني فأتي أبي بكر"(3).

وما ثبت في الصحيح: أنه قال: "بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذُنبي أو ذُنبي في نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحلت غريبًا.

1) منهج السنة ١٤٨٦ / ٤٩٦.
2) رواه البخاري (٢٦٤)، ومسلم (٤١٨) من حديث عائشة.
3) رواه البخاري (٥٦٦)، والنسائي له - ومسلم (٢٣٨٧) من حديث عائشة.
4) رواه البخاري (٧٢٠) ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبر بن مطعم.
فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقيما من الناس يُدعَع نعُم عمر، حتى ضرب الناس بعَظِمٍ. (1) أي: سقى للناس، وهذا ما وقع في خلافته من استقرار الأمر، وانتشار الإسلام، وكثرة الفتح.
فتأولها أهل العلم (2) على أمر الولاية والخلافة من بعده، فأبو بكر ولي الأمر بعد الرسول مدة قصيرة سنتين وأشهر، وحصل في ولايته خير كثير ومن أعظم ذلك تثبت أمر الإسلام ودولته، وقتل المرتدين، ورد كثير منهم إلى الإسلام.
وأظهر الأقوال عندي فيما ثبت به أمر الخلافة هو أنها ثبت بالنص الخفي والإشارة؛ إذ ليس هناك نص جلي يقول: الخليفة من بعدي هو أبو بكر، لكن هذه النصوص بمجموعها تدل دلالة بينة على أن أبا بكر هو الأحق بالامر، وأنه الخليفة من بعده، ثم وفق الله أصحاب رسول الله لا اختياره، عندما اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وقال قائل منهم للمهاجرين: «منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فيبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس» (3).
فهو أحب الناس إلى الرسول وأمنهم عليه في صحبته وماله.

(1) رواه البخاري (2664)، ومسلم (2392) من حديث أبي هريرة.
(2) المنهاج (15/105)، وفتح الباري 7/38.
(3) رواه البخاري (2668) من حديث عائشة، وهذا النثر مختصر.
(4) رواه البخاري (2666)، ومسلم (2384).
فهو أحق بالأمر من بعده؛ فلذلك كان من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الأحق بالأمر بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر.

ولشيخ الإسلام ﷺ، في هذا الموضوع جمع حسن، قال: «خلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضยา الله ورسوله ﷺ له بها، وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه، اختيارًا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله، وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله فصارت ثابتة بالنصر والإجماع جميعًا»(1).

وأما قول عمر ﷺ: «إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ»(2).

فقد حمل على أن الرسول ﷺ لم يستخلف بعهد مكتوب، ونص صريح كما تقدم.

وأهل السنة يثبتون الخلافة بعد أبي بكر ﷺ لعمر ﷺ، وهذا موضوع اتفاق، وكانت خلافته بعهد من أبي بكر، فانتقل أمر ولاية المسلمين إلى عمر ﷺ، ولم يكن هناك أي اختلاف، ولا ريب أن عمر ﷺ هو الأحق بالأمر من بعده، فهو قرينة في كثير من النصوص الدالة على فضل أبي بكر ﷺ، فقد كان رسول الله ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»(3) وكذلك في حديث الرؤية المتقدم(4).

فأهل السنة يثبتون الخلافة لأبي بكر ثم عمر ولا ينزع فهذا إلا الرافضة، فالرافضة ينزعون في خلافة الخلفاء الثلاثة كلهم، وعندهم أن خلافتهم باطلة وظلم، واغتصاب للحق؛ لأنهم يزعمون أن الوصي

______________________________
(1) منهج السنة 1/524.
(2) رواه البخاري (7218)، ومسلم (1823) من حديث ابن عمر ﷺ.
(3) رواه البخاري (3277)، ومسلم (2589) من حديث ابن عباس عن علي ﷺ.
(4) ص 325.
بعد رسول الله ﷺ هو علي ﺔ، وأن الصحابة ﺔ ظلموه واغتصبوا حقه وجحدوا وصية الرسول ﷺ.

ولا نزاع بين أهل السنة في أن الأحق بالأمر بعد الرسول ﷺ الثلاثة على مراتبهم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ﺔ، ثم علي ﺔ هو الأحق بالأمر بعد عثمان، فإن عمر ﺔ جعل الأمر شوري بين السنة الذين قال: "إذا رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راضٍ" (١)، فبعدما تشاروا وشاؤوا عبد الرحمن بن عوف الناس قال: "لم أرهم يعدلون بعثمان، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس: المهاجرين والأنصار وأمراء الأجاند والمسلمون" (٢)، فتم الأمر واستقرت الخلافة لعثمان من بعد عمر ﺔ، وبعد الفتنة ومقتل عثمان لا أحد ينافس عليًا ﺔ في الفضل، ولا أحد يدعي أنه أحق بالأمر منه.

وأهل السنة والجماعة يرتبون الخلفاء في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، فيقولون: أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وقد ثبت عن ابن عمر أنه قال: "كنا نُّخَّير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخِير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ﺔ" (٣).

قال شيخ الإسلام ﷺ: "بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي، بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر أهلهما أفضل، فقضَّم قوم عثمان، وسكتوا، أو رجعوا بعلي، وقدّم قوم عليًا، وقوم توقفوا. لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يُضَلَّ المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يُضَلَّ المخالف فيها مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن

(١) رواه البخاري (٣٧٠٠)، ومسلم (٥٦٧).
(٢) رواه البخاري (٢٠٧) من حديث المحسور بن مخرمة ﺔ.
(٣) رواه البخاري (٣٦٥٥) من حديث ابن عمر ﺔ.
الطعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة؛ فهو أصل من حمار أهله(1)。
وجاء عن بعض السلف أنه قال: «من قدّم علية عثمان فقدم
أزري بالمهاجرين والأنصار»(2).
أي: تنقصهم واستخف بعقولهم وسهم رأيهم؛ لأنهم أطبقوا على
توالى عثمان فهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون، وإذا أطلق الخلفاء
الراشدون؛ فإنه ينصرف إليهم، فخلافتهم خلافة نبوة، وهذا لا ينفي أن
يقال في بعض من ولي أمر المسلمين إنه خليفة راشد، كما قيل ذلك في
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.
وعلى أن لم يتم له الأمر على جميع المسلمين فهذا لا ينفي
اعتبارة من الخلفاء الراشدين، ولا ينفي أن تكون خلافته خلافة نبوة،
لكن لا ريب أن خلافته ليست كخلافة من قبله في أثرها على الإسلام
والمسلمين، كما أن عثمان دخل دون عمر عنصر.
ولكن على كل حال هم الخلفاء الراشدون المهديون كما في
الحديث المعروف أن النبي ﷺ قال: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء
الراشدين المهديون من بعدي تمسكوا بها، واعتدوا عليها بالنواخذة،
وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بذعة ضالة»(3).
واعتمد أهل العلم في اعتبار ما من الخلافة على هذا الحديث.
وقال في أبي بكر وعمر: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر
وأبي بكر»(4).

____________________
(1) الواسطة ص 370.
(2) روي هذا عن أبي بخسيس وآدم بن حنبل والدارقطني رحمهم الله، السنة
للخلال 2/396، ومجموع القتاوى 4/426، و435، ومنهاج السنة 2/72.
(3) تقدم تخريجه في ص 373.
(4) رواه أحمد 5/382، والترمذي (3662) وقال: حسن -، ابن حبان
(3662) والحاكم 3/75 من الحديث حليفة
 فأمر بالاقتداء بهما، واتباع سنة الخلفاء الراشدين، فكل ما سئله مما لا يخالف ما جاء عن الرسول فإن على الأمة أن يتبوعهم في سنتهم، فهم أحرى بالصواب من غيرهم، حتى قال بعض أهل العلم: إن إجماع الخلفاء الأربعة حجة(1)؛ لأنهم لا يكادون يجمعون على خطأ، ولا أذكر أنهم أجمعوا في مسألة وكان الصواب في خلافها.

(1) روضة الناظر 2/474، وأصول الفقه 2/412.
العشرة المبشرون بالجنة

قوله: «أوَّلًا العُشُورَةُ الَّذِينَ سَمَّاهُم رَسُولُ الله ﷺ، وَبِشَرِّهِمْ بِالجَنَّةِ عَلَى مَا شَهِدُ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ، وَقُولُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَّرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيُّ، وَتَلَالَةُ، وَالْزَبِيرُ، وَسَعِيدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُفُوَّ، وَأُبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْجَرَاحٍ وَهُوَ أَيْمَنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَجْمَعُينَ».  

بعدما ذَكَرُ الطَّحاوِيُّ ﷺ اعتقاد أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الخِلْفَاء الرَّاشِدِينَ، وَأَنَّهُمْ خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ وَاَفْضُلُهَا، وَهُمْ فِي الْفَضْلِ عَلَى مَرَاتِبٍ عَلَى تَرتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ، وَيُبَيِّنُهُمْ فِي الْفَضْلِ بَقِيَةِ العُشُورَةِ، وَلِهَذَا أَرْدَف الطَّحاوِيُّ ﷺ الكِلامُ فِي الخِلَافَةِ الرَّاشِدِينَ بِذَكَرِ فَضْلِ بَقِيَةِ العُشُورَةِ فِيْقُولُ: إِنَّ الْعُشُورَةِ الَّذِينَ شَهِدُ لَهُمْ الرَّسُولُ ﷺ بِالجَنَّةِ نَشِئُدُ لَهُمْ بِشَهَادَتِهِ إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا لَّهُ ﷺ، وَأَنَّ مَا أَخْرِجَهُ الْحَقُّ، فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدٍ بْنِ زَيْدِ ﷺ أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «عُشرَةُ فِيِّ الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَّرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيُّ، وَالْزَبِيرُ، وَتَلَالَةُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأُبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْجَرَاحٍ، أَبِي وَقَاصٍ، وَسَعِيدٍ بْنُ زَيْدٍ»۱۱.

وَقَدْ وَرَدَّ لَكُلِّ مِنْهُمْ فَضْيَةً، بَلْ فَضْيَاتٍ جَاءَتْ فِي الأُحَادِيثِ كَفَضِيَّاتُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَّرِ خَاصَّةً، وَفَضْيَاتُ عُثْمَانِ وَلَعْليَ، وَالْزَبِيرِ، وَهُوَ كَذَا، وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الطَّحاوِيُّ ﷺ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَمِينٌ هَذِهِ الأُمَّةِ، فِي حَدِيثِ حَذِيفَةِ ﷺ: «جَاءَ أَهْلُ الْأُجُورِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا: ابْعَثْ لَنَا رِجَالًا أمِينًا، فَقَالُ: لَبَعْثُ إِلَيْكُمْ رِجَالًا أمِينًا حَقًّا أَمِينًا»۱۱.

۱۱ تَقْمِذُ فِي صَ ۲۱۹.
فاستشرف لها الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح(1). فهذا يدل على فضيلته له، وأن له تميزًا في هذا الشأن، وإلا فالأمانة صفة كل مؤمن.

وقد ثبت تبشير أبي بكر وعمر وعثمان بالجنة في غير هذا الحديث في حديث أبي موسى رضي الله عنه في الصحيحين «كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطن المدينة، فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتح له أبو بكر، وبشرت له بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتح له أبو بكر، وبشرت له إذا هو عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: افتح له وبشره بالجنة على بلوي تصيبه، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان(2).

وقد وقع كما أخبر، فقد ابتلي عثمان بأهل الفتنة الذين ثاروا عليه، وطعنوا في ولائه، وحاولوه في داره حتى انتهى أمرهم إلى قتله. فهؤلاء العشرة ﷺ لهم فضيلة على سائر الصحابة، وأفضلهم الخلفاء وترتيبهم في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة، وأما بالنسبة للستة فلا يفضل بعضهم على بعض، هذا هو ظاهر هذه الأحاديث؛ لأن الفضل موقوف على الدليل.

وقد تقدمت هذه المسألة(3)، لكن هنا بمناسبة ذكر الخلفاء الراشدين وبقية العشرة، فهم من جملة من يشهد له بالجنة، وليست هذه الفضيلة مخصصة بهم، بل شهد الرسول ﷺ لثابت بن قيس، والحسن والحسين، وعكاشة بن محصن؛ بل نشهد بالجنة لكل من شهد بيعة الرضوان؛ لقوله تعالى: {لَتَرَى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ عَنَّىَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا بَيَاءُونَكَ} تحت(4).

---
(1) رواه البخاري (2438)، ومسلم (2420).
(2) رواه البخاري (2693)، ومسلم (2403).
(3) ص 219.
(4)
النَّجْرَةَ فَقِيلَ مَا في قَلْوِهِمْ نُؤُولُ التَّكَبِّيِّنَةَ عَلَيْهِمْ» [الفَتْحَة١:٨]، ولقوله

«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» (١).

والرافضة يبغضون العشرة إلا عاليًا، فهم يبغضون التسعة من العشرة، ومن حمقاتهم أنهم صاروا يكرهون لفظ العشرة، ويشاءونه به، ويتجنبون مبالغة في بعض أولئك العشرة، مع أن العدد ليس متعلقًا لمدح ولا ذم، فقد يكون لمحمود ومذموم، وطرد هذا أن يبغض لفظ تسعة بسبب التسعة الذين هم من قوم صالح (٣٠٢) في الإسلام. يشبّهُ رهطًا بِيْضَدُوْتِهِ في الأَرْضِ وَلَا يُصْلِّحُونَ [النَّسْمَة١:٩٨]، أفيصح في عقل قاعل أن يهجر عدد التسعة، وأن يشاءم به؛ من أجل أنه عدد أولئك الرهط؟


(١) انظر تخرج هذه الأحاديث في ص ٢١٩ و٢٢٠ و٢٥٧.
(٢) ٤٠/١.
منهج أهل السنة
في أزواج النبي ﷺ وأهل بيته

وقوله ﷺ: "ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواج الطاهرات من كل دنس، وذريّاته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق.

هذا تأكيد لما سبق من قوله: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تُكرّط في حب أحد منهم، ولا تبتّ يده من أحد منهم، وبغض من بغضهم، وبغير الخير يذكّرهم، ولا تذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"، فإن إحسان القول في الصحابة يكون بذكّرهم بفضائلهم، وبالترضي عليهم، وبعرفة أقدارهم، وإحسان القول فيهم.

وقوله: "أزواجه" عطف الأزواج على الأصحاب من عطف الخاص على العام، فإن أزواج رسول الله ﷺ لهن من الصحابة ما ليس لغيرهن من نساء المؤمنين؛ للعلاقة الزوجية.

وقوله: "الطاهرات" المنزهات البريئة من كل دنس يعيب شرفهن وفضلهن، وزوجات الرسول ﷺ شمل كل من مات عنهن وهن تسع، ومن ماتت وهي في عصنها ﷺ، فهللاء كلهن أمهات المؤمنين، فمجموعهن إحدى عشرة: أولهن خديجة بنت خويلد وقد توفيت في حياته ﷺ بِمَكَّة قبل الهجرة، وزينب بنت خزيمة أم

(1) ص 1356.
منهج أهل السنة في أزواج النبي ﷺ واهل بيته

المساكين وقد توفيت في حياته، وبقية النسّ (1) مات النبي ﷺ، وهنّ في عصمه.


وقال تعالى: «فِي نَسَاءِ الْيَهَوَةِ مِنْ يَأْثِرُ يُفْضِكَ مَكَابِسَ يُصِيبُ عِدَّةً أَجْمَعِ الْيَهَوَةَ فَمَلَأْنَهَا مَكَابِسٍ وَمَلَأْنَهَا مِكَانٍ» [النساء: 1] ومن يثبت منها يثبت منها ﷺ المؤمنين، وسلم عليهم السلام، وستدخلنّ في جَنّةِ الْيَلِيشِينَةٍ وَسَيَضْعَفُونَ لِلنَّاَفِصِّينَ وَتُغْلَبُونَ بِمَآ أَعْلَمُونَ وَهُمْ يُعَلَّمُونَ {1}، {4).

فنساء النبي ﷺ، لهن من الفضل ما ليس لغيرهن؛ لعظم صلتهن وصحبتهم للنبي ﷺ، وأفضلهن خديجة وعائشة فقد ثبت لهما من الفضائل ما ليس لسائر أمهات المؤمنين، فهن يشتركن في أنهن أزواج النبي ﷺ، وأنهن أمهات المؤمنين، ويشملهن هذا ثناء العلماء: «لِسْتَنَّ سَكَانُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» [الأحزاب: 22] فمن العلماء من قال: خديجة أفضل (3)؛ لأنها أول المؤمنات، بل قبل: إنها أول من آمن به كما

(1) ونها: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم حبيبة، وميسرة بنت الحارث، وصفية بنت حبيبة، وزينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وجريذية بنت الحارث، - رضي الله عنهن -
(2) منهج السنة 4/1369.
(3) فتح الباري 7/139، ورجحه، وهو اختيار المؤلف في شرح الواسطة ص1271.
جاء في قصة بداء الوحي(1)؛ وثبت في الصحيح: "أن جبريل أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت عنها إنا في إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ من ربي ومني، ويهشرا ببيت في الجنة من قصب لا ضحبح فيه ولا نصب"(2). وقال النبي ﷺ: "خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد"(3).

وصل بعض أهل العلم عائشة، لأنها عاصرت الدعوة ونزل الشرائع، وتلقت وحفظت من العلم الذي جاء به النبي ﷺ ما لم تدركه خديجة، وجاء في فضلها مثل قوله ﷺ: لما قيل له: "أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة"(4) وجاء فيها الحديث الصحيح: "فضل عائشة على النساء كفضل الزريد على سائر الطعام"(5).

وجمع بعض أهل العلم بين القولين فقال: إن خديجة أفضل من وجه، فلها تأثير في أول الإسلام بنصر وتأييد النبي ﷺ ومواساته، ولها منته المنزلة العالية، وهي أم أكثر أولاده، وكان ﷺ يذكرها وينهو بها، حتى قالت عائشة: "ما غَلَّت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غُرِت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ أكثر ذكرها، وربما ذبح الشأة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قُلِّت لِهَ: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولده(6). وعائشة أفضل من جهة حمل العلم وتبلغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة(7).

---

(1) تقدم في ص 89.
(2) رواه البخاري (7870) ومسلم (2432) من حديث أبي هريرة ﭘ.
(3) رواه البخاري (7872) ومسلم (2437) من حديث علي ﭘ.
(4) تقدم في ص 2366.
(5) رواه البخاري (7871) ومسلم (2431) من حديث أبي موسى الأشعري ﭘ.
(6) رواه البخاري (7818) واللفظ له ومسلم (2435).
(7) هذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن القيم. مجموع الفتاوى 4/393.
فهذا بعض ما يتعلق بزوجات النبي ﷺ، وهن ميراث، وليس معنى ذلك أنهم مخصومون، فليس أحد مخصوم بعد النبي ﷺ.

وقوله: «ودّرّبته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق».

ذرية الرسول ﷺ هم: أولاده من صلبه وكلهم ماتوا في حياته إلا فاطمة فضيلة أولاد النبي ﷺ.

ولا شك أن ذريته ﷺ يصدق عليهم هذا الوصف وأنهم مبرون من الأرجاس والعيبات التي تدنى الأخلاق، ويدخل في هذا الإسم من ذرة النبي ﷺ أولاد فاطمة ﷺ وما تناسل منهم، فذرية الحسن والحسين كلهم من ذرة النبي ﷺ، قال الله تعالى في إبراهيم الخليل:

«وَرَسَّلْنَا لَهُ إِسْكُنُّ وَبَعْقُوبَ حَسَنَ اِيمَانَ وَبَعْدُ هُدِينَا مِن قَبْلَ وَمِن ذَرِّيَّتِهِ دُأْوَدْ وَسَلَامَانَ وَأَبُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهُدُورْ وَكَذَلِكَ نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ وَظَاهِرَتَيْنِ عِينَصِمْنِ وَإِلَيْنِ اسْتَدَلُّوا عَلَى الْكُلُّيَّةِ وَيُوسُفَ وَرَبُّوَا وَحَسَبُوا فَضَلًا عَلَى الْكُلُّيَّةِ» (الأعداد) كل هؤلاء الأنبياء الذين جاءوا متأخرين عدهم الله من ذرة إبراهيم ﷺ.

فهكذا ما تناسل من أولاد الحسن والحسين كلهم من ذرة النبي ﷺ، وبهذا نحتاج إلى احتراس؛ لأن قول الطحاوي: «ودّرّبته المقدسين من كل رجس» ليس على إطلاقه؛ لأن فيهم الحسن والمسيء، كما قال ﷺ في ذرة إبراهيم: «وَرَسَّلْنَا لَهُ إِسْكُنُّ وَبَعْقُوبَ حَسَنَ اِيمَانَ وَبَعْدُ هُدِينَا مِن قَبْلَ وَمِن ذَرِّيَّةِهِ دُأْوَدْ وَسَلَامَانَ وَأَبُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهُدُورْ وَكَذَلِكَ نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ وَظَاهِرَتَيْنِ عِينَصِمْنِ وَإِلَيْنِ اسْتَدَلُّوا عَلَى الْكُلُّيَّةِ وَيُوسُفَ وَرَبُّوَا وَحَسَبُوا فَضَلًا عَلَى الْكُلُّيَّةِ» (الصفات).

وقال ﷺ: «وَإِنَّهُمْ يَعْقُوبُ يَمُنُّ يَهُودَيْنَ وَعَدَّلَهُمْ قَالَ إِنَّمَا أَوْلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِسْرَائِيْلَيْنِ» (البقرة) فمن ذرة إبراهيم المؤمن والكافر، فإن إسرائيل كله من ذرة إبراهيم وكذلك ذره
٣٧٨

شرح المقيدة الطحاوية

إسماعيل هم من ذرية إبراهيم ومنهم المؤمن والكافر، والمحسن والمسيء.

وهكذا ذريه محمد ﷺ وهم من تنازل من ذرية الحسن والحسين فيهم العلماء والصالحين، وفيهم من هو خلاف ذلك، فليس كل من كان من ذرية الحسن والحسين - وهم الذين يُسمون بالأشراف - يكون مبرأ، فهذه عبارة لا تسُلّم بهذا الإطلاق، فيجيب قصراً على ذرية الرسول ﷺ الأدنين ممن ثبت فضلهم، أما من بعدهم فهم كغيرهم من الناس معرضون، ومتنوعون.

و قوله: «فقد بريء من النفاق».

لأن بعض الصحابة والطعن فيهم، وفي أزواج النبي ﷺ ولا سيما عائشة، ورميها بما أرها الله منه؛ هو من شأن المنافيقين، وقد حمل عبده الإفك رأس المنافيقين عبد الله بن أبي جعفر ﷺ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة ينكرَ لا تُسْتَرَّ فإنكم بُعدُ وَمَا تَعْلَمُونَ [النور].

وأشار الشارح ابن أبي العزٍ إلى أن أصل الرفض الذي هو بغض الصحابة وتكفيرهم والغلو في علي ﷺ وذرئية أسمه المنافيقون، والمؤسس الأول لمذهب الرفض هو عبد الله بن سبا المبهوضي الذي بَدَّر بذرة الفتنة بين الناس وألبهم على عثمان ﷺ حتى قُتِل، ثم سعى في فئته أخرى وهي الغلو في علي ﷺ.

 سبحانه الله العظيم! في ذلك العصر الزاهي وقرب عهد النبي ظهر هذا المذهب الكفري، وهو تأليه علي ﷺ، فحربه علي ﷺ قومًا أتوه فقالوا: أنت هو! فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت رينا! فأمر بنا فأججت فأججوا فيها. وفيهم قال علي ﷺ: لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قتباً(٢)

١٠٨(١) ص٣٨

(٢) انظر: التنبيه والرد ص٩٢، والفصل ٣، ١٢٠، وتاريخ دمشق ١٠٥/٤٧٥، =
وبقي هذا المذهب المعلون مذهب الرفض والغلو في علي وأهل البيت، واسمهم الذي يسمون به قديمًا وحديثًا: الشيعة. والشيعة يقسمهم العلماء ثلاثة أقسام إجمالية(1)، إلا فهم فرق كثيرة:

الأولى: الغلاة، وهم طوائف منهم: السبئية، والقرامطة، والإسماعيلية، والنصرية.

الثانية: الإمامية، ومنهم: اللائعة عشرية، وهم كذلك طوائف.

الثالثة: يعرفون بالفضلة. وهذه الأقسام الثلاثة كانت قد ظهرت في عهد علي ﷺ، فالغلاة المؤهلون لعلي ﷺ.

والطائفة الثانية: السبائة الذين يسبون أبا بكر وعمر، وكان رأسهم عبد الله بن سبأ، فلما بلغ علیًا ذلك طلب قتله فهره منه.

والثالثة: الفضلية الذين يفضلون علیًا على أبي بكر وعمر لكنهم لا يسبونهما، وقد قال علی ﷺ: «لا أوثى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتي»(2).

وقد ذكر العلماء أن سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم أن الشيعة الغلاة طلبوا من زيد بن علي بن الحسين أن يبتأ من أبي بكر وعمر، فقال: كيف أبتأ منهما وهما وزيراً جديًّا! فرفضوه فسموا الرافضة(3).

(1) مجموع الفتاوى 4/35، ومنهج السنة 2/233، وأصل قصة التحرير في البخاري (7917) عن ابن عباس ﷺ، وانظر فتح الباري 6/101.

(2) رواه عبد الله بن أحمد في السنة 6/522، وابن أبي عاصم في السنة (1291)

(3) مجموع الفتاوى 4/435، ومنهج السنة 2/55/62، والبداية والنهاية 106/12.
وزيد بن علي بن الحسين هو الذي تتسبب إليه فرقة الزيدية.
والرافضة الغلاة هم الذين تعرف طوائفهم بالباطنية؛ لأنهم يظهرون
الإسلام، كما يقول بعض أهل العلم: "يظهرون الرفض ويبدون الكفر
المحض" (1) فحقيقة أمر الباطنية أنهم لا يؤمنون بالله، ولا بملائكته
ولا رسوله ولا يؤمنون ببدأ ولا معاد، ولا يؤمنون بالأنبياء ولا يؤمنون
بفضل أحد، حتى لا يؤمنون ولا يعرفون بفضل علي ﷺ; فإذا جددوا
وكفروا بالرسالات فهل يبقى شيء؟ فما يدعونه من موالاة علي وتعظيمه
والعلو فيه كل هذا تضليل للسنج من الناس، وإلا فليس عنهم شيء من
ذلك.
ولهذا نقل الشارح ابن أبي العز عن القاضي أبي بكر بن الطيب
طريقة الباطنية في دعوتهم، أنهم "قالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت
من تدعوه مسلمًا أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل
من جهة ظلم السلف لعلي، وقتلهم الحسين والتربي من تابٍ وعدي ونبي
أميه ونبي العباس، وأن عليًا يعلم الغيب! يُفحص إليه خلق العالم!...
فإذا أنت من بعض الشيعة عند الدعوة إجابه وردًا أوقفته على مثالب
علي وولده" (2).

لأن مهمة الباطنية هو إخراج المسلم عن ملة الإسلام، لكنهم
يعمرون فيه مبدأ النفاق والتقية، ولهذا مناهضهم وأقوالهم تكون
أسرارًا.

وقد ذكر العلماء أقوالهم ومذاهبهم في كتب الملل والنحل،
ك"الملل والنحل" للشهرستاني (3)، وألف فيهم مؤلفون كالغزالي له كتاب:

---
(1) مجموع الفتاوى 9/134 و11/581.
(2) ص 40، وكذا نقله شيخ الإسلام في منهج السنة 8/479.
(3) 140/1.
منهج أهل السنة في أزواج النبي ﷺ وأهل بيته

فضائح الباطنية

وسموا بالباطنية؛ لأنهم يزعمون أن للنصوص والشروط معاني باطنة تختلف ظاهرها، فجعلون للشروط معاني باطنة تختلف ما يعرفه المسلمون منها، ففسرو القرآن بمعاني باطنة، من ذلك قولهم: ﴿مَّاْرِيْنَكُمْ بَيْنِيَّ وَبَيْنِيَّ شَرَّاكَةَ الرَّحْمَنِيَّاتِ﴾ (الرَّحْمَنِيَّاتِ) [الرَّحْمَنِيَّاتِ] أي: علي وفاطمة يخرج يبنهما الولو والمحجات (الحسن والحسين).

(السند: 1) أبو بكر وعمر! فهذين من تفسيرات الباطنية.

ومن تأويلاتهم للشروط قولهم: الصيام هو كثمان أسرار الباطنة، والصلاة هو معرفة تلك الأسرار، والحج هو السفر إلى طواغيتهم وشيوعهم.

إذاً الباطنية ملاحظة مناققو وكفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى.

(1) وهو مطبوع، وقد ذكر شيخ الإسلام جملة من الكتب التي ردت عليهم.

(2) مقدمة في أصول التفسير ص ٢٣، رسالة في علم الظاهر والباطن ص ٢٣٠، ومنهج السنة ٤٠، ٤٠٤.

(3) التدريمية ص ١٦٠، ومنهج السنة ٤٥٢.
احترام علماء الأمة من السلف
ومن اقتفاي أثرهم

وقوله: «وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين
- أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر - لا يُذكَرون إلا بالجمل، ومن
ذكرهم سوى فهو على غير سبيل».

أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أئمة الهدى يجب أن
يعرف لهم قدرهم، ويجب أن يعاملوا بما تستوجبه منازلهم من العلم
والدين، ويذكر الطحاوي حق العلماء في هذه الجملة مناسب جدًا؛ فإنه
ذكر ما يجب للصحابية، وأهل بيت الرسول ﷺ ثم أردف ذلك بعد ما
يجب لعلماء هذه الأمة من السلف من الصحابة، ومن جاء بعدهم،
ولهذا قال: «ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر». أهل الخير:
العمل الصالح، وأهل الآثر: الذين يقفون آثار النبي ﷺ ويتفرون آثار
من سلف قبلهم من أهل العلم والدين، وأهل الفقه والنظر فهم العلماء
الفقهاء العباد الصالحاء.

ولهذا، الله تعالى قد نَوَى بفضل العلماء في كتابه حيث قال: «شهد الله
أنتم لا إله إلا هو وحده لا شريك له» [الأنبياء:18] أولو
العلم: أصحاب العلم الشرعي، وهم على مراتب، فتدخلهم الأئمة،
كما يدخل فيهم العلماء من أتباعهم، وقال ﷺ: «يرفع الله أَلْدَيْنَ عَامِنَا
ينكمَ وَالذين أَوْثَىَ أَلْيَلَرَ سَكَنَتُهُمَ» [المجادلة:11].

فخصص العلماء برفع الدرجات، وقال ﷺ: «إِنَّمَا يُقَلِّدُ اللهُ مَن
يُؤْتُهُ الْعُلُوُّ» [فاطر:28] فخصص وحصر خشيته بالعلماء - أي: العلماء
الله وشرعه - وكل دليل يدل على فضل العلماء، وفي حديث أبي الدرداء، عن النبي الذي رواه الترمذي وغيره وفيه: "إن العالم ليستغفر له من فتى السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العلم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبية، وإن الأنباء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ واحد".

فالصحابية فيهم علماء، وفي التابعين وتابعين علماء، وهم حملة هذا الدين فإنه "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، واتخاذ المبطلين، وتأويل الجاهلين".) فهم المبلغون عن الله دنيه، والقائمون بأموره على مراتهم في العلم والدين.

وقد ضرب النبي ﷺ مثل للعلم والعلماء، كما في الصحيحين من حديث أبي موسى أن النبي ﷺ قال: "مثل ما بشعث الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأثبت الكلا والعشب الكثير، وكانت منها أجداد أمسكت الماء، ففتح الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة

(1) رواه أحمد 196/5، وأبو داود 274/1، والترمذي 282/4، وأبو ماجه 223/4، وأبو حبان (88)، وقال الحافظ في الفتح 1:160/1: أخرجه أبو داود والترمذي وأبي حبان والحاكم مصححًا من حديث أبي الدرداء، وحسن حمزة الكلاني وضعه غريبًا بالأضطراب في سنده لكن له شواهد يقوى بها وانظر: العلل للدارقطني 216/7، وتهذيب السنن للمنذري 243/5، والتلخيص الحائر 300/5، والمقاديص الحسنة 738/7.

(2) روي هذا مرفوعًا عند العقلي في الضعفاء 9/11 و10، و4/6، وأبي حاتم في الجرح والتعديل 17/2، والطبراني في سنن الشافيين 344/1، وأبي عدي في الكامل 2/273، والبيهقي في السنن الكبرى 2/209، والخطيب في شرف أصحاب الحديث 2/38 و29 من مرسال إبراهيم العبدي، ومن حديث عدد من الصحابة. ونقل الخطيب تصحيحه عن الإمام أحمد، ونقل السخاوي في فتح المغيث 19/2 عن عدد من الأئمة تضفيه.
آخره إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تثبت كلا، فذلك مثل من قُفْهٍ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به؛ فتعليم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به (1).

قال العلماء في شرح هذا الحديث: إن حملة العلم نوعان:
علماء نقل ورواية، وعلماء فقهاء، وليس المراد بالفقهاء أولئك المعنيون بأقوال من يتبعونه من الأئمة؛ فإن الغالب على هؤلاء التقليد:
بل المراد الفقهاء الذين جمعوا بين معرفة النصوص والفقه والفهم والاستنباط. فقالوه: "فكان منها طائفة طيبة قبّلت الماء فأتبت الكلا، والعشب الكثير" هذا مثل للعلماء الفقهاء.

وقوله: "وكأن منها أجداد أمسكت الماء" هذا مثل حفاظ السنة.

ولهذا قال الرسول ﷺ عندما خطب بمنى: "قلبُ مُلِّبِّغُ الشاهدُ الغائبّ، قربُ مُلِّبِّغُ أوّعى من سامع" (2) ولهذا قال ﷺ: "فذلك مثل من قُفْهٍ في دين الله ونفعه ما بعثني الله به".

أما من أعرض فمثله في قوله: "طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تثبت كلا، فلم تنفع بهذا الغيث، ولهذا قال: "ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به".

فوجب على سائر الأمة أن يعرفوا ل호لاء العلماء فضلهم؛ لأنهم حملة هذا الدين، والقائمون به، فوجب محبتهم لعلمهم وديثهم وإيمانهم، والحب في الله واجب لجميع المسلمين، لكن يجب إنزال كل أحد منزلته، الصحابة لهم منزلة، وحبهم هو من الحب في الله، ولكن يجب لهم من المحبة والتقدير والذكر الجميل ما ليس لغيرهم، وهكذا العلماء يستوجبون من المحبة والإجلال والذكر الجميل والثناء العاطر ما لا يستحقه من دونهم، وأصل الحب في الله تابع لمحبة الله، فمن كان

(1) رواى البخاري (799)، ومسلم (2282).
(2) رواى البخاري (1741) - واللفظ له - ومسلم (1769)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه.
أقرب إلى الله وأقوم بدين الله، وأنقى الله كان له من الحببة والإكرام ما يليق بمقامه.

وقد انقسم الناس في العلماء ثلاثة أقسام:

طرفان ووسط، فطائفة تغلوا في من تعظمه من العلماء؛ لأن لكل طائفة من المقلدين إماماً ينتمون إليه، وهذا الغلو يتمثل بالتعصب لأقوالهم، وتقديمها على أقوال غيرهم؛ فالمتعصبون من المتمذهبين لا يعتبرون أقوال الأئمة الآخرين إلاما يتسكنون بأقوال إمامهم الذي بقلدونه؛ بل ويُعرّض نصوص الشريعة على قول إمامه فما وافقة قبله، وما خالفها تأوله، وتحمل له أنواع التفسير والتأويل؛ ليدفع معارضتها لقول الإمام، ولهؤلاء مذمومون، ولهم شبه بين قال الله فيهم: آلمكوا آلمكم وجعلهم أربابًا من ذُوتِ عِلْمٍ» (التوبة: 31).

ولهذا عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب النبييًا في كتاب التوحيد عوانته: «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله فقد اتبعهم أربابًا من دون الله» (1).

ويقابل هؤلاء: من لا يعرف للعلماء قدرهم، ولا يعتبر أقوالهم، ولا ينظر فيما استنبطوه من نصوص الكتاب والسنة؛ بل يجعل نفسه ندا لهم؛ بل يتقصصهم فيما يخالف هواه ورأيه، ويتعن عليهم فيما اجتهدوا فيه واستنبطوا من النصوص، وهذا قد حُرم من الانتفاع بهم؛ لأنه متبوع لهؤلاء منصب لرأيه، وإنما يأخذ من أقوال العلماء ما وافق رأيه.

مثلما يفعل الآخرون في النصوص حين يأخذون منها ما يوافق آراءهم ومذاهبهم، فتجد أحيثم يستدل بالآية أو الحديث حين يوافق المذهب الذي مشى عليه، وما جاء من النصوص معارضًا لمذهبه ورأيه دفعه بكل وسيلة؛ إما بالتكذيب أو الرد، وإما بالتحريف الذي يسمونه تأويلًا، كما تفعل طوائف المبتدعة، فهذا منهجهم في النصوص، وهو

(1) ص 72.
منهج المعتصمون من أهل المذاهب بالنسبة لما خالف مذهبه.
فهذان فريقان على طرفي نقيض: المعتصمون للأئمة المقدمون لأقوالهم على كتاب الله وسنة رسوله، والمتخصصون المستفون بأهل العلم من السلف الصالح ومن سار على منهجهم وطريقتهم. وبين ذلك القول الوسط، وهو الذي عبر عنه الإمام الطحاوي وقصده إليه، وهو الاعتراف بفضل العلماء، وإنزال كل منزلته، والاندفاع بعلمهم وفوههم، فمن كان قاصرًا عن فهم الأدله فليس له إلا أن يقلد من يذن بعلمه ودئيه من أهل العلم.
لكن الشأن في من قادر على فهم النصوص؛ فهذا عليه أن يتفع بفهم العلماء، ويرجع إلى أقوالهم، ولا يقصر نفسه على معين يقلده ولا يخرج عن أقواله ولا يتفت إلى أقوال غيره، بل عليه أن يستفيد من كل الأئمة، وينبز من أقوالهم ما تشهد له الأدلة من الكتاب والسنة، فأقوال الأئمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:
الأول: ما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة، هذا واجب الاتباع.
فلأيمن ذلك إلى الأصل الصحيح مهما كان قائله منهم.
والثاني: ما خالف الدليل فيجب تركه، وهذا ما أوصى به الأئمة المتبعون تلاميذهم.
والثالث: أقوال لم تظهر مخالفتها للأدلة، ولا موافقتها لها، فهذين يقول فيها المحققون: إنها سائغة الاتباع، لا واجبة الاتباع ولا ممنوعة الاتباع؛ لأنها موضع اجتهاد.
ومما يجب اعتقاد أن هؤلاء العلماء ليسوا مصوصين، فلهذا يصيبون تارة ويخطؤون أخرى.
ولكن الأئمة المعروفون يجب اعتقاد أنهم لا يتعمدون مخالفة

---
(1) انظر: آداب الشافعي ومناقبه ص 93، ومختصر المؤمل ص 88، وإعلام الموقعين 2/ 200.
احترام علماء الأمة من السلف ومن اقتضى أثرهم

الدليل حاشاهم من ذلك، ومن ظن ذلك فهو متجن عليهم ومسيء للظن بهم، فإذا ثبت عن أحدهم أنه خالف دليلا مكتوبا أو سنة، فوجب الاعتذار عنه بما يمكن.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة صغيرة اسمها: "رفع العلم عن الأئمة الأعلام" (1) ، وذكر أعداد العلماء في مخالفته بعضهم لبعض الأدلة، وأهمها: عدم بلوغ الدليل، فقد يخالف الدليل؛ لأنه لم يبلغه.

أو بلغه من طريق ضعيف، فيعتقد أن النبي لم يقله.

أو بلغه وصح عنه لكنه لا يعتقد أن المراد به هذا الحكم؛ ففيهم فهمًا قد يكون خلاف ما يقتضيه ظاهره، فتكون متأولا للحديث باجتهاد لا عن هوى.

أو يعرض له ما يجعله يظن أنه منسوخ.

فهذه أهم الأعذار التي يعتذر بها عن العلماء إذا خالف أحدهم دليلا من كتاب أو سنة. ومعروف أن مخالفته الآية لا تكون إلا بتأول؛ لأن القرآن قطعى الثبوت.

وقوله: "ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل".

قال تعالى: "وما يشاقي الرسول من بعد ما نَبِّئَنِّي اللهُ وَسَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيِّيِّبَ الْمَوْلِيَّينَ توَلَّى، ما تَوَلَّ تَضَلَّعَيْنَ جَهَنَّمَ وَسَأَلَتُ مَصِيرًا" ف(النساء).

فهذا وعيد لمن انحرف عن سبيل أهل العلم والدين، وهذه الآية قد استدلال بها الشافعي على حجة الإجماع (2)، فمن عدل عن سبيل ما أجمع عليه المؤمنون؛ فإنه متوعد بهذا الوعيد.

(1) مطبوعة مفردة مرارًا، ضمن مجموع الفتاوى 201/312 - 390.
(2) تقدم توثيقه في ص 276.
قال الشارح ابن أبي العز في معرض ثنائه على العلماء وأن الله: جعلهم بمنزلة النجوم يهدي بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هديتهم ودراعتهم؛ إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها إلا المسلمين؛ فإن علماءهم خيارهم؛ فإنهم خلفاء الرسول من أمه، والمحبون لما مات من سنته (1).

وهذه المقدمة ليست مستقيمة عندي؛ فأمم الماضية كبني إسرائيل فيهم العلماء المهمدون المهتدون، قال تعالى: «وَقَالَ رَبُّهُمْ لَنِعْمَاءَ إِنَّكُمْ تُخَذِّلُونَ» [السجدة: 14]، و«وَقَالَ رَبُّهُمْ لَنِعْمَاءَ إِنَّكُمْ تُخَذِّلُونَ» [الأعراف: 9]، وكذلك بالعكس فهذه الأمة فيهم العلماء المهمدون المهتدون المقدّم بهم الذين يصدق عليهم ما جاء من التنا على أهل العلم وأنهم ورثة الأنيباء، وفيهم علماء السوء؛ مثل أئمة أهل البغاء؛ فإنهم ليس لهم حظ من التنا الذي جاء في الكتاب والسنة للعلماء، فهذه الأمة فيها فرق ضالة، فلو خص هذا بعلماء أهل السنة فنعم، أما على الإطلاق أن علماء المسلمين هم خيارهم فلا يصح، ولا شك أن العلماء المعنيون الذين اتفقوا آثار نبيهم وآثار أصحابهم هم خير هذه الأمة بعد الصحابة.

فإنني أن تتوأى بتحصيل المزيد من علم الكتاب والسنة، ومهما بلغ الإنسان من التحصيل والعلم؛ فإنه لا يزال يطلب العلم والفائدة ويسأل العلماء، والعلماء يسأل بعضهم بعضًا، ويرجع بعضهم لبعض كما كان يفعل الأئمة الكبار في صدر هذه الأمة.

وينبغي للمسلم أن يكون متواضعًا لا يتأف عن أن يستفيد ممن فوقه، أو مثله، أو دونه، فقد يجد الفائدة عند من هو دونه في العلم وفي...

(1) ص 741، وهو منقول عن كلام شيخ الإسلام في أول رسالته: «رفع العلم» ص 237، وذكر في الإيمان الكبير ص 284: أن أصل الكلمة للشعبي ثم بين سبب ذلك.
السن، كما كان الأئمة يفعلون ذلك، فالحق والعلم ضالة المؤمن، فأين وجدتها قبلها وأخذها.

ويجب التعويل في تحصيل العلم على الكتب الموثوقة، ككتب السلف الصالح، والعلماء المعروفين الموثوقين، فإن الكتب والمؤلفات كثيرة ومتنوعة، ودخلتها أفكار ومذاهب بديعة، فيجب على طالب العلم أن يكون عنه أصل يميز بين النافع والضار والحق والباطل، فإن المذاهب البديعة دخلت في كثير من كتب التفسير وشرح الحديث، وفي سائر المصادر.

فينبغي لطالب العلم أن يجتهد ويتحرى الكتب الموثوقة، كتب الأئمة المشهورين بالعلم والدين والتحقيق والأصالة والسلفية، كما أن عليه أيضًا أن يستفيد ويرجع إلى من يثق بعلمه ودينه، ويتحرى للحق، وطريق السلف الصالح.
مرتبة الولاية دون النبوة

قوله: "ولا نفصل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء ، ونقول: نفيّ واحد أفضل من جميع الأولياء".

هذا رد على ملاحظة الرايي، ومنهم الاتحادية أصحاب وحدة الوجود الذين يشيعون الملل الملل ابن عربي صاحب المقالات الكفرية في كتابه المشهور المعروف كالفتوحات المكية وقصص الحكمة (1)، فإن من ضلالاته التي تضمنتها كتابه قوله: إن الولي أفضل من النبي، وعندنا أن المرابط ترتب هكذا: الولاية أعلاها، ودونها النبوة ودونها الرسالة، وذكرنا عنه بيّاً:

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي (2)

إذاً أُدّى هذا المرابط بزعيم الرسالة، وأعلاها الولاية، ومن أقواله الباطلة: إن النبوة ختمت - وهذا حق - والولاية لم تختم! صحيح أن الأولياء لا يزالون في هذه الأمة لكنه يزعم أنه هو خاتم الأولياء! وبناءً على ما تقدم من زعمه: أن الولي أفضل من النبي؛ فخاتم الأولياء أفضل من خاتم الأولياء! ما أعظمها من فرحة! وما أجرًا هذا الملل على الأقوال الباطلة المناقضة للشرع والعقل!

(1) طبعًا مرارًا حسبنا الله على من طبعها.
(2) مجمع الفتوى ٢/٢٢١، ومنهاج السنة ٥/٣٦٦. وذكر محققه الدكتور محمد رشاد
سالم أنه لم يجد هذا البيت في كتاب ابن عربي ووجد في كتابه "البطائف الأسرار": سماء النبوة في برزخ دون الولي وفوق الرسول.
يرى أن للأولياء خاتمًا، وليس للأولياء خاتم معين يقال: فلان هو خاتم الأولياء كما نقول: خاتم الأنبياء محمد بن عيد الله، لكن خاتم الأولياء هو آخر من يخلقه الله من أوليائه، لكنه ليس معروفًا على وجه التعيين.

ويزعم أنه تابع في الشرع الظاهر للنبي ﷺ وغير متابع له في العلم الباطن؛ فإنه يزعج يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك!

وهل هناك معدن يأخذ منه؟ فإن فنده الوجود كله شيء واحد.

وعين واحدة، فوجود كل موجود هو عين رب الوجود ﷺ، عما يقول الظالمون والملحدون علوا كبيرًا.

وذكر الشارج ابن أبي العز: وقال ابن عربي في فصوله: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللين فرأها قد كملت إلا موضع لينة فكان هو موضع اللينة، وأما خاتم الأولياء فالأبد له من هذه الروؤا فيرى ما مثله النبي ﷺ ويرى نفسه في الحائط في موضع لبينتين! ويرى نفسه تنطبع في موضع تبنك اللبينتين فيكمل الحائط! والسبب الموجب لكونه يراها لبينتين: أن الحائط لينة في فصيلة لينة من ذهب، واللينة الفصيلة هي ظاهره وما يتبعة فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في السر ما هو في الصورة الظاهره متبوع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللينة الذهبية في الباطن! فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى إليه إلى الرسول ﷺ قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه، فقد حصل لك العلم النافع.

فمن أكثر ممن ضرب لنفسه مثل بلينة ذهب، وللرسول مثل بلينة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟ ذلك أنانيهم: إن في صدورهم لا خِبْطَأُ مَّا هُمْ يَكُونُونَ [غافر: 56] وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟(1).

(1) ص ۷۴۴.
فلهذا يقول الطحاوي: «ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء»، وتقول: نبأ واحد أفضل من جميع الأولياء».
والنبي والولي والرسول بين هذه المراتب الثلاثة عموم وخصوص، فكل رسول نبي، وكل نبي ولي، فالرسول هم أفضل الأنبياء، وهم جميعًا أفضل الأولياء، وليس كل ولي نبيًا، والله تعالى قـد قـال: {آنت أولاً النبي لا حُرف علَّيكم، ولا حُرف علَّيهم} (يونس) فهذا هو تعريف الولي: كل مؤمن نقي؛ فهو ولي - وآما تعريف النبي والرسول فقد تقدم (1)، وهذا وصف ينطبق على الأنبياء بما فيهم الرسل، وينطبق على الصديقين والشهداء والصالحين، وهذه الآية لا نقول: إنها في خصوص الولي الذي ليس نبيًا، بل هي عامة: {آنت أولاً النبي لا حُرف علَّيهم ولا حُرف علَّيهم} (يونس) وأولى الناس بهذا الوصف هم النبيون والمرسلون.
فالنبي والرسالة تستلزم الولاية، ومطلق الولاية لا يستلزم النبوة والرسالة؛ لأنه ليس كل من يكون وليًا لله يكون نبيًا، فإذا قلنا: الولي: كل مؤمن نقي؛ فإن ذلك يعمل الأنبياء والمرسلين وغيرهم، لكن إذا قلنا: الرسول والنبي والولي؛ فإننا نريد بالولي: كل مؤمن نقي سوى النبيين والمرسلين.
إذاً فالولي في عبارة الطحاوي: «ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء» من غير الأنبياء.
وتقدم (2) أن أولياء الله طبقتان: مقتصدون وسابقون، أو نقول: مقربون وأصحاب يمين، كما ذكر الله ذلك في مواضع من القرآن: {فَلَمَّا كَانَ مِنْ السَّتَّاءِ} وَ{وَرَبَّاهُ} وَ{هُوَ الْكَبِيرُ} وَ{أَنَا إِن كُنْتُمْ} (137 ص. 237).
مرتبة الولاية دون النبوة

من أمْعَنِّم أَلْمِيِّنُونَ (الواقدة) وهكذا في أول السورة، وفي سورة الإنسان: "إِنَّ الْأَيُّوْرَ يُشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزْجَهَا قَافِقًا (8) عِينَانِ يُشْرَبُ وَيَعَاذُ الَّذِينَ يُجَابُونَهُ تَفْجِيْرًا (9) [الإنسان]، وهكذا في سورة المطففين ذكر الله هذا التصنيف لأولئك: "إِنَّ الْأَيُّوْرَ لَيْ تَصِيبُ عَلَى الْأَزْقَى يُشْرَبُونَ (10) إِلَى قُولِهِ: "وَفِي ذلِكَ فَلَيْتَنَا المَتْنِيْنَ (11) وَمَذَابُكَ يُشْرَبِ يَا أَلْمِيْلَنَّ (12) [المطففين].

---

هذه النصوص تشير إلى التصنيف والتقييم في سياق بعض السورaska للعلاقة بين الولاية والنبوة.
منهج أهل السنة في كرامات الأولياء

وقوله: «ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الشقائق من رواياتهم».

أي: أن أهل السنة يؤمنون بما جاء في الكتاب والسنة والأخبار من كرامات الأولياء، وما صح عن الشقائق في ذلك من رواياتهم.

والكرامات: يراد بها الأمر الخارق للعادة، والله تعالى يكرم أوليائه بأنواع الكرامات، ومن ذلك خوارق العادات، فيجري الله على يد من شاء من أوليائه بعض الأمور الخارقة للسنن الكونية، والعادة التي أجرها الله في هذا الوجود، فإن هذا الوجود يجري على السنن، وهذا بالنسبة لكرامات الأولياء، وكذلك بالنسبة لمعجزات الأنبياء حسب الاصطلاح المشهور.

ومعنى المعجزة في اللغة يعم كل خارق سواء كان على يد نبيٍّ أو على يد وليٍّ، فكل خارق، فهو معجز لمن لم يجره الله على يده، مما لا يدخل في قدرة العبد بحكم العادة.


ولكن في اصطلاح المتكلمين خوارق الأنبياء يسمونها معجزات,... حتى إن المعتزلة يقولون: إن النبوة لا تثبت إلا بالمعجزة، فقصروا.
ما تثبت به النبوة على المعجزة، وهي الأمر الخارق للعادات، ونتج عن قولهم ذلك - مع بطلانه وتقدم تفنيده - فني كرامات الأولياء، فقالوا: لا يجوز خرق العادة إلا لنبي؛ لأنه لو خرقت العادة لغير نبي لالتبس على الناس أمر النبي بالولي، فلا يحصل التمييز.

وأجيب على هذه الشبهة: بأن الرفي الذي تحصل على يديه الكرامة، وهي: الأمر الخارق للعادات لا يدعي النبوة إذ لو ادعى النبوة لم يكن وليًا، ولم يكن ما جرى على يده كرامه بل هو مجرّفاً وفتنة.

فهذا كان من المسائل التي نبه عليها أنها من مذهب أهل السنة: إثبات كرامات الأولياء، والمقصود: إثبات جنس الكرامات؛ لأنه ليس كل ما يذكر يكون ثابتاً، ويجب التسليم به.

فما يرى ويذكر من كرامات الأولياء منها ما هو ثابت في القرآن أو في السنة أو في أخبار صححة، ومنه ما يرى ولم تتحقق صحته ولا كذبه؛ فهذا لا يلزم التصديق به، كما لا يجوز نفيه بغير حجة.

ومن كرامات الأولياء التي في القرآن ما في قصة مريم وولادتها على عيسى عليه السلام؛ فإن ولادتها ليسي بلا أب خارق للعادات.

ومن كرامات الأولياء التي في القرآن ما جاء في قصة أصحاب الكهف حيث بقوا في كهفهم مدة طويلة، قال تعالى: «وَلَيَقَّدَسُواْ فِي كَهْفِهِمْ» (الكهف) بقوا في كهفهم يقلبهم بعدهم: «وَفَتَقَسَّمَهُمْ أَفْتَقَارًا وَهُمْ رَفُوعُ وَتَقْلُبُهُمْ ذَاتٌ مِّنَ الْأَلْبَابِ وَذَاتٌ أَلْسَمَالِ» (الكهف:18) وعاشوا هذه المدة الطويلة، بلا طعام ولا شراب، وبعد ذلك يستيقظون ويتحدثون ولم يشعروا بما جرى لهم بتقولهم: «كَأَيْنَ أَيْتَىْ يَوْمَأَوْ بَعْضُ» (الكهف:19).

وجماع صفات الكمال: الغنى والعلم والقدرة، ويستشهد لهذا بأن الله تعالى أمر نبيه: ألا يدعي شيئًا منها إلا ما أعطاه الله.
ولن لا أقول لكما عندي خزائن الله ولا أعلم القيب ولا أقول لكم إلى ملك، إن أنبى إلا ما يُحكي إليه [الأسرار: 68]، وهكذا قال نوح لقومه: ولأقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم القيب ولا أقول إلى ملك [هود: 31].

فأول الرسول وآخرين تبروا من دعوى هذه الأمور إلا ما أعطاههم الله منها، والمقصود من ذكر هذا المعنى: بيان أن خوارق العادات مدارها على هذه الثلاث: إما أن ترجع إلى القدرة والتأثير، أو العلم، أو الغني. وتسمى الخوارق العلمية المتعلقة بالعلم: الخوارق الكشفية؛ لأن خرق العادة بعلم أمر مستور هو كشف لغاب.

وهذه المعاني ترجع إلى كل الخوارق سواء كانت على يد أنيبأ أو أولياء، فمثلًا: عصا موسى ترجع إلى القدرة والتأثير، وكذلك فلق البحر يرجع للقدرة والتأثير.

وما ذكر الله عن أصحاب الكهف يرجع إلى الغني؛ لأن الله أغنيهم عن الطعام والشراب تلك المدة الطويلة، وكلما يخبر به الأنيبأ من أمور غاية هو من الخوارق العلمية، وهكذا دلائل نبوة محمد راجعة إلى هذه، فقد أخبر بأمور مستقبلة غاية لا تزال تظهر بين حين وآخر، فهي من أعلام نبوته.

وذكر شيخ الإسلام أن عدم الخوارق علمًا وقدرة لا تضر المسلم في دينه، فمن لم يكتشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيء من الكونييات لا ينقصه ذلك في مربته عند الله؛ بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه، لذا لا يستدل بحصول خارق على الولاية، كما لا يستدل بحصول خارق على الولاية، بل ضابطها: الإيمان والقوى، كما قال تعالى: [آلل إِني أُولْئِكَ لَهُمُ الْجَنَّةُ وَلَوْ هُمْ يَتَّسبَعُونَ] [يونس].
منهج أهل السنة في مكرامات الأولياء

فإن الخوارق قد تجري في الظاهر على يدي الكهان والسحرة، وهي: مخرب، وأكاذيب، ولهذا جاء عن بعض السلف أنه قال: "ولنظرتهم إلى رجل أعلى من الكرامات حتى يرفع في الهواء; فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة"(1).

فلا تغتروا بمن حصل له شيء من ذلك حتى تعرض حاله وعمله على الكتاب والسنة؛ فإن الشياطين قد تحمل أولياءهم حتى يظن أن يسير في الماء أو يطير في الهواء، وإنما حمله الشيطان ووضع له ما يسير عليه في الماء.

والكرامة قد تكون لحاجة العبد، فيخرج الله العادة لحاجته، وقد تكون لإقامة الحجة، وكل كرامة وخارق للعادة على يدي ولي؛ فإنه دليل على نبوة ممن هذا الولي تابع لشريعته.

ومن خوارق العبادات التي جرت على يد بعض الأنبية - وتمس: المعجزات - ما جرى لخليج الله إبراهيم ﷺ عندما ألقى في النار فصار عليه بردا وسلاما، حين قال الله لها: "فيتعيد قريتكم بردا وسلاما على أيده (الأنبياء : 29) فهل استحالت النار وصارت روضة بحيث لدختها غيره لم تضره؟ لا، بل هي على إبراهيم ﷺ فقط.

والله تعالى دليل على نبوته ﷺ، فخرق العادة لإبراهيم هو للحجة والحج، للحاجة؛ لأنه ألقى فيها، فهو محتاج إلى أن ينجبه الله من النار، فنجاه الله منها، فرغمها سكنة جواب قوله ﷺ إلا أن قالوا أفتحوا أو حُرْصُوا فأفتحوا الله وربك أنت ﷺ (الملكوت: 24) وللحج، لأن هذا دليل على صدق نبوته حيث نجاه الله من النار.

(1) قال أبو يزيد البطلمي. حليمة الأولياء 10/40، ونحوه عن الإمامين: الليث بن سعد والشافعي كما في آداب الشافعي ومناقب ص 186، وانظر: مجموع الفتاوى 467/11، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص 172.
٣٩٨

٢٠٠٠

وكى يدعي بعض الدجاجة أنه يدخل النار ولا تحرقه! وحدث هذا
في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية فتحدهم في مناظرة كبيرة بحضور الأمراء
والعلماء والعامة وقال: "أنا أخاطب كل أحمد من مشرق الأرض إلى
مغريها: أي شيء فعلوه في النار؟ فأنا أصنع مثل ما تصنعون! ومن
احترق فهو مغلوب، وربما قلت: فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن نغسل
جسومنا بالخل والماء الحار، فسألتي الأمراء والناس عن ذلك؟ فقلت:
لأن لهم حيلًا في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء: من دهن
الضفادع، وقشر النانج، وحجر الطلق، فهبتوا ولم يفعلوا، فقال الناس:
فوقع لتحلي وطيب ما كانوا يعملون فضلاً هنالك ووافقياً صغيرين.

[الأعراف]١

ولعل هذا القدر مما يتعلق بالكرامات يكفي، وتقدم أنه: إنما يجب
الإيمان بجنس الكرامات، ويجب الإيمان بما صحب مما جاء في القرآن
أو جاء في السنة أو في أخبار صحيحة.

وقد نقل الشاهر ابن أبي العز في هذا الموضوع١٢ كلامًا كثيرًا،
وكلامه قد غُرُّض من بحر شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه شرح غالب العقيدة
الطحاوية بكلام الإمامين شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وشيء من
كلام غيرهما - رحمهم الله جميعًا -

(١) انظر أحداث القصة وتفصيلها في مجموع الفتاوى ٤٤٠/١١ ٤٧٥.
(٢) ص ٧٤٢ - ٧٥٤.
وقوله: "ونؤمن بأشراطة الساعة: من خروج الديم، ونزول عيسى ابن مريم من السماء، ونؤمن بطلع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها.

أشراطة الساعة: علاماتها، قال محمد: "نَفَّذَ يُظْنُونَ إِلَّا اللَّهُ أَنَّهُمْ بِقَتْرَةٍ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهُمَا" [الأنبياء: 18]. أي: جاءت علاماتها، ومجيء أشراطها مؤمن باقترابها، والله تعالى قد نبى إلى قرب الساعة في مواضع من القرآن: "أَقْرَبُ السَّاعَةَ وَأَقْرَبُ الْقُمْرُ" [القمر]، و"مَا يَدْرِيكُ لِلْبُلْدَةِ نَكُونَ فِيهَا" [الكس آب: 12]. "أَقْرَبُ لِلْظَّانِينِ حَسَابُهُمْ وَهُمْ فِي عَجْلِهِ" [مَعِيَضَةٌ] [الأنبياء].

أوائلها: مبعث محمد، فإنه خاتم النبيين، وتحمّل البوثة مؤذن باقتراب نهاية الدنيا، وقد أخرى النبي بأمور كثيرة مما يكون بعده، وأهل العلم يعدون كل ما آخر به مما يكون بعده من أشراطة الساعة.

ومن ذلك ما جاء في حديث جبريل حيث قال للنبي: "أخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل! قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ريثاً، وأن ترى الحفاة العروة العالة رعاة الشام يتطاولون في البنان".[1]

فهذه بعض العلامات، وعلامات الساعة وأشراطها كثيرة، جاءت

---

(1) تقدم تخريجه في ص 210.
في عدد من الأحاديث، من ذلك حديث عوف بن مالك
قال: «أطبت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: اعدى ساعتي بين
يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُؤتَّنٌ يأخذ فيكم كفَّعاصٍ
الغم، ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخنًا، ثم
فترة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني
الأصر، فيغدرن فإنوتكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر
ألفًا»(1).

وقوله: «كِفَّعاصٍ الغنم» هو مرَّض يهلك الدواب، والمراد:
مَوَتٌ عام يهلك به خلق كثير، و«بَنِي الأَصْر» أي: الروم.
وَهذِهِ الْعَلَامَاتِ مِنْهَا مَا وَقَعَ كَمَوْتِهِ، وَفَتَحَ بِيْتِهِ الْمَقْدَسِ،
واستفاضة المال، ومنها ما لم يقع.
وفي الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن الجموح عن النبي ﷺ: "إن أول
الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس
ضحي، وأيهم ما كانت قبل صاحبتها; فالأخرى على إثرها قريبًا"(2).

وفي حديث حذيفة بن أسيد قال: "اطلع النبي ﷺ علينا ونحن
نتذكر، فقال: ما تذكروا؛ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم
حتى تروا قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان، والدجاج، والداية، وطلوع
الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، وياوجوج وياوجوج
وتلاية خسوف: خسوف بالشرق، وخسوف بالمغرب، وخسوف بجزيرة
العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"(3).

وهذه يسميها العلماء علامات الساعة الكبرى؛ لأن هذه الأحداث
تكون قرب قيام الساعة، وقرب الساعة الذي ذكره الله ليس مقدِّرًا بزمن،

---

(1) رواه البخاري (2176).
(2) رواه مسلم (2941).
(3) رواه مسلم (2901).
ولا يمكن لأحد أن يتخيل قدره، فقد يخطر بال الناس في حياة النبي ﷺ، أو بعده: إن الساعة بعد مائة أو مائتين أو ثلاثمائة سنة، ولكن مضى الآن أربعة عشر قرناً من الزمن، ولا ندري ماذا بقي؛ فإن موعد قيام الساعة من الخمس التي استأثر الله بعلمهها، فلا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسى: {قلتُ في السَّمَّوَاتِ والْأَرْضِيْنَ لَا تَكُونَا يَنْتَجُونَ إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكَ} [الأعراف: 187].

ونص الإمام الطحاوي على أربع من هذه العلامات العشر: الدجال، ونزول المسيح، طلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض، وهذه العلامات منها ما ذكر في القرآن نصاً أو إشارة، فأما خروج الدابة، فقد قال تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقُولِ عَلَيْهِمْ أَخْرَجَهُمْ فَهُمْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ} [النمل].

وأما طلوع الشمس من مغربها فقد أشير إليها في قوله سبحانه: {يَقُومُ بِهِ لِبَعْضِ كَلاَبِكَ كَيْبَةً لَا يَفْتَقُرَ فَنَسَا إِيمَانُهَا} [الأعراف: 158].

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنة من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا» (1).

فهذا الحديث تفسير للبعض الذي في الآية وهو: طلوع الشمس من مغربها.

وهكذا نزول المسيح فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقطعاً؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزيرة، ويقبض المال حتى لا يقبله أحد» (2).

(1) رواه البخاري (9635)، ومسلم (157) من حديث أبي هريرة.
(2) رواه البخاري (2272)، ومسلم (155) من حديث أبي هريرة.
ولنزول عيسى أشیر إليه في القرآن، كما جاء في تفسير قوله تعالى: "وأطمن لساعة فلا تزرع به" [الزخرف: 21] (1) وقرئ: "وأطمن لساعة فلا تزرع به" (2).
أما الدجال فلم يأت له ذكر في القرآن، وإنما تواترت بالإخبار عنه سنة الرسول (3).
منها أن النبي أنذر أمه المسيح الدجال فقال: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكاذب، إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر" (4).
ومتى الدعاء الذي أرشدنا لقوله في كل صلاة فقال: "إذا فرغ أحذكم من الشهد الآخر؛ فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحبة والممات، ومن خطاى المسيح الدجال" (5).
والإمام الطحاوي نص على هذه الأربعة؛ لأنها أمور عظيمة ومشتمرة على خروج العادة.
وبين نزول المسيح وخروج الدجال تناسبي؛ لأنهما حدثان في زمن متقارب، والمسلم ابن مريم مسيح الهدى يقتل المسيح الدجال مسيح الضلال.
المقصود: أن أهل السنة يؤمنون بهذه الأمور الخارقة للعادة، فظل علوم الشمس من مغربها أحر خرقاء للعاد، فمنذ خلق الله الشمس.

1. تفسير الطبري 26/121، والجامع لأحكام القرآن 19/92، وابن كثير 7/362، وأضواء البيان 7/280.
2. هذه قراءة شاذة، رويت عن بعض الصحابة، وعن غيرهم كالأعمش. انظر: الجامع لأحكام القرآن 19/770، والبحر المحيط 26/8، وإجاح فضلاء البشر ص 496.
3. نظم المتتاثر ص 240.
4. رواه البخاري (7640)، ومسلم (7933) من حديث أنس.
5. تقدم تخريجه في ص 296.
فأشارت الساعة إليها ما حدث وانتقض، ومنها ما سيحدث، ومنها ما حدث ويتكرر، ومنها العلامات الكبرى المذكورة في حديث حذيفة بن أسيد الذي تقدم (3).

(1) رواه مسلم (2137) من حديث النواس بن سمعان.
(2) ص. 400.
وجوب الحذر من تصديق الكاهن والرافعين ونحوهم من المخالفين

وقوله: «ولا نصدق «كاهناً» ولا «عراة» ولا من يدعى شيئًا يخالف الكتاب والسنة والجمعية الأمة».

أي: نحن أهل السنة المتبعون لمنهج السلف الصالح لا نصدق «كاهناً» ولا «عراة» طاعة الله ورسوله. فإن الكهان والرافعين والمنجيمين من أكرذ الكاذبين، قال تعالى: «هل أنت تعلم أن من تطيع الكذبن تُعلم أن كذبهم» (42:3) [الشعراء].

واجه في السنة التحذير من تصديق الكاهن والرافع، فقد بُعث عن النبي ﷺ أنه قال: «من أتى عراةً أو كاهناً فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» (1).

و وعن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال: «من أتى عراةً فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة» (2).

والرافع والكافر معناهما مقارب، ومن العلماء من يفرق بين الكاهن والرافع، فيقول: «الرافع: هو الذي يدعي معرفة الأمور...

(1) رواه أحمد 2/429، وصححه الحاكم 8/1 والذهبي في الكبار 379، والرازي في الأمالي على المستدرك - كما في فيض القدر 6/30 من حديث أبي هريرة ﭼ، وله طرق وشواهد كثيرة، انظر: فتح الباري 10/217، وإرواء الغليل 7/876.

(2) رواه مسلم (2230).
وجوب الحذر من تصديق المكهن والمارفين ونحوهم من المخالفين

بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها كالمتروك . . . ومعرفة مكان
الضالة(1). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والاعراف قد قيل: إنه اسم
عام للنكم والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلمن في تقدم المعرفة
بهذه الطرق، ولو قال: إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع; فسائرها يدخل
في طريق العموم المعنووي(2).»

إذا: الأعراف أعم من الكهان، فالكاهن عريف، والمنجم عراف،
والمرام الذي يضرب بالخصى ويخت بالأرض عراف، لأن عراف صيغة
مبالغة من المعرفة، فيكون عطف العراف على الكاهن في كلام الطحاوي
من عطف العام على الخاص.

فهؤلاء الكاذبون لا يجوز سؤالهم مطلقًا، فإن سؤالهم ينبغي عن
الاعتراف بهم، ويجب إلى تصديقهم، وكيف يسألون، وهم يدلعون العلم
بمغيبات، والله تعالى قد تفرده بعلم الغيب كما قال تعالى: «قل لا يعلم
من في السموات والأرض إلا الله» (السل:65).

فالكاهن والمنجم والرماثلون من المفسدين في الأرض، ومن
أشار الخلوق الذين يضلون الناس بما يدعون، يجب على ولاة الأمر أن
يمنعوه من إظهار منكرهم، وأن يضربوا على أيديهم عملًا بقوله تعالى:
«وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ وَيَأْمُرُونَ بِالْفُسُوقِ وَيَسْتَهْيِلُونَ عَنِ الْمَنْكِرَ»
(آل عمران: 141) فلا يجوز إقرارهم، ويجب على المسلمين أن يحذروا من
سأولهم.

والمنجوم: هو الذي ينظر في النجوم ويستدل باجتماعها وافترائها
وهما يحدث عند طلوعها ويستدل بذلك على ما يحدث في الأرض؛ فمنهم
من يفعل ذلك دجلًا، ومنهم من يعتقد أن للنجلوم تأثيرًا فيما يحدث في الأرض
من خير وشر، وما يحصل للأفراد من أحوال، فيضلون الناس ويوهمونهم.

(1) قال الأفغاني في شرح السنة 12/182.
(2) مجموع الفتاوى 25/173.
بما عندهم من قواعد ومصطلحات: أن من يولد في النجم الفلاني يحصل له كذا، من السعادة أو النحس!

وهذا تخص وكذب فالنجوم جعلها الله ثلاثة أشياء، كما قال قناعة - يقال: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ، وأضع نصبه، وتكلف ما لا علم له به"{1}. والتنجيم ضرب من السحر، كما في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ: "من أقتبس علمًا من النجوم أقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد"{2}.

وأما الكاهن فهو الذي تخبره الشياطين بالأخبار، سواء من أخبار الأرض التي يطلعون عليها، أو مما يسترون من السمع، قال الله تعالى: "ولقد رزقتم كهفًا مهدًا يُصوَّمح وجعلت تجيتها شرًا ليشتبهوا [الملك: 5] وقال تعالى: "ولقد جعلنا في السماء بشرًا وبدأتها للنظيرين [الحجر: 17] وإلى من استرقت آسمه فأنعم نهابه مبين" [الحجر].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الثلاثة بأجنحتها خضعتا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن فلوهُم قالت فآذا قال رجعتم قالتا" لما قال: "ألحق هو الميل النبی" فسمعها مسترقت السمع، ومسترقت السمع هكذا بعض فوقة بعض - ووصف سفيان بكفه فحرتها وبدأت بين أصابعه - فيسمع الكلمة، فليليها إلى من تحية، ثم يليليها الآخر إلى من تحته، حتى يليليها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يليليها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فقيل: 

(1) رواه البخاري 4/277 مَعْلِقاً بصيغة الجزم، والطبري في تفسيره 193/14.
(2) رواه أحمد 1/377، وأبو داود (395)، وابن ماجه (376)، وصححه النووي في رياض الصالحين (1671)، والعراقي في المغني 181/4.
وجوب الحذر من تصديق المكهن والمرافعين ونحوهم من المخالفين

أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فصدّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»

والمعنى: أن مما يجب على المسلمين الحذر من تصديق هؤلاء ومن إقرارهم على ما يدعونه؛ بل يجب الإنكار عليهم، ومنعهم وكف شرهم، ومنع ذهاب الناس إليهم، وقد كثروا في هذا العصر، لكنهم إنما يكثرون في المواضع التي يغلب فيها الجهل وضعف الدين، فإذا غلب الجهل على الناس وضعف دينهم كثرت الشرور، وراح الباطل على الناس كما هو الواقع.

أما إذا ظهر العلم الشرعي وقوي سلطان الحق؛ اختفت هذه الشرور؛ لأن العلم يكشفها ويفضحها، وسلطان الحق يجمعها.

وقوله: "ولأ من يدعو شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة".

أي: وإنحن أهل السنة لا نصدق من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ بل كل من ادعى من يخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله يوجب الرد والإنكار عليه، وهذا يتناول ما يدعى المتصوفة من الأحوال والقدرة والكشوف والدعاعري العريضة، كدعوى بعضهم أنه يسمع التدين غير هدي رسول الله ﷺ!

والإيمان بكتاب الله وسنة رسوله يستلزم رد كل ما خالف ذلك، فلهذا قال الطحاوي: "ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا، ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة".

(1) رواه البخاري (800).
من منهج أهل السنة لزوم الجماعة
والحذر من الفرقة

وقوله: «ونرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيفًا وعذابًا».

من منهج أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، والحذر من الفرقة
في الدين؛ لأن الله تعالى أمر عباده بالاجتماع، ونهاهم عن الافتراء،
قال تعالى: «وأقضموا يحبيل اللَّه جَيْبَهُم وَلا تَفَرَّقُوا» [آل عمران: 103]،
وقال تعالى: «وَلَكُنَّا نَكُونَنَا كَالْأَلَّهِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدٍ مَا جَاءَهُمُ الْيَتِمُّ» [آل
عمران: 104]. وقال تعالى: «وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَيَشَاءَ اللَّهُ مِنْهُمْ عِدَّةً»
[البقرة: 176].

لذا قال الطحاوي: «ونرى الجماعة حقًا وصوابًا الجماعة;
الاجتماع على الحق، نراه حقًا وصوابًا، ونرى أن الفرقة شر وعذاب
وزينع عن الصراط؛ فإن الناس إذا تفرقوا تنافروا وتذاكرًا، وساءت
أحوالهم الدينية والدنيوية، وبغي بعضهم على بعض.

وكما ذل القرآن على ذلك، دلت سنة النبي ﷺ، فقد استفاضت
الأحاديث في لزوم الجماعة، والتحذير من الفرقة، ولكن قد أخبر
النبي ﷺ بأن هذه الأمة سترفق، فالفرقة واقعة، وإخباره بوقوع الشيء
لا يدل على أنه صواب؛ بل هو يخبر به إخبار المحتذِّر، ولهذا
قال ﷺ: «إن هذه الأمة سترفق على ثلاثة وبعدين فرقة كلها في النار
إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا
من منهج أهل السنة لزوم الجماعة والحذر من الفرقة

عليه اليوم وأصحابيٌّ(١) وفي لفظ: (وهي الجماعة)ٌ(١).

فتبه النبي إلى أن سائر الفرق متعرضة للعذاب، وأن الناجي
فرقة واحدة، ولهذا غُرف أهل السنة بالفرق الناجية أخذًا من هذا
الحديث.

فيجب على أهل السنة أن يحذروا من مشابهة أهل البعد الذين
خلافوا الكتاب، وتفرقوا في دينهم، وابتدعوا ما لم يشرع الله من البعد
الاعتقادية أو العملية.

فالخير في الاجتماع على الحق، والشر في الفرق في الدين؛ لأن
الفرق اتباع للهوي، ولهذا يعرف أهل البعد بأهل الأهواء؛ لأن كل فرقة
متبعة لهواها الذي أصله شيوعها ومبتووعها، فكل فرقة لها إمام تقلُّدَه
ديئَة.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: (أن الاختلاف الواقع بين الناس
نوعان: اختلاف تنوع، وأختلاف تضاد؛ فاختلاف التنوع في الحقيقة
ليس من الاختلاف، ولهذا اسمه تنوع.

ولكن المختلفين اختلاف تنوع إذا ما يؤثّرون من يغي بعضهم على
بعض، والواجب في المختلفين اختلاف التنوع، أن يَتَرَّق بعضهم بعضًا؛
كالاختلاف في القراءات، وأنواع الأذان، والاستفتاتات والتشهادات،
وما أشبه ذلك؟ لأنهم مصليون جميعًا.

وأما اختلاف التضاد، فقد يكون الصواب في أحد الجانبين، وقد
يكونون جميعًا على الباطل، كاختلاف ملل الكفر، وأهل البعد، فكلهم
مختطف، كما قال سبحانه: (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفْتُوا فِي الْكِتَابِ لَيْ يَبْقَى نَحْزَبُهُمْ مَرَّةً مَرَّةً)ـ[البقرة: ١٧٦]، فالاختلافون اختلاف تضاد قد يكونون مذمومين كلهم،
كاختلاف أهل الباطل في باطلهم، وقد يكون أحد المختلفين محمودًا

(١) تقدم تخرجِه في ص٤٠٧.
والآخر مذمومًا، كالاختلاف بين المخطئ والمصيب، كما قال: 
«ولَوْ كَبَاءَلَهُ مَا أَفْتَسَلَ اللَّهُ مِنْ يَدَيْهِمْ مِنْ نَصْرٍ مَّعَهُمْ مَّنْ تَعَدَّ مَا جَاهِدَهُمْ البَيْنَيْنَ وَلَكِنَّ أَخَذَهُمْ مِنْ عَامَّةٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ» (البقرة: 252)، فالاختلاف بين المؤمنين والكافرين اختلاف تضاد، والحق والصواب في جانب المؤمنين، وأما اختلاف التضاد الذي يكون بين علماء الأمة؛ فالحق أن المصيب من المجتهدين واحد، لكن المخطئ مأجور على اجتهاده كما في الحديث المشهور عن النبي ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب، فله أجر، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر"، فكلهم محسود؛ المصيب منهم والمخطئ؛ لأنهم مجتهدون، طالبون للحق، مجهودون على اجتهادهم، ولكن الله تعالى يوفق من شاء للصواب، كما ذكر الله ﷺ عن النبي داوود وسليمان - ﷺ - فقال: "وَكَأَوْدَتْ وَسْلَى مَنْ يَجِلْبَهُمْ شَهِيدٌ فِي الْأَرْضِ فَيَقُولُوْاْ لَسْلَى مَنْ أَهْرَىْ وَسْلَى مَنْ أَهْرَىْ"، فشهد لهما جميعًا، بالحكم والعلم.(1)

(1) رواه البخاري (4620)، ومسلم (1716) من حديث عمرو بن العاص ﷺ.
(2) ملخص من كلام شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم 149/1 150 - 155.
ووفقه: "ودينٌ الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: "إن ربكُ عَنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ [آل عمران: 19]"، وقال تعالى: "وَرَضِيْتُ كَمْ ائتِمَّ الْإِسْلَامُ ومَا يَنْتَجُ" [المائدة: 3]. وهو بين الغلو والتقشير، وبين الشبهة والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس."

حقيقة دين الإسلام: عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته، وهذه الحقيقة يدين بها أهل السّنوات من ملائكة الله، وهي: دين السّنوات كلهم من أولهم إلى آخرهم، فدين السّنوات كلهم من أولهم إلى آخرهم هو الإسلام، يدل لذلك قوله تعالى: "إِنَّ الْإِسْلَامَ عَنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ [آل عمران: 19]" أي: الدين المعتبر المعني في حكمه هو الإسلام، ويوضح ذلك قوله تعالى: "وَمَنْ يَنْتَجْ عَيْنَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يَجْبَثَ مَنَةً [آل عمران: 85]"، وهذه ليست خاصة بما جاء به محمد ﷺ بل هذا عام في الأهلين والآخرين، من ابتغى غير دين الإسلام فلن يقبل منه.

وقال تعالى: "كَفَايَاهُ الْمَلَائِكَةُ وَالْجَمِيعُ صَلِّيَ إِلَيْهِمْ سَلَامًا [الأعراف: 1]". وقوله ﷺ: "أما أولاً الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهمهم شتى، ودينهم واحد"(1).

فنوح جاء بالإسلام، لأنه جاء يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وذكر الله عنه أنه قال لقومه: "أَلَا تَبْتَرُوا إِلاَّ اللَّهَ"(2).

(1) رواه البخاري (٤٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.
 فالإسلام دين الله، لكن يجب أن يعلم أنه بعد أن بعث الله محمدًا صار الإسلام هو ما جاء به، وكل من لم يؤمن بشريعة محمد ويلزم بمتابعته؛ فليس على الإسلام مهما تدين، حتى ولو لم يشرك.

فاليهود والنصارى وإن انتسبوا إلى الأنبياء، وإلى التوراة والإنجيل فليسوا بمسلمين؛ لأنهم جمعوا بين أنواع من الكفر والشرك؛ وانضاف إلى ذلك كفرهم برسالة محمد؛ فالنصارى يقوم دينهم الباطل على الشرك، قال تعالى: "أنتم حرم الله عليهم الجنة ومارئة النار وهم كاليهود والمسيحيين من أصصار أنتم سيقوم الله عليهم جزاء ما أتكم من نذوة" [المائدة 4].

واليهود كفروا بما ارتكبوا من العظائم؛ كتحريف كتب الله، والتلاعب ببنيه، وقتل الأنبياء، وقد ذكر الله بعض قبائحهم، قال تعالى: "فما نقصهم منمتهم وشركهم بِالله وقتلهم الأنبياء يعرض حقي وقولهم قلونا علّه فإن الله على ما يشركون فلا يؤمنون إلا قليلاً ويكفؤهم وقولهم على مزَّمْر بَيْنَا عَلِيْها الآيات [النساء]."}

ولهذا جاء في الصحيح أن النبي قال: "والذي نص محمد بيه"
لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن
بالمها أرسلت به إلا كان من أصحاب النار
(1).

ومن يقول: إن اليهود والنصارى على دين صحيح؛ فإنه كافر؛ لأن
ذلك ينافض ما وصفهم الله به، وأخبر عنهم، وهذه قضية ينفغي التنبه
لها؛ لأنه قد اشتهر في هذا العصر الدعوة إلى وحدة الأديان، واعتقاد أن
اليهود والنصارى والمسلمين كلهم على دين صحيح!

ودين الإسلام توسط واعتدال، بين الغلو والتقدير. والغلو:
مجاوزة الحد. والتقدير: هو نقص فيما يجب القيام به. فهذان مدخلان
للمشيطان على الإنسان، فالشيطان؛ إما أن يحمل الإنسان على الغلو في
الدين، فيقع في التجاوز، فيتبع في الدين ما لم يأذن به الله.
أو يحمله على التقدير بترك واجب، أو فعل محرم.
والواجب الوقوف عند حدود الله، قال تعالى: "ذَٰلِكَ حُدُودُ اللَّهِ
وقال سبحانه: "ذَٰلِكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقَرَّبُوا هَاذَةِ النَّقِيَّةِ" [البقرة: 187] وهي:
المحرمات؛ فقربانها تقدر، وقد يجمع في الشخص الغلو والإفراط في
جانب، والتقيته والتقدير في جانب آخر؛ فيجمع بين الغلو والتقدير.

وهذا كثير في الأفراد والطوارئ، قال تعالى: "يَا أُمَّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ
لَا تَمَلَّوْا فِي ذِي السُّلْطَةِ وَلَا تَقْوَلُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ" [النساء: 171],
وقال تعالى: "يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا طَغَيْنَاء مَا أَعْمَلُوا لِلَّهِ تَكُون" [المائدة: 72] فتحريم الحلال من الابتداع والتنطع والغلو في الدين،
ولا تصدروا إِنْ كَانَ اللَّهُ لَيْ يُعْلِمُ الْمُعْتَمِدِينَ [المائدة] وهذا تقدير.

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الذين أرادوا أن يبتبنوا وأن يقطعوا
العبداية حين: "سَأَلَّوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ مِن عَمْلِهِ فِي السَّرِّ، فَقَالُ بعضهُم:
لا أُتًوِّج النَّسَاءَ، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا آنام

(1) تقدم تخرجه في ص 92.
على فراش! فلمحه الله وأثنى عليه، فقال: ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا، لكوني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سني فليس مني!

والغلو يجري في مسائل الدين كلها: الاعتقادية والعملية.
وقوله: «ويبين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس».

عطف هذه المتقبلات من قبل عطف الخاص على العام؛ فإن التشبيه والتعطيل يندرجان في الغلو والتقصير؛ فالتشبيه غلو في إثبات الصفات، فالشبهة يقول أحدهم: الله سمع كمسي، وبصر كبسي، ويد كيدي! فشبه الله بخلقه، وشبه صفاته بصفات خلقه.
ويقابل التشبيه التعطيل، والتعطيل نفي الصفات، ونبيها تقدير فيما يجب إثبات الله تعالى؛ فإنه تعالى أوجب على عباده الإيمان بما أخبر به عن نفسه من أسمائه وصفاته، قال تعالى: «نَقُولُ أَنَّكَ مَثَلُ الْجَمِيعِ أَنْبَثَقَ أَنْبَثَقَ وَكَلَّمَنَّكَ بِالْبَرَاءَةِ» [التوبة: 48]
والتشبيه والتعطيل يكلاهما يتضمن الغلو والتقصير؛ فالتشبيه غلو في الإثبات وتقصير في التنزيه، والتعطيل غلو في التنزيه، وتقصير في الإثبات، فالمعطالة غلو في التنزيه حتى نقول صفات الرب تعالى زائمين أثابنا ذلك تنزيلًا الله عن مشابهة المخلوقات، فجمعوا بين التعطيل والتشبيه وبين الإفراط والتفرط.

وأهل السنة وسط في باب أسماء الله وصفاته بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، ومذهبهم هو دين الإسلام في هذا الباب.

وقوله: «ويبين الجبر والقدر».
الجبر هو مذهب الجهمية، ومن وافقهم، وحقيقة أن العبـ ـ

(1) رواه البخاري (4565)، ومسلم (1401) - واللفظ له - من أنس.
وعندهم – مجبور على أفعاله، وأنه يتصرف بغير مشيئة ولا اختيار ولا قدرة؟ كحركة الريح في مهب الريح وحركة المرتعش، وحركة الأشجار.

ويقابله القول بالقدر، وهو مذهب المعتزلة القدرية، ويسمون: القدرية، كما أن الجبرية يقال لهم: قدرية أيضا، لكن هذا الاسم أشهر في القدرية النافئة الذين ينفون عموم مشيئة الله، وعموم خلقه، فيخرجون أفعال العباد عن أن تكون مخلوقة لله وواقعة بمشيئته وقدرته.

والجبرية سلبون العبد فاعليته وقدرته ومشيئته، والقدرية النافئة يقولون: إن العبد هو الذي يخلق فعله بمحض قدرته ومشيئته، ولا أثر ولا تأثير لمشيئة الله في أفعالهم.

فالجبرية غلو في إثبات القدر وإثبات فاعلية الله، وقصروا في إثبات فعل العبد وفاعليته واختياره حيث سلبوا العبد قدرته ومشيئته واختياره وفاعليته.

والقدرية غلو في إثبات فاعلية العبد حتى قالوا: إنه هو الذي يخلق فعله بمحض مشيئته وقدرته، وقصروا في إثبات روبيته تعالى حيث نفوا تعلق مشيئة الله وقدرته وخلقه بأفعال العباد، فأخرجوا كل أفعال العباد من أقوال وحركات سواء كانت محمودة أو مدموسة عن مشيئة الله وخلقه وقدرته وملكه!

وقد تقدم ذكر بعض شبهات هذين المذهبين ومناقشتهما والرد عليها، وهذه الكلمات جاءت أخيرا في كلام الطحاوي كالتلخيص لبعض ما تقدم (1).

وقبل القول بالجبر مغالطة وإنكار، وهنا بهذه المناسبة يسأل بعض الناس ويقول: هل الإنسان مخبر أو مسير؟ فقول: لا يصح إطلاق إحدى الكلمتين، لأن كل منهما يحتوي حقا وباطلما؛ فإن أردت أن الإنسان

(1) في مواضع ص 265 و 269 و 329.
محترمًا، أي: هل اختيار ومشيئة; يقوم ويتردد ويكلم، هذا حق.
وإذا أردت أنه مخير، أي: أن له مشيئة وقدرة لا ترتبط مشيئة الله،
فهذا باطل، قال تعالى: {وما كسبون إلا أن نشأ الله} [الإنسان: 20] أو
أراد أن له الحرية المطلقة في أفعاله، فهو مخير بين الفعل والترك، كما
يفهمه بعض الغالطين من قوله تعالى: {وقد آتَهُ اللَّهُ الْخُطْبَةَ وَسَعَى فَيَنْشَأُ} [الكهف: 29] فهذا ليس تخليداً بل هذا أسلوب
تهديد ووعيد شديد، ولذا قال تعالى بعدها: {إِنَّا أَعْلَنْنَا لِلْظَّائِبِينَ كَأَنْ أَحَاطَ} [الكهف: 29].
وهكذا قول القائل هل العبد مسير؟ نقول: إذا كنت تريد أنه مسير،
أي: أنه لا اختيار له ولا مشيئة وهذا باطل، وهذا هو الجبر. وإن أردت
أنه مسير، أي: أن أفعاله تسير على وفق قدر الله ومشيته، وأنه مسير لما
خلق له، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: {اعملوا فكل ميسر} (1).
فهذا حق.
والخلاص: أن الكلمتين لم تردا في النصوص ولا يصح إطلاقهما
نفيًا ولا إثباتًا لما فيهما من احتمال الحق والباطل (2).
وقوله: {وبين الأمن والإياس}.
دين الإسلام وسط في باب الوعد والوعيد، بين الأمن والإياس،
والله قد وصف عباده وأولياءه بالخوف والرجاء، قال تعالى: {إِنَّمَا كَسَانُوا يَنْظُرُونَ لِلْخَيْرَ وَيَنْظُرُونَ لِلْخَيْرَةِ} [الأنبياء: 89] وقال تعالى: {أَلَيْكَ أَنْ تَذَرَ فَيَتَعَبَّرُونَ وَيَتَعَبَّرُونَ} [اليسير: 37]
{إِنَّمَا أَنْتَ سُجِّدٌ عَلَيْهِمْ وَيَتَعَبَّرُونَ} {إِنَّ شَيْءًا كَانَ عَلَيْهِمْ} [النساء: 37]
{وَرَيَّبَّ مَّعَاهُمْ جَنُورُهُمْ عَنْ مِثْلِ الْخَيْرَاتِ عَذَابًا} [النساء: 37]
{وَرَيَّبَّ مَّعَاهُمْ جَنُورُهُمْ} [السجدة: 37] فالوسطية ما دلت عليه هذه

(1) تقدم تخرجته في ص 163.
(2) انظر ص 165.

فالآمن هو سبيل المرجئة الغلابة، والإياض سبيل الوعيدة الذين يُعْتِنُون مرتبط الكبيرة من دخول الجنة فيقولون: يجب إنفاذ الوعيد، ولا يجوز أن يغفر الله لأهل الكبائر ؛ بل لا بد أن يعذبهم، وإذا دخلوا النار فلن يخرجوا منها، وهذا يتضمن تهديد الموحدين من أهل الكبائر.

فدين الله «بين الغلو والقصص، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياض» وهو ضرط مستقيماً لا أعوجاج فيه، أما سائر الطرق والسبيل؛ فإنها منحرفة إلى الطرف، قال تعالى: «وَأَنَّ هَذَا سَبِيلٌ مُسْتَقِيمًا فَأَلْقِوْهُ وَلَا تَنْيِعَا النِّسَاءَ فِيْرُكَّةٍ يَكُونُ عَنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ مَزَاحُكُمْ وَلَا تَسْخَرُوا النَّاسَ قَبَلُ اللَّهِ» [الأنعام].

ومذهب أهل السنة والجماعة وسط في كل مسائل الدين.
براءة أهل السنة من المذاهب المبتعدة

وقوله: «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن مراه إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيتناه. ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصننا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الرديئة، مثل: المشبهة، والمعتزلة، والجهمية، والجهرية، والقدارية، وغيرهم، من الذين خالفوا الجماعة، وخالفوا الضلالة، ونحن منهم مراه، وهم عندنا مراه، وأرداء، وبالله العصمة والتوقيع».

ختم الطحاوي بهذه الكلمات ما أثبته من مسائل اعتقاد أهل السنة والجماعة، وقوله: «فهذا» إشارة إلى كل ما ذكره من المسائل المتعلقة بأصول الإيمان، من مسائل التوحيد والرسالة، والمسائل المتعلقة بالقرآن والإيمان والصحابة وغير ذلك.

وهذا ديننا واعتقادنا الذي ندين الله به، ونخضع له، ونعبد الله به، كما قال في الأول: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوحيد الله: إن الله واحد لا شريك له» إلخ.

وقوله: «ظاهرًا وباطنًا».

أي: نقر به بالسنتنا، ونصدقه بأفعالنا، ونعتقده بقلوبنا، وإنما ينفع الإمام والدين إذا تطابق الظاهر والباطن، فدين الإسلام يتعلق بالباطن: اعتقادًا وعملًا؛ فالاعتقاد: التصديق والليقين، والعمل: الخوف والرجلة والتوكل والحب والبغض. و يتعلق بالجوارح؛ باللسان إقرارًا، وبالجوارح فعلًا للأمورات.
وركّباً للمنهيئات، مما يُصَدِّق ما يقوله العبد بلسانه، ولهذا قال: «هذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا».

وقوله: «ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيانه».

أي: ونحن نبدأ إلى الله ونعاذ وننذج ونبعده كل من خالف ما تقدم ذكره وتقريره؛ لأنه مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والبراءة من طوائف المبدعين الذين خلفوا الكتاب والسنة، وقد أوضح ذلك ببيان البراءة من المشبهة، والمعتزلة، والجهرية، والقدرية، فهؤلاء هم الذين يعنيهم بقوله: «ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيانه» لأنها مذاهب مبتدعة رديدة مفروضة، ومختلفة لما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقوله: «وأوسل الله أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به».

وهذا ختم للكلام بالدعاء بالثبات على الإسلام، وهو أمر مهم.


فالدعاء بالثبات على الإسلام حتى الممات من أنفع وأهم وأوجح ما يكون للعبد.

وقوله: «وبعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية».

لاستقامة على الصراط إنما تكون بعصم الله وهديته، ولذا أمرنا أن نقول في كل صلاة: «أَهْنَا لَكَ الصَّرَاطُ السَّمِيْعُ، يُؤْمِنُ بِاللهِ أَنْتُمْ أَنْتُمْ».

(1) تقدم تخريجه في ص 166.
عليهم غير المتصور عليهم ولا المكانيين

الفاتحة

فالفادعف قرى إلى أن يعصره ربه من هذه الضلالات، يقول ابن القيم - لenza ذكر مذاهب المبتدعين -

أَوْ شَأَ‍‍ءَ رَبُّكَ كَنْتَ أَيْضًا مِثَّلُهُمْ قالَ القُلُبُ بِبَيْنَ أَصْابِعِ الرَّحْمَٰنِ

فمن عافاه الله مما عليه أهل الضلال؛ كالشيوعيين والراهضة والجهمية والصوفية والقدرية، فليعلم أن ذلك بتوفر من الله لا بحوله ولا بقوته، وعلى المسلم أن يلهم دائما سؤال العصمة والوقاية من طرائق المضللين من أصحاب الأهواء والمناهج المنحرفة عن هدى الله، فإن هذه المذاهب الردية متناقضات مختلفة ومضطردة وأهلها متبعون لأهوائهم ومتفرقو، كل حزب بما لديهم فرحون.

وقوله: «مثل المشبهة والمعتزلة والجهمية والالجبرية والقدرية وغيرهم».

هذه أسماء أبرز الطوائف المنحرفة في مسائل الاعتقاد ؛ فالجهمية وإمامهم جهم بن صفوان، قد جمعوا بين ثلث بدع كبرى: التعطيل في باب الأسماء والصفات، والجبر في باب أفعال العباد والقدر، والإرجاء في باب الإيمان.

المعتزلة على النقيض من الجهمية في باب القدر، وباب الإيمان، وهم قريبون منهم في باب الأسماء والصفات ؛ فالمعتزلة يثبتون الأسماء ويفرون ما تدل عليه من الصفات، ولهم أصول خمسة:

1- التوحيد، ويقصدون به: تفقي الصفات فينهم إثبات الصفات تشبه وتجسيم وشرك، وتغي الصفات هو التوحيد.

(1) عن عبادة بن الصامت قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» رواه البخاري (756) ومسلم (294).

(2) الكافية الشافعية ص 31.

(3) مقالات الإسلامين ص 379 والملل والتحلي 11/1.
إلا عندهم أن الله تعالى لو وارد، ويدخلون فيه نقي القدر، لأن عندهم أن الله تعالى لو شاء أفعال العباد، وكانت ذنوبهم بمشيتة كان تعذيبهم لهم ظلمًا! فهذا لم يجدوا مخرجاً إلا بفني تعلق مشيتة الله بها، فمهذبهم يتضمن أن يكون في ملكه تعالى ما لا يشاء، فجميع ما يجري من حركات العباد وأفعالهم وصرفاتهم وكلامهم كل ذلك غير مشيتة، فعندهم أن الله تعالى لا يقدر على أن يجعل المؤمن كافرًا أو الكافر مؤمنًا، أو المطيع عاصيًا أو العاطفي مطيعًا؛ بل لا يقدر أن يجعل القائم قاعدًا والقاعد قائمًا، والمتكلم ساكنًا والسائكت متكلمًا؛ لأن هذه الأفعال لا تتعلق بها مشيتة ولا قدرتها ولا خلقه.

3 - المنازل بين المنزليين، وهي: أن مرتكب الكبيرة في الدنيا في منزلاً بين المنزليين، وهي منزلة الفاسق، ليس بمؤمن ولا كافر، لكنه في الآخرة مع الكافرين.

4 - إنفاذ الوعيد، ويعنون به: أنه يجب على الله إنفاذ وتحقيق ما توعده العظام، فلا يجوز عندهم أن يعفو عن من مات مصراً على شيء من الذنوب.

5 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدخلون فيه الخروج على الأئمة الظلامة بحجة إنكار المنكر (1).

وقد جاءت الشريعة بالنهي عن ذلك مما يفضي إليه من الفساد العريض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم على قاعدة: "ارتكاب أدنى المفسدين لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعلاهما".

فإنكار المنكر إذا كان يفضي إلى زيادة المنكر، أو إلى منكر أعظم كان الإنكار منكرًا.

(1) مقالات الإسلاميين ص 155 - 278، والتربية والرد ص 49، ومجموع الفتاوى 386/13.
ولقوله: "من الذين خالفوا الجماعة، وخالفوا الضلالة، ونحن منهم.

براء، وهم عندنا ضلال وأرديء، وبالله العصمة والتوفيق".

هذه هي الحقيقة، فهؤلاء قد خالفوا جماعة المسلمين، التي هي
الفرقة الناجية، "وخالفوا الضلالة" أي: لزموا الضلالة، واتبعوا
أهواهم، فهم أصحاب الأهواء؛ لأنهم حكموا عنقولهم وقدموا على
المقول.

فأهل السنة منهم ومن بدعهم يتبرؤون، ويرون أنهم قد ضلوا
وحاذوا عن الصراع المستقيم بهذه المذاهب الباطلة.

نسأله: أن يعافينا من المحدثات وإتباع الأهواء، ونسأله تعالى
أن يعصمنا منها، وأن يهدينا صراطه المستقيم، وقد أوجب الله علی
عباده هذا الدعاء في كل ركعة من الصلاة "أهدا الصراط المستقيم
المستقيم" 1
[الفاتحة] 1) وإن كان المراد بالمغضوب عليهم والضالين في الأصل اليهود
والنصارى، فهذه الفرق منها ما يكون مشابهًا للمغضوب عليهم، ومنها
من هو مشابه للضالين، كما قال بعض السلف: "من فسق من علمائنا
ففيه شبه من اليهود، ومن فسق من عبادنا ففيه شبه من النصارى" 2).

هذا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب
العالمين.

(1) تقدم في ص 420.

(2) نسبه الشيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير إلى سفيان بن عيينة، مجموع الفتوى
16/167، وتفسير ابن كثير 4/138.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>طرف الحديث</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>152</td>
<td>آية عد نوجم السماء [الحوض]</td>
</tr>
<tr>
<td>363</td>
<td>آية الإيمان حب الأنصار</td>
</tr>
<tr>
<td>153</td>
<td>أندرن ما الكوثر؟</td>
</tr>
<tr>
<td>400</td>
<td>آتي النبي في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم</td>
</tr>
<tr>
<td>273</td>
<td>آتي النبي برجل قتل نفسه فلم يصل عليه</td>
</tr>
<tr>
<td>217</td>
<td>اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النبض</td>
</tr>
<tr>
<td>296</td>
<td>أحاديث الاستعاذة من عذاب القبر</td>
</tr>
<tr>
<td>284</td>
<td>إذا أراد عدي أن يعمل سهية فلا تكتبوها عليه حتى يعملها</td>
</tr>
<tr>
<td>276</td>
<td>إذا أمرتم بأمر قاتلوا منه ما ستطعن</td>
</tr>
<tr>
<td>410</td>
<td>إذا حكم الحاكم فاجهده، ثم أصاب، فله أجران</td>
</tr>
<tr>
<td>296 402</td>
<td>إذا فرغ أحدكم من الشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربع</td>
</tr>
<tr>
<td>406</td>
<td>إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خشعاً لقوله ......</td>
</tr>
<tr>
<td>343</td>
<td>إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة</td>
</tr>
<tr>
<td>284</td>
<td>إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً</td>
</tr>
<tr>
<td>221 164</td>
<td>أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدرون فيه أشيء قضى عليهم</td>
</tr>
<tr>
<td>170</td>
<td>أسأل بكل اسم هو لك، سميت به نفسك</td>
</tr>
<tr>
<td>114</td>
<td>أسأل لذة النظر إلى وجهك</td>
</tr>
<tr>
<td>352</td>
<td>اشتد غضب الله على قومّ فعلوا بنية - يشير إلى رياضتيه -</td>
</tr>
<tr>
<td>400</td>
<td>اطلع النبي علينا ونحن نذاكر، فقال: ما تذاكرون؟</td>
</tr>
<tr>
<td>101</td>
<td>أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي</td>
</tr>
</tbody>
</table>
شرح المقيدة الطحاوية

الصفحة

طرف الحديث

269  اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر
272  ألا أدخل على كنز من كنز الجنة
274  ألا أبتكي بأكبر الكبائر؟
200 و197 و
277  ألا إن آيا إيا إلى كل خلت من خله
ألا تؤمنون وأنا أمين من في السماء
279  ألا وإن في الجسد مضة: إذا صلحت صلحت الجسد كله
الله أعلم بما كانوا عاملين
130  الله أكبر، والله أكبر، الحمد لله الذي رد كيه إلى الوسوة
176  اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا
40  اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء
49  اللهم اني أستخبرك بعلملك
203  اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرايل
263  أمر بدنف قنعل أحد في دمائهم، ولم يجلسوا، ولم يصل عليهم
265 و267  أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله
211  أنا أولي الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة
197  إن إبراهيم خليل الله... وأنا حبيب الله ولا فخر
295 و213  إن أحكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
181 و167 و74 و72 و16 و17 و295 و197  إن أحكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نفقة
197 و62 و93  إن الله الخلق خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا
253  إن الله تعالى يقول لأهل الجزاء: أجل عليكم رضواني
254  إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة
159  إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء
130  كنت تقديم بته؟
93  أنا لها فاستأذن على ربي وله همتي محامد أحمد بها
91 و84  أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماجي الذي يحمي بي الكفر
<table>
<thead>
<tr>
<th>نُقْرِي</th>
<th>صفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أن امرأة أنت النبي ﷺ فكملته في شيء</td>
<td>365</td>
</tr>
<tr>
<td>أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج</td>
<td>340</td>
</tr>
<tr>
<td>إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها</td>
<td>400</td>
</tr>
<tr>
<td>أنت سيدنا وخيرنا وأجنبا إلى رسول الله ﷺ</td>
<td>376</td>
</tr>
<tr>
<td>أن جبريل أنت النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أنت</td>
<td>357</td>
</tr>
<tr>
<td>إن بني غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله</td>
<td>378</td>
</tr>
<tr>
<td>إن رسول الله ﷺ ،مات وهو عنهم راض</td>
<td>294 و296</td>
</tr>
<tr>
<td>إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخره</td>
<td>286 و295 و314 و118 و114</td>
</tr>
<tr>
<td>إنكم ستونو ركبت كما ترون هذا الفم</td>
<td>152 و177</td>
</tr>
<tr>
<td>إنكم ستلقوون بعيد أيزة؛ فاصبروا حتى تلقوني على الحوض</td>
<td>24 و16</td>
</tr>
<tr>
<td>إنكم لا تدعون أصم ولا غالبًا إنما تدعون سمعًا بصيرًا</td>
<td>153</td>
</tr>
<tr>
<td>إن لكل نبي حروبًا</td>
<td>108</td>
</tr>
<tr>
<td>إنما الأعمال باليات</td>
<td>271 و269</td>
</tr>
<tr>
<td>إنما الطاعة في المعروف</td>
<td>280</td>
</tr>
<tr>
<td>أن النبي ﷺ بالفوضا ومسح على خفية</td>
<td>340</td>
</tr>
<tr>
<td>أن النبي ﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شرمة</td>
<td>295</td>
</tr>
<tr>
<td>إنه أوجي إلى أنتم تقتلون في قبوركم مثل أو قريبًا من فئة المسيح النجاح</td>
<td>274 و208 و89</td>
</tr>
<tr>
<td>إن هذه الآمة ستفرقع على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة</td>
<td>91 و97</td>
</tr>
<tr>
<td>إنه سكون في أمتي كنواب ثلاثون كلمهم يزعم أنه نبي</td>
<td>348</td>
</tr>
<tr>
<td>إنه سكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء</td>
<td>167</td>
</tr>
<tr>
<td>إنه لن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة</td>
<td>297</td>
</tr>
<tr>
<td>إنهما لبعبان وما يعذبان في كبر</td>
<td>89 و376</td>
</tr>
<tr>
<td>إنه خشي على نفس</td>
<td>314</td>
</tr>
<tr>
<td>إنه رآيت الجنة تتناول منا عقودًا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا</td>
<td>152</td>
</tr>
<tr>
<td>إنه فرّطكم على الحوض</td>
<td>260</td>
</tr>
<tr>
<td>إنه لم أومر أن أُمِّد عن قلوب الناس، أو أشق بطونهم</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
أوَّل مَعْرِفَة َالإِيمَانِ: ُالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبَعْضِ فِي اللَّهِ
أوَّل مَا خَلَقَ اللَّهُ ُالقُلُومَ قَالَ لَهُ: أَكْبِرُ. قَالَ: مَا أَكْبَرُ؟
الإِيمَانُ أَنْ تَوَكَّمَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ وَالْيَوْمِ َالآخِرِ
و۲۰۷ و۲۰۶ و۲۰۵ و۲۰۴ و۲۰۳ و۲۰۲ و۲۰۱
الإِيمَانُ بِغَيْرِ وُسْعٍ أَوْ بِغَيْرِ وُسْعٍ شَعْبَةُ
أيُّ النَّاسِ أَحَبَّ إِلَىَّ؟ قَالَ: عَائِشَةُ
أَيُّ اللَّهُ قَالَ: فِي السَّمَاءِ
(ب)
بَاسِمُ رَبِّ وَضُعِتْ جَبَنِي وَكَ أَرْفُهُ
بَايِنَا عَلَىِّ السَّمَعِ وَالْطَّاعَةِ فِيهِ مُكَرِّرَةٌ وَعَسْرَةٌ وَأَثَرَةٌ عَلَيْنَا
بِنِّي ُالإِسْلَامِ عَلَىَّ خَمْسَةِ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّاَّ ُاللَّهُ
بَايِنَا أَنَّاَ نَأْتَىَ عَلَىَّ قَلِبِّهِ مُحَلَّ فَنَزَعَتْ مِنْهَا مَا شَاءَ ُاللَّهُ
بَايِنَا رَجُلٌ يَمِشُّ بِطَرِيْقٍ وَجَدَ غَيْنٌ شَوَكٌ عَلَىَّ الطَّرِيْقِ، فَأَخَرَّهُ فَشَكَرَ ُللهُ
فَغَفَّرَ لِهِ
بَيْنَا كَلِبٌ يُطِعُّ ُرَّبَّهُ كَاد يُقَتِّلَ العَطَشَ
(ت)
تُحَاجَتَ النَّارُ وَالجَنَّةُ، قَالَتْ النَّارُ: أُورُثُتِ بِمَتَّكِنِينَ وَالمُتَجَرِّبِينَ
تَعْرِضُ الْفَتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحُصِّيْرِ عَوْدَةً عَوْدَةً
(ث)
ثَابِتٌ بَنِّ ِقِيسٍ بْنِ شَمَاسٍ [في الْجَنَّةِ]
ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّهُ وَجَدَ حَلَّوًا ُالإِيمَانِ
ثَلَاثٌ لَا يَكْلُمُهُمْ ُللهُ يُومُ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْتَظِرُهُمْ وَلَا يُكَيْبُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
ثُمَّ يَعِرِجُ الْذَّينَ بَاتَوا فِيكَمُ
(ح)
جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانِ إِلَىَّ النَّبِيِّ، قَالُوا: ابْعَثْ لَنا رَجُلًا أَمِيْتًا١
جَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نَحْجُومٍ مَعَ حَجَةِ الْوَدَاعِ
جَاءَ الْوَلِيدُ بَنِ غَيْرِةٍ إِلَىَّ النَّبِيِّ، فَسَمَعَ ُالقُرآنَ
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>طرف الحديث</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>180</td>
<td>جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام بلياليين للمسافر</td>
</tr>
<tr>
<td>182</td>
<td>جف القدم بما أنت لاقي</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(ج)

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الحديث</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>345</td>
<td>حديث أبي قتادة ﷺ في ضمان الدين عن الموت</td>
</tr>
<tr>
<td>97</td>
<td>حديث أداء مسيلة والأسود للنبوة</td>
</tr>
<tr>
<td>108</td>
<td>حديث استخرج ذريه آدم من ظهره</td>
</tr>
<tr>
<td>148</td>
<td>حديث الإسراء</td>
</tr>
<tr>
<td>189</td>
<td>حديث أن آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله</td>
</tr>
<tr>
<td>265</td>
<td>حديث تسمية الملوك الذين يسألان المقبرة بالمنكر والكوير</td>
</tr>
<tr>
<td>210</td>
<td>حديث انتخاب على قتل الحوراء</td>
</tr>
<tr>
<td>244</td>
<td>حديث الدعاء للأموات عند زيارة القبور</td>
</tr>
<tr>
<td>233</td>
<td>حديث الرجل الذي أمَّر أولاده أن يحرقوه إذا مات</td>
</tr>
<tr>
<td>310</td>
<td>حديث صاحب البطة</td>
</tr>
<tr>
<td>279</td>
<td>حديث صفة وضوئته</td>
</tr>
<tr>
<td>106</td>
<td>حديث لا يدخل المؤمنون الجنة إلا بشفاعته</td>
</tr>
<tr>
<td>219</td>
<td>الحسن والحسين [في الجنة]</td>
</tr>
<tr>
<td>247</td>
<td>حفت الجنة بالكئك، وحفت النار بالشهوات</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(ح)

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الحديث</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>306</td>
<td>خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا</td>
</tr>
<tr>
<td>270</td>
<td>خيار أنتمكم الذين تجرونهم ويهبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم</td>
</tr>
<tr>
<td>307</td>
<td>خير أمتي القرن الذي يبعث فيه</td>
</tr>
<tr>
<td>307</td>
<td>خير الناس قرني ثم الذين يلونهم</td>
</tr>
<tr>
<td>376</td>
<td>خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(د)

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرقم</th>
<th>الحديث</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>280</td>
<td>دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين، فمسح عليهما</td>
</tr>
<tr>
<td>270</td>
<td>الدين النصيدة. فلمن قال: الله وللكتاب ورسوله ولأمة المسلمين</td>
</tr>
<tr>
<td>270</td>
<td>وعامتهم</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td>طرف الحديث</td>
</tr>
<tr>
<td>---------</td>
<td>-------------</td>
</tr>
<tr>
<td>348</td>
<td>ذكر الرجل يطلب السفر أشعث أخبَرُ يمُد يديه إلى السماء</td>
</tr>
<tr>
<td>147</td>
<td>رأى جبريل على صورته التي خُلق عليها</td>
</tr>
<tr>
<td>150</td>
<td>رُفعَ حتى سمع فيه صريف الأقلاع</td>
</tr>
<tr>
<td>112</td>
<td>الزيداء: هي النظر إلى وجه الله الكريم</td>
</tr>
<tr>
<td>217</td>
<td>سباب المسلم فسوق وقُتلَ كفر</td>
</tr>
<tr>
<td>275</td>
<td>سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل</td>
</tr>
<tr>
<td>358</td>
<td>صلى النبي إلى بيته المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا</td>
</tr>
<tr>
<td>326</td>
<td>صلِّ قائمًا; فإن لم تستطع فقاعدًا؛ فإن لم تستطع فعلى جنب</td>
</tr>
<tr>
<td>254</td>
<td>الصلاوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما</td>
</tr>
<tr>
<td>263</td>
<td>صلوا على من قال: لا إله إلا الله</td>
</tr>
<tr>
<td>152</td>
<td>طوله شهر وعرضه شهر [الحوض]</td>
</tr>
<tr>
<td>219</td>
<td>عشيرة في الجنة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي</td>
</tr>
<tr>
<td>271</td>
<td>عكاشة بن محسن [في الجنة]</td>
</tr>
<tr>
<td>379</td>
<td>على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره</td>
</tr>
<tr>
<td>273</td>
<td>عليكم بستي، ومنه الخلفاء الراشدين المهديين</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td>طرف الحديث</td>
</tr>
<tr>
<td>---------</td>
<td>-------------</td>
</tr>
<tr>
<td>189</td>
<td>(ف) إذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش</td>
</tr>
<tr>
<td>102</td>
<td>فُضِّلتُ على الأنيبيين بِثَابَةٍ</td>
</tr>
<tr>
<td>376</td>
<td>ففصل عائشة على النساء كفضل البريد على سائر الطعام</td>
</tr>
<tr>
<td>148</td>
<td>قُرْبَتُ ذُرَّيةَ مَا كَرَبَتْ مِثْلَهُ قُطْ</td>
</tr>
<tr>
<td>134</td>
<td>فلمه الملك إعداد بالخير وتصديق بالحق</td>
</tr>
<tr>
<td>284</td>
<td>قلْ يَلَّغَ الشاهد الغائبُ قَرْبًا مَبْلَغٍ أَوْعِىٰ مِن سَامِع</td>
</tr>
<tr>
<td>299</td>
<td>(ق) القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران</td>
</tr>
<tr>
<td>334 و 121 و 162</td>
<td>قد رفع الله مقدار الخلق قبل أن يخلق السموم والأرض</td>
</tr>
<tr>
<td>321</td>
<td>قُدْ فَعَلَتْ قُوْلُوا: لا إِلَهِ إِلَّا اَللَّهُ، قُوْلًا: {يَحْكُمُ الْأَلْوَامَ إِلَّا وَبِيَانًا} [ص: 5]</td>
</tr>
<tr>
<td>28</td>
<td>(ك) كانت بنو إسرائيل تسوهم الأنيبياء</td>
</tr>
<tr>
<td>367</td>
<td>كان رسول الله ﷺ يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر</td>
</tr>
<tr>
<td>287 و 288</td>
<td>كان فيمن كان قبلهم رجل قتل تسعة وتسعين نسمًا</td>
</tr>
<tr>
<td>294</td>
<td>كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن البيت، وقف عليه وقال: استغفروا لأحليكم</td>
</tr>
<tr>
<td>24</td>
<td>كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يرفع بصرها إلى السماء</td>
</tr>
<tr>
<td>262</td>
<td>كان النبي ﷺ ترك الصلاة على من مات وعليه دين</td>
</tr>
<tr>
<td>266</td>
<td>كان النبي ﷺ يغير إذا طلع الفجر</td>
</tr>
<tr>
<td>245</td>
<td>كتب الله مقدار الخلق قبل أن يخلق السموم والأرض</td>
</tr>
<tr>
<td>309</td>
<td>كطرف العين، وكالبرق، و كالريح، وكالضي، وكاجواد الخيل</td>
</tr>
<tr>
<td>309</td>
<td>كلمتان خفيفتان على اللسان تقبلتان في الميزان حييتان إلى الرحمن</td>
</tr>
<tr>
<td>368</td>
<td>كنا نَحْيَيْنَ بِنَاسٍ في زمن النبي ﷺ</td>
</tr>
<tr>
<td>272</td>
<td>كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيظن المدينة</td>
</tr>
<tr>
<td>261</td>
<td>كيف أنت إذا كانت عليك أمراً يؤخرون الصلاة عن وقتها</td>
</tr>
</tbody>
</table>
لا أحد أحب إليه العذر من الله ........................................... 160
لا أحبص نية عليك أنت كما أثنت على نفسك .......................... 196
لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفخاه . . . 338
لا تسبوا أصحابي ........................................................................... 357 و 362
لا تفضلوا بين أنبياء الله ......................................................... 94
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ......................... 401
لا حول ولا قوة إلا بالله في إجابة المؤذن ............................ 331
لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ............................................. 420
لا افتعل ما أعطيت ولا معلي لما منعت ................................. 242
لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده ولدته ............ 230 و 234
لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به ........................................... 102
لا يحل دم إمرء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث .......................................................... 266
لا يدخل النار أحد هم من بائع تحت الشجرة ............................. 220 و 257 و 273
لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإيم أو فضيحة ............... 248
لا يزني الزناي حين يبني وهو مؤمن ................................. 203
لتبج كل أمة كانت تعب ................................. 37
لعل الله أطمع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شتمت فقد غطرت لكم .... 307
لقد همت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد ... 305
كل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته .................. 155 و 260
لما خلق الله الظنة والنار أرسل جبريل إلى الظنة .............. 314
لو أن السفوات السبع والأرضين السبع في كفه ولا إلا الله في كفه ... 311
لو كان موسى حبًا ما وسعه إلا اتباعي .............................. 94
لولا ألا تدافنوا للدعاء الله أن يؤمنكم من عذاب القبر ما أسمع ... 297
ليس أحد يحسب يوم القيامة إلا هلك ................................. 306 و 307
ليس أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل تعلم إذا انقطع .... 346
ليس منا من ضرب الخود، أو شق الجيوب ................................. 263
(م)

ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة .......................... 190
ما بال أقوم قالوا: كذا وكذا، لكي أصلي وأتام، وأصوم وأفطر ................. 412
ما بعث الله من نبيٍّ إلا أندى قومه الأعور الكذاب ................. 402
ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع ......... 302
ما غربت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأتها ..... 376
ما من الأنباء نبيٍّ إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ................. 88
ما منكمن من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ........... 306
ما من مسلم يدعو بدعاء ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها ......... 248

إحدى ثلاث .......................... 160
ما من مولود إلا يولد على الفطرة .......................... 160
ما من نفس مفصولة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ...... 221 و 212
مثل ما بعثي الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أورثاً .... 383
مروا أبا بكر فليصل بالناس .......................... 320
مروا بجازة فأثروا عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: «وجبت» ................. 220
مم تضحكون؟? .......................... 310
من أي عواءٍ أو كاهنة فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ .... 404
من أي عواءٍ أو فسالة عن شيء لم تقل له صلاة أربعين ليلة ......... 404
من أحب أن يضبط له في رزقه ويسأله له في أثره ......... 324
من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله .......................... 276
من اقتضى علمًا من النجوم اقتبس شُعبة من السحر زاد ما زاد ......... 766
من بدل دينه فقبلوه .......................... 302
من حلف على يحيى ضنّ يُتطلِب بها مال امرئٍ مسلم .................. 227
من رأى من أميره شياً يكرهه فليصير عليه .......................... 239
من رأى منكمن منكّرًا فليغيره يبهذ .......................... 238
من غش فليس متي .......................... 227
من قال حين يسمع النداء: اللهم ربي هذه الدعوة التامة ............... 100
من مات وعليه صيام صام عنه وليه .......................... 241
من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له

(ن)
بتّا على رأسٍ أربعين سنة من عمره

(ه)
هل تضارون في القمر ليلة القدر؟
هل وجدت في النورة: {废物 ماءٍ ريمٍ فريّك} [ط: 121]

(و)
واسيقى وهو في المسجد الحرام
واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعك بشيء لم ينفعك إلا شيء قد
كتبه الله لك
واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك...
والله فوّق العرش
والذي نحن محمد يعده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي...
والذي نحن بيد لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا
والذي نحن براء لا ينزل فيكم ابن مريم حكما مقضيًا
إن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كان كذا وكذا
إن العالم ليستغرق له من في السماوات ومن في الأرض
والحمد لله تمناً الميزان
والشر ليس إليك
ولا يزيد في العمر إلا البر

(ي)
تأتي الشيطان أخذكم فيقول: من خلق كذا
تأتي على القوم فيفوهما فيفونهم به [الدلائل]
يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به
عنها؟
يا رسول الله هل نفت أبا طالب بشيء؟
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>طرف الحديث</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>126 و 419</td>
<td>يا مقلب القلوب بُثت قلي على دينك</td>
</tr>
<tr>
<td>294</td>
<td>يَمْنِىَ اللَّهُ الْذِّينَ آمَنُوا بِالْقُوْلِ الْثَّانِيَ... نزلت في عذاب القبر</td>
</tr>
<tr>
<td>90</td>
<td>يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله</td>
</tr>
<tr>
<td>383</td>
<td>يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله</td>
</tr>
<tr>
<td>208 و 256 و 207</td>
<td>يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله</td>
</tr>
<tr>
<td>156 و 205</td>
<td>يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كفه عليه</td>
</tr>
<tr>
<td>153</td>
<td>يسجد لربه ويدعو ويستشفع فيه له: ارفع رأسك</td>
</tr>
<tr>
<td>261</td>
<td>يشخب فيه ميزابان من الجنة [الحوض]</td>
</tr>
<tr>
<td>162</td>
<td>يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم</td>
</tr>
<tr>
<td>126</td>
<td>يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة</td>
</tr>
<tr>
<td>51</td>
<td>يبين الله ملأى لا يغيبها نفقة</td>
</tr>
<tr>
<td>46</td>
<td>ينزل ربا إلى السماء الدنيا كل ليلة</td>
</tr>
<tr>
<td>92</td>
<td>ينزل عيسى في آخر الزمان</td>
</tr>
<tr>
<td>297</td>
<td>يهود تذكير في قبورها</td>
</tr>
<tr>
<td>156</td>
<td>يوقف المؤمنون على قنطرة بين الجنة والنار</td>
</tr>
</tbody>
</table>
شرح المقيدة الطحاوية
• آداب الشافعي ومناقبه: ابن أبي حاتم، ت: عبد العزيز عبد الخالق، مكتبة
الخليج، ط: الثالثة.
• الابتال والمناكير والصحاح والمشاهير: للجوزاني، ت: د. عبد الرحمن
الفرائي، دار الصميم، ط: الثالثة.
• الإباآة عن شريعة الفرقة الناجية: لاين بطة (الرد على الجهمية)، ت: د. يوسف
الواميل، دار الرأيا، ط: الثانية.
• الإباآة عن شريعة الفرقة الناجية: لاين بطة (القدر)، ت: د. عثمان عبد الله
الأثيوبي، دار الرأيا، ط: الثانية.
• إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر:AINAX، T: أنس مهرة، دار
الكتب العلمية، ط: الأولى.
• إثبات عذاب القبر: البيهقي، ت: د. شرف القضاة، دار القرآن، ط: الثالثة.
• الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء: د. عبد الززاق العباد، ضمن
الجامع للبحوث والرسائل، دار كنز أبنيليا، ط: الأولى.
• اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن اليم، ت: د. عواد المعتق، مكتبة الرشدي، ط:
الثالثة.
• الأحاديث المختارة: الضياء المقدمي، ت: د. عبد الملك بن دهش، مكتبة
النهضة الحديثة، ط: الأولى.
• أحكام القرآن: الشافعي، جمع البيهقي، ت: قاسم الشماعي الرفاعي، دار
القرآن، ط: الأولى.
• إحياء علوم الدين: الغزالي، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث، ط: الأولى.
• الأدب المفرد: البخاري: ت: كمال البحوث، علم الكتب، ط: الثانية.
• الأذكار: النووي، ت: عبد القادر الأرناوطي، دار الهدى، ط: الثالثة.
•
الإرشاد في معرفة علماء الحديث: الخليلي، ت: محمد سعيد بن عمر إدريس،
مكتبة الرشد، ط: الأولى.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: الألباني، المكتب الإسلامي، ط:
الثانية.

الاستماعا: لاين تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، ط: الأولى.

الأسماء والصفات: لببحيري، ت: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية
للتراث، ط: الأولى.

الإصابة في معرفة الصحابة: ابن حجر، ت: عادل أحمد وعلي معاوض، دار
الكتب العلمية، ط: الأولى.

أصول السنة: ابن أبي زهري، ت: عبد الله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية.


أضواء البيان: محمد الأمين الشقيري، دار عالم الفروع، ط: الأولى.


إعلام الموقعين: ابن القيم: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن القيم، ت: محمد الفقي، دار الكتب
العلمية، 1402هـ.

اقتضاء السراط المستقيم: ابن تيمية، ت: د. ناصر العقل، وزارة الشؤون
الإسلامية، السعودية، ط: السابعة.

الإفتاء وطلب الانتفاع: الحجاوي، ت: د. عبد المحسن التركي، بالتعاون مع
دار هجر.

إيضاء الفجر بأبناء العمر: ابن حجر، إشراق: د. محمد عبد المعيد خان، دائرة
المعارف العثمانية، تصوير دار الكتب العلمية، ط: الثانية.

الأئس: السمعاني، ت: عبد الرحمن المعملي وجماعة، دائرة المعارف
العثمانية، تصوير: دار الفروع الحديثة للطباعة والنشر.

أهواء القبور: ابن رجب، دار الهجرة، ط: الثانية.

إيضاح الدلالة في عموم الرسالة للقلائق: ابن تيمية، ضمن مجموع الفتوى،
المجلد 19، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب، 1412هـ.

الإيمان: العلمي، ت: حمد الحربي، الدار السلبية في الكويت.
· الإيمان الكبير: ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوي، المجلد 7، دار عالم الكتب، 1412 هـ.
· البحر الزخار: البزاز، ت: محفوظ الرحمن، زين الله، مكتبة العلوم والحكم، ط: الأولى.
· البحر المحيط: أبو حيان، إحياء التراث العربي، ط: الثانية.
· بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الكاساني، ت: محمد عدنان بن ياسين، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية.
· بدائع الفوائد: ابن القيم، ت: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط: الأولى.
· البداية والنهاية: ابن كثير، ت: عبد الله التركي، دار هجر، ط: الأولى.
· بغية المرشد: ابن تيمية، ت: د. موسى الفوشقي، مكتبة العلوم والحكم، ط: الثالثة.
· بيان تلبيس الجهمية: ابن تيمية، ت: جماعة من الباحثين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط: الأولى.
· تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، ط: الثالثة.
· تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ت: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى.
· تاريخ دمشق: ابن عساكر، ت: عمر بن غزامة العمري، دار الفكر، ط: الأولى.
· البيان في إعراب القرآن: العكبري، بيت الأنكار الدولية، ط: الأولى.
· التحفة العراقية في الأعمال القلبيّة: ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوي، المجلد 10، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب، 1412 هـ.
· التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي، ت: د. الصادق بن محمد، مكتبة المناهج، ط: الثانية.
· تفسير البحوي: (معالم التنزيل)، ت: محمد النمر، وصاحبه، دار طيبة، ط: الثانية.
· تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة، الإصدار الثاني، ط: الأولى.
تقرير التهذيب: ابن حجر، ت: صغير أحمد شاغف، دار العاصمة، ط:

الأولى.

التلخيص الحبیر: ابن حجر، ت: د. محمد الثاني بن عمر، دار أضواء

السلف، ط: الأولى.

التمهید: ابن عبد البر، وزارة الأوقاف المغربية، 1387 هـ.

النبی والردع على أهل الأموات والبدع: الملمع، ت: يمام المياديني، رمادي

للنشر، ط: الأولى.

تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: ابن عبد الهادي، ت: سامى جاد الله،

وعبد العزيز الخبائي، دار أضواء السلف، ط: الأولى.

تهذيب الآثار: ابن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي.

تهذيب التهذيب: ابن حجر، ت: إبراهيم الزبيدي وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة،

ط: الأولى.

تهذيب اللغة: الأزهري، ت: عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية

للتأليف والترجمة، 1384 هـ.

تهذيب سنن أبي داود: لاين القيم، ت: أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار

المعارفة، 1400 هـ.

التوحید: ابن خزيمة، ت: محمد خليل حراس، دار الكتب العلمية، 1412 هـ.

التفسیر في القراءات السبع: لأبي عمرو الداني، أوتوهيرتزل، دار الكتاب

العربي، ط: الثالثة.

تفسیر الطبري - جامع البيان -: ابن جریر، ت: د. عبد الله التركي، دار هجر،

ط: الأولى.

جامع بيان العليم وفضله: ابن عبد البر، إدارة الطباعة المغربية.

جامع المعلوم والحكم: لاين رجب، ت: طارق بن عوض الله، دار ابن

الجريز، ط: الثانية.

الجامع الكبير: الترمذي: ت، د. د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي،

ط: الثانية.

الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ت: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط:

الأولى.

جلاء الأفهام: لاين القيم، ت: زائد النشري، دار عالم الفوائد، ط: الأولى.
مراجعة التحقيق

- جواب أهل العلم والإيمان: ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، المجلد 17،
  ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب، 1412 هـ.
- الجواب الصحيح لمين بد فين المسيح: ابن تيمية، ت: د. علي الألمعي
  وصاحبه، دار الفضيلة، ط: الأولى.
- الجواب الكافي: ابن القيم، ت: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، ط:
  الأولى.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: القرشي، ت: عبد الفتاح الحلو، دار
  هجر.

- حادي الأرواح: ابن القيم، ت: زائد النشيري، دار عالم الفوائد، ط: الأولى.
- حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني، مطبعة السنة، ط: الأولى.
- الحيدة: عبد العزيز الكتاني، ت: إسماعيل الأنصاري، دار عمر، ط: الأولى.
- الخصائص الكبرى: السيوطي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى.
- خصائص المصطفى بين الغل والجفاء: د. الصادق بن محمد، دار المناهج،
  ط: الأولى.

- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام: النووي، ت: حسين
  النجم، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى.
- الدار المثرو في التفسير بالإثراء: السيوطي، دار الفكر.

- درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام
  محمد بن سعود الإسلامية.
- دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية: د. عبد الله الخصن، دار ابن
  الجوزي، ط: الأولى.
- دفع إهام الاضطراب عن أي الكتاب: محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم
  الفوائد، ط: الأولى.
- دلائل النيابة: البهيجي، ت: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط:
  الأولى.
- ذكر محبة الإمام أحمد: حنبيل بن إسحاق، ت: د. محمد نشط، مطبعة سعدى
  وشدني، ط: الثانية.
- ذم التأويل: لا ابن قدامة، ت: بدر البدر، الدار السلفية، ط: الأولى.
الرؤية: الدارقطني، ت: إبراهيم العلي وأحمد الرفاعي، مكتبة المنار، ط: الأول.

الرد على الجهمية: الدارمي، ت: بدر البدر، دار ابن الأثير، ط: الثانية.

الرد على المنطقين: ابن تيمية، ت: عبد الصمد شرف الدين، مؤسسة الريان، ط: الأول.

الرد على من قال بفناء الجنة والنار: ابن تيمية، ت: د. محمد السمحري، دار بلنسية، ط: الأول.

الرسالة: الشافعي، ت: أحمد محمد شاكر، تصوير: المكتبة العلمية.

الرسالة الصفوية: ابن تيمية، ت: سيد الجليسي، وأيمن الدمشقي، دار أضواء السلف، ط: الأول.

رسالة في علم الظاهر والباطن: ابن تيمية، ضمن مجموعة الفتاوى، المجلد 12، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب، 1412 هـ.

رفع العلم عن الأئمة الأعلام: ابن تيمية، ضمن مجموعة الفتاوى، المجلد 20، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب، 1412 هـ.

الروح: ابن القيم، ت: د. السيد جميلي، دار الكتب العربي، ط: السادسة.

روضة المحبين: ابن القيم، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الصميم، ط: الأول.

روضة الناظر وحنة المناظر: ابن قدامة، ت: د. عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد، ط: الرابعة.

رياض الصالحين: النووي، ت: شعب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: السابعة عشر.

زائد المستقنع في اختصار المقفع: الحجاوي، ت: عبد الرحمن العسكر، دار الوطن للنشر، ط: الأول.

زائد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط: الأول.

زائد المعاذ: ابن القيم، ت: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الخامسة والعشرون.

السلسلة الصحيحة: الألباني، مكتبة المعارف، 1415 هـ.
- السلسلة الشمسيّة: الألباني، مكتبة المعارف، ط: الطبعة الأولى للطبعة الجديدة.
- السنة: عبد الله بن أحمد، ت: د. محمد بن سعيد القحطاني، رمادي للنشر، ط: الثانية.
- سنن أبي داود: دار ابن حزم، ط: الأولى.
- سنن الدارقطني: الدارقطني، ت: شعيب الأرناووط وجماعة، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى.
- السنن الكبرى: البهقي، دائرة المعارف العثمانية، تصوير دار المعارفة.
- السنن الكبرى: النسائي، د. عبد الغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، ط: الأولى.
- سير أعلام النبلاء: الذهبي، ت: شعيب الأرناووط وجماعة، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة.
- شدّرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحناني، ت: محمد الأرناووط، دار ابن كثير، ط: الأولى.
- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: الحلي، ت: صادق الشيرازي، مؤسسة الوقاية.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: اللالكاني، ت: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، ط: السابعة.
- شرح الرسالة التذمرية: عبد الرحمن البراك، ت: سليمان الغصن، كنوز أشبيليا، ط: الأولى.
- شرح الراضي على الكافية: الاستربَّاشي، ت: يوسف حسن عمر، دار الفكر العربي القاهرة.
شرح المقدمة الطحاوية


- شرح المقدمة الطحاوية: ابن أبي العز، ت: د. عبد الله التركي وشعبش الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة.

- شرح حديث النزول: ابن تيمية، ت: د. محمد الخميس، دار العاصمة، ط: الثانية.

- شرح مشكل الآثار: الطحاوي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى.

- شرف أصحاب الحديث: الخطيب البغدادي، ت: محمد سعيد خطيب، دار إحياء السنة النبوية.


- شفاء العليل: ابن القيم، ت: السيد محمد العساني، دار الفكر، 1409 هـ.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة.


- صحيح البخاري: عندا: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط: الأولى.


- طريق الهجرتين وعباب السعادتين: ابن القيم، دار الوطن للنشر والإعلام.


- العبودية: ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، المجلد 10 ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب، 1412 هـ.
مراجع التحقيق

- عقيدة السلف أصحاب الحديث: للصابوني، ت: بدر القدر، مكتبة الغرباء
  الأثرية، ط: الثانية.
- المعتقد الطحاوي: الطحاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
  والدعوة والإرشاد، 1404 هـ.
- المعتقد الواسطية: ابن تيمية - ضمن شرحها: توضيح مقاصد الواسطية: للشيخ
  عبد الرحمن البراك، ت: عبد الرحمن السديس، دار التدمرية، ط: الأولى.
- العلل: ابن أبي حاتم، ت: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد الحمدي
  ود. خالد الجريسي، ط: الأولى.
- علل الترمذي الكبير: ترتيب أبي طالب القاضي، ت: صبحي الساعري
  وصاحبه، عالم الكتب، ط: الأولى.
- العلل الواردة في الحديث النبوي: الدارقطني، ت: محفوظ الرحمن زين الله،
  دار طيبة، ط: الأولى.
- العلل للعلي الغفار: الذهبي، ت: د. عبد الله البراك، دار الوطن، ط: الأولى.
- غاية السول في خصائص الرسول: ابن الملقن، ت: عبد الله بحر الدين، دار
  البشائر.
- نتائج اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع: أحمد الدوشي، دار
  العاصمة، ط: الثالثة.
- فتح الباري: ابن حجر، ت: ابن بازر، المطبعة السلفية، ط: الأولى.
- فتح المغيث: السخاوي، ت: د. عبد الكريم الخضير ود.محمد الفهيد، دار
  المنهاج، ط: الأولى.
- الفتوى الحموية الكبرى: ابن تيمية، ت: حمد التويجري، دار الصميمي، ط:
  الأولى.
- الفتحات المكية على الأذكار النواوية: ابن علان، دار إحياء التراث العربي.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ابن تيمية، ضمن مجموع الفتوى،
  المجلد 11، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب، 1412 هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم، ت: أحمد شمس الدين، دار
  الكتب العلمية، ط: الأولى.
- فضائل الباطنية: الغزالي، ت: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة الكتب الثقافية
  بالكويت.
شرح المقيدة الطحاوية

- فيض القدر: المناوي، أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط: الأولى.
- قدم العالم وتسيل الحواض: كابيل الكواري، دار أسامة.
- تطف الأزهار المتانة في الأخبار المتواترة: للسيوفي، ت: خليج الميام، المكتب الإسلامي، ط: الأولى.
- الكافية الشافية: ابن القيم، ت: محمد العربي وجماعة، دار عالم الفوائد، ط: الأولى.
- الكامل في ضعفاء الرجال: لابن عدي، ت: عادل عبد الموجود، وعلي موعوض، دار الكتب العلمية، ط: الأولى.
  - كتاب النزول: محمد بن عبد الوهاب، ضمن مجموع مؤلفاته ورسائله - دار القاسم، ط: الأولى.
  - كتاب القدر: الفريقي، ت: عبد الله المنصور، دار أضواء السلف، ط: الأولى.
- الكشف: الزمخشري، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى.
- لسان الميزان: ابن حجر، ت: محمد المرعشلي وجماعة، دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى.
- المبسوط في فقه الإمام: الطوسي، ت: محمد تقى الكشفي، المكتبة المرتضوية.
- مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: أحمد الشنقيطي، مكتب الشؤون الديني بالكويت، ط: الأولى.
  - مجموع الفتوى: ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، دار عالم الكتب، 1412 هـ.
- مختصر الصواعق المرسلة: ابن الموصلي، ت: د. الحسن العلوي، دار أضواء السلف، ط: الأولى.
- مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول: أبو شامة المقدس، ت: صالح الدين مقبول أحمد، دار غراة، ط: الثانية.
• مختصر سنن أبي داود: المندوبي، ت: أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة، 1400 هـ.
• المختصر المفيد في بيان دلائل أقسام التوحيد: د. عبد الرزاق العباد، ضمن الجامع للبحوث والرسائل، دار كنوز أشبيليا، ط: الأولي.
• مدارج السالكين: ابن القيم، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط: الأولي.
• المستدرك على الصحيحين: الحاكم، ت: جماعة من العلماء، دار المعارف
• النظامية في خيرات الدكر، تصوير دار الفكر، 1398 هـ.
• مسند أبي داود الطيلاني: ت: د. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط: الأولي.
• مسند الإمام أحمد: ت: شهيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة، ط: الأولي.
• مسند الشاميين: الطبراني، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية.
• مصاحب الزجاجة في زوائد ابن ماجه: البوصيري، ت: د. عوض الشهری، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط: الأولي.
• المصنف: أبو بكر بن أبي شيبة، ت: محمد عوامة، شركة دار القبلة، ط: الأولي.
• المصنف: عبد الرزاق الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط: الثانية.
• المعجم الأوسط: الطبراني، ت: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الخرمين، ط: الأولي.
• المعجم الكبير: الطبراني، ت: حمدي السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي، ط: الثانية.
• المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: العراقي، بهامش إحياء علوم الدين، ت: السيد إبراهيم، دار الحديث، ط: الأولي.
• المغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام، ت: محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، 1427 هـ.
• مفاتح دار السعادة: ابن القيم، مكتبة الرياض الحديثة.
• المقاصد الحسنة: السخاوي، ت: محمد الخشت، دار الكتاب العربي، ط: الثانية.

• مقالات الإسلاميين: الأشعري، ت: هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر، ط: الثالثة.

• مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، ضمن شرحها: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط: الثانية.

• الملزل والحل: الشهرستاني، ت: السعيد المندو، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: الأولى.

• مناظرة الواسطية: ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، المجلد 3، ت: ابن قاسم، دار عالم الكتب، 1412 هـ.

• مناقب الإمام أحمد: ابن الجوزي، ت: د. عبد الله التركي، دار هجر، ط: الثانية.

• منهج السنة النبوية: ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، دار الكتاب الإسلامي، ط: الأولى.

• المناهج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي، ت: خليل ش히ا، دار المعرفة، ط: الرابعة.

• المهذب في اختصار السنن الكبير: للذهبي، إشراط: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، ط: الأولى.

• الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراط: د. مانع الجهني، ط: الثالثة.

• موقف ابن تيمية من الأشاعرة: د. عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، ط: الأولى.

• النبوات: ابن تيمية، ت: د. عبد العزيز الطويان، دار أضواء السلف، ط: الأولى.

• نخبة الفكر: ابن حجر: ضمن شرحه نزهة النظر، ت: نور الدين عطر، دار الخير، ط: الأولى.

• نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ابن حجر، ت: نور الدين عطر، دار الخير، ط: الأولى.
النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى.

نصب الراية: الزيلعي، ت: إدارة المجلس العلمي، تصوير مكتبة الرياض الحديثة، ط: الثانية.

نظم المناظر من الحديث المتواتر: محمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية، ط: الثانية.

نقض عثمان بن سعيد على المرسي الجهيمي العنيدي: ت: منصور السماري، أضواء السلف، ط: الأولى.

النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، 1399 هـ.

الواصف الصيب: ابن القيم، ت: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، ط: الأولى.


وفيات الأعيان: ابن خلكان، د. إحسان عباس، دار الثقافة.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مقدمة المعد وطريقة العمل في إخراج الشرح</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>ترجمه الإمام الطحاوي</td>
<td>9</td>
</tr>
<tr>
<td>ترجمه الشيخ البراك</td>
<td>12</td>
</tr>
<tr>
<td>مقدمة الشارح</td>
<td>17</td>
</tr>
<tr>
<td>ميزة المختصرات</td>
<td>17</td>
</tr>
<tr>
<td>يطلق الاعتقاد ويراد به: عقد القلب، والشيء المعتقد</td>
<td>18</td>
</tr>
<tr>
<td>استدراك الشارح على الطحاوي في قوله: &quot;على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة...&quot;</td>
<td>18</td>
</tr>
<tr>
<td>غلب على تعبير كثير من أهل العلم إطلاق أصول الدين على مسائل الاعتقاد</td>
<td>18</td>
</tr>
<tr>
<td>مسائل أصول الدين نوعان: علمية وعملية، ولكل قسم أصول وفروع</td>
<td>19</td>
</tr>
<tr>
<td>التوحيد: الإيمان بأن الله واحد في ربيته وإلهيته وأسمائه وصفاته</td>
<td>21</td>
</tr>
<tr>
<td>التوحيد اعتقاد العبد وفعله، والوحدانية صفة الرب تعالى</td>
<td>21</td>
</tr>
<tr>
<td>التوحيد بكل معانيه هو أصل دين الرسل من أولهم إلى آخرهم</td>
<td>22</td>
</tr>
<tr>
<td>التوحيد هو أول واجب على المكلف</td>
<td>23</td>
</tr>
<tr>
<td>أقوال المتكلمين في أول واجب على المكلف</td>
<td>24</td>
</tr>
<tr>
<td>الآية التي تقطع عروق شجرة الشرك من القلب</td>
<td>26</td>
</tr>
<tr>
<td>من أهل السنة من يقسم التوحيد ثلاثة أقسام ومنهم من يجعلها قسمين</td>
<td>26</td>
</tr>
<tr>
<td>معنى توحيد الروبية</td>
<td>26</td>
</tr>
<tr>
<td>معنى توحيد الإلهية</td>
<td>26</td>
</tr>
<tr>
<td>معنى توحيد الأسماء والصفات</td>
<td>27</td>
</tr>
<tr>
<td>تقسيم التوحيد مستند من استقراء النصوص</td>
<td>27</td>
</tr>
<tr>
<td>هل لتقسيم التوحيد ثمرة؟</td>
<td>28</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td>الموضوع</td>
</tr>
<tr>
<td>---------</td>
<td>----------</td>
</tr>
<tr>
<td>29</td>
<td>تقسيم المبدعة للتوحد</td>
</tr>
<tr>
<td>30</td>
<td>نفي المثل عن الله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>30</td>
<td>زعم المعلقة أن إثبات الصفات تشبه ورد أهل السنة عليهم</td>
</tr>
<tr>
<td>33</td>
<td>نفي العجز عن الله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>33</td>
<td>كل ما جاء في صفات الكمال من النفي فهو متضمن لإثبات كمال ضده</td>
</tr>
<tr>
<td>34</td>
<td>المعالجة يصفون الله باللفظ المعجز</td>
</tr>
<tr>
<td>36</td>
<td>الذكر باللفظ المفرد أو الضمير ذكر مبتدع</td>
</tr>
<tr>
<td>37</td>
<td>معنى لا إله إلا الله</td>
</tr>
<tr>
<td>39</td>
<td>إثبات دعاء الرب تعالى أزل وأبدا</td>
</tr>
<tr>
<td>39</td>
<td>القديم والدائم ليسا من الأسماء الحسنى</td>
</tr>
<tr>
<td>41</td>
<td>إثبات الإرادة لله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>41</td>
<td>الإرادة المضافة لله تعالى: كونية وشرعية</td>
</tr>
<tr>
<td>42</td>
<td>الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية</td>
</tr>
<tr>
<td>42</td>
<td>الإرادة الشرعية لا تفسر بالمشيئة</td>
</tr>
<tr>
<td>43</td>
<td>الإذن والقضاء والتحريم والبعث والإرسال نوعان: كوني وشريعي</td>
</tr>
<tr>
<td>43</td>
<td>المتعزلة ينون الإرادة الكونية</td>
</tr>
<tr>
<td>45</td>
<td>تنزه الله عن الإحاطة به</td>
</tr>
<tr>
<td>45</td>
<td>مقوله: «كل ما خطر بالك فله بخلاف ذلك» مبتدعة مجملة</td>
</tr>
<tr>
<td>46</td>
<td>كيفية ذات الرب وكيفية صفاتها لا سبيل للعباد لمعرفتها</td>
</tr>
<tr>
<td>47</td>
<td>تنزه الله عن مشابهة خلقه</td>
</tr>
<tr>
<td>47</td>
<td>ترجيح الشارح لفظه: «لا يشبه الأئم» على «لا يشبه الأئم»</td>
</tr>
<tr>
<td>47</td>
<td>التمييز الذي يجب نفيه عن الله تعالى: تمكيل الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق</td>
</tr>
<tr>
<td>49</td>
<td>إثبات الحياة والقيومة لله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>49</td>
<td>القيوم ورد في ثلاثة مواضع مقرورًا بالحي</td>
</tr>
<tr>
<td>49</td>
<td>معنى القيوم</td>
</tr>
<tr>
<td>50</td>
<td>قال ابن القيم: الحي القيوم يتضمن جميع الصفات</td>
</tr>
<tr>
<td>50</td>
<td>خلق الله الخلق من غير حاجة إليهم</td>
</tr>
<tr>
<td>51</td>
<td>رزقه تعالى لجميع عباده بلا كلفة ولا مشقة</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحه</td>
<td>الموضوع</td>
</tr>
<tr>
<td>-------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٢</td>
<td>تزنيح الله تعالى عن الخوف</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٢</td>
<td>يبعث الله الأولين والآخرين بلا مشقة</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٢</td>
<td>ليس في الأشياء بالنسبة إلى قدرة الله هين وأهون</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٢</td>
<td>معنى قوله تعالى: «وَمَا أُهِبَّ عَلَيْهِمْ»</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٤</td>
<td>إثبات الكمال المطلق الله أزلًا وأبدًا</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٤</td>
<td>ما زال ولا يزال: فعلن يدلان على الاستمرار والدوام</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٥</td>
<td>كان في مثل قوله تعالى: «فَلِلَّهِ كُلُّ شَيْءٌ بِعِيدًا» تفيد الاستمرار</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٦</td>
<td>صفات الله نواعان: ذاتية وفعلية</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٦</td>
<td>ضابط ذاتية وفعلية</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٦</td>
<td>الكلام والخلق والرزق صفات ذاتية فعلية</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٧</td>
<td>الجهمية والمعترضة نفوا كل الصفات ولم يثبتوا إلا ذاتًا مجردة</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٧</td>
<td>الكلانية نفوا الصفات الفعلية</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٧</td>
<td>الأشاعرة نفوا كثيرًا من الصفات الذاتية والفعلية</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٧</td>
<td>الأفعال الاختيارية هي المتعلقة بالمشيئة</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٧</td>
<td>شبهة نفاة الأفعال الاختيارية قولهم: إن الله مستوى عن حلول الحوادث</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٧</td>
<td>حلول الحوادث» لفظ محدد مجمل يحمل حقًا وباطلًا</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٨</td>
<td>الكلانية أثنتا الأفعال ونفوا تعلق المشيئة بها</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٨</td>
<td>الفعل عند الجهمية والمعترضة والأشاعرة هو نفس المفعول</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٨</td>
<td>الحق المعلوم أن الأمور ثلاثة: فعل وفاعل ومفعول</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٨</td>
<td>الجهمية والمعترضة ومن تبعهم قالوا بامتثال حوادث لا أول لها</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٩</td>
<td>من قال: إن دوام الحوادث متبع ورب لم يزل قادرًا عليها فقد جمع بين</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٩</td>
<td>الأيدين</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٩</td>
<td>في تسلسل المخلوقات ثلاثة مذاهب</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٩</td>
<td>الجهمية قالوا بامتثال دوام الحوادث في الماضي والمستقبل</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٩</td>
<td>جمهور المتكلمين قالوا بامتثال الحوادث في الماضي وجوائزه في المستقبل</td>
</tr>
<tr>
<td>٥٩</td>
<td>الحق هو جواز دوام الحوادث في الماضي والمستقبل</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٠</td>
<td>القول بإمكان دوام الحوادث في الماضي لا يلزم محذورًا</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٠</td>
<td>يجب على المسلم أن يؤمن بأن الله تعالى لم يزل على كل شيء قادرًا وأنه</td>
</tr>
<tr>
<td>٦٠</td>
<td>فقال لما يريد ..............</td>
</tr>
</tbody>
</table>
شرح المقيدة الطحاوية

الموضوع

الجواب أهل السنة للكلام في مسألة التسلسل أهل الكلام حين تكلموا بالباطل...

وصف الله بالخالق والبارز قبل خلقه للخلق...

يحتل أن الطحاوي يمنع التسلسل في الماضي...

القول بامتلاع تسلسل الحوادث في الماضي قول منكر...

هل المخلوقات لم تزل فعلًا أو يمكن دوامها وتسلسلها في الماضي لكنه لم يقع؟

إثبات كمال قدرته وغناه تعالى وخطر خلقه إليه...

كل الموجودات وجدت بمشيئته وقدره تعالى...

المعزولة يخرجون أفعال العباد عن قدرة الله ومشيئته...

النى العام المطلق من لوازم ذات الرعب والفقر من لوازم المخلوق...

إثبات صفاته تعالى ونبي ممائلته للمخلوقات...

مذهب أهل السنة يقوم على "إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله" من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكيف ولا تمثيل"...

ركائز المذهب الحق في الصفات: إثبات صفات الكمال الله تعالى، ونبي...

ممائلته للمخلوقات، ونبي العلم بالكيفية...

أحسب وأقرب أقوال أهل التفسير واللغة في الكاف في قوله تعالى: "يَقُولُ..." كَيْفَ مِثْلُهُ؟" أنها صلة - زائدة - للتوكيد...

السمع البصري اسمان من الأسماء الحسنى ويتضمنان صفة السمع والبصر...

الخلق يستلزم العلم...

الأدلة على إثبات علم الله كثيرة في الكتاب والسنة وهي صفة دل على العقل...

والسمع...

الله تعالى يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون...

الجهمية ينفون الأسماء والصفات...

المعزولة أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات...

علم الله تعالى أزلي لا يتجدد...

ما جاء في القرآن مما قد يفهم منه تجد العلوم فالمدراد به علمه تعالى بالشيء موجودًا...
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الله لا يحاسب العباد بموجب علمه قبل خلقهم بل يجزيه على ما وقع منهم.</td>
</tr>
<tr>
<td>الفاعل</td>
</tr>
<tr>
<td>لا نحيط به لكن نفهمه إجمالًا.</td>
</tr>
<tr>
<td>الأجل يطلق على نهاية المدة المقدرة أو على نفس المدة كلها.</td>
</tr>
<tr>
<td>المعتزولة يقولون: إن المقتول قد قطع عليه القاتل أجزه.</td>
</tr>
<tr>
<td>قال أهل السنة: المقتول ميت بأجله والأجلاج جعل الله لانقضائها أسابيع.</td>
</tr>
<tr>
<td>دلت النصوص أن لطول العمر وقصره أسابيع: كونية وشرعية.</td>
</tr>
<tr>
<td>بعض أهل البدع زعم أن الدعاء لا فائدة منه.</td>
</tr>
<tr>
<td>من أنكر فائدة الدعاء بنى قوله على علم تأثير الأسباب في مسيراتها.</td>
</tr>
<tr>
<td>ووجب الإيمان بالشرع والقدر.</td>
</tr>
<tr>
<td>المشركين والخيرية يثبتون القدر ولكنهم ينكرون الشرع ويعرضون عنه.</td>
</tr>
<tr>
<td>المعتزولة ينون تعلق مشيئة الله بأفعال العباد مع أنهم يقررون بالشرع.</td>
</tr>
<tr>
<td>الإلياسية قالتا: إن الشرع والقدر بينهما تناقض وطعنوا في حكمة الرز المالى.</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات عموم مشيئة الله تعالى.</td>
</tr>
<tr>
<td>أعمال العباد نواع: اختيارية ولا اختيارية.</td>
</tr>
<tr>
<td>الهدایة نواع: هدایة الدلاتة والبيان، وهدایة التوفيق.</td>
</tr>
<tr>
<td>هدایة التوفيق لا يملكها إلا الله تعالى.</td>
</tr>
<tr>
<td>المعتزولة أنكرت هدایة التوفيق.</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات الحكمة في أعمال الله تعالى.</td>
</tr>
<tr>
<td>بعض علل أفعال الله قد نص عليها، وبعضها تعرف بالتدبر، ومنها ما لا يعلم.</td>
</tr>
<tr>
<td>كلام ابن القيم في &quot;درجات السالكين&quot; عن التوفيق والخضان.</td>
</tr>
<tr>
<td>تنزه الله تعالى أن يكون له ضر أو نذ.</td>
</tr>
<tr>
<td>نفاذ قضائه وحكمه ثابك وتعالى.</td>
</tr>
<tr>
<td>وجب اعتقاد أن محمدًا عبد الله ورسوله.</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد أشهر أسماه ولا اسماء أخرى منها أحمد والمحاشي والحاشر والعاقب.</td>
</tr>
<tr>
<td>أسماه عظم وصفات.</td>
</tr>
<tr>
<td>أنى الله على نبي محمد ﷺ بالعبودية الخاصة وأضافه إلى نفسه من باب إضافة.</td>
</tr>
<tr>
<td>الشريف.</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الموضوع

حسن تناسب عبارات الطحاوي في ربطه الاصطفاء بالعمرودية والاجتيابة بالنبي .

محمد ﷺ نبي ورسول وأكثر ما خوطب في القرآن بلفظ (النبي) ....

الفرق بين النبي والرسول ....

ملحوظتان على قول من عرف النبي بأنه من أوحي إليه بشرع ولم يأمر بتبليغه .

الصواب أن كل نبي رسول مأمور بالتبليغ لكن الأرسال على نوعين إذا ذكر الأنباء بإطلاق فإنه يشمل الرسل وإذا ذكر الرسول بإجمال فإنه يشملهم ....

كلهم ......

المعزولة قالوا: ل تثب البوابة إلا بالمعجزة ......

تقطع كلام المعزولة ......

علاء الناس يفرحون بين النبي الصادق والمنتب كذاب ....

معرفة أن محمد ﷺ خاتم الأنباء من المعلوم من الدين بالضرورة ......

معرفة أن محمد ﷺ مرسال إلى جميع الناس من المعلوم من الدين بالضرورة ....

من اعتقد أنه يسمع الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر ......

عبيس ﷺ ينزل في آخر الزمان ويحكم بشريعة محمد ﷺ ......

محمد ﷺ إمام المتقين مطلقًا ......

يمكن للإنسان أن يكون إمامًا لجنس من المتقين ......

الشفاعة العظمى هي المقام المحمود ......

أفضل الأنباء أولو الغزم وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ......

المنفي عنه هو التفضيل بين الأنباء على وجه التعبص ......

وصفت النبي ﷺ بأن حبيب رب العالمين ليس فيه خصوصية ......

كان الأولي بالطحاوي أن يقول: خليل رب العالمين ......

الخلا من خصائصه مع إبراهيم ......

حديث: (إبراهيم خليل الله ... وأنا حبيب الله) لا يصح سندا ولا متنًا ......

غلط الصوفية في ترديد لفظ (حبيب رب العالمين) مكان (خليل رب العالمين) ......

كل دعوى للبوابة بعد محمد ﷺ فهي دعوى باطلة ......

ادعى البوابة في حياة النبي ﷺ: مسلمة الكذاب والأسود العصي ......

عموم بعثة النبي ﷺ للجن والأنس ......

الأدلة على إرساله ﷺ للجن ......

يظهر من آيات سورة الأحقاف أن موسى ﷺ مرسال للجن ......
الирован التفصيلي

الموضوع

الصفحة

جمهور أهل العلم على أن الرسول من البشر ومن الجن دعاء ....... 99
الجن عالم غيب، ويعيشون على الأرض مع الناس ............. 99
من يكرر وجد الجن فهو كاذب .................. 100
فضل رسالته وكمال شريعته .......................... 101
بعض خصائص النبي .......................... 101
حق النبي .......................... 102
الناس في شأن النبي .......................... 102
بعض الكنب المؤلفة في خصائص النبي .......................... 102
عقدة أهل السنة في القرآن .......................... 104
الأعدة على أن القرآن كلام الله .......................... 104
معنى قوله في القرآن: «منه بدى وإليه يعود» .......................... 105
يسرى على القرآن في آخر الزمان فيرفع من المصاحف والصدور .......................... 105
المصدر المؤكد يشترط أن يكون من لفظ الفعل أو معناه .......................... 106
الجهيمة والمعتزلة يقولون: القرآن كلام الله وإضافته إليه من إضافة المخلوق .......................... 106
إلى خالقها .......................... 107
هذه المسألة هي التي نشأت عنها فتة القول بخلق القرآن وامتنع فيها العلماء .......................... 107
الأشاعرة منهم في القرآن ملتقى، وتحرير ملتقىهم .......................... 107
الجهيمة والمعتزلة والأشاعرة كلهم يقولون: القرآن كلام الله لكن كل على أصله .......................... 107
الكلام يضاف إلى من قاله مبتدأ لا إلى من قاله ميلقا مؤديا .......................... 108
من زعم أن القرآن كلام البشر أنشأه محمد فهو كافر .......................... 108
قصةولد بن المغيرة وسماعه القرآن من النبي ونزل آيات من سورة .......................... 109
المدرر
تحدى الله التقلين أن يأتوا بمثل القرآن أو عشر سُور مثله أو سورة مثله .......................... 109
افتتاح السُور بالحروف المقطعة دليل على الإعجاز .......................... 110
قال نجم بن حماد: «من شبه الله بخلقه كثير، ومن جحد ما وصف الله به نفسه .......................... 111
كفر» .......................... 110
الأعدة على إثبات كلام الله كثيرة ومتنوعة .......................... 111
إثبات رؤية المؤمنين لرهم في الآخرة .......................... 112
دلى على مسألة الرؤية القرآن والسنة المتواترة وأجمع على ذلك أهل السنة .......................... 113
شرح المقيد صاحب

الموضوع

الفعل (نظر) يأتي في اللغة العربية على وجه

أقوال السلف في معنى قوله تعالى: {على الأرجح ينظرون}

أنكرت الجهمية والمعتزلة رؤية الله

نبي الجهمية والمعتزلة للرؤية منسب لمذهبهم في التعطيل

الرد على استدلالهم يقول الله تعالى: {لا تُدْعِيِّضُهُ الْأَطْرُشُ}

نفي في صفات الله لا بد أن يتضمن شبوًا

تحريف الجهمية والمعتزلة للآيات الدالة على الرؤية

معنى قول النبي: {سترون ربك كما ترون القمر}

أوجه الشبه بين رؤية الله وبين رؤية الشمس والقمر

موقف أهل الكلام من السنت النبوية الدالة على مسائل الاعتقاد

إنكار الرؤية كفر لأنه إنكار أمر معلوم من الدين بالضرورة

الأشاعرة يقولون: إنه تعالى يرى لا في جهة!

قول الأشاعرة في الرؤية فيه تفتيق كعادتهم

سبب قول الأشاعرة في الرؤية إنكارهم للعلو

لا يصح أن يقال إن الطحاوي يفوّض نصوص الرؤية؛ لأنه أثبتها

واجب التصديق بخبار الرسول وحمله على مراده

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: التأويل صار مستعملًا في ثلاثة معاين

إذا قال الأصوليون: هذا مؤلّ فمعناه أنه مصروف عن ظاهره

ما سلم عبد في دينه إلا إذا انتقاد الله بالصديق وإخلاص العبادة ورسوله

بالصديق والمتابعة

أهل الباطل يطلقون من أصولين: الظن أو الهوى

الرسول لا يأتون بما تحيله العقول لكن قد يخرون بما تجار في العقول

ثناء ابن القيم على كتاب شيخه (دره تعارض العقل والنقل)

حكم الله نونان: كوني وشرعي

يجب على العبدي الرضا عن الله في تديبه وحكمه الكوني والشرعي

يجب أن يعمل في الأمور المضمّة من حيث الدفع والطلب بموجب الشرع

وجوب التسليم لحكم الله تعالى ورسوله وتقييمه على الآراء

جهة الصوفية يرون أن من التسليم للقدر الاستسلام لكل ما يجري للإنسان

بحيث لا يدفع شيئًا من المكره
الفهرس التفصيلي

الموضوع

الهدى هو العلم النافع، ودین الحق هو العمل الصالح ........................................... 125
المبتدعة على اختلاف مذاهبهم لم يقنعوا بما جاء به الرسول ﷺ ........................................... 126
رد شيخ الإسلام في مقدمة الحموية على من زعم أن النبي ﷺ لم بين الناس اعتقادهم في رؤهم تعالى ............................................................ 126
يقولون المبتدعة إن نصوص الصفات ظاهرة التشبه؛ ففوازها أو أولاها ........................................... 126
حقائق ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته واليوم الآخر لا يمكن للعباد معرفتها ............................................................ 127
الأصل أن كل النصوص يمكن فهم معانيها ............................................................ 127
لا يستقر إسلام العبد وتحصل له الطمانئة إلا بالتسليم لله ورسوله ............................................................ 128
المعارضة والمنازعة لا تأتي إلا من ضعف الإيمان بعدل الرب وحكيمه ............................................................ 128
يجب على المسلم أن يدفع كل المعارضات التي تختبر بالله أو يسمعها على ألسن الشياطين ............................................................ 129
العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح؛ لكن العقل مع النقل له طاقة وحدود ............................................................ 129
العلاج الشرعي عند ورود الوساوس الشيطانية على قلب العبد كل ما يخالف ما جاء في الكتاب والسنة فهو باطل ولا يلزم أن يكون للإنسان قدرة على تزويج تلك الشيبة ............................................................ 130
انفتح على الناس في هذا العصر أباب من الشر كوسائل الإعلام التي أكثر ما تستعمل في الشر ............................................................ 131
وسائل الحديثة أتاحت لكل ملحد ويمتدع أن يتكلم بما يريد ............................................................ 131
أثر عدم التسليم لله تعالى ورسوله ............................................................ 131
قول الناس: (فلان ما يستاهل) اعتراض على تدبير أحكم الحاكمين ............................................................ 131
tكلف وطلب ما لا سبيل إلى معرفتي يتافي تحقيق التوحيد ............................................................ 131
سوء عاقبة من لم يسلم لخير الله تعالى ورسوله ............................................................ 132
قلب بين حالتين: بين لقاء الملك، ولجنة الشيطان ............................................................ 134
من أثبت الرؤية على خلاف ظاهر النصوص أو تخيلها أوهما أو تأويلها بفهم ............................................................ 135
فلا يصح إيمانهم بالرؤية ............................................................ 135
الصراط المستقيم والمنهج القوي بترك التأويل ............................................................ 136
بعض العبادات التي توهن التوفيق لكن لا يُراد منها التوفيق ............................................................ 136
كلام شيخ الإسلام في التدبر على ما يظهر أهل التوفيق ............................................................ 137
مذهب أهل السنة في إثبات الصفات وسط بين المعطلة والمشبيحة ............................................................ 138
شرح المقيدa الطحاوية

الموضوع

الناس في الأسماء والصفات ثلاث طروائف.......................................................... 138

ال🔥 المشهورة - مع بطلان مذههم - خير من المحطة ........................................... 139

الطحاوي يتحرى السجع؛ لأنه يروق للسمع ......................................................... 139

اسم الله تعالى: الأحد والمائدة ثابت في القرآن ................................................ 140

الواجب في الألفاظ المحدثة في صفات الله تعالى .............................................. 141

هذه الألفاظ التي استعملها الطحاوي لم ترد في الكتاب والسنة وهي من جنس عبارات أهل البديع .......................................................... 141

القاعدة في الألفاظ المحدثة المجملة: التوقف عن الحكم على قائلها أو عليها ﷺ .. 141

لا بعد الاستقلال .......................................................... 142

الحد يطلق ويُراد به تحديد الماهية، ويُراد به أنه تعالى ليس ساريًا في المخلوقات .......................................................... 142

الغاية تطلق ويُراد بها النهاية، وتطلق ويُراد بها المقصود من الفعل ........... 142

الله تعالى حكمة بالغة في خلقه وشرعه .......................................................... 142

نفي الطحاوي للأركان والأعضاء هذا التعبير يمكن أن يفهم منه المبطل نفي بعض الصفات .......................................................... 143

نفي الجهة عن الله لفظ مجمل مبتعد، بل النصوص مصريحة بأنه تعالى في العلو 144

ثناء الشارح على شرح ابن أبي العز .......................................................... 145

منهب أهل السنة في الإسراء والمبعز .......................................................... 146

الطحاوي في عقيدته هذه لم يلتزم بالتنسيق بين المسائل وضم كل نوع لما يناسبه .......................................................... 146

ليس المراد من إثبات المعراج إثبات آلة العرور؛ بل إثبات عرور النبي ﷺ إلى السما 147

الأحاديث في صفات المعراج غالبة غير صحية .................................................. 147

اختلاف الناس في حقيقة الإسراء والمبعز - مع الاتفاق على تبئهما - على أي وجه وقع الحق أن الإسراء والمبعز كان يقظة بروحه ويدنه ﷺ ......................... 147

بعض ما تضمته حديث الإسراء والمبعز .......................................................... 148

قال بعضهم: إن الإسراء والمبعز كان مناماً . . والرد على قولهم .................. 148

نسب إلى عائشة ومعاوية أن الإسراء كان بالروح لا بالجسد .................................. 149
الفهرس التفصيلي

الموضوع

الحوض في عرصات القيامة قبل دخول الجنة .......................... 152
بعض صفات الحوض ........................................ 153
كل حوض لكن حوض نبي هو أعظمها ........................... 153
هل الحوض قبل الميزان؟ وهل هو قبل الصراط؟ .............. 154
إثبات شفاعة النبي لأمه ................................ 155
المقام المحمود هو شفاعة لأهل الموقف ........................................ 156
الشفاعة العظمى لأهل الموقف لا يكرهها أحد من أهل البدع .... 156
الشفاعة في أهل التوحيد لا تختص بالرسول لكن لها النصيب الأكبر 156
أنكر الخوارج والمعتزلة شفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار 157
شفاعة لعم أبي طالب في تخفيف العذاب عنه .......................... 157
الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار متوافقة على شروطين .......................... 157
إثبات الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم ................. 158
الأحاديث في استخراج ذريّة آدم من ظهره كثيرة، لكن الرواية التي فيها أنه 159
تعالى استطعفهم فيها كلام لأهل الحديث ......................... 159
الميثاق ليس حجة وحده، ولا يستوجب من خالفه بمجرد العذاب 159
في آية الأعراف نزاع بين المفسرين هل هي في الميثاق الأول أو المراد ميثاق 159
الفترة ........................................................ 159
راجع ابن القيم أن آية الأعراف في ميثاق الفترة من عدة وجه 159
وجوب الإيمان بالقدر بمراتب الأربع .......................... 162
الطحاوي فرق الكلام في القدر وذكر جزئيات وتفاصيل في عدة مواضع .... 162
كل ميكر لما خلقه للمنصفي: أن الله يجري الأمور على وفق علمه السابق ........ 164
مقلولة: (الإنسان مثيّر أو مسير) من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل .... 165
الأعمال بالخواتيم ........................................... 165
أسس السعادة: الإيمان والقوى والعمل الصالح ................. 167
مقام الكلام في القدر من المقامات العظيمة التي تموذج فيها الأفكار موجًا .... 168

الصفحة

459
الموضوع

عجز الخلق عن معرفة حكم وأسرار القدر

الеспوعان: مطلق ونسبي

البحث في أسرار القدر سبب للضلال

هل يجوز البحث في القدر؟

السؤال على وجهين: سؤال اعتراض، وسؤال طلب للمعرفة

وجوب التمسك بالكتاب والسنة وترك الخوض فيما طوي عنا علمه

النور نوعان: حسي ومعنوي

دلت النصوص على أن القلب ثلاثة أقسام

العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود

الإيمان بالروح والقلم

الإشارة لكلام ميد قطع على آية الأنعام وما فيها من الدلالة على الإعجاز

الإيمان بالقدر من توحيد الروبية

الزعيد يشمل جميع طوائف الضلال الخائضين في القدر

ثناء الشارح على كلام الطحاوي في القدر

إثبات القدرة والكرسي وغناه تعالى عن كل شيء

أيجر الله في كتابه بأن عرشه عظيم وكريم ومجيد وأن له حملة

أيجر الله عن استواه على عرشه في سبعة مواضع

جاء في السنة أن العرش فوق السماوات وأن له قوائم

الجهمية والمعترضة لا يبتين حقيقة العرش التي دلت عليها النصوص

لم يرد الكرسي في القرآن إلا في آية الكرسي

إضافة القدرة والكرسي إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه

اختلاف المفسرون في الكرسي المذكور في الآية على أقوال

استواه تعالى على العرش لا يلزم منه حاجته إلى العرش

الذين نفو حقيقة الاستواه توعموا وزعموا أن استواه تعالى كاستواه المخلوق

إثبات صفة الإحاطة والفوقية لله تعالى

감ط ما جاء في بعض نسخ المتن في قول الطحاوي: (محيط بكل شيء فوقه).

النقول في الفوقية كالقول في العلما وهي ثلاثة أنواع

أيجر الله على خلقه كثيرة، وذكر ابن القيم أنها أنواع تحت كل نوع أفراد

عجز الخلق عن الإحاطة به تعالى.
الالفيرس التفصيلي

الصفحة 461

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>إثبات صفة الخالق والكريم تعالى</td>
<td>197</td>
</tr>
<tr>
<td>الخالق أعلم من المحبة</td>
<td>197</td>
</tr>
<tr>
<td>ضعف حديث: &quot;إبراهيم خليل الله... وأنا حبيب الله&quot;</td>
<td>197</td>
</tr>
<tr>
<td>المعطلة ينفون صفة المحبة ويقولون: لا يُحب ولا يُسَبِّح</td>
<td>198</td>
</tr>
<tr>
<td>نفاة المحبة منهم من يفسّرها بإرادة الإعجاب أو بنفس النعم المخلوقة</td>
<td>198</td>
</tr>
<tr>
<td>ويزعم المعطلة أن محبة العبد الله هي محبة ثوابه ومحبة طاعته لأن المحبة</td>
<td>199</td>
</tr>
<tr>
<td>عندما لا تتعلق إلا بمخلوق</td>
<td>199</td>
</tr>
<tr>
<td>التصور والفطرة والمقل دلت على أنه تعالى يُحب ويُسَبِّح</td>
<td>199</td>
</tr>
<tr>
<td>ما ذكره ابن أبي العز من الكلام في الخالق هو تفسير للخالق التي هي صفة</td>
<td>199</td>
</tr>
<tr>
<td>المخلوق</td>
<td>201</td>
</tr>
<tr>
<td>ووجب الإيمان بالملاكاة والأنبياء والكتب</td>
<td>201</td>
</tr>
<tr>
<td>الإيمان بهذه الأصول على وجهين: مجمل ومفصل، والمجمل فرض عين</td>
<td>201</td>
</tr>
<tr>
<td>الطحاوي لم يراع ترتيب مسائل الإيمان</td>
<td>201</td>
</tr>
<tr>
<td>تفريق الطحاوي للكلام في المسائل فادته استمرار الصلاة بها فيحصل التذكر</td>
<td>202</td>
</tr>
<tr>
<td>والضبط</td>
<td>202</td>
</tr>
<tr>
<td>الإيمان بالملاكاة جاء مقرّنا بالإيمان بالله في ثلاثة مواضيع من القرآن</td>
<td>202</td>
</tr>
<tr>
<td>أصناف الملاكاة</td>
<td>202</td>
</tr>
<tr>
<td>ذكر في القرآن اسم جبريل وميكائيل ومالك، وجاء في السنة إسرائيلي ومنكر</td>
<td>203</td>
</tr>
<tr>
<td>ونذكر</td>
<td>203</td>
</tr>
<tr>
<td>الأقوال الباطلة في الملاكاة</td>
<td>203</td>
</tr>
<tr>
<td>يجب الإيمان بالأنبياء إجمالاً وبن سمع Ониهم تقسيمًا</td>
<td>204</td>
</tr>
<tr>
<td>قدم الطحاوي ذكر الأنبياء على الكتب مع أن الذي في الآيات عكسه</td>
<td>204</td>
</tr>
<tr>
<td>أنّى الله لنا من الكتب: التوراة والإنجيل والزبور وصفح إبراهيم وموسى</td>
<td>205</td>
</tr>
<tr>
<td>الإيمان بالكتاب يندرج في الإيمان بالرسول لأنهم هم الذين جاءوا بها</td>
<td>205</td>
</tr>
<tr>
<td>أفضل الرسل: أولو العزم، وأفضلهم: الخليلان، وأفضلهم: محمد</td>
<td>206</td>
</tr>
<tr>
<td>شمسة أهل القبلة بالمسلمين</td>
<td>207</td>
</tr>
<tr>
<td>أهل القبلة: هم الذين يستقبلون كلمة في صلاتهم</td>
<td>207</td>
</tr>
<tr>
<td>قول الطحاوي: (مسلمين مؤمنين) جار على عدم الفرق بين الإسلام والإيمان</td>
<td>207</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الموضوع

خلاف العلماء في اسم الإسلام والإيمان هل هما اسمان لمسمي واحد أو هما متغايران

ترجيح الشارح: أنهما إذا أقرنا أخذ معاهمما وإذا اقتربنا اختفت معناهما

يسمى أهل القبلة مسلمين ما لم يكن منهم ما يوجب الصرة

كفر القائل بوحدة الوجود أو يَبُّ أخذ بعد محمد كالفادياني

أهل السنة لا يتكلمون في الله ودينه وكتبته بغير علم

أقر ما يطلق المراة على الجدل بالباطل

الجدال بالباطل هو سبيل أعداء الرسول

الجدال الذي يُراد منه الوصول إلى الحق وإظهاره ودفع الباطل مشروع

الفرق بين الجدل في القرآن والجدال بالقرآن

القرآن كلام الله حريقة ومعانيه تكمل به تعالى حقيقة وهو كلام الله مكتوبًا في المصادر محفوظًا في الصدور

جريل هو: الروح الأصيل، وهو روح القدس

أضاف الله القرآن إلى الرسول من الملائكة والرسول من البشر

الجهيمة والمتزلفة ومن وافقهم قالوا: إن القرآن مخلوق

المسلمون بعد الصدر الأول تفرقوا واضطردوا واجتازوا في القرآن

أهل السنة لا يكفلون بكل ذنب

اعتراض الشارح ابن أبي العز على ظاهر عبارة الطحاوي: لا تكفر أحد من أهل القبلة بنف. . .

عبارة الدقيقة: (لا تكفرهم بكل ذنب) وهي من سبل العموم لا عموم المسلم

أهل السنة لا يكفرن أحدًا من أهل القبلة بنف دون الشرك خلافًا للخوارج

الخوارج خرجوا في عهد علي بن أبي طالب، وقد حَث النبي صلى الله عليه وسلم

كفر من استحل شيئًا من المحرمات معلوم عن الدين بالضرورة أو جدح شيئًا

من الواجبات المعلومة بالضرورة

تأثير الذنب على الإيمان

الخوارج والمرجعة على طرف في نقيض، وبدعة المرجعة أحق وأشبع

خلاف العلماء في كثير الخوارج

جهيم إمام غلالة المرجعة، أما مرجعية الفقهاء فيخرجون الأعمال عن مستوى الإيمان

الصفحة

422
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>217</td>
<td>أهل السنة وسط في باب الإيمان</td>
</tr>
<tr>
<td>218</td>
<td>الرجاء للمحسنين والخوف على المسيحيين</td>
</tr>
<tr>
<td>219</td>
<td>دلائل النصوص على أن من المذنبين من لا يعفو الله عنهم بل يدخلهم النار</td>
</tr>
<tr>
<td>222</td>
<td>الشهادة بالجنة فيها ثلاثة مذاهب</td>
</tr>
<tr>
<td>224</td>
<td>مذهب أهل السنة وسط بين الوعيد والمرجئة</td>
</tr>
<tr>
<td>224</td>
<td>الأمن من عذاب الله يتضمن التكذيب بالوعيد</td>
</tr>
<tr>
<td>225</td>
<td>النقوط والآيس يتضمن إنكار الثواب وهو تكذيب لآخر الله</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>الخوف والرجاء من مقامات الدين وقد أثني الله على عباده بأنهم يخافونه</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>ويرجونه</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>الأمور المقتضية للعمل ثلاثة: الحب والخوف والرجاء</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>جهلة الصوفية يعدهن الله بالحب</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>المرجئة يعدهن تعالى بالرجاء</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>الخوارج يعدهن تعالى بالمالغة في الخوف</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>ما يخرج به المسلم من الإيمان</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>مذاهب الفرق في مسمى الإسلام</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>تعريف الإمام عند مرجبة الفقهاء</td>
</tr>
<tr>
<td>228</td>
<td>تعريف الإيمان الذي دلل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف</td>
</tr>
<tr>
<td>229</td>
<td>بعض تراجم البخاري في كتاب الإسلام من صحيحه دالة على أن الأعمال من</td>
</tr>
<tr>
<td>229</td>
<td>الإمام</td>
</tr>
<tr>
<td>229</td>
<td>تعريف الإمام عند الجهمية ومن تبعهم</td>
</tr>
<tr>
<td>229</td>
<td>تعريف الإمام عند الكرامية</td>
</tr>
<tr>
<td>229</td>
<td>لمرجبة الفقهاء شهادات كثيرة أجوب عنها شيخ الإسلام في الإمام الكبير</td>
</tr>
<tr>
<td>229</td>
<td>والأوسط</td>
</tr>
<tr>
<td>229</td>
<td>الرد على شبهة مرجحة الفقهاء أن الإمام في اللغة هو التصديق</td>
</tr>
<tr>
<td>231</td>
<td>وجوب الإمام والعمل بكل ما صرح به النبي ﷺ</td>
</tr>
<tr>
<td>231</td>
<td>الروايات عن النبي ﷺ قسمان: متوارثة وأحاد</td>
</tr>
<tr>
<td>231</td>
<td>تعريف المتوارث والأحاد وأقسامه</td>
</tr>
<tr>
<td>231</td>
<td>أهل السنة يقبلون الحديث الذي تقرر فيه شروطقبول في جميع أمور الدين</td>
</tr>
<tr>
<td>232</td>
<td>الأدلة على حجبية خبر الواحد كثيرة في السنة</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الموضوع

أهل البعد لا يحتاجون بخیر الواحد في العقائد

أهل البعد ليس مقصودهم الاحتياط في الشروط وإنما ردد التسليم المخالف

لأصولهم

إذا جاءت النصوص متوازنة على نقض أصول أهل البعد قالوا: مسائل

الاعتقاد لا تثبت بالأدلة الفظية!

عند أهل البعد لا تثبت العقائد إلا بالدلالات العقلية وهذا الذي أفضى بهم إلى

التلاعب بدين الله

أهل البعد وقروا من النصوص أحد ثلاثة مواقف: الرد أو التأويل أو التفويض

زيادة الإيمان ونقصانه

عند مرجعة الفقهاء أن أعمال القلوب فيها زيادة ونقص، لكنها خارجة عن

مسمي الإيمان

الخلاف بين أهل السنة ومرجعة الفقهاء ليس خلافًا فظيًا

ترتب على الخلاف بين أهل السنة ومرجعة الفقهاء مسألة زيادة الإيمان ونقصانه

ومسألة الاستناء في الإيمان

ولاية الله ويم تكون؟

طبقات الله إجمالًا طبقتان: مقربون، ومقتدون

الإمام بالأصول الخمسة وفصل الإيمان باليوم الآخر

الإمام يطلق إطلاقًا عامًا يشمل جميع أمر الدين ويُطلق ويُراد به الأصول

السنة

الإمام بالأصول السنة فرض عين والإمام بها تفصيلًا فرض كتابية

فُضل الخبر عن اليوم الآخر في القرآن تفصيلًا لم يسبق مثله في الكتب المقدمة

يدخل في الإيمان باليوم الآخر، الإمام بكل ما أخبر الله به بعد الموت

من أهم ما يجب الإيمام به من أمر اليوم الآخر: الإيمان بالبعث والجنة والغنام

لا ينك ببعث إلا من خرج عن أديان الرسل، واعتقاد اليهود والمسيحيين في

البعث في خلل

أظهر طريق القرآن في تقرير إمكان البعث أربعة

ذكر الله في سورة البقرة خمس وقائع لإحياء الموتى

الإمام بالقدر خيره وشره
الفهرس التفصيلي

الموضوع

المصدر تارة يطلق ويراد به الفعل ويطلق ويراد به المفعول ........................................ 245
المقدرات فيها خير وشر وحفر ومر، أما فعل الله تعالى فخير كله .......................... 247
الله تعالى لا يخلط شرًا محضًا ......................................................................................... 248
الشر الذي في المخلوقات لا يضاف إلى مفردة أبداً .................................................... 248
الوجه التي يعبر بها في إضافة الشر المخلوق ............................................................... 248
الجمع بين آتي سورة النساء (قل كل من يعبده ألا أعبده وقومًا أصلحه بين سيئته قنـ 249
(ثلثاً) .................................................................
من كتب رسولاً واحد فهو半岛 الكذب لجميعهم ................................................................. 251
من آمن بكل ما جاء به الرسول ﷺ إلا مسألة واحدة مع ثبوتها وقطعتيها لا يحمله على ذلك التوقف في ثبوتها فهو كافر .......................................................... 251
حكم أهل الكبار في الآخرة ............................................................................................... 252
دل الكتاب والسنّة على أن الذنب: كبار وصغار اختلف الناس في حدد الكثرة اختلافًا كبيرًا ذكره ابن القيم ................................................................. 253
أحسن حدد للكبرة، وأمثلة عليه .................................................................................. 253
الكبيرة متفاوتة وبعضها أكبر من بعض ................................................................. 254
النهي مجرد يدل على التحريم فإذا ورد تغليط فهو كثيرة .................................... 254
جاء في النصوص أن الصغراء تكفر بالأعمال الصالحة وباجتناب الكبار .......... 254
الكبيرة لا تغفر إلا بالتوبة أو الحدود المقدرة .......................................................... 255
محل الخلاف بين طوائف المسلمين في مرتبت الكثيرة إذا مات من غير توبة اتفق الخوارج والمعتزلة على حكم مرتبت الكثيرة في الآخرة: أنه في النار خالدة فيها ................................................................. 256
أهل الكبار عند أهل السنة تحت مشروعية الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم .. 257
الجمع بين قوله تعالى: (إن الله لا ينكر أن يشرد بنده) وقوله: (إن الله ينير 257
الذين يشردون) .................................................................
كل مؤمن له حظ ونصيب من ولاية بقدر ما معه من إيمان وعمل صالح ................. 258
ينغي للمسلم أن يسأل فيه الثبات على الإسلام حتى الممات ................................ 260
منذب أهل السنة والجماعة في الصلاة خلف المسلمين، وعلي موتاه .............................. 261
ترك إقامة الجمع والأعياد خلف الإمام لفجورهم من منهج المبتدعة ............... 262
سبب ذكر العلماء لهذه المسألة العملية في كتب العقائد ........................................ 262
شرح المقدمة الطحاوية

الشريعة

الموضوع

إذا أمكن الصلاة خلف العدل فينفغي ترك الصلاة خلف الفاسق........... ٢٦٢
أولى من الصلاة خلف الفاسق الصلاة خلف المخالف في المذهب الفقهى........... ٢٦٢
من ظهر منه ما يوجب الردة فلا يصلح خلفه كالقوميين من الرافضة وغيرهم........... ٢٦٣
صلاة الجنازة فرض كفية، وهي مستحقة لغير من يحصل بهم الكفية........... ٢٦٣
ينبغي للإمام والعالم والرجل الصالح المشهور ترك الصلاة على الفجار والفساق زجرًا عن حالهم وأعمالهم........... ٢٦٣
لا يشهد لمعين من أهل القرية بجنة أو نار إلا بحجة........... ٢٦٤
عصفة دماء المسلمين........... ٢٦١
الحالات التي يحل فيها قتل المسلم أو قتله........... ٢٦٦
وجوب السمع والطاعة بالمعروف لولاية الأمر وتحريم الخروج عليهم........... ٢٦٨
من أصول المعتزلة الأمر بالمعروف والنفي عن المنكر ويدخلون في مفهومه الخروج على الولاة القبلية........... ٢٦٩
المقصود من إنكار المنكر: إزالته أو تخفيظه؛ فإذا كان الإنكار يؤدي إلى منكر أعظم لم يجز الإنكار........... ٢٧٠
الدعاء لولاية الأمر هو موجب النصيحة، لكن جرت عادة الناس أنهم لا يلتزمون بهذا المنهج........... ٢٧٠
قول النبي ﷺ: "شراء أنتمكم الذين... تعلمنهم" ليس إقرارًا، وإنما هو من قبل الإخبار بالواقع........... ٢٧١
يثكر الخروج على الولاة من أجل المنازعة على السلطة باسم الإصلاح الديني........... ٢٧١
وجوب إتباع الكتب والسنة وتجنب الشذوذ والفرقة........... ٢٧٣
سمي أهل السنة والجماعة لاتبعهم سنة النبي ﷺ وجماعة المسلمين........... ٢٧٣
أهل السنة يحبون أهل العدل ويغضون أهل الجبر........... ٢٧٥
الناس في الحب والبغض ثلاثة أقسام........... ٢٧٦
تفويض العبى ما خفي عليه من العلم إلى الله........... ٢٧٧
من مذهب أهل السنة المسح على الخفين........... ٢٧٩
أحاديث المسح على الخفين متواترة........... ٢٧٩
اختلاف المفسرون في توجيه قراءة الجر في قوله تعالى: "وأرجلكم"........... ٢٧٩
الرافضة خالفوا السنة فقالوا: فرض الرجلين المسح بدل الغسل، وأنكروا مسح الخفين........... ٢٨٠
الفهرس التفصيلي

الموضوع

الحج والجهاد مع الأئمة برهم وفاجرهم .................................................. 282
سبب تبعين الخلفاء أميراً على الحج .......................................................... 282
الرافضة برون أنه لا جهاد إلا مع إمام ممود .............................................. 282
الإيمان بالكرام الكاتبين ................................................................. 284
الإيمان بملك الموت وأعوانه ................................................................. 286
جاء التوقي في القرآن منسوبي إلى الله وإلى ملك الموت وإلى الملائكة وتوجه ذلك ................. 288
حدث في هذا العصر من المخترعات ما يقرب بعض أمور الغيب ............. 289
الكلام على الروح وبعض متعلقاتها .................................................. 290
الناس في حقيقة الروح على ثلاثة مذاهب ............................................... 290
يتعلق بالروح مسائل كثيرة اعتنى بذكرها العلامة ابن القيم في كتاب "الروح" .. 291
بعض المسائل المتعلقة بالروح ................................................................. 291
اختلاف المفسرون في المراد بالروح في قوله تعالى: "وَيَسْتَلْعَلُۢوَهَا آُلَٰٓىٖ" .... 292
البحث في الروح له فائدتان ................................................................. 292
وجوب الإيمان بفتحة القبر وعذابه ونعمته ................................................. 294
الأدلة على فتحة القبر وعذابه متوارطة ............................................... 294
ليس لنا أن نقول: "فإنه الآن يسأل" ....................................................... 295
ثبوت نسية الملكين الذين يسألان المقرب ............................................. 296
الإيمان بفتحة القبر وعذابه من الإيمان بالغيب وهو داخل في الإيمان باليوم الآخر ................................................................. 296
قد يكشف لبعض الناس شيء من أحوال القبر ............................................. 297
أنكر عذاب القبر ونعمته بعض الزنادقة ............................................... 297
يلزم على قول من يقول: إن الروح عرى أن لا يكون عذاب ولا نعيم في القبر ................................................................. 297
أيات لابن القيم في النونية حول الروح وبقيقها ........................................ 297
مسائل القبر هي التي بني عليها الإمام محمد بن عبد الوهاب رسلته "ثلاثة الأصول" ................................................................. 298
أيات شيعية في تعظيم حب الوطن .............................................................. 298
الدور ثلاثة: الدنيا، البرزخ، الأخرى ........................................................ 299
الموضوع

300 غلط من يقول للميت: انتقل إلى مثواه الأخير
301 الإيمان بالبعث والجزاء
301 أهل الملل متفقون على البعث، ولم ينكر بعث الأجلاء إلا الفلاسفة المحدثة
301 ابن سينا ذهب أن البعث روحي لا جسماني
301 بطلان دعوى المتكلمين أن البعث يكون بجميع جزئيات الميت
303 ليس البعث إيجاد من عدم بل هو إعادة وهذا الذي أنكره الكفار
303 إنكار العلماء على الجهم زعم أن المعاد ليس إعادة بل خلق جديد
303 أبابا لابن القيم في ذكر مقالة جهم
304 الإيمان بالجزاء على الأعمال
306 الإيمان بالمرض والحساب
308 الإيمان بقراءة الكتب والثواب والعقاب
309 الإيمان بالصراط والميزان
310 دلت التوصية على أن الأعمال توزن والصحف توزن بل والعامل يوزن
311 أنكرت المعتزلة الميزان
312 خلق الجنة والنار وبيقاؤهما
313 زعم المعتزلة أن الجنة والنار لم تخلق لكن يخلقهما الله يوم القيامة
313 الأدلة على أن الجنة والنار موجودتان الآن كثيرة
315 مسألة فتاء الجنة والنار
316 عادة ابن القيم بمسألة فتاء النار
317 أكثر ما يقال إن القول ببناء النار مرجح لا بدعة
317 أفاذ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير بقاء النار
317 سبق القدر فين يصير إلى الجنة ومن يصير إلى النار
319 الخلق تارة يطلق على جنس المخلوقات وثارة على خصوص المكلفين
319 النظر للقدر في أمر الإيمان والكفر والطاعة والمعصية من أعظم مداخل
321 الشيطان
322 الأخذ بالأسباب فطرة الله عليها العباد
322 هناك أمور لا ينتظر بعض الناس للقدر فيها
324 كل شيء بقدر
325 اضطراب الناس في القدر
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>إنكار الأسباب قول مشهور عن الأشاعرة</td>
</tr>
<tr>
<td>أنواع الإستطاعة</td>
</tr>
<tr>
<td>الاستطاعة التي هي مناط التكلف يقر بها جميع الطوائف</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>قال أهل السنة: أفعال العباد هي أفعالهم حقيقة، والله خالفهم وخالف أفعالهم وقدرتهم وإرادتهم.</td>
</tr>
<tr>
<td>وقال نفاة القدر: العباد هم الخالقون لأفعالهم.</td>
</tr>
<tr>
<td>وقالت الجبرية: أفعال العباد مخلوقة الله، والعبد لا فعل له بل هو مجوهر.</td>
</tr>
<tr>
<td>والأشاعرة للفقوا كعادتهم فقالوا: أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد.</td>
</tr>
<tr>
<td>هذين الأشاعرة يرون أن العلاقة بين الأسباب والمهاميات وقدرة العباد وأفعاله مجرد الاقتران.</td>
</tr>
<tr>
<td>يقرب الأشاعرة في هذه المسألة من مذهب الجبرية.</td>
</tr>
<tr>
<td>عجائب الكلام ثلاثة: ظفيرة النظم، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري.</td>
</tr>
<tr>
<td>اعتراض الشارح على قول الطحاوي: &quot;ولا يطوقون إلا ما كلفهم&quot;.</td>
</tr>
<tr>
<td>لا حول ولا قوة إلا بالله من أنواع الذكر التي ذكرت في السنة على عظم شأنها.</td>
</tr>
<tr>
<td>كل ما يجري في الكون بمشيئة الله.</td>
</tr>
<tr>
<td>أبيات للإمام الشافعي في تقوية مشيئة الباري تعالى.</td>
</tr>
<tr>
<td>كل ما يجري في الكون فهو على وفق حكمة الله تعالى وتدبيره.</td>
</tr>
<tr>
<td>الجهمية والأشاعرة زعموا أن ما يجري بمحض المشيئة دون أن يكون له فيه حكمة.</td>
</tr>
<tr>
<td>حكمة الله تعالى دائرة بين الفضل والعدل، ويجب تنزيهه تعالى عن الظلم.</td>
</tr>
<tr>
<td>مادة &quot;تدرس&quot; موجودة في القرآن كثيرًا.</td>
</tr>
<tr>
<td>الله تعالى ملزم عن كل عيب وسوء ووصف فقح.</td>
</tr>
<tr>
<td>انتفاح الأمور بعمل الأحياء.</td>
</tr>
<tr>
<td>أثق أهل السنة على أن الأمور يتفعون بدعاء الأحياء والصدق عنهما والحج عنههم.</td>
</tr>
<tr>
<td>أقصر الطحاوي على ذكر الدعاء والصدق لأنه مذهب أبي حنيفة أو لأنه أجمع عليه.</td>
</tr>
<tr>
<td>مختلف العلماء في وصول ثواب بقية الأعمال.</td>
</tr>
</tbody>
</table>

الصفحة 429
نonsense
أحسن ما قبل في المراد بالسابقين الأولين أنهم الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الحديبية
اختالف الناس في الصحابة إلى ثلاثة طوائف: طرفان ووسط
أهل السنة وسط بين الفرق في جميع مسائل الدين
كل انحراف فإنه يعود إلى أحد أمرين: إما إفراع أو تفريع
مقولة الراذمة الباطلة: لا ولا إلا ببراء
الرافضة تتم شر طوائف الأمه على الطلع فقد جمعوا إلى أصولهم الكفرية
بعض أصول المتولدة
من منهج أهل السنة الإماك عما جرى بين الصحابة
نقل طويل من كلام شيخ الإسلام في الواسطة في شأن الصحابة والاعتدار
عنهم
المرجع يقولون: إطلاق اسم الإمام على الأعمال مجاز
الحق بالخلافة بعد رسول الله
اختالف الناس في خلافة الصديق هل ثبت بالنصر أو الاختيار
الآلة على أن الصديق هو الأحق بالخلافة بعد النبي
رجل الشرخ أن خلافة الصديق ثبت بالنص اللفظي والإشارة
قال شيخ الإسلام: دلت النصوص على صحة وثبت خلافة الصديق ورضاه الله
ورسله بها وانعقدت بمبايعة المسلمين
أهل السنة يثبتون الخلافة لأبي بكر ثم عمر ولا ينزع في هذا إلا الراذمة
أهل السنة يترتون الخلافة في الفضل على ترتيبهم في الخلافة
تسمية الخلفاء الأربعة بالخلفاء الراشدين لا ينفي أن يقال في بعض ولاة
المسلمين إنه خليفة راشد
قال بعض أهل العلم إجماع الخلفاء الراشدين حجة
العشرة المبشرون بالجنة
أفضل العشرة: الخلفاء الأربعة، أما بقية السنة فلا يفضل بينهم
الرافضة يضرون العشرة إلا عليًا، ومن حماقاتهم أنهم يغضون لفظ العشرة
منهج أهل السنة في أزواج النبي واهل بيته
أفضل أمات المؤمنين خديجة ومعاذة
أيهم أفضل خديجة أم عائشة؟
الموضوع
كل ما تنازل من أولاد الحسن والحسين فهم من ذريته النبي ﷺ
فهما تنازل من ذريته الحسن والحسين المحسن والمسيء
العن في الصحابة وأزواجه النبي ﷺ هو شأّن المنافقين
أصل الرفض الذي هو بعض الصحابة وتكفيرهم والغزّ في علي وذريته أسسه
ابن سبا
الشيعة يقسم العلماء ثلاثة أقسام إجمالية
سبب تسمية الرافضين بهذا الاسم
الزيدية يتسابق إلى زيد بن علي بن الحسين
الباطنية يظهرون الرفض ويثبطون الخطر المحتمل
كلام القاضي أبي بكر الباقلاني في طريقة دعوة الباطنية
سبب تسمية الباطنية بهذا الاسم
احترام علماء السلف ومن اقتفى أثرهم
الاُدلة على فضل العلماء
حملة العلم نوعان: علماء نقل ورواية، وعلماء فقهاء
تتسلسل الناس في العلماء ثلاثة أقسام
أقوال الأئمة تتسلسل إلى ثلاثة أقسام
أعيذ العلماء في خلافه بعضهم لبعض الأدلة
استدل الشافعي بقوله تعالى: ﴿ورزَّعُ غَيْرَ سَيِّئِمَا تَعَلَّمَهُ﴾ على حجيته الإجماع
اعتراف الشارخ على مقولته: ﴿كل آمة قبل مبتعٍ محمد ﷺ علماؤها شرارة﴾
ينفي للمسلم أن يكون متواضعًا لا يتأت عن أن يستفيد ممن فقته ومهله ودونه
يجب التحويل في تحسين العلم على الكتب الموثوقة
مرتبة الولاية دون مرتبة النبوة
زعم ابن عربي أن النبي ﷺ أفضل من النبي
نقل شيء من كلمات ابن عربي الكفرية
بين النبي والرسول والولي عموم وخصوص
طبقات الأولياء إجمالًا طبقتان: متقهصون وسابقون
منهج أهل السنة في كرامات الأولياء
معنى الكرامة والمعجزة
قلت المعجزة لا ثبت النبوة إلا بالمعجزة
الموضوع
المقصود من إثبات كرامات الأولياء إثبات جنس الكرامات إذ ليس كل ما يذكر
يشت

جمع صفات الكمال: الغنى والعلم والقدرة

عدم الخوارق لا تضر المسلم في دينه ولا ينقص من مرتبه

لا يستدل بعدم حصول الكرامة على عدم الولاية، ولا بحصول الخاق على

الولاية

ضابط الولاية الإمام والقوى

الخوارق قد تجري في الظاهر على أيدي الكهة والسحرة

مناظرة شيخ الإسلام للأحمدية وفضحهم أمام الناس

أشراف الساعة الكبرى وبعض أداتها

العلم بأن هذا من أشراف الساعة يبني على العلم بما جاء عن النبي ﷺ والعلم

بالواقع

وجوب الحذر من تصديق الكهان والعرافين ونحوهم

العراف والكهان متقاربان، ومن العلماء من يفرق بينهما

لا يجوز سؤال هؤلاء الكاذبين

يجب على ولاء الأمور أن يمنعهم من إظهار متكرون

المتعمد: هو الذي ينظر في التجوم ويستدل بها على ما يحدث في الأرض...

قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث ... 

الكاهن: هو الذي تخبر الشبان بالأخر

هؤلاء الدجالون إنما يكررون إذا غلب الجهل وضعف الدين ...

من منهج أهل السنة لزوم الجماعة والحذر من الفرق ... 

أعبر النبي ﷺ بافتراق الأمة، وإخبار بوقوع الشيء لا يدل على صوابه بل

أخبر به إخبار المحرر

ذكر شيخ الإسلام أن الاختلاف الواقع في الناس نوعان: تنوع وتضاد ...

المختلفون اختلاف النوع يومن ينفي بعضهم على بعض ...

الحق أن المصيب من المجتهدين واحد، والخطأ مازور على اجتهاده ...

وسطية دين الإسلام ...

حقيقة دين الإسلام: عبادة الله وحده لا شريك له، وهذه الحقيقة يدين بها

جميع أهل السماوات وهي دين جميع الرسل ...
الموضوع

بعد بعثة محمد ﷺ صلى الله عليه وسلم إلى نار الإسلام ما جاء به وكل من لم يؤمن بشريعته فهو خارج عن الإسلام ........................................ 412
من يقول: إن اليهود والنصارى على دين صحيح فهو كافر ......................................................... 413
التعطيل والتشبه يندرجان في الغلط والتقصير ................................................................. 414
أهل السنة وسط في باب أسماه الله وصفاته بين أهل التعطيل وأهل التمثيل .... 414
الجبر مذهب الجهمية ومنافقهم .................................................................................. 415
يقابل الجهمية في هذا الدليل المعتزلة ................................................................. 415
القدرة لفظ يطلق على نفاذ القدر من المعتزلة وعلى الجبرية من الجهمية لكنه أهـر في المعتزلة ................................................................. 415
الجبرية غلظ في إثبات القدر وإثبات فاعلية الله وقصروا في إثبات فعل العبد................................................................. 415
وال اختياره ................................................................. 415
المعتزلة غلظ في إثبات فاعلية العبد، وقصروا في إثبات روبية الله ......................................................... 415
فلم إطلاق كلمة "هل الإنسان مسير أو مختر" لا احتمالها حقًا وباطلًا ................................. 415
دين الإسلام وسط في باب الوعيد والوعيد بين الأمان والإياس ......................................................... 416
الأمن سبيل المرجحة الغلاة، والإياس سبيل الوعيدة ................................................................. 416
براءة أهل السنة من المذاهب المبتدعة ................................................................. 418
الاستقامة على الصراط إنما تكون بعصم الله وهدايته ................................................................. 419
المعتزلة على النقيض من الجهمية في باب القدر والإيمان ويقرون منهم في باب الأسماه والصفات ................................................................. 420
أصول المعتزلة الخمسة ................................. 420
بِلِاء السَّرِيعَةَ بِاللَّهِ عَلَى النَّهَيْ عن الخروج على الأئمة لما يفضي إليه من الفساد ................................................................. 421
العرضي ................................................................. 421
الأمر بالمعروف والنفي عن المنكر يقوم على قاعدة: "ارتكاب أدنى المفسدين لدفع أعلاهما، وقفوت أدنى المصلحين لتحصيل أعلاهما" ................................. 421
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مقدمة المعد وطريقة العمل في إخراج الشرح</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ترجمة الإمام الطحاوي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ترجمة الشيخ عبد الرحمن البراك</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مقدمة الشارح</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>قول أهل السنة في التوحيد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أقسام التوحيد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>نفي المثل عن الله تعالى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>نفي العجز عن الله تعالى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>كلمة التوحيد وما تتضمنه</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>دوام الرعب تعالى أزلًا وأبدًا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>إيثاث الإرادة لله تعالى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تنزية الله تعالى عن الإحاطة به</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تنزية الله تعالى عن مشابهة خلقه</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>إيثاث الحياة والقيومية لله تعالى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تنزية الله تعالى عن الحاجة والخوف والمشقة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>إيثاث الكمال المطلق لله تعالى أزلًا وأبدًا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أنواع الصنات وموقف المعطالة منها</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>وصف الله تعالى بالخالق والبارئ قبل خلقه للخلق</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>إيثاث كمال قدرته وغناه تعالى، وفقر خلقه إليه</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>إيثاث صفاته تعالى، وندى مماثله للمخلوقات</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>إيثاث علم الله تعالى، وتقديره الأقدار، وضمه الآجال</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ووجب الإيمان بالشرع والقدر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>الصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>------------------------------------------------------------------------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات عموم ميثة الله تعالى</td>
<td>77</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات الحكمة الله تعالى في أفعاله</td>
<td>80</td>
</tr>
<tr>
<td>تزويج الله تعالى أن يكون له ضد أو ند</td>
<td>82</td>
</tr>
<tr>
<td>تفاذق قضاة وحكمه تعالى</td>
<td>83</td>
</tr>
<tr>
<td>ووجب اعتقاد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وتذكر ما تثبت به البوة</td>
<td>84</td>
</tr>
<tr>
<td>من خصائصه ﷺ أنه خاتم الأنباء، وسيد المرسلين</td>
<td>91</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات الخلقة له ﷺ كبراهيم</td>
<td>95</td>
</tr>
<tr>
<td>حكم دعوى البوة بعد محمد ﷺ</td>
<td>97</td>
</tr>
<tr>
<td>عموم بعثته ﷺ للجن والأنس</td>
<td>98</td>
</tr>
<tr>
<td>فضل رسلته، وجمال شريعته</td>
<td>101</td>
</tr>
<tr>
<td>عقيدة أهل السنة في القرآن، والرد على المخالفين</td>
<td>104</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات رؤية المؤمنين لرفيهم في الآخرة</td>
<td>112</td>
</tr>
<tr>
<td>وجب التصديق بخبر الرسل ﷺ وحمله على مراده</td>
<td>119</td>
</tr>
<tr>
<td>وجب التسليم لحكم الله تعالى ورسوله، وتقديمه على الآراء</td>
<td>124</td>
</tr>
<tr>
<td>سوء عاقبة من لم يسلم لخير الله تعالى ورسوله</td>
<td>133</td>
</tr>
<tr>
<td>مذهب أهل السنة في إثبات الصفات وسط بين المعطة والمشتهية</td>
<td>138</td>
</tr>
<tr>
<td>الواجب في الألفاظ المحدثة في صفاته تعالى</td>
<td>141</td>
</tr>
<tr>
<td>مذهب أهل السنة والجماعة في الإسراء والمعراج</td>
<td>146</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات حوض نبيا محمد ﷺ</td>
<td>152</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات شفاعة ﷺ لأمه، وذكر الشفاعة الخاصة به</td>
<td>155</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات الميثاق الذي أحده الله على بني آدم</td>
<td>158</td>
</tr>
<tr>
<td>وجب الإيمان بالقدر بمراتبه الأربع</td>
<td>162</td>
</tr>
<tr>
<td>عجز الخلق عن معرفة جَهَّم وأسرار القدر</td>
<td>169</td>
</tr>
<tr>
<td>البحث في أسرار القدر سبب للضلال</td>
<td>171</td>
</tr>
<tr>
<td>وجب التمسك بالكتاب والسنة، وترك الخوض فيما طوي عنا علبه</td>
<td>175</td>
</tr>
<tr>
<td>الإيمان باللورح والقلم</td>
<td>179</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات العرش والكرسي، وثناة تعالى عن كل شيء</td>
<td>188</td>
</tr>
<tr>
<td>إثبات صفة الإحاطة والنفوذة الله تعالى</td>
<td>192</td>
</tr>
<tr>
<td>عجز الخلق عن الإحاطة بالله تعالى</td>
<td>196</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td>الموضوع</td>
</tr>
<tr>
<td>----------</td>
<td>----------</td>
</tr>
<tr>
<td>197</td>
<td>إثبات صفة الخلق والكلام لله تعالى</td>
</tr>
<tr>
<td>201</td>
<td>وجب الإيمان بالملائكة والأنبياء والكتب</td>
</tr>
<tr>
<td>207</td>
<td>تسمية أهل القبلة المعاصرين</td>
</tr>
<tr>
<td>209</td>
<td>أهل السنة لا يتكلمون في الله ودينه وكتبه بغير علم</td>
</tr>
<tr>
<td>214</td>
<td>أهل السنة لا يكترون بكل ذنب</td>
</tr>
<tr>
<td>216</td>
<td>تأثير الذنوب على الإيمان</td>
</tr>
<tr>
<td>218</td>
<td>الرجاء للمحسنين، والخوف على المضلين</td>
</tr>
<tr>
<td>222</td>
<td>مذهب أهل السنة وسط بين الوعيدة والمرجئة</td>
</tr>
<tr>
<td>225</td>
<td>ما يخرج به المسلم من الإيمان</td>
</tr>
<tr>
<td>227</td>
<td>مذاهب القراء في مسمى الإمام</td>
</tr>
<tr>
<td>231</td>
<td>وجب الإيمان والعمل بكل ما صرح عن النبي</td>
</tr>
<tr>
<td>234</td>
<td>زيادة الإمام، ونقصانه</td>
</tr>
<tr>
<td>237</td>
<td>ولاية الله وبم تكون؟</td>
</tr>
<tr>
<td>239</td>
<td>الإيمان بالأصول الخمسة، وتفصيل الإيمان باليوم الآخر</td>
</tr>
<tr>
<td>245</td>
<td>الإيمان بالقدر خير وشره</td>
</tr>
<tr>
<td>252</td>
<td>حكم أهل الكيائر في الآخرة</td>
</tr>
<tr>
<td>261</td>
<td>مذهب أهل السنة في الصلاة خلف المسلمين، وعلى موتاهم</td>
</tr>
<tr>
<td>264</td>
<td>لا يشهد لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا بحجة</td>
</tr>
<tr>
<td>266</td>
<td>عصمة دماء المسلمين</td>
</tr>
<tr>
<td>268</td>
<td>وجب السمع والطاعة بالمعروف لولاية الأمر، وتحريم الخروج عليهم</td>
</tr>
<tr>
<td>273</td>
<td>وجب اتباع الكتاب والسنة وتجنب الشذوذ والفسق</td>
</tr>
<tr>
<td>275</td>
<td>حب أهل العدل ونفي أهل الجور</td>
</tr>
<tr>
<td>277</td>
<td>تقيوس العقد ما خفي عليه من العلم إلى الله</td>
</tr>
<tr>
<td>279</td>
<td>من مذهب أهل السنة المسح على الخفين</td>
</tr>
<tr>
<td>282</td>
<td>الحج والجهاد مع الأئمة براهم وفاجراهم</td>
</tr>
<tr>
<td>284</td>
<td>الإيمان بالكرام الكاتبين</td>
</tr>
<tr>
<td>286</td>
<td>الإيمان بملك الموت وأعوانه</td>
</tr>
<tr>
<td>290</td>
<td>الكلام على الروح وبعض متعلقاتها</td>
</tr>
<tr>
<td>294</td>
<td>وجب الإيمان بفترة الفبر وعذابه ونعيمه</td>
</tr>
</tbody>
</table>
الموضوع

الإيمان بالبعث والجزاء ........................................ 301
الإيمان بالعرض والحساب، والصراط والميزان ......................... 306
خلق الجنة والنار وبقاؤهما ........................................ 312
سبق القدر فيمن يصير إلى الجنة، ومن يصير إلى النار ...... 319
كل شيء يقدر ............................................................ 324
أنواع الامتناع ........................................................ 326
خلق الله لأنفعال العباد .............................................. 329
كل ما يجري في الكون بمشيئة الله ................................ 333
اندفاع الأمواج بعمل الأحياء ...................................... 339
إجابة الله لدعاء عباده ................................................ 346
إثبات الغضب والرضا الله تعالى .................................... 352
منهج أهل السنة في الصحابة .......................................... 356
الآخرين بالخلافة بعد رسول الله ﷺ ......................... 364
العشرة المبشرون بالجنة ............................................. 371
منهج أهل السنة في أزواجه النبي ﷺ وأهل بيته .............. 374
احترام علماء الأمة من السلف ومن اقتفي أثرهم .................. 382
مرتبة الولاية دون النبوة ............................................ 390
منهج أهل السنة في كرامات الأولياء .................................. 394
اشراف الساعة الكبرى .................................................. 399
وجوب الحذر من تصديق الكهان والعرايين ....................... 404
من نهج أهل السنة لصوم الجماعة والحذر من الفرقة .......... 408
وعسطة دين الإسلام .................................................... 411
براءة أهل السنة من المذاهب المبتذلة ......................... 418
فهرس الأحاديث .......................................................... 423
مراجع التحقيق .......................................................... 430
الفهرس التقسيلي ........................................................ 449
فهرس المحتويات ........................................................ 470